

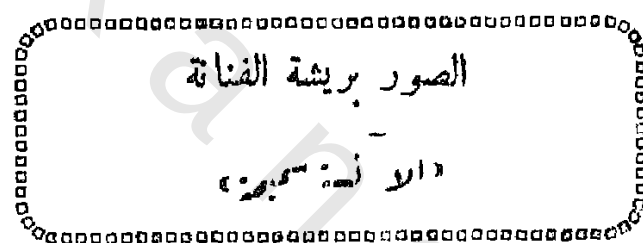


يوسف السباعي

رقيق

الكتاب

النشأ
مكتبة الخناجعي
ومكتبة المشي ببغداد



غزالیہ سبدر



بعلى بعد ذلك فترة مظلمة كثيفة أطبق عليه
ممرست خلاطها عبء اليأس أثقل مما كان .. ووجد نفسه
ينحوض معركة الامتحان بأعصاب منهارة محطمة ، لا تلوح له
بارقة أمل أو ومضة رجاء تشد أزره وتقوى ساعده .

وانتهى الامتحان دون أن يعرف كيف بدأ ولا كيف
انتهى .. وكأنما كان يعبر خلاله ضباباً ثقيلاً معتما لا يريه
مما حوله شيئاً . ولم يكن يغادر المدرسة إلا فترة قصيرة يرى
فيها أباه ، ثم يعود أدراجه ليرتدى البنطلون الكاكي القصير
والقميص الأبيض والحذاء الكاوتش ويحمل مذكرات
الدراسة ليخلوها إما في حمام السباحة أو تحت شجرة
الجازورينا المجاورة للسجن .

وكان واثقاً من فشله في الامتحان .. موقناً أنه فقد
الكثير من أقدميته .. وأنه لم يعد له أمل في أن يكون
ضمن بعثة الأربعة الأوائل المسافرة إلى وولتش في انجلترا
لدراسة المدفعية ، ولقد أكدت الشائعات السارية بين
الطلبة إحساسه . وتناقلت الألسن تأخر الشاويش « على
عبد الواحد » في الامتحان تأخراً يديناً .

وتعوّد « على » أن يكسو وجهه سياء التجهم حتى أضفى

ملازماً له . . وقلت بسمته ونذر مزاحه . . وحاول صلاح
وسليمان أن يسريا عنه ويبعدا عنه شبح الكتابة الجاثم عليه . .
ولكنهما لم يفلحا إلا للحظات كان يضحك خلالها ضحكة
سطحية لا يلبث أن يعود بعدها إلى الاكتئاب الذي تأصل
في نفسه .

ولم يكن زملاؤه وحدهم هم الذين ضايقهم اكتتابه
ويأسه . . بل لقد أحس به مدرسه من الضباط ، وكان
الضابط الأحمر الضخم الذي يعمل أركان حرب المدرسة على
صرامته البادية وشده التي يقاسى منها الطلبة يشعر بعطف
شديد على « علي » . . فقد عرف بحكم مركزه نتيجة الامتحان
قبل إذاعتها ، وساء تأخر « علي » كما ساء من قبل سوء
الحظ الذي لاقاه في المباريات الرياضية والامتحانات العملية .
وأحس بما يعاينه من ضيق ، وبدأت له مظاهر الكتابة جليلة
على وجهه عندما كان يراه في أرض الطابور أو في الفرق أو
الميس . وحدث قبيل ظهور النتيجة أن مرّ به « علي » في
الطريقة وكان الرجل يقف في منتصفها يرقب سير الطلبة في
أرض الطابور ، ويصيح بهم ناهراً كعادته . . وعندما اقترب
منه « علي » رفع يده بالتحية واستمر في سيره . ولكنه
ناداه بصوته الجهورى ونبراته الممدودة صائحاً به :

— شاوئش على . . .

وصاح « على ، مجيباً بنفس اللهجة الممدودة والصوت المرتفع الذى كان أحد مظاهر العسكرية الجيدة :
— أفندم .

واندفع يعدو إليه بالخطوة السريعة ثم وقف ضارباً كعبيه أحدهما فى الآخر رافعاً يده بتحية شديدة .
ورد الأركان حرب التحية . . وتحدث على غير عادته ، بصوت لا يسمعه كل من فى المدرسة وبدا كأنه يبذل فى ذلك جهداً خاصاً ، حتى يقتصر سماع الحديث على «على» وحده .
قال وفى لهجته نبرات الإمارة والشخط التى لم يستطيع التخلص منها :

— اسمع يا شاوئش على . . مالك تبدو حزيناً هكذا ؟
ماذا بك ؟

— لا شىء يا فندم ؟

— بل بك شىء . . أنت تحس أنك قد تأخرت . .
ومن أجل هذا أنت حزين . . ولقد تأخرت فى ترتيبك فعلاً . . وتأثرنا جميعاً لتأخرك . . لأننا نعلم أن ترتيبك كان يجب أن يكون خيراً من هذا ، ولكنها مسألة سوء حظ ، كلنا نصاب بسوء الحظ فى بعض مراحل حياتنا . . وإذا كان

سوء الحظ قد أصابك في أدق مراحل حياتك العسكرية التي
تتقرر فيها أقداميتك .. فإننا عوضناك عن الترتيب خيراً ..
إذ عينت في السوارى بإجماع الآراء .. آراء إدارة المدرسة
وإدارة السوارى . إنك تتمتع بسمعة طيبة جداً .. وإذا
كنت لم تحصل على ترتيب متقدم .. فقد حصلت على المركز
الذى لا يفوز به إلا أول الدفعة .. وهذه أول مرة نشد فيها
عن هذه القاعدة .. ولقد شدذنا عنها لشخصك أنت ..
وليس لوساطة أحد من أجلك ، وأرجو أن يكون فى
قولى هذا عزاء لك عن تأخرى فى الترتيب .. اذهب
وفك عقدة وجهك .. لا أريد أن أراك حزيناً بعد
الآن .

ثم صاح به فى لهجة آمرة خشنة وقد تقطب جبينه
وتجههم وجهه :

— انصرف .. ولا تبع لأحد بما قلت لك لأن النتيجة
ما زالت سرية .

ورفع د على ، يده بالتحية ثم استدار دورة كاملة
وانطلق فى سبيله .

ولقد أحس د على ، من قول الرجل بكثير عزاء ، عزاء
كان مبعثه شيئاً آخر أكثر من ذهابه إلى السوارى وتقدير

المدرسة لشخصه — وهو إحساس الرجل الخشن الفليظ
بضيقه وألمه .. ورغبته في إزالة أحزانه وتخفيف وجيعته ..
رغبة كانت من القوة بحيث جعلت الرجل — وهو المفرط في
حرصه ودقته وعسكريته .. الشديد في ضبطه وربطه —
يجازف بإعلان النتيجة وينبئه بالمحل المعين فيه بمنتهى الصراحة
رغم أن النتيجة مازالت سرية لا يجسر على إذاعتها أحد .
وأخيراً حل يوم التخرج . ولم يكن « على » يحس فيه
بالفرحة التي كان يحسها زملاؤه والتي كان يتوقع هو نفسه
أن يحس بها . وأعلنت النتيجة ، ورغم وثوقه من التأخير بها
فقد أحس بمرارة الفشل وهو يجد نفسه قد انزلق في وقفته
من الثالث إلى العاشر . وغادر صالة الجباز بعد إعلان النتيجة
في جمهرة زملائه الذين اختلط بهم أولياء أمورهم فرحين
مستبشرين . وتسأل وحيداً مكتئباً ليحمل حقيقته من العنبر
ويغادر المدرسة .

وفي الطريق إلى العنبر أقبل عليه سليمان بضمه في
فرح قائلاً :

— ورامك إلى النهاية .. يبدو أن القدر قد صمم على
ألا يفرق بيننا . أتذكر يوم قبولنا في المدرسة سوياً !! لقد
كانت أقصى أمنية لي أن أكون معك في سلاح واحد ..
فما بالك وقد أصبح هذا السلاح .. السواري .

وأجابه « على » بابتسامة باهتة لم يستطع أن يحورها
الا ككتاب البادية على وجهه . . وسأله سليمان :

— ما بالك يا على ؟ أتظل مكتئباً حتى في يوم تخرجك ؟
إنه أسعد أيامنا . . ماذا يحزنك ؟ ! ألا لك لم تذهب إلى
البعثة . . في ستين داهية البعثة وأصحابها .

— ليست البعثة وحدها يا سليمان . . البعثة وغيرها . .
ليس هناك شيء يستحق الفرح . . مرض أبي . . والفشل
المتوالى . . والإرهاق المفضي .

— إن أباك قد تحسنت حالته ولم يعد به ما يزعجك . .
والفشل قد انتهى والإرهاق قد زال . . ولكنني أعرف
جيداً . . ما يضايقك .

— ماذا تعني ؟

— أعني أنها هي السبب ، ولكن حتى من هذه الناحية
يبدو لي أن ما صرنا إليه خير مما كنا فيه . . بل خير من أي
شيء يمكن أن نكون .

— لست أرى ذلك .

— كيف ؟ . إنك الآن قد أضحيت ضابطاً ، وأضحي
وقتك ملكك وفرصة اللقاء ميسورة سهلة . . أو على
الأقل أيسر مما كانت . . وهذه البعثة التي فقدتها قد جاء

فقدتها في صالحك .. إنك تعتقد أنك ستعود منها وأنت
أهل لها .. ولكني أعتقد أن غيبة أربعة سنوات كانت
ستطردك من ذاكرتها .. وتمحوك من قلبها .. إنك حسن
الظن بالزمن وبالبعد إنهما كفيلا أن يقطع كل ما بينكما .. أما
الآن فأنت أمامها دائماً .. وأنت ضابط سواري .. يرمقك
كل إنسان بعين الإعجاب والحسد إن رأسك برأس أي أمير
من أقاربها .. ألم يكن أبوها نفسه ضابط سواري ؟ أحمد الله
وألق عن كاهلك هذا الاكتئاب الذي تعودته بطول الصحبة
ومضى المدة .. أنا لا أفهم في الحب كثيراً .. ولكني واثق
أن هذا الاكتئاب مبعثه طول الفارقة وفرط الحرمان ..
ولست أرى ما يبرره الآن وأنت موشك على لقاءها ..
فإنك ولا شك ملاقيها قريباً .. فك عقدة جبينك ..
يفرجها الله أمامك .. هيا يا أخى ولا تدعني أندم على
تعييني معك في السواري .

ولم يملك « علي » إلا أن يضحك . وحمل حقيبته وسار
مع سليمان مغادرين المدرسة بعد أن ودعا زملائهما الذين
ارتدى البعض منهم حلة الضابط التي أعدها منذ الصباح
حتى يرتديها بعد إعلان النتيجة وحتى لا يخرج من المدرسة
إلا ضابطاً .

ووصل « على » إلى البيت واستقبله « حسين » على الباب
ووراءه بهيه ، ولم يكذب يراه حتى هتف به :

— مبروك يا حضرة الضابط .. لقد أضى لك على
حق التعظيم .. فى أى وحدة عينت ؟
— السوارى .

— هائل .. إن شاء الله سأعين أنا أيضاً فى سوارى
البوليس .. حتى نأتى إلى هنا سوياً بالخيول وندوس على
أعناق من لا يعجبنا .
وصاحته بهيه وقالت ضاحكة :

— ولكن لماذا ترتدى هذه البدلة ؟ لماذا لا ترتدى
البدلة ذات النجوم ؟
— ليس هناك مبرر للعجلة .. ما زال أهامى أسبوع
أستعد فيه قبل أن أقدم نفسى للسوارى .
وصاح حسين :

— يا قلبك .. أتتوى الانتظار أسبوعاً قبل أن ترتدى
البدلة ؟ .

— سأنتظر حتى ينتهى الترتى من صنعها .
— إن برودك يقتلنى .. سأذهب إليه اليوم ولا أتركه
حتى يسلمها لى .. إنى أريد اصطحابك للعيافة بك .

واستقبلته الأم مزغردة مهلة وضمته إلى صدرها
في شوق صائحة :

— عقي لك يا حسين .

ثم رفعت يديها إلى السماء داعية :

— ربنا يحيني حتى أراكما عريسين وأفرح بزواجكما .

وأجابها «حسين» ضاحكاً :

— قال الله ولا فالك .

وبدا الامتعاض على بهية وتساءلت مستنكرة :

— أقد أضحي الزواج فألا سيئاً ؟

وربتت الأم ظهرها ضاحكة وقالت :

— لا تصدق قوله . . إنه يمزح .

وتخلص «علي» من أحضان أمه ودلف إلى حجرة أبيه
وكان يجلس على الأريكة وقد بدا عليه الهزال وذهبت عنه
أعراض الشلل الذي أصيب به وإن كانت قد تركت آثاراً
تبدو في ثقل نطقه وبطء حركته .

وأقبل «علي» على أبيه فضمه في شوق ، ولم يستطع الأب
أن يمنع عبراته من الانسياب على تجاعيد خديه ، وتحسس
رأس ابنه بحنان وقال بصوت خفيض كأنما يحدث نفسه :
— مبروك يا علي . . الحمد لله . . الذي شفاني حتى أراك

كما أريد ، وحتى أرى أن تعبي لم يذهب سدى .. إني أود
أن أراك بالبدلة ذات النجوم ؟

وضحك «على» وردد ضحكته حسين الذى وقف بالباب
مهيناً صائحاً :

— قل له يا أبى .. هذا البارد .. إنه يقول إن مازالت
أمامه فرصة أسبوع .. كأن البدلة عبء مازال أمامه فرصة
للتحرر منه .. سأذهب الآن إلى التزى وأهدده بالقتل
إن لم يته البدلة ؟

وضحك الأب قائلاً :

— لا ضرورة للقتل ، فلست أحب ، لكى أراه ضابطاً ،
أن أراك أنت سجيناً .
وقال «على» :

— إن موعدها غداً ، وأعتقد أنه لا بد أن يكون
قد أتمها .

وانتهى «على» من «زفة» الاستقبال وضجيجها واستقر فى
حجرته ، وبدأ الشوق الكامن واللهفة المسكوبة تتحرك من
مكمنها ، وأحس بحنين شديد إلى رؤية «أنجى» أو السماع عنها ،
وود لو حدثه أحد عن أخبارها .. أين هى ؟ وماذا تفعل ؟ .
ألم تسأل عليه ؟ ! أقدم سلمت بالقطيعة ، واستكانت للفرقة ؟

ولكن سؤال من في البيت .. بعد كل ما حدث ..
كان شيئاً لا يجسر على إتيانه ، وكان الشخص الوحيد الذي
يمكن أن يحدثه عنها أو ينبشه بخبرها هو حسين ، ولكن
حسين .. يبدى يأسه الدائم من علاقته بها ، وهو فوق
ذلك لا يكاد يدرى عنها شيئاً .. فهو لا يستقر في الدار
لحظة .. وهو مشغول بمغامراته وسهراته عن محاولة تتبع
أخبارها .

ولم يكن أمام « علي » سوى الاستسلام للواقع ..
والاقتناع بالأحلام والأمانى ، والطواف بمواقع الذكريات
خفية حتى لا يبصره بها أحد ، والتعلل بصدقة حسنة للقاء بجود
به القدر .

ومرّ الأسبوع ويد القدر مغلولاً إلى عنقه ..
وجدران القصر تقف أمامه كأنها السد القائم بين إبليس
والجنة ، لا أمل في زواله ولا رجاء في تخطيه والأنباء ممنوعة
والصلة مقطوعة .

وحل يوم تقديم الضباط الجدد أنفسهم إلى وحداتهم ..
يوم الرحيل إلى السواري ، وكان « علي » قد علم أنه لا بد له من
سكنى الميس لأن ميس السواري يحتوى على ثمانية حجرات
يقطنها أحدث ثمانية ضباط ، وكلما ضم إلى السلاح ضابط

حديث احتل إحدى الحجرات وأخرج منها الضابط الأقدم
ليقطن في الخارج ويحصل على بدل السكن .

ولو لم يجبر « على » على سكنى الميسر لسكن من تلقاء نفسه
فلقد كانت المسافة بين بيته والسوارى تجعل حضور
طابور الصباح المبكر متعذراً ، إلا إذا بات في الميسر
بجوار الشكنات والإسطبلات .

واجتمع الضباط في قسم القاهرة وألقى فيهم قائد القسم
النصيحة المعتادة بأن يكونوا مثالا للجد والاستقامة ،
وأوضح لهم العبء الملقى على أكتافهم وحاجة مصر إليهم
وأوصاهم بالضبط والربط والمحافظة على هيئة الحلة العسكرية
التي يرتدونها .

وتفرق الضباط بعد ذلك كل إلى وحدته ، واصطحب
« على » صاحبه « سليمان » إلى إدارة السوارى ، وسار كل منهما
يقرع الأرض بكعب حذائه الطويل محدثاً شخلة ورنيناً
بتروس المهماز ، وكان كلاهما يلبس زوجاً من الخلاخيل
وقد وضعا يسراهما على جفير السيف السوارى ذو المقبض
الكروى المزركش اللامع حتى لا يتأرجح بجوارهما .

وعبرا بوابة السوارى . . وردا على تحية عسكري
« القره قول » ، الذى وقف في الطريقة المشرفة على الشارع

ممسكا بمزراقه ذو الفلانديره الحمراء الخضراء وسارا في الطريق الطويل المؤدى إلى الشكنات ، والمحدود يمينه بسور الحملة الميكانيكية (التي أضحت سلاح خدمة الجيش فيما بعد) ، ويساره بأرض فراغ متسعة متربة (أصبحت فيما بعد شكنات الآلايين الميكانيكيين) قد بدت في نهايتها حديقة خضروات تضم برجاً للحمام وبيتين صغيرين مائلي السقف على الطريقة الإنجليزية (أصبحا فيما بعد رئاسة الفرسان) .

ووصل الضابطان المستجدان — كما استمرا يسميان حتى تخرجت الدفعة التالية — إلى مكتب الأركان حرب ، وهو يحتل مع مكتب القومندان ومكتب الكتبة بناء أرضياً قديماً سميك الجدران يتوسط صف الأبنية التي تتكون منها عتابر العساكر ومكاتب الأورطتين السوارى . . وقد أحاط بالبناء سور عال من الدرنته العجوز الخضراء وبدت في مواجهته أرض فراغ بين صف الإسطبلات المواجه لصف المكاتب والعتابر سورت بقوائم خشبية ، وقد عليها فيما بعد أنها الزربية المعدة لتربية الخيول المستجدة .

استقر على سليمان منكمشان أمام الصاخ الأركان حرب وقد جلس على مكتب يتوسط الحجرة وعلى يساره مكتب آخر جلس عليه اليوزباشى الركبدار الذى كان يقوم

بتعليمهما الركوب في المدرسة .

وكان الأركان حرب بادی الرقة والنهذيب ، ودق جرساً بجواره فدخل الجندي المراسلة ، فقال له في صوت منذر :

— هات فنجانين من القهوة ، وأبعث الشيخ قرد .
وكان من السهل على « على » أن يدرك أن فنجان القهوة للشرب . . ولكن الشيخ قرد لماذا يطلبه ؟ ! بل لماذا يوجد عندهم أصلاً . . هذا الشيخ قرد بل أكثر من هذا . . لماذا يكون القرد شيخاً . . أو الشيخ قرداً ؟ ۱۱۶

وبعد برهة طرق الباب في رفق ثم دخل بلوكامين وقور هادي يسترق الخطأ حتى وقف بجوار مكتب الأركان حرب دون أن ينبس ببنت شفة .

ورفع الرجل وجهه عن بضعة أوراق أمامه ثم قال له :
— اسمع يا شيخ قرد .

ووضح الأمر لعلی واستراح ذهنه وأخذ يتبع حديث الرجل وهو يردف قائلا :

— أكتب في دفتر الأوامر وصول حضرتي الضابطین وما ذكر لك الأورطة التي سيلاحق بها كل منهما فيما بعد .

— حاضر يا فندم .

— واكتب إنه ستجرى باكر بروفة لطاير التتويج
سيحضرها قائد القسم في أرض الطاير ، وراء الأورط
المشاة .

— حاضر يافندم .

— واكتب لحضرات الضباط في الدور الدائر أنه سيقام
فطار عمومي يوم الخميس القادم .
— حاضر يافندم .

وظل الأركان حرب يملى أوامره ، والشيخ قرء يجب
يحاضر يافندم ، حتى انتهت الأوامر ، وانتهى على وصاحبه
من شرب القهوة ، وهما مازالا منكشين في مقعديهما .
وغادر الرجل المكتب . . فهما بالنهوض ولكنه
أجلسهما قائلا :

— انتظرا قليلا . . حتى أنبيء سعادة القومندان
بحضوركما . . حتى تمثلان أمامه .
وبعد لحظة عاد يضرب الأرض بجذائه الطويل قائلا لهما :
— تفضلا .

ودخل الاثنان مكتب القومندان . . رجل ربعة ،
عريض الأكتاف ، قد اختفى نصفه الأسفل وراء المكتب
وعلى رأسه صورة للهالك تقاطع فوقها مزراقان

بالفلانديرات تتوسطهما خوزة مائلة .

وألقي الرجل بضع نصائح خاصة بالاهتمام بالمساكر
وبالخيل والعناية بالمسروج والاسطبلات ، ثم وجه القول
إلى الصاغ الواقف بجواره :

— ليذهب . . كل منهما إلى إحدى الأورطتين . .
الأقدم في برنجي ، والأحدث في كنتجي ، من فيكما الأقدم ؟
وأجاب « على » وقد رفع يده إلى جانبه كأنه مازال
تلميذاً في المدرسة :

— أفندم .

— حسن . . أريد منك أن تكونا مثلاً طيباً . .
إن مهمة ضابط السوارى ليست بالمهمة الهينة . . إنها ليست
مجرد حذاء طويل وحصان يركب . . إنها تحتاج إلى مشقة
سنتين حتى يضحى الواحد منكما ضابط سوارى أصيلاً . .
تفضلاً .

ورفعاً أيديهما بالتحية . . ثم استدارا للخلف ، وغادرا
الحجرة .

وذهب « على » للأورطة الأولى وهو يحس برهبة الغربة
التي تصيبه كلما غير موطنه وبديل مقامه . . كان يشعر بخوف
من كل ما حوله ، من الضباط ، وصف الضباط والجنود . .

والخيل .. كانت تملأ نفسه وحشة تدفعه إلى الرغبة في الفرار
ولم يكن بنفسه أبداً أى إحساس بأنه ضابط محترم ، وأنه
سيكون له سلطان على هؤلاء العساكر الذين يمرون به ..
وأنه سيكون صاحب اسطبل مليء بالخيل والسروج .

وكان الأورطة مكتبان : مكتب للقائد وأركان حربه ،
ومكتب آخر للبلوكامين .. أما الضباط فلم يكن مفروضاً
عليهم أن يبقوا في المكاتب .. واتجه « على » إلى مكتب
البلوكامين حيث وجد بعض الضباط واقفين بيابه ، وحياتهم
تحتية عسكرية مضبوطة فرحبوا به وهناكوه ، ودخل أقدمهم
ليزيء الأركان حرب بقدمه ، فطلب منه أن يدعه ينتظر
حتى ينتهى القائد عما بيده من أعمال .

ووقف « على » ينتظر وقد ضاق بالوقفة وبضغط الحذاء
على قدمه .. وبعد برهة طلب قومندان الأورطة الضباط
فدخل « على » فى أعقابهم واصطفوا أمام مكتبه ، ووقف
« على » فى طرف الصف وقفة انتباه مضبوطة .. وقد شد
جسده ، وأبرز صدره ، واتخذ نقطة فى الحائط أمامه لايحول
عنها بصره ، إلا بقدر ما يسترق النظر إلى الشخص الجالس
أمامه ، ثم يعيد بصره إلى الأمام مرة أخرى .

ووجد « على » فى قومندانه الجديد رجلاً وسيم الوجه

فارع القامة ، لم يستطع المكتب الموضوع على مصطبة خشبية (حتى يميز مكتب القومندان من مكتب الأركان حرب الموضوع على الأرض في مواجهته) أن يخفى قدراً يسيراً من جسده الذي تمددت ساقاه من أسفل وتعالى صدره وكتفاه من أعلاه .

وكان التجهم يبدو على وجهه ، وقد أخذ يقلب أوراقاً في يده ثم يتحدث دون أن يرفع بصره عنها قائلاً في لهجة زاجرة :

— هذه نتيجة مخزية .. هذا لا يمكن أن يكون تفتيشاً ... إن العناكب تعلو أسقف الاصطبلات .. والخيول كالزفت .. والسروج كالقطران .. كل هذا وأنتم تعلمون أن قائد القسم سيحضر الطابور باكراً ، ماذا تنتظرون حتى تنظفوا الخيول والسروج ؟ ! أنتظرون أن ينزل ملاك ليفتش عليها .. اسمع يا حضرة اليوزباشى (موجهاً القول إلى اليوزباشى أركان حرب الأورطة) حضرات الضباط لا يغادرون الشكنات حتى يعدون بلوكاتهم .. وسأعيد التفتيش مرة ثانية بعد الظهر .. مفهوم ؟

وهنا فقط رفع بصره عن المكتب وأخذ يسأل الضباط واحداً واحداً :

— مفهوم يا عبد الرحمن افندى ؟

— أيوه يا فندم .

— مفهوم يا عثمان افندى ؟

— أيوه يا فندم .

حتى وصل إلى آخر الصف فوجد وجهاً جديداً لم يره
من قبل وقد شد جسده ، وأبرز صدره ، وأخذ يحملق في
الحائط . . ونظر إليه في دهشة . . ثم نظر للأركانحرب
وتسأل قائلاً .

— ودا يبقى إيه ؟

وأحس « على » في تساؤل الرجل نوعاً من السخرية
والاستخفاف والاحتقار ، وتصاعد الدم إلى وجهه ولسكنه
استمر في وقفته المصاوبة ينظر أمامه .

وحاول الضباط جهدهم أن يكتموا الضحك الذي
يصطبخب في صدورهم . وأجاب الأركانحرب منتقداً الموقف :

— إنه الضابط الجديد .

— وماذا أحضره الآن ؟

— لقد دخل مع الضباط .

ودون أن يوجه الرجل إليه كلمة واحدة قال
للأركانحرب :

— دعه ينتظر فى الخارج . ولا يحضر حتى أطلبه .
وخرج «على» وهو يحمل أول لكمة أصابته فى كبريائه
كضابط . وما لبث أن لحق به الأركان حرب قائلاً فى نوع
من التلطف لى يضع أثر قلة ذوق القومندان :
— لقد كان جناب البكباشى غاضباً على الضباط لإهمالهم
التفتيش . . إنه سيطلبك حالا .

وبعد برهة طلبه الرجل . ولم يعتذر إليه . . بل كرر له
النصح وطلب منه أن يكون صلباً شديداً . . لأن الطراوة
لا تتفق مع ضابط السوارى . . وعليه أن يتحمل كل قسوة
لدى يكون ضابطاً جيداً .

وتسله الأركان حرب بعد ذلك فأخذ يشرح له ما استطاع
فى الأورطة وأنباه أنه سيلحق ببلوك ابراهيم افندى لأنه
ضابط قديم . . شديد الضبط والربط ، وأنه سيستفيد منه
كثيراً . ثم أخبره أن العربى البروسيانى ستكون معدة لنقل
مهمات إلى حجرته بالميس فى أى وقت ، وأنه سيطلب من
ابراهيم افندى أن يأمر بإعدادها له .

وفى تلك اللحظة أقبل ابراهيم بقامته الطويلة ووجهه
الأسمر ، وأنفه المنخم ، ورأسه الذى أخفى صلغته طربوش
طويل مائل على أحد الحاجبين وقال له الأركان حرب وهو

يقدم إليه علياً :

— لقد أمر جناب البكباشي بأن يتمرن الضابط الجديد معك . . وهو يريد منك أن تجعله خيراً منك .
— حاضر يا فندم .

وفي عصر ذلك اليوم شاهد أهل بلدة أمام بيت « علي »
عربة يجرها بغلان ويجلس في مقعدها سائقها جنديان من
السوارى وقد حملت العربة بفراش ، ودولاب ، وسجادة
قديمة ، وشماعة ، ومقعدين ، وقد وقف « علي » يرد تحيتهما
وهما يتحركان بالعربة مغادرين الدار .

وقبيل المغرب شاهد ضباط السوارى القدامى الجالسين
في حديقة الميس العربة البروسيانى تقف بباب الحديقة كما
شاهدوا الأثاث المتواضع يحمله عساكر الميس ليضعوه
في الحجرة التى خصصت لأحد الضباط الجدد .

وبات « علي » ليلى الأولى فى الميس وملء نفسه وحشة
الغربة ومرارة الفرقة وآلام الشوق والحنين .

میرزا



السوارى كغيره من وحدات الجيش فى تلك

الفترة منهم كما فى الاستعداد لطاير التتويج .. ولم

كان

يكن لعل وصاحبه نصيب فى ذلك الطاير باعتبارهما ضابطين
مستجدين لا يؤتمنان على الركوب فى مثل هذا الاستعراض
الكبير ولذلك اقتصر عملهما فى طاير الصباح على الركوب
فى الخانة مع العساكر المستجدين . وأقبل «على» فى الصباح
المبكر ليخرج فى أول طاير له ممتطياً حصانه . وكان المفروض
أن يعد للضابط المستجد حصاناً هادئاً حتى يتعود للركوب
بالخدا الطويل وحتى تذهب عنه الرهبة وتحمد ركبتاه
فوق السرج «على حد التعبير السوارى» .

واقرب «على» من الحصان الذى أعده له ابراهيم افندى
من بلوكة الذى أمر بالتدريب فيه .. وكان «على» يحس
بشئ من الرهبة وهو يوشك أن يعتلى حصانه كضابط
لأول مرة فى حياته .. وكانت خشيته مبعثها الخوف من
احتمال الوقوع وهو ضابط محترم بخدائه الطويل وحلته
الأنيقة أمام العساكر المتطلعين إليه بعين فاحصة مترقبة ..
محاولين أن يستشفوا من كل حركة من حركاته أى نوع من
الضباط يكون ؟ . صارماً جاداً .. أم مهزأً فرحاً .. قاسياً

شديداً .. أم ليناً عطوفاً .. قوياً أم ضعيفاً .. قديراً
أم عاجزاً .

لقد سبق له الركوب طول العامين الماضيين .. ركب
كثيراً .. وتسلخت ركبتاه كثيراً ، ووقع كثيراً .. ولكن
وقوعه وقتذاك كطالب لم يكن يضره ، فقد كان فرداً في الطابور
ضمن عشرات الطلبة وكان المفروض عليه أن يقع كما يقع
غيره .. أما الآن .. وقد أضحي ضابطاً فإن الوقعة ستسجل
عليه .. وستبقى ملاصقة له مدى حياته كضابط سوارى ،
هذا هو ما كان يحول بخاطره ويمأؤه رهبة وخشية وهو
يقترّب من الحصان الذي أمسك بأسرعه العسكرى السائس .
وزاد من رهبة « على » منظر الحصان التلق المتوثب
ورأسه المرفوعة وحوافره التى لا تفتأ تضرب الأرض بين
آونة وأخرى . ولم يكن منظر الحصان المتيقظ الجليل يوحى
بالهدوء بالصفة الهادئة المفروض أن يكون عليه .. وأحس
على ، برهبته تتضاعف وهو يجد السرج الذى شد به
الحصان سرجاً صغيراً ملتصقاً بظهر الحصان كأنه ورقة
التوت أو المايوه البيكىنى ، بحيث لا يشعر راكبه بالأمان
الذى يحس به وهو يغوص فى بحر السرج النفراقي المقعر بين
طرفيه العالين : المؤخرة .. والمقدمة المسماة القربوص والتي

تجد فيها يد الراكب منجاة من الوقوع وملاذاً من المرمطة
والبهدة . ولا كان كسرج الضباط الذى تعلوه القيور
المشدودة فى مقدمته مسند يسند إليه الراكب ركبتيه ويشعر
بأمان نسبي وطمانينة مريحة.

وتذكر « على » وقعته من حصان الأمير وأقبل يختبر
الشريحة التى شد بها السرج إلى ظهر الحصان ويختبر كذلك
الأسراع المشدودة فى حديد اللجام .. وعندما اطمأن إليها
لم الأسراع بيده وأمسك الركاب المنعدنى ودس فيه قدمه
اليسرى ثانياً ركبته بقدر ما يسمح بنطلون الركوب الجديد
والخذاء الصلب الطويل . ولم تبد على الحصان أى رغبة فى
الاستسلام للركوب ، وأخذ يدور حول نفسه ويضرب
الأرض بقدميه ، « وعلى » يحاول تقصير الأسراع حتى
يوقفه والعسكري السائس يصيح به .. أو بها .. (كما أفصح
من صيحته) :

— بس يا بنت الخسيصة .. انفضل اركب يا حضرة
الضابط .

وقفز « على » قفزة قوية وضعته على ظهر الفرس . ولم
تكبد الفرس تحس بثقله عليها حتى بدت وكأنما قد أصابها
مس من جنون أو كأنما ركبها جن .. كان أول ما فعلت

الفرس الحتماء هو أن شبت بقدميها الأماميتين وأرسلت
صهيلاً طويلاً كأنه صيحة طرزان .

وتملك « على » في أول الأمر خوف شديد ، وأحس
كأن قلبه يوشك أن يسقط في جوفه . . ولكنه سرعان
ما تمالك نفسه ووجد أن سمعته قد باتت معاقة بظهر هذه
الفرسة الجامحة فلتصق ركبته ونفذه بجانبها ومال إلى الأمام
حتى لا يختل توازنه فيسقط .

ويبدو أن الفرس أحست بعدم جدوى حركتها تلك في
إسقاط الراكب فهبطت بقدميها الأماميتين المرفوعتين . ولم
تكد تستقر بهما على الأرض حتى أطلقت ساقها الخلفيتين في
الهوام بعدة ضربات سريعة متوالية مقوسة ظهرها عقب . كل
ضربة حتى أحس « على » أنه يوشك أن ينخلع من فوق ظهرها
ليسقط صريعاً تحت أقدامها ، وازدادت ساقاه تشبثاً بالسرج
واضطر أخيراً إلى أن يحيط عنقها بذراعيه حتى يحفظ توازنه .

وكلت الفرس من الضرب بالجوز والبرطعة بساقها في
الهوام . . وراكبها مازال مستقر على ظهرها ويبدو أنها كانت
قد أقسمت بأية حال ألا تبقيه . . أو أنها لم تكن تطيق أى ثقل
على ظهرها . . فلم تجد بداً لكي تلقيه من فوقها إلا أن تسقط
به على الأرض . وفعلاً لم تكد تستقر لحظة بعد أن انتهت

من الضرب بساقها في الهواء حتى انطرحت على جانبها ..
ووجد « على » نفسه طريح الأرض معها .. فاقد آخر أمل
في الاحتفاظ بهيبته واتقسام السقوط بعد أن تهاوت
هي نفسها .

وأحس بثقلها يضغط على ساقه اليسرى الكائنة أسفلها .
ولكن لم يدم ضغطها طويلا حتى نهضت هي وحدها مندفعة
تعدو في أنحاء القشلاق بين الاسطبلات والمكاتب مخلفة
إياه راقدًا على الأرض معلنة عن سقوطه بأكبر ضجة ممكنة .
ووقف « على » وهو يحس بكثير من الحيرة والخبيل
والضيق والغضب من أن يفعل به سوء الحظ الشيء الوحيد
الذي كان يخشى وقوعه .

وفي تلك اللحظة أقبل الصاغ الأركان حرب بحصانه ، وأعد
« على » نفسه لسماع اللوم والتأنيب والسخرية من عجزه في
الركوب . وأعد نفسه كذلك لمرد الدفاع عن نفسه .
ولكنه وجد الصاغ يهبط من حصانه ويقبل عليه جزعاً
سائلاً إياه :

— هل أصابك شيء ؟

— لا يا فندم .

— ماذا حدث ؟

— لقد سقطت بي الفرس .

وفي تلك اللحظة أقبل عسكرى يسحب الفرس المنطلقة .
ونظر إليه الصاغ في دهشة ثم صاح :

— أين إبراهيم أفندى ؟

— فى الأسطبل .

— إرسله إلى .

وأقبل إبراهيم أفندى بقامته الطويلة ورأسه المائل
يضرب الأرض بقدميه ورفع يده بتحية شديدة ، وطرق
كعبيه أحدهما بالآخر قائلاً :

— أفندم .

— من أى بلوك هذه الفرس ؟

— من بلوكى أنا .. إنها الفرس المستجدة .

— من الذى أمر بشدها ؟

— أنا يا فندم .. لأن كل الخيل القديمة مستعملة فى
طابور الاستعراض .

وصرخ الصاغ فى وجهه صائحاً :

— يا إبراهيم أفندى ، تشدّ الفرس المستجدة للضابط
المستجد .. وتقول لى إن الخيل القديمة كلها فى الطابور ،
بناقص حصان يا إبراهيم أفندى ، أو شد له حصان من بلوك
آخر .. أو لا تشد له أصلاً .. أى شىء ممكن بدل أن
تركبه هذه الفرس المجنونة التى لا يقدر على ركوبها إلا

ركبدار قديم .. تفضل يا ابراهيم أفندى شد له حصانا
آخر من فضلك .. حصان من خيلك أنت .. مفهوم ؟
— مفهوم يا فندم .

وهكذا تلقى « على » اللطمة الثانية في حياته الجديدة
كضابط سوارى .

واستمرت بعد ذلك طوابير البروفات ، واستمر « على »
و« سليمان » يخرجان مع المستجدين . حتى حل يوم الاستعراض .
كان يوماً مشهوداً باكرت فيه وحدات الجيش في
الخروج من ثكناتها .. وتصاعدت أنغام الموسيقى العسكرية
تدوى في جنبات شارع الخليفة المأمون . وأخذت القوات
تصطف في الساحة المنسعة المسماة أرض الرصدخانة الكائنة
أمام السوارى في كوبرى القبة .

وانتهى الاصطفاف وبدأت تخفت أصوات النداءات
التي أعد بها الضباط وحداتهم من « انتباه » إلى « هذا » إلى
« كتحاً سلاح » وتولى زمام الطابور قائد قسم القاهرة وقد
وقف بحصانه في منتصف الساحة أمام القوات المصطفة
ووراءه ضباط الأركان حرب على خيولهم القلقة التي لا تقفأ
تهز رأسها التي أدات أسفلها شرابات حمراء خضراء . ووراءهم
قد وقف الجاويش الإشارجى يحمل في يده علماً يخفضه

ويرفعه حسب نداءات القائد ليوحد حركات الطابور .
وعند ما أعد الطابور أدى قائد قسم القاهرة التحية لرئيس هيئة
أركان حرب وسلمه قيادة الطابور .

وبدا الفرسان في أقصى اليمين في الجانب الأقرب لبناء
القرعة العسكرية وقد اصطفوا بنحلوهم ومنار يقمهم التي
ترفف عليها الفلانديرات الملونة ، وبجوارهم اصطف
الهجاة بجهلهم الفارعة الأعناق المشرئبة الرؤوس وعمائمهم
العالية ووجوههم السوداء اللامعة ، وبجوار الهجاة
اصطفت المدفعية بمدافعها المجرورة والمحملة بدت بعد ذلك
أورط المشاة وفي أولها المدرسة الحربية .

وفي منتصف الطابور اصطفت الموسيقى متجمعة
في الخلف وأمام الطابور استقر سراق المدعوين ملاصقاً
للشارع وقد توسطته منصة عالية . . ورفرف عليه علم
أخضر كبير .

وفي السراق الرئيسى استقر كبار القوم من أمراء
وزراء ، وسفراء ونواب ، وشيوخ وأعيان ، وحول الساحة
قد تكأ كآ الشعب بمختلف طبقاته يشهد تتويج ملك شاب
جديد .

وكان على ، و سليمان ، قد جلسا يرقبان الطابور مع

المشاهدين وبنفسيهما إحساس بالمرارة والخيبة لعدم
اشتراكهما في الطابور ولا سيما أن كل زملائهما في الوحدات
الأخرى قد اشتركوا في الاستعراض مع وحداتهم .

وأخذ «علي» يرى نفسه بهين الوهم وقد امتطى الفرس
الشقراء الجميلة التي أوقعته بعد أن روضها وساسها وهو يقود
أحد البلوكات في الطابور ، ويسير بارز الصدر ، مرفوع
الهامة .. في اعتداد وثقة ، وقد وقفت «أنجي» في السراشق
ترقبه في نخر واعتزاز ثم تدعوه بعد الطابور للركوب معها
في العربة والجالوس في الحديقة حيث تعودا أن يجلسا .

ويطلق «علي» من أنفه نفخة سخرية ، ومن فمه زفرة
يأس ويزجر نفسه عن الاستمرار في الأحلام اليائسة ،
والآمال العقيمة .

ماللداعي لكل هذه الخيالات ، وهو لن يركب ، وهي
لن تحضر ١٩ ولكن لماذا لن تحضر ١١٩ إن الأمر كله
موجودون ، ومن المحتمل أن تكون قد حضرت مع أبيها ،
من يدري ١١

وهز كتفيه في يأس .

ولكن هبها حضرت .. ما الفائدة ١؟ أيستطيع أن يقفز
إليها وسط هذا الحشد الهائل من الحكام والكبراء والعظماء

وهي جالسة مع أبيها وأخيها ليحدثها ويناجيها ويبلغها لطفه
عليها وشوقه إليها ١٩

لا . . لا . . لا ضرورة لكل هذا . . يكفي إذن
أن يصافحها ، بل يكفي أن يلتقي بصراهما من بعيد ، إن نظرة
واحدة من بعد يمكن أن يروى بها نفسه المسغبة وروحه
الظمأى .

وحول نظره إلى السراشق الرئيسى ، وحاول أن يفحص
من به .

عبث في عبث . . إن العثور على إبرة في كومة من القش
لأسهل كثيراً من العثور على وجه معين وسط تلك الآلاف
المحتشدة من الوجوه التي تبدو من بعيد متشابهة متماثلة .

وأعادته من أفكاره إلى أرض الطابور طلقة مدفع
دوت معلنة بداية الطابور ووصول صاحب العرش . .
ثم بدت بشائر الموكب ذى الخيول المظهمة والحلل البيضاء
المزركشة بالقصب يتهاذى من ناحية مبنى القرعة . .
وقد تقدم الموكب بعض ضباط الياوران وفى الوسط
أقبل « الملك » على جواد أحمر بادی الاستكانة والهدوء ،
وبدا الملك من فوقه وسيما ، جميل التقاطيع ، حلو السمات ،
مصلوب الجسد ، مرفوع الهامة ، وسار وراءه بقية ضباط
الياوران .

وضجّت الساحة بالتصفيق والتهنئات وبدأت على وجوه
الناس فرحة واستبشار بالوجه السمع الجميل ، وعبر سليمان
لعل عما يحيش في صدورهم ويفيض بأفئدتهم قائلاً :

إني أحب هذا الملك . . فسيماه تبعث على التفاؤل ،
وأشعر أنه أقرب إلى قلوب الناس من أيّيه . . إن تلك
الهوة السحيقة التي كانت تفصل بين الشعب والتاج والتي تجعل
أحدهما في أخفض قرار والآخر في أعلى قمة لم تعد كائنة ،
منذ أن رأيت صورته وهو مقبل من الخارج ليتولى الملك ،
ومنذ أن سمعت صوته وهو يذيع بيانه الأول على الشعب ،
وأحسست أني أحبه وأن الشعب سيحبه ، وأدركت أنه يمكن
أن يكون معقد آمالنا ومحط رجائنا ، وأن مصر يمكن أن
تبدأ على يديه عهداً جديداً وبعثاً قوياً . . أجل يا على . . إن
هذا الملك الشاب الوسيم ، يمكن أن يقود مصر إلى قمة المجد
ويحقق لها حريتها واستقلالها وله في نفوس الناس من الحب
والولاء ، وحسن الظن ، وطيب الرجاء ، ما يمنحه الأرض
الخصبة التي تزهو نبتة وتقوى غرسه . . ألا ترى أنت فيه
ذلك ؟ انظر إليه ، وإلى ترحيب الشعب به . . إن صلة الملك
بشعبه يجب أن تكون كذلك .

ولم يكن « على » قد تناول المسألة في ذهنه بمثل هذا

العمق ، ولا حاول أن يربط بين الملك والشعب ، ولا أن يفكر في قدرته واستطاعته ، وفي أن يكون معقد آمال ، ومحط رجاء . . كل هذا لم يدر بخلده ، وإن يدور بخلده ، فهو يجد فيه نوعاً من مفسطة مملكات وهو أيتها للسياسة والوطنية . . هو أيتها لا يجد هو لها في نفسه موضعاً .

إن الملك يبدو وجيهاً أنيقاً وسيماً . . هذا هو كل ما كان يراه « على » ، وكان ذهنه بعد ذلك أكثر انهماكاً في تتبع الطابور في الساحة واختلاس النظر للبحث عن وجه معين في السراشق منه في تتبع صلة الملك بالشعب . . أو البحث في قدرته على تحقيق الحرية والاستقلال .

وقف الملك في منتصف الساحة أمام الطابور يتلقى التحية ، وعندما انتهى السلام الملكي بدأ التفتيش بصيحة قائد الطابور : « تشكيل مفتوح . . مارش » ثم أخذت الموسيقى تعزف مارش التفتيش بلحنه الطروب العذب ، وبدأ الركب الملكي بخيوله المظلمة وحمله المزر كشة مروره على القوات مبتدئاً من اليمين حيث اصطف السوارى . وانتهى التفتيش وعاد الملك بموكبه إلى منتصف الساحة حيث نقطة المرور التي ارتفع فيها العلم مرفرفاً فوق سارية عالية.

وقف الملك ووراه رئيس هيئة أركان حرب بجسده الطويل ، ورأسه الأشيب ووجهه البادي الطيبة ، البارز عظام الوجنتين والدقن ، وانطلقت صيحة من قائد الطابور : « تشكيل مضمووم . . مارش . الضباط والبيارق تعود إلى مراكزها » .

ثم توالى بعد ذلك سلسلة من النداءات التي تشكل الوحدات للبرور في الاستعراض ، وبدأ المرور وتحركت القوات في دائرة كبيرة لتبدأ السير على خط المرور من ناصية مبنى القرعة . . وتقدمت الموسيقى إلى الأمام في منتصف الساحة لتواجه نقطة الذات الملكية ولتعزف لكل وحدة المارش الخاص بها أثناء المرور .

وبدأ مرور السوارى . . بإدارته في المقدمة ثم بيرقه الذى طرزت عليه المواقع الحربية التي خاضتها وحداته . . ومرت أورطتا السوارى في هيئة طابور بلوكات يتقدمهما قائد الأورطة ، ويتقدم كل ضابط بلوكه ، مشدود الجسد ، بارز الصدر بروزاً يكاد يمزق أضلعه ، مرفوع الرأس ، صارم التقاطيع ، لا يرمش له جفن أو تتحرك له جارحة ، كأنما هو تمثال من صلب ثبت على ظهر الحصان . فلا يكاد يقبل على نقطة المرور حتى تنطلق من فمه صرخة تكاد تشق

لها حنجرتة : « بلوك . . لليمين أنظر » . وكأنما لا يأمر بها بلوكه فحسب ، بل يأمر بها القوات المستعرة كلها ، ومعها كذلك الجماهير المحتشدة ، ولا يكاد ينتهي من نداءه حتى يرفع مقبض السيف بشدة إلى فمه بحيث يكون حده عمودياً أمام رأسه ، وبنفس الشدة يخفضه ليركز بقبضة يده على ركبته والسيف ممدوداً على طول ذراعه وذبابته مصوبة بالميل إلى أسفل .

وكلما مرّ ضابط ، وضع « على » نفسه مكانه .. ثم وضع توأم الروح في السراشق تشخص ببصرها إليه بين الآعين المتطلعة ، ويشعر بمتعة تعقبها حسرة وهو يجد نفسه لا يمتطى أكثر من مقعد ، ويجد النظرة المختلطة تعود من السراشق بخفي حنين عاجزة عن التعلق بالوجه المنشود بين آلاف الوجوه المرصوفة .

وانتهى مرور السوارى ثم تلاه مرور الهجاة بجنودها السود ذوى العمام معتلين السنام العالية وكأن رؤوسهم أطراف المآذن تعلو القباب ، ثم بدأت مارشات الأورط تعزف خلال مرورها الواحدة بعد الأخرى ، و « على » يرقب زملائه السائرين في الاستعراض ويسميهم لسليمان واحداً بعد واحد شاعرين بغبطة وتسليمة لمآثم مسكين بسيفهم

وقد تجهمت وجوههم وتصلبت أجسادهم في القالشين الملتف
حول سيقانهم والقوا يش المحيطة بخصورهم .
وفي الأورطة الأخيرة علت ثغر « على » ابتسامة واسعة
وهو يرقب « محمود عثمان » وقد كون مع قائد الأورطة
وأركان حربها ثالوثاً أسود بدا عليه التناسق والانسجام . .
وضحك سليمان قائلاً :

— صدفة عجيبة تلك التي وضعت عثمان في مكانه الملائم
بين الضابطين الأسودين .. يجب أن يطلقوا على هذه الأورطة
أورطة السودان .

وعادت القوات بعد المرور إلى أماكنها في الساحة مرة
أخرى وعلا الهتاف بحياة الملك ، ثم صدحت الموسيقى
بالسلام الملوكي وانتهى الطابور .

واشتد الهرج والمرج ، وتزاحمت العربات واختلطت
أصوات الكلاكسات بصيحات الخناجر ، وبدأ استعداد
الوحدات للعودة إلى ثكناتها ، وتحالت النداءات المختلفة
ما بين « صفاء » و « انتباه » و « كتفأ سلاح » و « جنباً
سلاح » .

وأحس « على » بالكثير من الخذلان وهو يرقب
جموع المدعوين في السراشق الرئيسي . . يتفرقون متجهين

إلى العربات المتزاحمة في الطريق ، دون أن يبصر بينهم
بارقة تضيء جوانحه وتشرق في حناياه .

وسار سليمان وصاحبه يشقان طريقهما عائدين إلى
الشكنات واستطاعا أن ينفذا من بين الأجساد المحتشدة حتى
وصلا إلى رصيف شارع الخليفة المأمون الذي تدفقت فيه
العربات المتواترة المتزاحمة ، ومنحت فرصة للعبور بعد
عربة مرقت لم يكن في ذيلها عربة أخرى تسد الطريق ،
وهمَّ سليمان بالعبور بسرعة إلى الرصيف الآخر . ولكن
« على ، كان يقف مشدوهاً يحملق بعينيه في العربة المارقة .

لقد كانت عربة الأمير اسماعيل . . إنه يعرفها جيداً . .
العربة الهمبر السوداء . ويحفظ رقمها جيداً ، ولقد أبصر
من خلال زجاجها الخلفي رأس الأمير بشعره الأبيض
الناعم الذي يغطي قفاه الأحمر المسكتنز وجزءاً من
صدغه العريض وأذنه الكبيرة ، وأبصر كذلك . . جزءاً
من شعر أصفر يشع منه سناً أضواء كسنا البرق في قلبه . .
وأبصر . . أم تراه وإهما ؟ أو أن هذا الذي أبصره
غير كائن إلا في حدة عينيه . . يراه في كل ما يبصر . . أو
مالا يبصر . . في الطريق وهو سائر ، وفي الخانات وهو
راكب ، في سقف الحجرة إذا ما أغمض عينيه ، وفي السماء

إذا ما فتحتها .. فى النجوم وفى الغمام ، وفى القمر المائل من
الغمام .. أترأه قد أبصر الآن ذلك الشئ المرسوم فى حدقته ،
أم رآها حقاً ؟

بل رآها ، وتنسم عبيرها ، إنه يكاد يجزم بذلك .. أجل
أجل .. إنها هى .

وجذبه سايهان من ذراعته فى شدة . وقد ضاق بوقفته
والعربات مقبلة تقطع عليهما الطريق وتمنع المرور وصاح به
— ما بالك تسمرت فى مكانك كالصنم ؟

وأجاب وعلى به غير وعى وهو يسير بجواره وبصره
ما زال مثبتاً فى العربة المتباعدة :
— إنها هى .. هى .

— مَنْ ؟

— إنها هى عربتهم . هذه التى مرت بنا .. لقد لححت بها
أباها .

— وماذا تريد من أبيها ؟

— بل لمحتها هى .. أجل .. إني واثق من ذلك .

— أواثق أنت أنك رأيتها ؟

— أعتقد ذلك .. لقد خيل إلىّ أنى لححت جزءاً من
شعرها .

— ولكن هب أنها هى فعلاً .. ماذا يمكن عمله الآن ؟

أَتَحِبُّ أَنْ نَأْخُذَ أَحَدَ بُلُوكَاتِ السَّوَارِي لِنَطَّارِدَ بِهِ الْعَرَبَةَ
وَنُخْتَطِفَهَا مِنْهُ . . ثُمَّ نَأْخُذَهَا أُسِيرَةً إِلَى الْمَدِينِ أَوَّلًا إِلَى
سَرَجْنَاةٍ أَرْبَعِينَ بُلُوكًا ؟

وَلَمْ يَكُنْ يَبْدُو عَلَى « عَلِي » كَبِيرَ امْتِعَادٍ لِتَقْبِيلِ السَّخْرِيَّةِ
وَلَا كَانَ مِنْ حُضُورِ الذَّهْنِ بِحَيْثُ يُحَاوِلُ أَنْ يَفْهَمَ وَيُجَاوِبَ .
كَانَ ذَهْنُهُ مُنْطَلِقًا وَرَاءَ الْعَرَبَةِ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُجِيبَ سَلِيمَانَ
إِلَّا بِقَوْلِهِ :

— لَوْ تَقَدَّمْنَا ثَانِيَةً لَأَسْتَطَعْتُ أَنْ أَرَاهَا قَبْلَ أَنْ تَمُرَّ بِالْعَرَبَةِ .
أَجَل . . ثَانِيَةً وَاحِدَةً ، كَانَتْ تَقُودُهُ أَمَامَ الْعَرَبَةِ بِدَلَا
مِنْ خَلْفِهَا . . وَكَانَ يَسْتَطِيعُ — بِفَرَضٍ وَجُودِهَا فِي الْعَرَبَةِ —
أَنْ يَبْصُرَ وَجْهَهَا وَأَنْ يَلْمَحَ بِسَمَتِهَا الرَّقِيقَةَ الَّتِي تَبْعَثُ الْأَمَلَ
فِي نَفْسِهِ وَالْقُوَّةَ فِي رُوحِهِ .

وَبَدَأَ سَلِيمَانُ أَنْ يَقْطَعَ عَلَيْهِ سَبِيلَ النَّدَمِ وَأَنْ يَنْزِعَ مِنْ
تَفَكُّيرِهِ حَرْفَ الْاِمْتِنَاعِ . . وَالْأَمْرُ يَتْرَكُهُ مُعْلَقًا « بُلُو » تَقْدَمُ
ثَانِيَةً . . لِحَدَثِ كَذَا ، وَكَذَا . فَقَالَ فِي لَهْجَةِ ثِقَةٍ :

— لَوْ تَقَدَّمْنَا ثَانِيَةً لَمَا فَزْتَ بِأَكْثَرِ مَنْ وَجْهَ الْأَمِيرِ ،
وَمِنْ قَفَا الْأَمِيرِ لَوْجُوهِهِ . يَا قَلْبِي لَا تَحْزَنْ .
وَأَجَابَ « عَلِي » ، فِي إِصْرَارٍ وَضِيقٍ :
— لَوْ تَقَدَّمْنَا ثَانِيَةً لَرَأَيْتَهَا .

— أنت واهم . إني لم أبصر بالعربة سواه .

— ولكنني أبصرت جزءاً من شعرها .

— أنت أحياناً تبصر ما تحب أن تبصر ، لا ما تبصر فعلاً .

وكانا قد دلفا من باب السواري وقرع جندي القره قول
كعبيه أحدهما بالآخر ورفع يده بالتحية إلى أعلى المزراق
متخذاً وضع « عمودي سلاح » .

ولم تستطع طريقة الكعبين أن توقظ « على » من شروده
فنبهه سليمان بقوله :

— رد التحية ، وإلا أرد أنا ؟

ورفع « على » يده مجيباً التحية بحركة آلية .

ولم يجد « على » مبرراً لاستمرار الجدل في وجودها
وعدم وجودها ، ورؤيتها ، وعدم رؤيتها . لقد
كان الأمر في الحالتين مؤدياً إلى نتيجة واحدة ، وهو
ازدياد الاحساس بالخذلان واليأس وتضاعف الشعور
باللهفة والحنين .

وعادا إلى الميس ، وجلسا في حجرة الصالون ، وارتقى
« على » على أحد المقاعد الفوتيل الكبيرة المحيطة بالمدفأة
الكائنة في برون يتوسط الصالون الطويل المتسع ، وأغمض
عينيه في استرخاء واستغرق في التفكير ، بينما تشاغل سليمان

فى إدارة جهاز الرادىو محركا مؤشر المحطات يمينا ويسارا
محدثا أقصى ما يمكن من القرقة والأصوات السريعة المختلطة
حتى استطاع الحصول على إحدى المحطات الشرقية التى كانت
تذيع أغنية لورد كاش الشائعة : « بتريد أبقي بالأوده ،
و ضرورى تمشى ع الموده » .

وترك سليمان الرادىو يلعلع بالأغنية ، ثم عاد إلى « على »
فارتضى على مقعد آخر بجواره . وصاح بعلى :
— هاى .. وحدوه .

ولم يجبه « على » ، فانتقل بصره منه إلى صورة فى أعلى
المدفأة للملك فؤاد كتب عليها إمضاء الملك . وقال :
— لماذا يبقون على هذه الصورة حتى الآن ؟
وفتح « على » عينيه متسائلا عن الصورة التى يعنيهها ،
وأردف سليمان :

— هذه الصورة يجب أن تزال .. وتذهب مع صاحبها
إلى حيث ألفت .. يجب أن توضع صورة الملك الجديد ،
يجب أن يوضع الأمل محل اليأس .. سأرفعها الآن .
وقفز فوق المقعد لينزل الصورة فصاح به على :

— لا تكن أحمق يا سليمان .. هذا ليس من شأنك ،
لأنه من شأن ضابط الميس والأركان حرب والقومندان .. ثم

إني لست أرى مبرراً لهذا التحمس الشديد الذي تبديه
للملك الجديد . . والحنق الذي تحنقه على الملك القديم . .
كأنما هو قد قتل أباك ؟ !
— لقد قتل أمتي .

— وحتى بفرض صحة قولك . . من يدريك أن الابن
يختلف في جوهره عن أبيه ؟ ! من يدريك أن هذه العصا
لن تكون من تلك العصية ؟ ! من يدريك أن العرق الدساس
لا يجعل من الحمل ذئباً ؟ ! من يدريك أن . . .

— لا . . لا إني أحس بأنه شيء آخر غير أسرته . .
إني أرجو لمصر على يديه شيئاً كثيراً .



فہرستِ کتابیں



« على » بعد ذلك يشعر بمشقة العمل وإرهاقه
بمراً المفرط .. فقد انتهى طابور التوزيع الذى
كان يستحوذ على كل اهتمام إدارة السوارى والذى شغلها
مؤقتاً عن الالتفات إلى الضابطین المستجدين .. ومرمطهما
وعكسنة مزاجهما .

ولم يشعر « على » فى حياته الجديدة بفارق كبير عن حياته
فى « المدرسة » .. على النقيض .. لقد وجد فيها مشقة أكبر
وإنها كآ أشد .. إذ أضحي أشق ما فى المدرسة وهو طابور
الركوب الذى لم يكن يزيد فى القسم النهائى على ثلاث
مرات .. أضحي واجباً يومياً لا بد من أدائه .. وزادت مشقته
وطالت مدته .. ولم يكن « على » يشعر فى أى وقت من
أوقات عمله بالسوارى أنه ضابط .. فقد كان فى الطابور
يعامل كأنه عسكرى .. كان يركب بسرج نفراتى .. ويدخل
فى الخانة وينخضع لأوامر التعليمجى كأى عسكرى . .
ويرفع الركاب كلها أمر حكمدار الطابور برفعه .. وكان شر
ما فى الأمر أنه يشعر أنه بحكم كونه ضابطاً يجب أن يكون
خيراً من أى عسكرى فى الطابور فكان عليه أن يبذل أقصى
جهده وأن يتحمل ويصبر ويتجلد حتى لا يبدو منه ما ينجله
أمام العساكر الذين قد يتولى قيادتهم بعد انتهاء التعليم .

وكان يعرف أن هذا التعليم الذى يرهقه الآن لم يكن سوى مقدمة لتعليم أكثر إرهاقاً وأشد قسوة . . وهو « فرقة الركبدارية » التى لا بد أن يحضرها كل ضابط جديد لسكى يصبح « ضابط سوارى » وبغيرها لن يزيد فى نظر أهل السوارى عن مشاة راكب .

وكان يستيقظ فى الخامسة أو الخامسة والنصف كمادته فى المدرسة ليكون فى الاسطبل فى السادسة أو السادسة والنصف حيث يجد ابراهيم أفندى فى انتظاره يغدو ويروح بين الخيل والعساكر كأنما قضى ليلته فى الاسطبل ، فإذا انتهى الطابور لا يستطيع العودة لإراحة جسده قبل أن يقف على « حوض السقية » حتى تنتهى الخيول من الشرب ، ولا بد له أن يشترك مع العساكر والضباط فى الصفير لها حتى تنعم بشربة هنيئة مريئة ، وتنطلق خلال ذلك مئات النوبات من البروجى لا يستطيع أن يميز إحداها عن الأخرى فقد كانت نوبات السوارى تختلف تماماً عن النوبات التى حفظتها أذناه وهو فى المدرسة . . ولم تكن النوبات تقتصر على نوبات الأعمال المحددة بمواعيد ، بل كانت هناك نوبات أشخاص ، فللجاوليش نوبة ، ولأومباشى العيادة نوبة ، وللباشجاوليش نوبة ، ولا ينفك البروجى ، ينادى عليهم بيوريه كلما طلبهم

أسعد . . . ويغرق « على » في الحيرة غير مدرك سر تلك
النوبات الخمقاء المتتالية . . . التي لا يكاد يميز منها سوى ثلاث
نوبات ، نوبتي سقية وعليق لأنه كان يعرفهما من الخيل نفسها
إذ كانت تحس بهما قبل أن يحس بهما هو وكانت لا تفتأ
تسهل وتضرب الأرض بحوافرها في قلق حتى يقدم لها
الشراب والطعام ، أما النوبة الثالثة فهي نوبة طومار لأنه كان
يعرف أية كارثة يمكن أن تحل به إذا تغيب عن الطومار .
وعندما ينتهى السقى والعليق ، يعود إلى الميس لتناول
الإفطار أو يكتفى « بسندويتش » فول أو طعمية من السكانتين ،
يطفيء حرقته بكوب من شراب المانجة ، إذا تعذر الذهاب إلى
الميس ثم يواصل بعد ذلك طابور السوارى الثانى وهو
طابور تعليم سيف ومزراق .

ويبدأ بعد ذلك الطومار ، ثم التفتيش على الخيل
والاسطبلات ، ثم سقية وعليق الظهر ، ثم أعمال المسكاتب
التي لا تنتهى إلا وقد حلت الثانية ظهراً .

ولا يكاد ينتهى من الغداء حتى يحل موعد طابور بعد
الظهر وعند انتهاء الطابور يشعر « على » أن قدميه لم تعودا
تقويان على حمله فيلجأ إلى الراحة في حجرته حتى وقت النوم .
ومرت بضعة أيام بعد طابور التتويج و « على » منهمك

في عمله لا يكاد يجد من وقته فسحة للتفكير إلا قبيل النوم
وقد استلقى على فراشه قبل أن يأخذ السكرى بمعاقد أجنانه
تماماً كما كان يفعل في أيام المستجدين في المدرسة .

وفي ذات يوم كان عليه أن يقوم بأعمال النوبة بتجية .
وكانت أول نوبة بتجية يقوم بها وحده بعد أن قام بيضعة
نوبات بتجيات « يدك » وهي نوبات بتجيات تمرين يصحب فيها الضابط
الجديد ضابطاً قديماً في نوبة بتجيته حتى يعلمه ما دق من أمر
النوبة بتجية وما خفى .

وذهب « على » بعد انصراف الضباط ليصطحب
الجاويز النوبة بتجى لصرف اليك (أكل العساكر) وكانت
الساعة قد جاوزت الثانية ، وشمس يوليو تصوب سياطها
المحرقة على الرؤوس والأجساد ، و « على » قد أمسك
بخيزرانة رفيعة قصيرة وسار يضرب الأرض بحذائه الطويل
المعفر القدمين ، الملوث باطن العنق برغاوى بيضاء جافة هي
خليط من صابون السرج وعرق الحصان وشعيراته ،
وينطلون الركوب الثقيل قد ضغط على ركبتيه وشمّر إلى أعلى
وبدت في رقعتي نخذه آثار بنية حمراء نضج بها ورنيش
السرج وصبغته . وثبت البنطلون إلى وسطه القايش الجلد
العريض الذي يشد خصره ويجذب بحالته كتفه الأيسر ،

وفي داخل البنطلون حشر ذيل القميص السكاكي الذي أحالت الشمس والغسيل لونه في بضعة أسابيع وأضاعت صبغته فجعلته أشد ميلا إلى الصفار والبياض ، ومن فتحة القميص الذي استقر على كل كتف من أكتافه اسبلايط يحمل نجمة وحيدة برز عنق « على » صلباً رقيقاً معروفاً ، استقر عليه وجهه بادی الهزال والنحافة قد كسبه صرامة أعيائها الجهد ، فأضفى عليها خيوطاً من ضيق وكلال واستكانة .

وتوقف « على » أمام باب المطبخ السكائن وراء الاسطبلات في صف الأبنية القصيرة الموازية للبوابة الخلفية والمطلّة على الصحراء والخانات ، ورمق صفوف القراوانات النحاسية المصفوفة على الأرض أمام المطبخ . ثم سأل الأومباشي الواقف أمامها والذي طرق مهموزيه المقوسين طريقة أشبه بطارقة الصاجات ، ورفع يمينه بالتحية ممسكاً بيساره خيزرانة تبدو كأنها في السواري من لوازم النوبتجية والصف ضباط .

وتبين فيه « على » أحد صف ضباط الأورطة الأولى التي هو فيها فتسأل :

— أين قروان الأورطة الثانية ؟

— مازال الأومباشي عبيد يجمع النوبتجية .

وأحس « على » بالضييق والحنق . . إنه يكاد يقف على قدميه ، وهذا الحيوان النوبتجي لم يجمع القروان بعد ولا بد له أن يطلع في الشمس حتى تحضر قروانه .

وصاح « على » في حنق :

— قل للبروجي أن يضرب أومباشي نوبتجي كنهجي أورطة .

وكان « على » قد بدأ يتأقلم ويستعمل البروجي في كل روحة وغدوة .

وانطلق البروجي يضرب نوبة لم يستطع « على » بالطبع أن يميز كنهها ولا أن يعرف ما إذا كان الأومباشي النوبتجي أم لأركان حرب السواري . المهم أنه بعد لحظات أقبل الأومباشي عبيد يسوق أمامه بالخيزرانة بضعة عساكر يحملون القروان ويعدون أمامه وهو يصيح بهم على مسمع من على :

— اجري يابن الحصان منك له . . في المرة القادمة إذا تأخرتم سأجلدكم في عواميد الاسطبل .

وأحس « على » بالخرج والأومباشي يسب العساكر ويهددهم بالجلد وعلى مسمع منه ، ولم يدر كيف يتصرف ولكن لسعة الشمس وفرط الجهد جعلته يفضل الصهينة ويصم

أذنيه كأن لم يسمع ، وصاح بالأومباشى :
— بسرعة يا أومباشى .

وصاح الأومباشى بظابوره المساق :
— قف . . تمام يافندم .

وأخذ العساكر يرصون القروان فى الجانب المقابل
لصفوف القروان الأخرى . وبدأ فى تلك اللحظة الأومباشى
الطباخ يحمل القزان الضخم بمساعدة عسكري آخر ثم
وضعه بجوار القروان . وغاب فى المطبخ برهة ثم عاد يحمل
« حلة » صغيرة بها سائل أحمر شبيه بالصلصلة ، ورفع غطاء
القروان وسكب فيه ما بالحلة .

وبدت الدهشة على وجه « على » وهو يرى ما بالحلة
وسأل الطباخ :
— إيه ده ؟

— بهارات . . نضعها فوق العدس .

— ولكن أين الخضار واللحمة ؟

— ستوزع فى المساء .

— ولماذا ؟

— لأن التعمين يأتى متأخراً من النزل ولا نجد وقتاً
لإعداده إلا فى العشاء .

— ولكن في المرة السابقة صرّفناه في الغداء ؟

— لا بد أنه كان تعييناً . . . جافاً . . . فاصولياً ناشفة .

ودخل «علي» إلى المطبخ فوجد كومة من قشر الكوسه ملقاة في أحد أركانها ووجد على الفرن قزانين يثزان من الغليان . . . ورفع الطباخ غطاء أحدهما قائلاً :

— هذه هي الكوسه والأرز .

ثم رفع الآخر بعد أن غطى الأول مردفاً :

— وهذه هي اللحمه .

واقتنع «علي» وخرج ثم طلب منه «كبشه» لكي يتذوق العدس ، منفذاً التعليمات التي وضّحها له إبراهيم أفندي عند ما عليه أصول النوبتجية .

ورشف من الكبشه رشفة طويلة استطعمها في غير تكلف ولا ادعاء وقال للطباخ :

— إصرف .

وانتهى الطباخ من الصرف وانتهت بذلك آخر مهمة من مهمات النوبتجية قبل الظهر . وأحس «علي» أنه يستطيع أن يلجأ إلى الميس لينعم ببعض الأكل والراحة والظل . ونظر إلى الساعة فوجدها الثانية والنصف . فقال للجاويز النوبتجي . . . ساعده الأيمن في النوبتجية :

— سأذهب إلى الميس . وأظن لم يعد لدينا ما نعمله حتى
طابور العصر ؟

— لا يا فندم .. تستطيع حضرتك أن تذهب لتستريح ..
وسأعد أنا العليقة لتكون جاهزة بعد الطابور .

— سأتى إليك فى الساعة الرابعة . وإذا حدث أى
شئ ، احضر إلى الميس .

وسار « على » مغادراً المطبخ متجهاً إلى الميس ، ولم يكبد
يبلغ طريق الميس ، حتى أبصر بلوكامين الأورطة يقبل
عليه مسرعاً من ناحية المكاتب فتوقع مشكلة جديدة
وتوقف حتى وصل إليه . وقد أحس بضيقه يتزايد وصبره
يكاد ينفد وقبل أن ينطق البلوكامين بكلمة صاح به :

— ماذا أيضاً ؟ إني سأحضر فى الرابعة . ألا يمكن
الانتظار حتى أعود ؟

ومد البلوكامين يده بمظروف أزرق قائلاً :

— إنها رسالة لحضرتك أحضرها مندوب البريد فى
بريد اليوم .

وتناول « على » الرسالة وهو يتسائل فى دهشة :

— رسالة لى أنا ؟

— أجل .. مكتوب عليها اسم حضرتك .

وقرأ عليها اسمه مكتوباً بالخط العربي الركيك ، ولم يجد هناك مبرر لاستمرار مناقشته مع البلوكامين أو إشراكه في دهشته فقال له في لهجة يشوبها الاعتذار :

— إني في الواقع لم أكن أتوقع رسائل ، ولذا دهشت من إقبالك عليّ مسرعاً . وخشيت أن يكون قد حدث شيء .
— إني لم انتظر عودتك بعد الظهر خشية أن يكون بها شيء عاجل .

— متشكر يا محمود .. إذا حدث أي شيء أنا موجود في الميس .

— حاضر يا فندم .

وحياه البلوكامين تحية لينة ليس فيها شيء من طرق الكعوب أو رجفة الأيدي .. وعاود علي ، سيره إلى الميس وهو يقلب الرسالة في دهشة شديدة دون أن يحاول فضها .

من الذي يمكن أن يرسل إليه مثل هذه الرسالة على السواري ؟ وأحس بذهنه يحاول أن يدفعه في عنف إلى اتجاه معين .. اتجاه ممتع لذيد .. ولكنه ما لبث أن قاوم المحاولة مقاومة شديدة ، ولم يرد أن يترك نفسه العوبة في يد الأمانى الحلوة تدفعه دفعة هوجاء عابثة ، إلى متعة أسرع في الزوال

من وميض البرق .. لا تلبث حتى تتركه في بهمة من اليأس
حالة مدلهمة .

لا .. لا .. ان يذهب به السخف إلى محاولة إيهام
نفسه احتمال كتابتها إليه .. ان يترك نفسه تتعلل بوهم كاذب ..
يمسك بين يديه الدليل الأول على كذبه .. الرسالة نفسها ؟
التي لا يمكن أن تكون منها .

ولكن لم لا ؟ أية استحالة هناك في أن تكتب إليه ؟
ولكن لم تكتب ؟ ولماذا لم تكتب من قبل ؟ إذا
كانت كتابتها إليه في حيز المستطاع ؟

أيها الغبي كفى خداعاً لنفسك .. إنها لا يمكن أن تكون
صاحبة الرسالة .. قد تكون من أخيك أو أهلك أو بهيمة ، أو
أى صديق .. إنها قد تكون من أى إنسان عداها .. ولكن
ليس هناك ما يدعو أحداً من هؤلاء إلى الكتابة إليك .
وكذلك ليس هناك من سبب يدعوها إلى الكتابة .

ولكن لماذا لا يريح نفسه فيفتح الرسالة ويقطع الشك
باليقين ؟ ألا نه يخشى اليقين ويستعذب الشك ؟ ألا نه يرغب
في التمتع بضع لحظات باحتمال كونها صاحبة الرسالة ؟

وكان قد قطع طريق الميس الذى قام على جانبيه
جداران عاليان من شجر الدرنّة وتوسطته أحواض تكاثفت

فيما زهور الجارونيا الحرام ، وعبر بوابة الحديقة القائمة
على شكل فرعوني مبسط واتجه إلى الفسقية المستديرة التي
توسط الحديقة والتي أخذت مياهها تتدفق من رأس حصان
حججى في منتصفها .

وبالأفكار المتزاحمة في رأسه والرسالة غير مفضوضة
قد أطبقت عليها يده في جيبه ، دخل صالون الميس فوجد
سليمان متشاغلا كعادته بإدارة مفتاح الراديو ووجد بعض
الزملاء القدامى الذين يقطنون في الميس قد جلسوا في انتظار
إعداد الغداء وترك سليمان الراديو وأقبل على « على » يسأله :
— ما بالك تأخرت هكذا ؟ !

— كنت أصرف اليك .

— تصرفه فقط أم جلست مع العساكر حتى اطمانت
إلى أنهم أكلوه ؟

— أرجوك يا سليمان . . ليس عندي مزاج للتريقة .
ولم تكن بعلى رغبة في المناقشة . . كان يود الاختلاء
إلى الرسالة . . والتفكير فيها . . والشك في مرسلها . .
ثم . . ثم . . الإقدام على فتحها ، وارتى على أحد المقاعد
في ركن قصي ويده ما زالت في جيبه مطبقة على الرسالة ،
وذهنه ما زال يدفعه بين الأمل واليأس . . والشك في أن
تكون هي . . واليقين بأنها لا يمكن أن تكون .

وأخيراً . . . وفي لحظة إقدام ، ، وفي غفلة من الرفاق
المنهمكين في الحديث وسماع الراديو . . . أخرج الرسالة من
جيبه وفض الغلاف وسحب الخطاب من داخله وألقى عليه
نظرة خاطفة فإذا به مكتوب بالإنجليزية وبقلم رصاص .
وأدهشته لغته في بادئ الأمر . . . ولكنه ما لبث أن
مر بذهنه خاطر جعل قلبه يوشك أن يثب من بين أضلعه
ووجد أصابعه المرتجفة تنفرد الورقة في حرص وخشية
ووقعت عيناه على كلمة : « عزيزى » على « بالإنجليزية وقبل
أن يقرأ كلمة أخرى قلب الورقة واندفعت عيناه تنقبان
عن الإمضاء . . . فإذا به « المخلصة أنجى » .

ودون أن يقرأ الرسالة ، أطبقت يده عليها كأنما يخشى
أن يختطفها أحد ، ودسها في جيبه وهو يتلفظ يمنة ويسرة
وبنفسه إحساس المختلس يخفى خلسته عن أعين الرقباء .
ومضت فترة سكون حاول خلالها أن يهدى الأنفاس
المتلاحقة في الصدر ، ويسكن القلب المصفق في الحنايا ،
الهاتف بين الضلوع ، ويفكر في المنة الجلى والهبّة العظمى
الهابطة من السماء المنظوية في الجيب .

إنه لا يريد أن ينتهها في نظرات خاطفة وقراءة عجلى . .
ولا يريد أن يلقي صاحبها بعد طول فرقة ولهفة على ملا

من الصحاب وبين ضجيج الراديو وصيحات الزملاء ، بل يريد أن يختلي وإياها في هدوء وسكينة ولقاء طويل متمهل . إن خير ما يفعل هو أن يحتفظ بها في جيبه حتى ينتهي من الغداء ، ثم يأوى إلى حجراته ويغلق الباب عليه ويخلو إليها لينصت بين الكلمات إلى همساتها ويتنسم من السطور عبقرها ، ويتذوق ما بها حرفاً حرفاً ونقطة نقطة .

وكان الضباط قد خلعوا ملابسهم واستبدلوا بالحذاء الطويل وبنطلون الركوب بنطلوناً طويلاً يريح سيقانهم من ضغط الحذاء الطويل وثقله ، ويبدو أن أحدهم وهو عبد الرحمن ، وكان أشدهم مرحاً وأكثرهم استهتاراً قد بالغ في طلب الراحة فارتدى البيجامة وجلس على إحدى الأرائك ماداً ساقيه على مسندها في ضجعة مريحة ، وأخذ ينثر النكات والضحكات ذات اليمين وذات اليسار .

وعندما أبصر علياً منطوياً في ركنه ، شارد الذهن ، بادي التفكير ، وهو مازال يرزح تحت ثقل « الفيلدبوت » موثق القيد بينطلون الركوب والقائش صاح به :

— هاى . . أنت يا ضابط يا مستجد . . مالك تجلس هكذا بالشدة الكاملة !! أتوى الطعام أم القتال ؟ أم تراك فرحاناً بالفيلدبوت !! قم وحل عن نفسك ، ورحرح .

وكان « على » يعرف سلاطة لسانه .. وقدرته على
السخرية .. ولم يكن لديه في تلك اللحظة من حضور الذهن
ما يدفعه إلى الدخول معه في حديث ومزاح . فأجابه إجابة
مقتضبة وذهنه ما زال معلقاً بالرسالة الزرقاء المطوية
في جيبه :

— إني نوبتجي .

— نوبتجي ... أظن إبراهيم أفندى أفهمك أن النوبتجي
لا بد أن يبقى طول اليوم بالفيلدبوت ؟

وكان ذلك هو ما أكدّه فعلاً إبراهيم أفندى . وما
ضرب له المثل عليه بنفسه طوال مدة النوبتجية إذ لم يفارق
الحذاء الطويل قدمه حتى الثانية عشرة بعد انتهائه من المرور
على داوريات العنابر والإسطبلات والقره قول .
وأجاب « على » بنفسه اللهجة المقتضبة :
— أجل .. لقد أكد لي ذلك .

— الله يخرب بيتك يا إبراهيم أفندى .. كما أفسدت
الضابط المستجد .. إياك أن تسمع كلام إبراهيم أفندى ...
وإياك أن تقلده في شيء .. لا ترفع يدك بالتحية لكل إنسان
كما يفعل .. لا تعد ولا تثب ولا تجرى كالمسكوك بلامناسبة
بين الإسطبل والغنبر .. لكي تكون ضابطاً محترماً ..

لا تفعل أبداً ما يفعله إبراهيم أفندي .. إن ما يفعله إبراهيم أفندي .. اسمه عندنا «الهنكرة» .. فيجب ألا تكون «هنكراً» كإبراهيم أفندي .

— ولكن ما يفعله إبراهيم أفندي هو ما تنص عليه الأوامر .

— أيها الغبي .. ليس كل ما في الأوامر يجب فعله .. بكفيك جداً لكي تؤدي واجبك وترضى ضميرك أن تفعل نصف ما في الأوامر ... أما الباقي فليس عليك إلا أن تكتب في تقرير النوبة أنك فعلته ، دون أن تفعل منه شيئاً .. كلنا نفعل ذلك .. حتى إبراهيم أفندي .. أتظنه يفعل في نوبة تجيته العادية كل ما فعله أمامك ؟ لقد عليك خطأ .. عليك ما يجب أن يفعل ، لا ما يفعل .. أظن أنه حقاً أمضى طيلة يومه بالفيلدبوت ؟

— أجل .

— لقد ضحك عليك .. إنه تركك في فترة الظهيرة مدعياً أنه سيذهب وحده للتفتيش على السروج حتى لا يتعبك معه وطلب منك أن تنتظره في الصالون .. أتدري أين ذهب ؟ — إلى السرجاجة ؟

— بل إلى الفراش .. لقد خلع بنطلون الركوب

والخزام وتمدد بالبيجامة أربعة وعشرين قيراطاً ، وترك
مقيداً في ملابسك .

— وكيف عرفت ؟

— لقد دخلت حجرتك صدقة فظنتي أنت وقفز من
فوق الفراش وهبط أسفلهُ خوفاً من أن يفتضح أمره .
— غير معقول .

— بل هو ما حدث فعلاً . . لا تظن أن كل ما هو
واجب يفعل ، ولا كل ما هو ممنوع يجتنب ، وإلا أضعت
عمرَك سدى . قم وارثد البيجامة كما أفعل أنا . ولا يهملك أحد .
وفي تلك اللحظة أقبل إبراهيم أفندي ، ونظر إلى عبد
الرحمن وهو يدعو دعي ، لللبس البيجامة وقال له مستنكراً :
— ما هذا يا عبد الرحمن ؟ أتجلس في الصالون بالبيجامة ؟
— ليس هذا من شأنك .

— لو رأكَ حضرة الصاغ ؟

— حضرة الصاغ لن يراني لأنه لا بد وأن يكون الآن
في بيته .

وألقى إبراهيم نظرة من النافذة وقال في دهشة وتحذير :

— إن حضرة الصاغ مقيل في الحديقة .

وأجاب عبد الرحمن باستخفاف :

— ولو . . قديمة .

ولكن ملاح ابراهيم كانت جادة وتحرك بسرعة تجاه الباب منذراً بقية الضباط :

— يا جماعة . حضرة الصاغ آت على دراجته في طريق الميس أنزلوا أقدامكم عن مساند المقاعد وكفوا عن الصياح .
وأسرع الضباط في الاعتدال في جلستهم ، وأحس عبد الرحمن أن الصاغ آت حقاً . . فوثب وثبة وضعت أمام إحدى النوافذ الخلفية بجوار المدفأة ووثبة أخرى هبط بها إلى الطريق الخلفى المؤدى إلى المطابخ .

واندفع ابراهيم مقهقها . . وصاح بعبد الرحمن :

— هذه هي الشجاعة وإلا فلا . . عد أيها الأرنب .

— لا يا عم . . سأرتدى القميص والبنطلون . . هذه

المرّة أتت سليمة . . المرة القادمة سيأتى هو .

وأقبل سمرجى الميس يعلن الضباط بإعداد الطعام فنهضوا إلى الشرفة الخارجية المشرفة على الحديقة حيث تعد المائدة طول الصيف .

والتف الضباط حول المائدة وبدأت النكت وانطلقت الضحكات ، وصاح عبد الرحمن وهو يمد عنقه وينظر في صينية بطاطس صغيرة أمام ابراهيم أفندى أرسلتها له والدته

وقال ساخطاً :

— طبعاً ليس بها لحمه . . قل لو الدتك يا ابراهيم افندى
إن هناك شيئاً يسمى اللحمه . . يضعه الناس الطيبون في
صواني البطاطس .

— إن اللحمه توضع وحدها .

— ولماذا توضع وحدها ؟ ما رأيك في أن تعطيني
ثلاث قطع بطاطس وملعقة سلطة طحينة . . وأعطيك
قطعة لحمه ؟

— قطعة لحمه . . ليس بها عظم ؟

— موافق .

— ومعها خياره ؟

— لا تكن طماعاً ، قطعة اللحم تساوى خمس قطع بطاطس .

واستمرت المناقشات والنسويات والنكات والضحكات
و « على » ، شاردهم ذهن غائبه . . لا يكاد يعي مما حوله شيئاً .
ولم يكده ينتهى من تناول قطعة البطيخ ، حتى انسحب من المائدة
متسللاً إلى حجرتة ، وأغلق الباب ، وجلس على « فوتيل »
ومدد مفاقيه وأخرج الرسالة .



رنگه...ک



عزيزى " على "

أبدأ رسالتى إليك بالاعتذار عن لغتها ، فأنا أعرف
أنك تحب مصريتك .. وحبى لها - من أجلها ومن أجلك -
لا يقل عن حبك .. ومع ذلك أراى مضطرة لأن أكتب
بالإنجليزية .. لا لأنى لا أعرف العربية ، بل لأن قدرتى على
التعبير بالأولى خير من قدرتى على التعبير بالثانية ، ولو كنت
أكتب رسالة عادية لمخلوق عادى .. لما شعرت بحاجة إلى
القدرة على التعبير ، ولكن سواء لدى كتيبها بالعربية أم
بالإنجليزية .. ولكنها رسالة لك أنت ، أشعر وأنا أهم
بكتابتها بفرد حاجتى إلى هذه القدرة ، وبأن ما بى من
مشاعر أعوص وأضخم من أن تنقله إلى الورق تلك
الكلمات العادية التى تعودنا أن نستخدمها للتعبير عما
بأنفسنا ، وإننى - بلا جدال - فى أشد الحاجة إلى ابتكار
وسائل جديدة تستطيع أن تنى بحاجتى .

هذه هى المرة الأولى التى أكتب إليك ، ولست أدرى
لم لم أكتب إليك قبل هذا العلى لأنى لم أعود المبادأة بشيء ،
وأن طبيعتى هى الانتظار ، وفى حينى إليك ، ولهفتى على
لقاءك .. كنت أجلس وأنتظر .. أنتظر أن تأتى إلى ذات

ليلة وأنا أجلس تحت الشجرة الكبيرة ، أو تخرج إلى ذات
فجر من وراء كومة الغاب عند التربة وأنا أسير على الطريق
وحيدة بجوادي ، بل كنت أترك الترولى ينزلق بي من
المنحدر ، عليك تخرج من وراء السوبة . . لا لتتخذ جسدي
هذه المرة ، بل لتتخذ روحى من طول وحشة وفرط حنين .
كنت أنتظر ، وأنتظر ، وكنت آمل من القدر أن يفعل
شيئاً ، مادم لا تفعل أنت ، كنت آمل منه أن يلقى بك فى
طريقى ، كما سبق أن فعل ، وأن يدبر لى ولو صدفة حسنة
واحدة ، ولكنه فيما يبدو لى قد تخلى عني وأغفلنى من
حسابه .

ولست أدري إلى متى كنت أنوى الاستمرار فى
الانتظار والاستسلام ، والتعلق بأوهام هبوطك إلى من
السماء ، أو منحك لى لقمة سائغة بواسطة الحظ والصدف .
ولقد تهذرت على أخبارك ، بعد أن انقطع أبوك عن
الحضور إلى الحديقة ، وبعد أن ثار والدى وهددنى بأشد
العقاب ، إذا عرف أنى رأيته أو أن هناك أقل صلة بينى
وبينك .

ومع ذلك لم أعدم وسيلة لى أعرف بها أنك تخرجت
من المدرسة والتقت بالسوارى ، وعند ما أنبأنى أبى أنه

قد دعى لمشاهدة العرض العسكرى ، الذى سيقام احتفالاً بالتتويج ، أحسست برجفة بين جوانحي ، وتمنيت لو استطعت مشاهدة العرض إذ بدا لى أنك لا بد ستشترك فيه ، بل خيل إلى من فرط الحنين إليك أنك أنت العرض كله ، وليس بالعرض سواك .

ولم أرد أن أبين لأبى لهفتى على الذهاب معه . . . حتى لا يساوره الشك ويدرك سبب رغبتي فى الذهاب ، بل لقد خشيت أن يكون قد أدرك من ملاحى ما طاف بذهنى . . . ويكاد المريب يقول خذونى .

ولم أعلق على قوله بشيء ، وكأن الأمر لا يهمنى قليلاً ولا كثيراً . . . بل كأنى لم أسمع من قوله شيئاً . . . ولكن . . . عندما جلست للغداء سألته ببساطة عما يفعلونه فى الاحتفال بالتتويج ، فسألنى بدوره ضاحكاً :

— ألم تشاهدى عرضاً عسكرياً من قبل ؟

— وأنى لى أن أشاهده !

— إذا تعالى معى لتشاهديه .

— أهو شيء يستحق المشاهدة ؟

— طبعاً يستحق ، إن البلد لا تحتفل بطابور التتويج كل

يوم ، إنه احتفال لا يحدث إلا عند كل تغيير ملكى أى

عندما يموت الملك ويعتلى العرش ملك آخر . . وأظن البلد
لا يموت فيها كل يوم ملكا .

وهكذا اصطحبني في يسر إلى الاحتفال .

وهناك جلست أرقب ، لا أرقب الطابور كله بالطبع ،
ولكن أرقب شيئاً معيناً . . خيلته كائناً على ظهر أحد الخيول
التي تبدو عن بعد في أول الطابور .

والبصر — كالسمع — خداع . . يبدى لنا بسهولة
ما نود أن نراه حتى ولو كان غير كائن . . وهكذا أخذت
تبدو لي كالسراب . . على كل جواد وفي كل فارس يروح
أو يغدو . . فإذا ما دقت البصر وجدته غيرك وتبدد
السراب .

وعملت نفسي بأني سأراك حتماً عندما يبدأ الاستعراض
ويمر الطابور أمامنا ، ولكن الطابور مرّ وأنا لا أراك إلا
رؤية سرابية . . يبددها التحقيق .

ولا أظنك تدرك مدى الخيبة التي أحسست بها وأنا
أرى العرض ينتهي دون أن أجد لك أثراً . . وأنا التي
لم آت إلا لرؤيتك ولم أكن أتوهم بالطابور سواك .
وأخيراً . . وأخيراً . . جداً .

حدثت المعجزة .. حدثت .. وذهبت .. فى مثل
ومض البرق .

لقد لمحتك لحظة خاطفة .. والعربة تمرق بنا .. وأنت
تحاول عبور الطريق مع زميل لك .

وترك « على » يده تسقط بالرسالة فى حجره ، وطار
بذهنه إلى العربة المارقة وخصلة الشمر الذهبية المهدلة التى
تبدو من الزجاج الخلفى .

إذا فقد كانت هى .. لم يكن واهماً ولا متمنياً ..
أجل . أجل . إنه لا يخطئها قط . إنه يراها حتى ولو لم
يبصرها .. إن له قدرة على الإحساس بها .
وتمسكته نشوة شديدة وهو يحس أنها قد رآته كما
رآها .. وأن اللقاء قد حدث رغم أنه لم يدركه حين حدوثه .
ورفع يده بالرسالة وعاود القراءة .

« وكنت أصبح بالسائق أن يقف .. وأصبح بك أن
تأتى لتركب معى .. وليكنى تذكرت أبى .. ولم أملك
سوى الصمت والشroud .. والانطلاق بالذهن ورامك ..
واستدعائك بالوهم والتخيل .

وعدت إلى البيت وبنفسى حنين جارف إلى رؤيتك
وشوق لا يقاوم إلى لقاءك .. وكأنما كانت تلك اللوحة
الخاطفة .. وميض الشرر الذى يسبب انطلاق قذيفة الشوق
لتدك حصن الصبر والمقاومة وتهد قلاع الاستسلام
والانتظار .

لقد أحسست أن لنفسي على "حقاً .. حقاً فى الحياة ..
وأن ذلك الوقت الذى أضعته فى الانتظار لم يكن من
الحياة فى شيء .. بل هو زمن سلب من الحياة ليلقى به فى غمار
العدم .

ورأيت خير وسيلة للخروج من هذه السلبية التى فرضتها
على نفسى هو أن أتصل بك اتصالاً مباشراً دون حاجة
إلى وسيط أو رسول .. فأمسكت القلم لأكتب لك ..
وساءلت نفسى فى دهشة .. لماذا لم أكتب من قبل ؟

عجباً !! إن الإنسان ليضيع عمره وهو مستسلم عاجز
ثم يكتشف فجأة أن وسيطه للوصول إلى ما يرجو فى تناول
يده .. وأنه ليس عليه إلا أن يكف عن الاستسلام
والانتظار ويمد يده لياخذ ما يريد .

وأنا أمد يدي إليك وبى حيرة وقلق .. والوساوس
تدفعنى إلى أن أسائل نفسى وأنا أمد يدي .. أمازلت أنت

كما أنت ؟ .. أما زلت أنا في نفسك كما أنا ؟ .. أما زلت الحلم
الجميل .. والأمنية العذبة ؟ أم قد بددت الفرقة الحلم وبدّل
الزمن الأمنية ؟

عن نفسي أنا .. إن كان للزمن والفرقة أثر .. فهو
زيادة الإحساس بك .. وبموقعك في نفسي .. وضرورتك
في حياتي .

لا شك أن الزمن ينسى .. ولكن معك أنت .. لم يكن
له إلا تأثير مضاد للنسيان .. يعلم الله .. لم .. فذكراك
لا يزيدنا الزمن إلا جدّة وصورتك لا يزيدنا طول
الفرقة إلا وضوحاً وعمقاً .

والآن .. لست أدري ماذا أكتب .. إنني أرى الكلمات
تملأ الصفحات ، ولكني مع ذلك أحس أني لم أقل شيئاً ..
فالأفكار تموج في ذهني مختلطة متشابكة .. وإن كانت كلها
تتركز في النهاية في جملتين : شوق إليك .. ورغبة بجارفة
في رؤيتك .

ولست أدري ما إذا كنت قد قلت ذلك في كل
ما سطرته إليك .. أم لم أقله بعد !

لقد انتهيت خلال هذه الفرقة إلى تفكير جازم أكيد
إلى أننا ما يسمونه النصفين المتمم أحدهما للآخر ، وأن

الطبيعة قد خلقتنا لیتتم كل منا صاحبه ، وأنه إذا كانت
تقاليد الحياة وأوضاعها قد فرضت علينا نوعاً من الفرة
فى فترة من حياتنا . . فلا بد أن الطبيعة وهى العامل الأعظم
قوة والأشد غلبة . . لابد أن تعيد إصلاح ما أخطأته
العوامل الأخرى . . وأنا إذا صممنا على أن يكون أحدنا
للآخر . . فلسنا إلا معاونين للطبيعة فى أداء واجبها .

وبهذا التفكير عزم أن أكف عن انتظارى وأخرج
عن سلبتى . . وألا أدع رغبات الغير فى المحافظة على المظاهر
التافهة تغلب رغباتنا فى المحافظة على حقنا فى الحياة .

وبهذا العزم أمسكت القلم لأكتب إليك . . وأقول كل
ما بنفسى .

إنى سأسافر إلى الاسكندرية غداً ويخيل إلى أن فرصة
اللقاء هناك — لو استطعت الحضور — ستكون أكثر
مستوحاً . . لأننا سننزل هذا العام فى فندق « سان استيفانو »
حتى تتم الإصلاحات التى يقوم بها أبى فى بيت الاسكندرية . .
والفندق غالباً ما يعجب بروّاده فى المساء مما يجعل اللقاء
فى ساحته أو فى حديقة السينما أمراً مستطاعاً .

إنى أسمع صوت أبى ينادىنى للنزول معه إلى البلد
لا بتباع بعض المشتريات . ولست أريد أن أوجل رسالتى ،

ولذلك فسأختمها الآن حتى أقذف بها في أقرب صندوق
يريد أستطيع إلقيها به .

وددت لو أراك قبل السفر ، ولسكني لا أظن القدر
سيترككم بمنحى هذه الفرصة بعد طول انتظار .

على أية حال .. لن أحاول انتظار منحة بعد أن قررت
أن أمد يدي لأخذ ما أراه حقاً لي في الحياة .. سأكتب
لك من الأسكندرية مرة أخرى بعد أن نستقر في الفندق
وأعرف كيف تجري حياتنا هناك .

كل ما أرجوه أن تدبر أنت وسيلة للحضور ولو لبضعة
أيام .

وإلى أن أكتب لك ثانية أرجو لك أطيب التمنيات .

الخلاصة دائماً

« أنجي »

ومرة أخرى ترك يده تسقط بالرسالة في حجره ومدد
ساقيه وأغمض عينيه .. وحلق بذهنه بعيداً .. بعيداً ..
وكان الرسالة أجنحة تطير به إلى عالم هنيء مليء بالنشوة والمتعة .
كانت الرسالة بما فيها .. شيئاً غير مصدق .. كان يحتاج إلى
جهد لإقناع العقل به وبصحة وقوعه ، وأخذ يتحسسها بأصابعه

بين ثانية وأخرى ليتأكد من وجودها . . ثم يستعيد لذته
ما بها . . ويرفعها إلى بصره ليتأكد من أنها موجودة حقاً .
ووجد نفسه ينهض من مقعده ويغادر الحجرة ويسير
في حديقة الميس متجهاً إلى الشكنات . . وهو يشعر بمتعة
من كل ما حوله .

لقد أضفت عليه الرسالة رونقاً وبهاء . . حتى لكان
كل شيء قد تغير في غمضة عين . . وبدأت الأحواض المليئة
بالجارونيا وقد أبيضت أوراقها وتفتحت أزهارها وبدأت
الأشجار تترنح أغصانها وترنم طيورها ، والشمس قد خف
سعيها وهدأ هيبها .

ووصل إلى الاصطبلات فبدأ لأول مرة حبشية إلى
نفسه بجدرانها المظلمة وأسقفها المائلة ، ووصلت إلى أذنيه
أصوات النهمه والصهيل . . وطرقات الحوافر وشخشخة
الجنائز ، وصيحات السباب من أفواه نوبتجية الاصطبلات
وكأنها تكون أوركسترا ، رائعة النغم حلوة اللحن .

لقد أحس لأول مرة أنه يحب الشكنات بما فيها من
أبنية وخيل وجنود . . وزال عنها كل ما يسبب النفور
والضيق . . وجلس على طرف أحد أحواض السقية يرقب
المياه المتدفقة إليها ، ثم رفع عينيه إلى الأكوام المرصوفة
في التبانات من بالات السبله والتبن والدريس ، وأخذ

يرقب أو مباحشي العليق وهو يخلط الشعير بالتبن والنخالة
والمالح معداً وجبة دسمة للخيول .

ووسط هذا الجو الحبيب إلى نفسه أخرج من جيبه
منبع السعادة ومبعث النشوة ، وأخذ يلتقط منها فقرات
ليقرأها مثنى وثلاث ورباع كأنما يوشك أن يؤدي فيها
امتحاناً .

ومرّ اليوم . . يوم النوبة تجية المفروض أنه من أثقل
وأشق أيام العمل ، و « على » منطلق في الثكنات يتمم على
السلاح ويشمع السرجا خانات ويصرف اليك ، ويدب
بقدميه في ثقة واعتداد دون أن يحس بمشقة ولا ملل . وفي
كل فترة راحة يخرج من جيبه الزاد ليتزود منه بفقرة يقرأها
أو جملة يلهجها . . ثم يجيب في ذهنه عما يقرأ ، ويعلق
على ما يلمح .

« يخيل إلى أن فرصة اللقاء - لو استطعت الحضور -
ستكون أكثر سنوحاً ، .

ولكن كيف يستطيع الذهاب ؟ ! يمكنه الحصول على
أجازة ؟ ! أم يسافر ظهر الخميس ويحضر مساء الجمعة ؟ !
ولكن ماذا يقول لوالديه اللذين ينتظران يومى العطلة

لميتعا بلقاءه ؟ يقول إن لديه نو بتجيتة . . أو يقول إنه مسافر
إلى الإسكندرية فى عمل ؟!

« كل ما أرجوه هو أن تدبر أنت وسيلة للحضور ولو
لبضعة أيام » .

إنها ترجوه . . كأنما هو لا يود . . ولو أدى الأمر
إلى الفرار من الشكنات لأقدم عليه .
« وإلى أن أكتب إليك ثانية أرجو لك أطيب
التمنيات » .

وكان عليه بعد ذلك أن يرقب جندى البريد ، الذى
لم يكن يشعر من قبل أن له وجوداً ، ولم يطل به الانتظار ،
إذ لم يصبح اليوم التالى حتى أقبل عليه الجندى وهو يرقب
الطومار ، وسلمه الرسالة الثانية ، ذات المظروف الأزرق .
وقال ابراهيم افندى ضاحكا وهو يرى الجندى
يسلمه الرسالة :

— ماشاء الله يا على افندى ، بدأت الرسائل الزرقاء ..
حلال عليك ، إني لم يصانى خطاب أزرق إلا بعد سنتين
خدمة .

وأجاب عبد الرحمن الذى كان قد ضاق بالوقوف فى

اسطبله وأقبل على اسطبلهما يتسلى بمشاغبة ابراهيم
افندى :

— أجل .. إني أذكره .. لقد وصلت على يد
محضر .

وصاح به ابراهيم منذراً :

— عد إلى اسطبلك يا عبد الرحمن ، إن قومندان
الأورطة يمر الآن .

— أنا لا يهمني حتى قومندان السوارى نفسه .

وارتفعت صيحة طويلة من ناحية اسطبل عبد الرحمن
« انتباه » وانطلق عبد الرحمن يعدو إلى اسطبله قائلاً :

— يا نهار اسود ، إنه يمر حقاً .

وضحك ابراهيم وقال معلقاً :

— إجر يا رعديد .

وأمسك « على » بالرسالة ، ودسها في جيبه بسرعة دون
أن يفضها أو يقرأ عنوانها كأنما يخشى أن يختطفها منه أحد ،
أو كأنه يخشى عليها من شر حاسد إذا حسد .

وتعجب ابراهيم من وضعه إياها في جيبه دون قراءة
وتسائل في دهشة :

— لماذا لا تقرأها ؟

وخيل إلى « علي » أن كل من في الاسطبل من جنود
وخيل قد كشف أمره وهتك ستره ، وأنه لو أخرج
الرسالة وفضها فسيمدون أعناقهم لقراءة ما بها . وأجاب في
ارتباك شديد :

— ليس بها شيء مهم ، والقومندان على وشك
الوصول .

— ما زالت أمامك فسحة حتى ينهى مروره في تشنجي
بلوك ، وهو بلا شك واجد من الأقدار والملاحظات في
بلوك عبد الرحمن ما يضيع فيه نصف يومه .

ومع ذلك فلم يحسر على فض الرسالة أو قراءتها ، كأنما
خشى أن تراق منها قطرة ، أو تطير منها كلمة . . . كان يشعر
أنه لا يستطيع قراءتها إلا في خلوة وقد أغلق عليه الأبواب
والنوافذ وتحصن ضد الرقباء والمتطلعين .

وانتهى الطومار والسقية والعليق وضربت بضعة عشر
نوبة من نوبات البورى لم يميز منها « علي » كعادته شيئاً ،
وبدأت فترة المكاتب ، وأحس أنه لا يستطيع أن يصبر حتى
تفتى المكاتب ثم يذهب إلى الميس لقراءة الرسالة ، ولم يجد

خيراً بعد أن نفذ صبره من أن يلجأ إلى السرجخانة (حجرة السروج الملحقة بالاصطبل) لينهب فيها زاده دون أن يشعر به أحد .

وتسلل إلى الاصطبل بعد أن خلا من الجنود ، عدا النوبتجي الذي لم يكده يراه حتى صرخ « انتباه » رغم أنه لم يكن هناك من يتلقى نداءه غير الخيل التي لم تعره أدنى التفات بل استمرت في اللعب والحركة برؤوسها وأرجلها .

وأمر « على » النوبتجي بأن يستمر في عمله ، ودخل إحدى حجرتي السرجخانة ، وكان لأربعين بلوك (وهو البلوك الذي يتمرن به مع إبراهيم أفندي) حجرتان ضيقتان بدل الحجرة الواسعة والملحقة بكل اسطبل ، ويبدو أن الإسطبل نفسه قد بنى أخيراً في مؤخرة القشلاق بين البوابة الخلفية والقسم البيطري .

وجلس « على » على صندوق خشبي كبير ، وضعت به مهمات الأسطبل وبعض الحدايد والعهد الزائدة ومهمات السرج الملكي وأدوات البولوا الخاصة بإبراهيم الذي كان متعلقاً بكل أهذاب الأرستقراطية . . من بولو وجولف ، وصداقة كل من استطاع من الأجنيبات الشقراوات ذوات العيون الزرق ، مهما قبح شكلهن .

وفض « على » الرسالة ، وأحس بشيء من الضيق
والخذلان ، وهو يجد الكتابة لا تشغل سوى صحيفة واحدة
لا تشبع نهمه ولا تروى ظمأه .

وأخذ في قراءتها على مهل بعد أن قلبها جيداً علّه يجد
بها كتابة أخرى مختبئة في أحد الأركان :

عزبني على :

أكتب إليك من الإسكندرية في أول فرصة استطعت
أن أدخل بها إلى نفسي ، إنني أجلس في حجرتي التي أستطيع
أن أبصر من نافذتها أمواج البحر الزرقاء تلتقي بالأفق في
تجددات رقيقة وأسمع هديرها ليناً ناعماً ، حتى ليكاد ينطبق
عليه لفظ (خير) أكثر من (هدير) .

كل ما حولي يدفعني إلى الحنين إليك . . هذا السكون
السائد ، والبحر الساجي ، والزرقاء المترامية ، تملؤني رغبة
في أن أراك لتتشارك المتعة بها والنظر إليها . . إن إحساسي
بالمتعة أضحي ناقصاً ، لأنني لا أكاد أحس بمتعة حتى أذكرك ،
وأتلّف على أن تشاركني الإحساس بها ، حتى لكأنك بت
وسيلتي للإحساس وبغيرك لا أحس بشيء إحساساً كاملاً .
أرجو أن تكون قد دبرت وسيلة للحضور ، فالفرصة

لللقاء أكثر منوحاً مما كنت أظن . . إن أبي سيعود في الغد
إلى القاهرة وسيتقضى بضعة أيام لحضور بعض المؤتمرات
والجمعيات التي يشترك في رئاستها ، و « علام » مشغول بحيث
لا أكاد أرى له وجهاً ، والفندق في المساء مليء بالرواد ،
بحيث لا يكاد يحس فيه أحد بأحد وليس أسهل من اللقاء
فيه ، ولا آمن عاقبة .

لن أطيل عليك في الكتابة لأنى أود أن أرسلها بسرعة
لأؤكد لك رغبتى الشديدة فى حضورك ولأؤكد لك سهولة
اللقاء .

سأنتظر مساء الخميس فى الساحة أو الصالة الخارجية .
وان يصعب عليك العثور على ، وإذا حضرت فى غير
الموعد فتستطيع أن تتصل بى فى تليفون الفندق على ألا
تجيب إلا إذا رددت عليك أنا .
وتقبل أطيب تمنياتى ؟

الخلاصة دائماً

« أنجى »

وكانت الدعوة حارة ممتعة ، ولكن التفكير في تنفيذها ..
كان مربكاً .. معقداً .. شاقاً ، عسيراً .

إنه لم يذهب إلى الاسكندرية إلا مرة واحدة ..
في صغره ، وهو لا يكاد يذكر منها إلا سيدي جابر بمحطته
وشاطئه والشارع الموصل بين هذا وذاك الذي يمر بجوار
تسكنات الجيش الانجليزى .

ومع ذلك فهي تسأله ببساطة أن يذهب ليلقاها في
« سان امستفانو » ، ويبحث عنها في الصالة الخارجية أو في
الساحة ، وهو ان يجد مشقة في العثور عليها .
عفا الله عنها .. وغفر لها حسن ظنها به .

إنه ان يجد مشقة في العثور عليها فحسب .. بل سيجد
مشقة في العثور على الفندق نفسه .. فهو يهاب كل جديد ،
ويخشى من كل مالم يعتد عليه .. إن مواهبه وقدراته وشخصيته
لا تظهر إلا في النطاق الذي ألفه وتعود عليه ، أما أن تلقى به
في بلدة لم يزرها في عمره إلا مرة واحدة .. ثم تطلب منه
أن يذهب إلى أكبر فنادقها .. ليلقى ابنة أحد الأمراء ،
فإن في ذلك التهاكة الكبيرى .

إنه حقاً قد أضحي « ضابط سوارى » ، وهو في مركزه
مخلوق محترم تتطلع إليه الأعين بالإعجاب والتقدير ، وهو

في مظهره لا يقل أناقة ولا وسامة عن أبناء الطبقة
الارستقراطية الرفيعة ، ومع ذلك فهو مازال في باطنه
يشعر بأنه هو هو .. ابن الرئيس عبد الواحد ، ربيب الطلبة
والحصير والعيش الجاف والبنطلون ذوالرقعة ، وهو
لا يأنف من ذلك ولا يشعر منه بخرج حتى يحاول انتزاع
نفسه منه ، وقطع ما بينهما من صلة وطيه في زوايا الإنكار
والنسيان .. بل كان يحس بالحنين إليه والاعتزاز به
ويشعر عندما يعود إلى البلدة والبيت براحة ممتعة وسكينة
لذيذة ، وهو يقبل على جيرانهم من الفلاحين ومعارفهم من
العمال إقبال مرحب مشتاق في غير تصنع ولا كلفة ويكاد
يضمهم إلى صدره غير عابئ بأن تلوث أتربتهم حلتته .
كان إحساسه بهم وبقربهم منه إحساساً قوياً ، وعلى النقيض
منه كان إحساسه بالطبقة الأخرى .. كان يشعر بأنه بينها
غريب ضال .

وبتلك الرهبة ، وذلك الشعور .. أحس بمدى المشقة
التي لابد أن يلاقيها .. من أجل اللقاء المنتظر ،
وبمدى التهلكة الذي يوشك أن يلقي بنفسه فيها ، وهو يذهب
إلى الاسكندرية ، ويقتحم الفندق الكبير .. ويضل
في متاهاته باحثاً عنها .

ومع ذلك فلم يكن هناك بد من أن يقدم عليها . . بل
لو كان عليه أن يخوض في سبيل اللقاء معارك يراق فيها دمه
لما تردد . . فقد كان الحنين لا يقاوم واللهفة لا ترد .

وفي صباح الخميس كان قد أعد العدة للسفر ، وأجرى
كل ترتيب لازم وأنبأ سليمان بما نوى عليه ، ورغم
أن سليمان لم يرتح لرغبته في السفر إلا أنه لم يملك أمام عزمه
الأكيد إلا أن يسلم له به ، وذهب ليوصله إلى قطار الظهر
الناهب إلى الاسكندرية .

ووقف سليمان على الرصيف بجوار شباك القطار
يقطعان الوقت بالحديث حتى يتحرك القطار ، وقال سليمان :
— أعلمت أنهم ينوون نقلنا إلى الآلايين الجديدين
الميكانيكيين اللذين أنشئوهما .

— من قال لك هذا ؟

— سمعت من صالح أفندي مساعد الأركانحرب ،
لقد قال إنك ستنقل إلى آلاى السيارات الخفيفة ، وأنا
سأنقل إلى الدبابات الخفيفة .

— وأين هى هذه السيارات والدبابات ؟ إن كل ذلك
لا يزيد على أسماء هيكلية لا نرى منها فى الواقع غير بضعة

المدافع الخفيفة التي يمرن عليها الجاويش الانجليزى بعض الضباط .

— إن الدبابات والعربات توشك أن تصل والآليات قد شكلت فعلا .

— على أية حال أنا أفضل البقاء في الخيالة .

— لا تكن غيباً .. إن الآليات الميكانيكية هي وحدات المستقبل .. إنها الوحدات المدرعة المقاتلة .. إن البعثة العسكرية تعمل جادة في تدريبنا وإتمام تسليحتنا ، ومن الغباء أن نربط أنفسنا بالخيال في زمن التطور .

— إني لأشعر بالغبطة والنشوة إلا بين الخيل .

— لأنك حصان ابن حصان .

وتحرك القطار وضحك «على» وهو يلوح بيده لسليمان ويقول له :

— متشكر .



منطق ..



« على » إلى محطة سيدى جابر وصعد بحقيبته
ووصل الصغيرة التي وضع فيها البيجامة ، وعدة الحلاقة ،
وفرشة الأسنان ، والشيشب ، فوق الكوبرى الموصل بين
الرصيفين .. مندساً بين جمهرة الركاب ، وكان عليه أن يتجه
في أول الأمر إلى نادى الضباط بالسلسلة حيث يستقر
في إحدى حجراته ويزيل عنه غبار السفر ثم يحاول الاتصال
بـ « أنجى » تليفونيا .

ولم يكن هناك مفر من السؤال عن السلسلة وعن مكان
النادى ، وأحس بمشقة فى السؤال ، والحجل من أن يبدو
للناس جاهلاً بمكانه وهو يرتدى الحلة العسكرية .. ولكنه
لم يكذب يجتاز باب المحطة حتى سمع صوتاً يهتف به فى دهشة
وترحاب :

— على عبد الواحد .. ماذا أحضرك هنا ؟

وتلفت ليجد عبد المال أحد زملاء الدفعة الذى التحق
بإحدى وحدات المدفعية بالاسكندرية وقد هبط من إحدى
العربات اليك مقبلاً عليه فى شوق شديد وشده « على »
على يده محيياً وأجابه :

— حضرت لإنجاز بعض الأعمال .

— الميرى ؟

— لا .. عمل خصوصى .

— وكيف الحال ؟ لقد أوحشتنا جداً .. إنها مفاجأة

لطيفة .. لقد كنت أنتظر حضرة اليوزباشى محمود خليل
قائد ثانى البطارية ولكنه لم يأت .. إلى أين أنت ذاهب ؟

— إلى النادى .. أعرف أين هو ؟

— أعرف أين هو ؟ .. إن بطاريتنا بجواره أيها

الجاهل .. هيا بنا .. أسحلك إلى هناك .

واتخذ على مكانه بجواره وانطلق السائق فى طريقه إلى

النادى وتسامل عبد العال :

— ماذا ستفعل فى النادى ؟

— أغتسل وآكل لقمة ، وأضرب تليفوناً ، وأستريح

برهة ثم أخرج .

— ولم النادى ؟ اكل هذه الأشياء يمكن أن تفعلها

عندى فى ميس البطارية .. سأخذك معى .. لاداعى للنادى
مطلقاً .

وأحس « على » بنوع من الفرج فقد كان يشعر من

النزول فى النادى برهبة له كل جديد ، ولكنه خشى أن

يثقل على صاحبه ، وسال :

— لا أريد أن أضايقتك .

— تضايقتني ؟ أهذا كلام يقال بين الدفعة ؟! أضايقتك

أنا إذا نزلت عندك في ميس السواري ؟

وضحك « علي » وأجاب :

— بالطبع لا .

— إذا فلماذا تضايقتني أنت . . سأطعمك طعاماً لم تذق

مثله في حياتك إن طبّاخ الميس قد أعد لنا أكلة سمك هائلة . .

وسأجعلك تغتسل وتتسكّم في تليفون البطارية كما تشاء . .

ثم أحملك بعد ذلك بالعربة إلى حيث تريد . . ما رأيك ؟

— لا أظنني أريد أكثر من هذا .

ووصلت العربة إلى البطارية واجتازت البوابة القائمة في

سور السالك الشانك المحيط بمجموعة الخيام والمدافع ،

ووقفت أمام كوخ من الخشب والصاج قد دهن خارجه

بالجير ، ودعا عبد العال علياً للدخول .

وكان الكوخ منقسماً إلى قسمين : قسم رصت به بعض

المقاعد الأسبوطى والقش وطقطوقة صغيرة . والقسم الآخر

قد توسّطته منضدة نظمت عليها أدوات الطعام ، وبدأ به باب

صغير يفضى إلى المطبخ ودورة المياه الملاحقة بالكوخ ،

وكان المكان مع رخص أناته نظيفاً مرتباً ، وكانت ريح
البحر تنفذ من نوافذه رطبة منعشة ، وجلس الصاحبان على
المقاعد الأسيوطي وصاح عبد العال منادياً :
— بللاؤستا .

وأجاب من المطبخ صوت يجيب صائحاً كأنه جرسون
في مقهى بلدى :
— أفندم .

وتسائل « على » في دهشة :

— ماذا ناديت ؟

— بللاؤستا .

— ومن يكون ؟

— طباح الميس .. اسمه محمود بللاؤستا .. لأنه يزعم أنه
كان قبل دخوله العسكرية طباحاً في البللاؤستا .. مع أنى
وائق أن أقصى ما عمل فيه هو غرزة في عشش الترجمان .
وأقبل الطباخ .. أسمر الوجه ، لطيف الملامح ، باسم
الشعر ، خفيف الدم .

وصاح به عبد العال :

— عندنا ضيف يا محمود .. حضرة الضابط على
أفندى .. من السوارى .. وهو يزعم أن أكل السوارى

أفضل من أكل المدفعية .. وأريد أن أثبت له العكس .
وانحنى العسكرى على أذن عبد العال يهمس بها :
— من الخير أن يظل على زعمه .. لأنه ليس عندنا
طعام البتة .

— كيف ؟

— لقد تناول زكى أفندى طعامك بعد أن انتظر
حضورك مدة ، وظنك لن تأتى .

— ولماذا لم يتناول طعامه هو ؟
— تناوله .

— وتناول طعامى أيضاً ؟
— أجل .

— إذا أعدنا طعام حضرة اليوزباشى . لأنه لن يأت .
— لقد تناوله أيضاً . لقد تناول كل ما عندنا .

— ياسائر يارب ، إذا اقل لنا بيضاً وافتح علبة سردين ،
على قطعة جبن . أعد لنا « تحميشة » على مزاجك .

واستدار بالملافتة بحركة مسرحية وانطلق إلى المطبخ .
وقال عبد العال :

— أظنك تستطيع أن تغتسل وتتحدث فى التليفون
حتى يعد لنا الطعام .. هيا بنا .

ونفض الاثنان وأشار عبد العال من النافذة قائلاً :
— هذا هو النادي .. وتلك هي رئاسة اللواء .

واغتسل على ، وأشار عبد العال إلى منضدة خشبية
صغيرة وضعت عليها آلة تليفون عتيقة ، قائلاً :
— أية نمرة تريد ؟

— لست أعرف النمرة بالضبط . إنى أريد فندق سان
استفانو .

— سان استفانو مرة واحدة ؟ من تريد أن تتكلم ؟
وبدا التردد على وجهه ، على ، .. أيمكن أن يقول له من
يريد أن يكلم ؟ بل أمعقول أن يتكلم أمامه ؟ ! وبعد تردد
قصير أجاب :

— سأبلغ رسالة لأحد نزلائه .

وضحك عبد العال ، وقال :

— أيها الخبيث .. لا بد أن يكون في المسألة حريم ،
سأعود إليك بعد أن أعطي الأوامر للباشجاويز .

وغادر عبد العال المجلس وجلس « على » برهة متردداً
أمام آلة التليفون . وبدأ له الأمر معقداً شافاً .

وأخيراً رفع السماعه وبعد برهة أجابه صوت عسكري
التليفون :

— أفندم .

— اعطنى لو كائدة سان استفانو .

— من حضرتك ؟

— الملازم ثانى على عبد الواحد .

— دقيقة واحدة ، ضع السماعة حتى أطلب حضرتك .

وبعد لحظة دق الجرس ورفع « على » السماعة وسمع

صوت العسكرى يقول :

— مع حضرتك اللوكائدة يا فندم .

وتسأل على :

— آلو . . سان استفانو ؟

— نعم . . من تريد ؟

وأحس « على » برهبة شديدة وهمّ بأن يضع السماعة ،

ولسكنه التى ردّه كأنه يغامر بالقاء قبلة ثم يقف لتنفجر فيه :

— من فضلك اعطنى جناح الأمير اسماعيل .

— انتظر على السماعة .

ومضت لحظة كان « على » يكاد يسمع خلالها دقات قلبه

وهمّ بضعة مرات أن يضع السماعة ويعدو هارباً من الميس .

كان يخشى أن يجيب عليه الأمير . . ولم يدرك - أنه حتى مع هذا

الفرض - يمكنه أن يضع السماعة مكانها دون أن ينطق بكلمة

فينتهى الأمر بمنتهى البساطة ، بل كان يتخيل أن الأمير
لا يكاد يرفع السماعه حتى يراه ويمسك بخناقه .

وطالت فترة الانتظار . . وأحس بأن يده قد تصلبت
على السماعه ، وأن السماعه قد جمدت على أذنه . . وأخيراً
سمع صوتاً يأتى إليه نائياً بعيداً من خلال التحويلتين ،
وكان صوتاً نسائياً . . غير مميز .

وأحس على بعض الطمأنينة وزال عنه الكثير من
الرهبه وهو يسمع فى الصوت النعومة النسائية ، ولكن
طمأنينته لم تكن كاملة ، فقد كان لا يستطيع أن يميز
صاحبة الصوت .

وضغط « على » السماعه على أذنه محاولاً تمييزه وهو
يقول :

— آلو . . مين يا فندم ؟

وزادت دقات قلبه . . حتى بدا كأنه يوشك أن ينطلق
من بين الضلوع . . كان القلب أكثر تمييزاً وأشد إدراكاً ،
ومع ذلك لم يشأ المغامرة بالإفصاح ، ووجد من الخير أن
يتخذ خطوة احتياطية . أخرى فتسأل :

— من أنت ؟

وأتاه الصوت وقد بدت به رنة ضيق وغضب :

— أنت الذى طلبت النمرة . فقل من أنت ومن تريد؟
وخشى « على » أن يدفعها الغضب إلى أن تضع السماعة
وتقطع الخط فأجاب متسائلاً :
— أنجى ؟

ومضت فترة صمت لم يسمع خلالها رداً ، وخشى أن
يكون قد أخطأ صاحبة الحديث .. ولكنه ما لبث أن سمع الرد
يأتى حاراً ناعماً رقيقاً متهدجاً مليئاً بالشوق واللاهفة والفرحة :
— على ؟ ١١ ؟

وأحس « على » من قوطها بنشوة عجيبة وعاد يردد
بلا وعى :
— أنجى ؟

وعاد الصوت يجيبه كلما أخذ المشدوه :
— على ؟

— كيف حالك يا أنجى ؟ ١ ، لقد أوحشتينى جداً .
— وأنت كذلك .. إني أكاد أجن شوقاً إلى رؤيتك .
متى حضرت ؟ ١ ومن أين تتكلم ؟ .
— أتيت الآن ، وأتكم من ميس البطارية المجاورة
لنادى الضباط فى السلسلة .
— وماذا ستفعل ؟

— سأتناول الغداء مع صديق لى .

— ومتى سأراك ؟

— متى شئت .

— اسمع باعلى .. إننا مدعوون إلى الشاي فى اسبورتنج

ولن نطيل المكث هناك إذ لا بد أن يعود أبى إلى القاهرة
فى قطار السادسة والنصف ، وسأوصله إلى المحطة وأعود
إلى الفندق حوالى السابعة .

وأحس د على ، بشىء من الضيق ، إنه يود لو استطاع

أن يطير إليها ، فكيف يستطيع الصبر حتى السابعة ؟

وأردفت « أنجى » تقول :

— ما رأيك ؟ أأستطيع أن أراك وقتذاك ؟

— أين ؟

— فى الفندق .

— فى أى مكان ؟

— سأنتظرك بجوار ملعب الاسكيتنج .

— أين يكون ؟

— أتعرف الفناء المجاور للبحر ؟

وضحك د على ، وأجاب :

— إنى لا أعرف أين يكون الفندق .

— إنك لن تجد مشقة في الوصول إليه . . . وستجد
ملعب الاسكيتنج على يمين الساحة مواجهة لباب السينما ويمكنك
أن ندخل السينما ونجلس فيها كما نشاء . إن العرض مستمر
والدخول مباح في كل وقت ، وهى تكاد تكون خالية ،
سأنتظرك فى الساعة ، إياك أن تتأخر ؟

— سأأتى قبل ذلك .

— سأتركك الآن لأنى أبصر علاء مقبلاً .. إلى اللقاء .

— إلى اللقاء .

ووضع السماعة وهو يود ألا يضعها أبداً . ولكن كان
له فى اللقاء المرتقب ، عزاء عن الصوت الناهب .
وقبيل الساعة كان « على » يهبط من ترام الرمل فى محطة
« سان استيفانو » ويتجه إلى الفندق فى حالته الجبردين وجسده
الفارع وصدره البارز وخصره الذى شده الحزام الجلدى ،
ولم يجد المشقة التى كان يتخيلها فى الوصول إلى الساحة بعد
أن اخترق حديقة الفندق ، وعبر الممر الموصل إلى الصالون
الفاخر الكبير الذى صفت فيه المناضد وسرت فى أرجائه
أنغام الموسيقى تعزفها الأوركسترا التى تعلو منصة فى أحد
أركانها .

وحاول « على » جهده أن يطرد الرهبة التى أحسها من

خامة البناء وأناقة الأثاث وأرستقراطية رواده . . وأن
يستشعر بعض الثقة بقدره . . ولكنه بدا لنفسه إنساناً غريباً
متضائلاً . . وكأنه وهو سائر ليس هو .

وكانت الساحة المشرفة على البحر والتي يفصلها عن
السكرينيش سور حديدى أجرد من الزرع ، قد غصت
بالسائرين يتمشون بغير هدف . . لا يرجون أكثر من
مشاهدتهم للناس أو مشاهدة الناس لهم ، فهم ما بين عارض
ومتفرج ، أو كليهما فى آن واحد . . ولمح على كثير من
وجوه الساسة وكبار القوم التي لم يرها من قبل إلا على صفحات
الصحف . . وأحس من رؤيتها بازدياد رهبته للمكان . .
إذ لم يكن يتخيل فى يوم أن يضمه وهؤلاء المشاهير مكان
واحد . . وأن يراهم رأى العين يسرون بجواره . . بلا
مواكب ، ولا مظاهرات ، وأن يستطيع أن يلصقهم أو
يتحدث إليهم ، أو على الأقل يسمع صوتهم .

واتجه إلى ملعب الانزلاق ، وكان يهضج بالصراخ ويهيج
بالحركة ، وقد اندفع الصبيان والبنات على قباقيبهم ذات
العجل صائحين مهللين وكان بهم مساً من جنون ، ونظر
حول المكان باحثاً عن « أنجى » فلم يبد لها أثر ،
ونظر إلى الساعة فوجدها لم تصل إلى الساعة ، فاتخذ

لأنفسه ركناً يستطيع أن يرقب منه المكان جيداً ، ووجه شعاع بصره إلى المدخل الذي أقبل منه حتى يبصرها بمجرد أن تدخل .

وظل بصره معلقاً بالمدخل لا يكاد ينقله برهة ليفحص ملعب الانزلاق أو رواد الساحة حتى يعيده إلى المدخل ثانية . . . ولم تستطع الوجوه الجميلة على كثرتها وقربها منه أن تثير اهتمامه ، فقد كان يبدو في وقفته كأنه أحد القناصة يرقب ببندقيته هدفاً معيناً ، فهو لا يستطيع تحويل مراقبته إلى سواه خشية أن يفات منه .

وقبل أن يظهر الهدف سمع صوتاً ناعماً يهتف به :
— هس .. مالك سرحان هكذا .. إلى أين تنظر ؟
والتفت إلى مصدر الصوت فإذا « أنجي » ، تقف بجانبه ، وقد ارتدت ثوباً سماوياً ، مفتوح الياقة ، قصير الأكمام ، وفي قدمها حذاء أبيض دقيق ، ذوكعب عال ، وقد جدلت ضفائرها ، وعقصتها في شكل هالة حول رأسها .

وبدت « أنجي » بكعبها العالي ، وثوبها الطويل وشعرها المعقوص ، وصدرها الواضح البروز ، وردفها البادى

الامتلاء أسفل خصرها الضيق . . بدت في هيئتها تلك أ كثر
أنوثته ونضجاً من مجرد صبية مدرسة ، وإن كان وجهها
ما زال كما هو ببرامته وطهارته ونبل تقاطيعه وسمو ملامحه .
وشد كل منهما على يد الآخر في شوق ولطفة . . وقد
افتراغهما عن ابتسامة حملت في إشراقها أصدق آيات
السعادة وأبلغ دلائل الفرح والهناء .

وأجاب « على » بقوله :

— كنت أرقب مطلعك ، لأني ظننتك ستأتين من هذا
المدخل .

— أجعلتك تنتظر كثيراً ؟

— عشر دقائق فقط ، لقد كنت هنا من الساعة إلا ثلثاً .

— لو عرفت هذا لعجلت بالحضور .

وألقت نظرة على مدخل السينما المواجه لهم وأردفت قائلة :

— إن السينما لم تبدأ بعد . . مازالت الساعة السابعة إلا

عشر آ ، ولا أظنها تبدأ قبل الساعة والرابع أو الساعة
والنصف حتى تكون الظلمة قد خيمت تماماً .

وتلفت « أنجي » حوفا وهزت رأسها مجيبة على تحية

فتاة قدمرت بها ، وبدت عليها مظاهر القلق ، وأحس « على »

أن ذهنها قد شرد ، وبداله أن استمرار وقفتهما تلك قد

تسبب لها بعض الحرج وأنه لا بد أن يفعل شيئاً .

وتسامل على :

— أتخبين أن نجلس في مكان ما ؟

وعادت أنجي تتلفت حولها في قلق ثم قالت وقد صوبت

نظرها إلى ناحية معينة في الساحة :

— لم أكن أتوقع وجود أبناء البرنس كمال هنا . إني ألمح

« سهيلة » هناك ، ولو رأيتني لتحتم عليّ أن أذهب للبقاء معها .

— أندخل السينما ؟

— إن السينما ما زالت مضيئة .

— ادخلي أنت ثم ألحق بك بعد فترة عند ما يطفأ

النور ويبدأ الفيلم .

— أخشى أن تأتي « سهيلة » إلى السينما .

ومضت برهة بدا عليها الاستغراق في التفكير . . ثم

رفعت رأسها فجأة ، كأنما مر بذهنها خاطر وجدت فيه

الخلاص من المأزق ، وهتفت :

— اسمع يا على . . لدى اقتراح فيه بعض المغامرة . .

ولكن ليس أمامنا غيره .

— ما هو ؟

— إن العربة المرسيدس الصغيرة موجودة في الحديقة

ولدى مفتاحها فقد تركه لي السائق قبل أن يذهب ، مارأيك

في أن نأخذها ونتنزه بها في طريق أبي قير ؟

و«وجي» «على» بفكرتها وأحس بخطورة العرض
ومتعته في وقت واحد .

أية فرصة عجيبة تلك التي يمنحها له القدر ! يخرج وإياها
في عربة وحيدتين ليتنزها في طريق خال ؟ ! ولكن ألايحتمل
أن يراها أحد ؟ ألايحتمل . . ؟

ولكن ما هذا السخف ، أتغامر هي بعرض هذه الفكرة
ثم يحاول هو مناقشتها والخوف منها . . ليخرج معها . .
وليحدث ما يحدث .

ولكنه لايعرف السواقة ، وقد تكون هي معتمدة
عليه في سواقتها . . ولم يجد بداً من سؤالها :
— أتجيدين سواقتها ؟
وضحكت قائلة :

— لا تخش شيئاً . . سأمشي بها على الرصيف .

— لم أكن أعرف أنك تسوقين .

— لقد تعلمت في العام الماضي . . وسبق لي أن سقتها

كثيراً . . لا تخف . . إذا متنا فسنموت سوياً . سأسبقك
لإخراجها وأرجو أن تنتظرنى قرب الباب الخارجى . .
على ناصية الشارع المؤدى إلى البحر .

وخرجت «أنجي» . . وتبعها «على» بعد برهة قصيرة .

ووقف ينتظر على ناصية الفندق ولم يطل به الانتظار حتى

لحجها مقبلة في عربة سوداء ووقفت بجواره حتى ركب ثم انطلقت العربة .

ومضت فترة قبل أن ينطق أحدهما بكلمة .. كان كلاهما يحس برهبة المغامرة ، وكانت « أنجي » تحقق أمامها من خلال الزجاج وقد أمسكت عجلة القيادة وبدأ عليها شرود شديد . . إنها لا تعرف كيف أقدمت على هذا العمل ، لقد تصرف في الخمس دقائق الماضية بجرأة إنسان آخر . . لم تكن هي المتصرف في إرادتها ، بل كان إنساناً في باطنها عنيداً مصراً ، متلهفاً مشتاقاً .. عقد النية على أن يأخذ حقه بعد طول حرمان ، وألا يريق قطرات الماء التي حصل عليها بعد طول ظمأ . ورويداً ورويداً بدأ توتر الرهبة يزول ، ولم تكمد العربة تنحني من طريق فكتوريا إلى أبي قير ويبدو الطريق ممتداً في المزارع بين صفى النخيل ، حتى أحس كلاهما بنوع من الراحة واسترخاء الأعصاب ، وزال الخوف من أعين المارة المتطلعة والخشية من احتمال أن تكون بينهما عين هاتكة أو شفة واشية ، وبدأ الطريق خالياً ساكناً ، ليس به من السابلة إلا فلاح عائد بدايته أو عربة مارقة لا يلوى صاحبها على شيء .

وهدأت « أنجي » من سرعتها التي دفعها إليها إحساسها

بأنها مغامرة هاربة ، أو أنها سارقة يتبعها المطاردون ، وأنه بين آونة وأخرى سيوقفها جندي ليطلب منها العودة بالعربة ويأخذ منها « على » .

وضحك « أنجي » .. ضحكة أخرجت بها كل رهبتها وإجهادها وتوترها .. ونظر « على » إلى جانب وجهها الضاحك .. ثم ضحك هو الآخر واستمر الاثنان فترة في ضحكهما الصياني ، تماماً كما يضحك صبيان خطفا كرة وظلا يعدوان بها وهما فزعان مرتاعان مهوران الأنفاس حتى اختفيا عن الأعين وأحسا بالأمان فوقفا يضحكان ويمعنان في الضحك . وأطلقت « أنجي » تنهيدة طويلة أراحت بها صدرها من عاصفة الضحك وقالت وكأنها ترقد مستريحة بعد طول عدو :
— أخيراً .

ولم يجب « على » فقد كان منهمكا في مراقبة أنفها وفحص زاوية التقائه بشفتها العليا .. كأنما قد طلب منه أن يقيسه قياساً هندسياً ليصنع مثله .
وأردفت « أنجي » تقول :

— نحن مجنونان .. لم يكن يخطر ببالى قط أنى أجسر على مثل هذه الفعلة ا

— ولم يخطر ببالى قط أنى أستطيع أن أجلس هكذا

بجوارك وحيدين في مثل هذا الطريق الساحر . . دون أن
أجن من السعادة .. إن هذا قد فاق أقصى ما حاولت صنعه
في أوهامي . . عند ما أتذكر الآن أحلام صبای ... أجزم
أنه ليس هناك في هذه الدنيا مستحيل .

— ليس هناك مستحيل أمام الرغبة والإيمان والجلد .
— بل ليس هناك مستحيل أمام القدر والحظ . .
كثيرون لديهم الرغبة والإيمان . . ولكنهم يقضون عمرهم
في جلد مستمر وصبر متواصل .. لا يبالون بعده شيئاً . .
إن الإنسان قد يملك كل مركبات النجاح . ولكنه مع ذلك
قد يضيع حياته وهو منه قاب قوسين ، وبينه وبين الحصول
على ما يريد شعرة هي شعرة الحظ . . وقد يقضى وشعرة
الحظ ما زالت حائلة بينه وبين قضاء حاجته . . إنما في حياتنا
هذه نتمنى . . ثم نعمل على أن ندرك الأمنية . . ولا نملك
بعد ذلك إلا أن نسأل الله .. وننتظر هبته ، ولشدهما أحسن
الآن برغبتي في حمد الله ، على ما منحني إياه .

وأجاب « أنجي ، وعيناها محذقتان في نهاية الطريق
حيث ملتقى صف النخيل :

— وإني لأكثر رغبة في حمده وشكره ، ليته يديم
كرمه ، ويحقق كل آمالنا .

رغبت موجبات



العربة سائرة في طريق النخيل ، وكانت
استمرت الظلمة قد بدأت تخيم والشفق الأحمر يتوارى
مخلفاً بقايا داكنة .. أشبه بالرماد .

وخيمت فترة صمت على العاشقين وكانت العربة قد
جاوزت المنعطف المؤدى إلى محطة سيدى بشر واستمرت
في طريقها إلى أبى قير حتى بلغت تقاطع الطريق الآتى من
المنتزه ، ونظرت « أنجى » إلى ساعتيها قائلة :

— لقد وصلنا سريعاً .. مازالت الساعة السابعة وخمس
دقائق .. أتحب أن نعود من طريق المنتزه ؟

وأزعجت فكرة العودة « علياً » إذ لم يكن قد مضى على
انطلاقهما بالعربة أكثر من عشر دقائق ضاع نصفها فى
الرغبة الأولى والخوف من أعين الناس .

وأجاب على نظراتها المتسائلة وقد تمهلت بالعربة كأنما
تهم بالدوران :

— ألا نتوقف قليلاً ؟

— هنا ؟

— ولم لا ؟

— إن الظلمة قد أوشكت على السقوط ، والانتظار

في مثل هذا المكان الخالي غير مأمون العواقب .

— من أية ناحية ؟

— إنى أخاف ليل المزارع ، والطريق مظلم ، والمكان

مهجور .

— أتخافين على نفسك وأنا معك ؟

— إنى أخاف على نفسي ، وعليك أكثر من نفسي .

— إذا لنقف برهة حتى يدلم الليل ، إننا لم نتحدث

بعد ، ووحشتى إليك أشد من أن تطفئها هذه الهنيمات

الخاطفة .

ووقفت العربية ، وبدأت على « أنجى » مظاهر القلق

والتفكير ولكنها ما لبثت أن التفت إليه قائلة :

— إسمع يا على . . إن لدى فكرة أفضل كثيراً من

هذه الوقفة على قارعة الطريق .

— ماهى ؟

— أن نذهب إلى كابينا في المعمورة .

— وأين هى هذه المعمورة ؟

— فى الطريق إلى أبى قير . . إنها لا تبعد عن هنا أكثر

من خمس دقائق ، والكابينة تقع على ربوة عالية مطلة على

البحر . . مارأيك ؟

— أهذه مسألة تحتاج إلى رأى ومشاورة ؟ ! كان يجب أن تتجهى إليها مباشرة . . لماذا لم تفكرى فيها من أول الأمر ؟

— خشيت التأخير ووجود الحارس ، ولكنى تذكرت الآن أنه يبيت ليلة الجمعة فى بيته وأن لدى مفتاحاً آخر للكابينة مع مفتاح العربية ، وأظننا لو مكثنا هناك نصف ساعة مضافاً إليها ربع ساعة مسافة الطريق لاستطعنا العودة قبل الثامنة . . هيا بنا .

وأدارت العربية وانطلقت فى طريقها إلى المعمورة ، ولم يطل بهما السير فى الطريق الرئيسى بين المزارع حتى دلغا يساراً فى طريق فرعى قامت عليه بضعة بيوت حرام جمالونية السقف ومالبتا حتى انحرفا مرة أخرى إلى اليسار فى درب رملى يصعد بين الرنى العالية التى تحجب البحر عن الطريق والتى قامت فوق إحداها كابينة مستطيلة مبنية بالحجارة البيضاء ذات سقف خشبى مائل .

ووقفت العربية بجوار الكابينة وهبط منها الصاحبان ، ووقفابرهة يرقبان البحر وقد انبسط أسفل الربوة على امتداد البصر بزرقته الداكنة فى ضوء الأصيل الباهت الخليط بين

ذيول النهار وطلائع الليل ، واماواجه المتواترة على الشاطئ ،
المنبسطة بعد طول اصطناع ، الهادئة بعد طول هياج ،
المنحسرة عن بقايا الزبد وحشائش البحر .

وانجحت أنجى إلى شرفة الكابينة قائلة :

— هيا نخرج مقعدين من الداخل لنجلس في
الشرفة .

ومأ « على » صدره بنسيم البحر وأحس بنشوة عجيبة
تدفق في جوانحه وهتف بأنجى ضاحكاً :

— نجلس ! ! . . . أجلس أحد في هذا المراح الطلق . .
قولى نعدو . . . ننطلق . . . نطير . . . نسبح .

وتوقفت « أنجى » ونظرت إليه وهزت رأسها باسمه
وأجابت :

— ننطلق ، ونطير ؟ . . . بسيطة . . . انتظر لحظة . .
حتى أبحث لك عن أجنحة في الداخل .

ودفعت باب الكابينة ودلفت إلى الداخل وانبعث
صوتها بصيح ضاحكاً :

— لا يوجد هنا أجنحة . . . توجد مايوهات فقط .

وصاح « على » من الخارج مجيئاً :

— إذا نسبح .

وأطلقت « أنجى » برأسها من الباب وتساءلت باسمته :

— أتتكلم جاداً ؟ أتريد حقاً أن نسبح ؟

— أى والله ، ولم لا ؟ !

وأحس بنشوة شديدة وهو يتخيّل نفسه وإياها
فى هذا الليل الساجى ، والفراغ الهائل ، ينطلقان فوق الرمال
وينغمران بين الأمواج ، ولكنه ما لبث أن أردف قائلاً
فى شيء من الخذلان :

— ولكن ليس لدى مايوه !

— لا يهم . . يمكنك أن تستعمل أحد مايوهات علام .

وصمتت برهة وبدأ عليها التردد وهى تردف قائلة :

— ولكن أخشى أن تتأخر ؟

— لن تتأخر إذا أسرعت بارتداء مايوهك ولم تضيعي

الوقت .

— سأخرج إليك حالا .

وأغلقت الباب ، وأخذت فى إبدال ثيابها .

ما هذا الجنون الذى توشك أن تفعله . . بل أى شيطان
دفعها إلى المغامرة بالحضور إلى هنا فى هذا الوقت ؟ وماذا

يمكن أن يقول أبوها أو أخوها . . أو أى إنسان عاقل ،
لو اكتشف ما فعلت وماتو شك أن تفعل ؟! بل ماذا يقول
«على» نفسه وهو يراها تخرج إليه مجردة من ثيابها لتعدو معه
فى الليل على الرمال وتسبح معه بين الأمواج ؟! لا . . لا .
يجب أن تكون أعقل من ذلك ، يجب ألا تندفع بمثل هذا
الاستسلام مع رغباتها الحمقاء . . يجب أن تمسك بأهداب
الحياء والروية . . فتلك هى طبيعتها الأصلية ، وخلقتها
الطبيعى القويم . . كفى ما فعلته من الحق بالحضور بالعربة
إلى هنا ، ولا ضرورة للاندفاع فى الحق حتى النهاية . أجل .
أجل . . يجب أن تتوقف عن هذا الجنون .

ومع ذلك فقد استمرت فى إبدال ثيابها ، ووقفت
ترقب نفسها فى المرأة وقد شد المايوه الصوفى الأزرق
جسدها الذى لوحتته الشمس ، وأظهر استدارة ساقها
واعتدال قدها واتساق أعضائها ، وتوقف تأنيدها لنفسها .
أمام ذلك الإحساس بالرضا عن جمالها والثقة بنفسها ،
وطغت رغبتها فى الاستحواذ على إعجاب «على» على كل
رغبة أخرى .

وانطلق ذهنها يبرر كل ماسمته لنفسها جنوناً وحمقاً . .
أى عيب فى أن يراها بالمايوه ويسبح معها !! ألم تسبح من

قبل مع أخيها وأصدقائه السخفاء التافهين ؟! .. أليس هو
أقرب إليها منهم جميعاً ؟!

وأى عبث هناك فى أن تختلس من الزمن برهة متعة ،
تروى نفسها من طول الحرمان وتزود منها لفرقة محتملة .
لا .. لا .. لا . يجب ألا تفسد متعتها المخطوفة المختلسة ..

بهذه الوسوس والمخاوف واللوم والتأنيب .

ليس فى فعلها إثماً ولا جرماً .. لقد عزم كلاهما على
أن يكون للآخر .. وصمما على تخطى كل عقبة وإزالة كل
سد .. فليس هناك ما يمنع إذاً من أن يهنا بلىقاء جميل ..
ويمتعا بلحظات مريحة سعيدة .

وكان « على » يجلس فى الخارج على حافة الشرفة . وقد
أخذ ينقل البصر بين النجمة الوحيدة وقوس القمر اللذين
سبقا بقية النجوم إلى أديم السماء الرمادى الذى لم تنسلخ
عنه حواشى النهار ، ولم تطبق عليه جمحافل الليل فتبرز
بقية نجومه المتناثرة كحبات الرمل .

وطاف بذهن « على » نفس ما طاف بذهن « أنجى » ..
من إحساس بالحق والجنون .. واللوم على ما فعل
وما يوشك أن يفعل .. والحنجىل من أن يراها مجردة إلا من

المايوه وهو الذى كان لا يحسر على أن يوجهه بصره إلى
ذراعها أو ساقها .

وانتهت موجة التأنيب لتعقبها موجة تبرير .

أى خرج عليه فى أن يتعم بلباقها بعد هذه الغيبة
الطويلة ؟ وأى خرج فى أن ينطلقا فى هذا المراح الهائل
بين الماء والسماء ؟ أى خرج فى أن يراها بالمايوه وهو
يشعر أنها قد أضحت ملكه وحده لا شريك له فيها ؟

وفتح باب السكينة وبدأ هيكلها فى الضوء الباهت مشوقاً
رائعاً ، وارتسمت على ثغرها ابتسامتها المشرقة يعلوها كثير
من حياء .. وما لبثت أن اندفعت تعدو منحدره على الربوة
تجاه البحر وهى تصيح :

— سانتظرك على الشاطئ .. لا تتأخر .

ووثب هو إلى الداخل وهو يجيبها :

— سألق بك حالا .

وبعد دقائق كان ينطلق فى إثرها وقد ارتدى « مايوه »
من الصوف وجده ملقى على أحد المقاعد .. ولم يكذب يصل
إليها حتى اندفع الإثنان فى جنون إلى البحر وقد أمسك كل
منهما بيد الآخر وهما يقهقهان فى نشوة .

وانغمرا فى الماء وصاحت « أنجى » فرحة :

— إن الماء لن يذ ذائقه . . لقد كنت أنشئ أن يكون
بارداً . . هذه هي المرة الأولى التي أصبح فيها ليلاً .

— احذري الموجة .

وقفزت « أنجي » إلى أعلا قائلة :

— سأركبها قبل أن تركبني .

— هيا بنا نسبح قليلاً إلى الداخل .

— لست أريد أن يتل شعري .

— إذا سأسبح أنا .

— لا . لا . لا . لا تباعد عني . . دعني أمسك بذراعك
إني أخاف لون المياه الداكن ، ويخيّل إلى أن به حيوانات
مخيفة ستعضني .

ومدت يدها فتعلقت بذراعه ، وسرى بينهما ما يشبه
التيار الكهربائي أصاب كل منهما برجفة ، وأقبلت عليهما
موجة لطمتهما بشدة ، وصرخت « أنجي » ، وهي تزداد تعلقاً
به ، وأحس « على » بجسدها يلتصق بجسده في المياه الصاخبة
والزبد المتطاير ، ومس وجهها صدره ومس أنفه شعرها ،
وانحسرت الموجة فعاد جسداهما إلى التباعد وإن استمرت
أصابهما متشابكة متعانقة .

وسألت « أنجي » ضاحكة :

— أيرضيك هذا الجنون ؟

— جداً ، نحن مجانين ، والبحر مجنون ، وكل ما حولنا
جنون في جنون .

وأقبلت موجة أخرى أعلى من الأولى وأشد عنفاً .
وقبل أن يتنبا إليها لطمتها الطمة ألقت بهما على الشاطئ .
وانحسرت الموجة وخلفتها على الرمال وقد علاهما الزبد
وعلقت بهما الحشائش .

ورقد « على » بجوار « أنجى » ، وقد انبطح على وجهه
يعبث بسبابته في الرمال ، واستلقت هي على ظهرها محدة في
النجوم المتناثرة ، وقد فككت جدائلها وتهدلت على الرمال
وبدت قطرات الماء تلمع على وجهها الدقيق التقاطيع وأخذ
صدرها يعلو ويهبط في هدوء رتيب .

وقالت « أنجى » فيما يشبه الهمس :

— عجيبة هذه الدنيا .. وعجيب ذلك التناقض في الصور
التي نراها بها في كل ساعة ، بل في كل لحظة ، وأعجب من
هذا وذاك ، ذلك العجز الذي يصيبنا فيجعلنا لانرى ما بها
من جمال إلا بعين أخرى تشارك عيوننا ، وإحساس آخر
يعاون إحساسنا . . هذه السماء الجميلة ، وهذا البحر الرائع
بل كل مظاهر الطبيعة الأخرى . . لم يعد لي إحساس بما فيها

من جمال إلا عن طريقك .. ليست لها قيمة إلا وهي مقرونة
بك .. أو بذكراك .

وانتقلت أصابع « على » من العبث في الرمال إلى العبث
بجدائلها .. وأخذ يلف طرفها على سبابته ، ثم يتخلل شعيراتها
بأصابعه وقرب منها أنفه يشمها في شوق وحنين وهمس مجيئاً :
أنا أيضاً لم أعد أبصر الدنيا إلا من خلالك ..
من خلال صورتك في ذهني ، وهمساتك في أذني ، ومن
رسائلك أمام عيني ، لو قلت لك ما فعلته بي رسالتك لما
صدقتني ، لقد حببت إليّ ما كنت أراه ثقيلاً بغيضاً ، وجعلتني
أجلس على حوض السقية وكأنني على غدير في الفردوس ،
وأسمع في صهيل الخيل أعذب الموسيقى وأجمل الأنغام .
كان يجب عليّ أن أكتب إليك قبل هذا . كان يجب
على كليتنا ألا نقبع ننتظر منح الأقدار وكرم الصدف ،
ما دمنّا قد عزمنا على ألا نفترق فيجب علينا أن نقاوم كل
وسائل الفرقة .

لن نفرقنا بعد الآن شيء .

وسرى أنفه من جدائلها إلى سوافها ومست شفتاه ،
على غير قصد ، أذنها ، فأصابتها من المسمة رجفة سرت في
أوصالها ومدت يدها تتحسس رأسه ، وأخذت أصابعها

تجسث في شعره ثم مالت برأسها ناحيته ، فمست شفثاها كنفه
ثم تسللتا إلى عنقه وظلتا تتحركان بهبطاء إلى أعلى حتى وصلتا
إلى ذقنه ، ومست أنفها شفثيه .

ومضت فترة وشفثاه على أنفها ، يحركهما على طاقتيه
الضففتين وعلى أرنبتة الرفيعة في أناة ورفق ، هذا الأنف
الذي طالما رمتقه في وجد واشتياق وتمنى لو استطاع أن
يمسه بطرف أنامله قد بات طوع شفثيه .

وأحس بالأنف ينساب إلى أعلى وبشفثيه تنزلقان إلى
أسفل ثم تستقران على موضع أكثر انطباقاً وأفضل ملازمة
وأشد حرارة .

وساد سكون ورا ن صمت ، والشفاه مطبقة ، والآنفاس
متوقفة . وكأن الكون كله قد كتم أنفاسه ووقف يرقب
وينتظر نغشية أن تبدو منه حركة تزعج الشفاه الملتصقة .

ورويداً رويداً زاد ضغط الشفاه المتماسية وانفجرت
حتى تماست الأسنان ، وامتد ذراعاً أنجى ليطوقا الصدر
العريض ويضما الرأس المبتل المنحني على رأسها .

وافترقت الشفاه بعد لقاء حار طويل ، وبدأت الآنفاس
متلاحقة والصدور صاعدة هابطة كأن أصحابها في سباق .
وفتحت « أنجى » عينيها ورمقها « على » هامساً :

— أنجى !

— على !

— أتحييني ؟

— ...

— قولى يا أنجى .. أتحييني ؟

— سل عينيّ ، ألا تجد منهما جواباً ؟ ألا ترى
فيهما شيئاً ؟

— بل أرى كل شيء .. ولكن وددت لو سمعت من
شفتيك .

— أحبك .. أحبك بكل نفس يتردد في جواني ..
وكل عرق ينبض في قلبي .. أحبك بأكثر مما تعنيه كلمة
أحبك .. أحبك .. أحبك .. ولو استطعت لما نطقت في
حياتي بكلمة سواها .. أحبك .. أحب ..

وقطعت الكلمة شفتاه المنطبتان على شفتيها ، الهامستين
في إطباقهما بالكلمة الذائبة « أحبك .. أحبك » .
وافترقت الشفاه ثانية تستجديان من أصحابها فترة راحة ،
ونظرت « أنجى » إلى القمر المطل والنجوم الرانية وهتفت :

— لقد تأخرنا يا على لا بد أن نعود الآن .

— مازال الوقت مبكراً .

— بل سرقنا الوقت . هيا بنا ، إني أحس برجفة
برد .

ونَهَضت « أنجى » وانطلقت تهدو صاعدة الربوة ،
و « على » فى أعقابها ، واختفت داخل الكابينة ، وقبل أن
تخلق الباب ورامها مدت يدها إليه بمنشفة قائلة :
— جفف جسدك حتى لا تبرد . . لقد بدأت
رطوبة الليل .

وتناول « على » المنشفة وأخذ يحفف بها صدره وأطرافه
ولم يطل غياب « أنجى » فى الداخل حتى بدت على الباب
وقد ربطت شعرها بإشبار حريرى دون أن تضع على
وجهها أى نوع من الأصباغ وقد أمسكت بالساعة فى يدها
وهتفت بعلى :

— تصور لقد بلغت الساعة الثامنة والنصف . هيا بنا
بسرعة ، لقد تأخرت .

ودلف « على » إلى الداخل قائلا :
— حالا . دقيقة واحدة .

وبعد بضع دقائق كانت العربة تتلمس طريقها بأضواء
المصابيح فى الظلمة الشاملة . وسرعان ما وصلت إلى الطريق
الرئيسى واندفعت تنهب الأرض فى طريقها إلى الفندق .

ونخيم الصمت خلال العودة على العاشقين . . وانطلق
ذهنهما في دوامة الأفكار المحتشدة التي كان ولا بد أن
تعقب فترة الاندفاع الجنوني التي مرت بهما بلا تفكير .

ولم يكن « على » يتصور وهو في طريقه إلى الإسكندرية
أنه يمكن في هذه الفترة القصيرة أن يقطع معها كل هذه
المرحلة الشاسعة . لم يطف بذهنه قط أنه سيحتضنها وسيقبلها
وهما بشباب البحر . . لم يكن يرجو هذا ولا يأمل فيه ولا
حتى يحلم به ، بل لم يكن يجرؤ على التفكير فيه ، ولو جرؤ
لنهي نفسه عنه وطرده شبحه عن ذهنه ، كما نطرد عن أذهاننا
أى تفكير في منكر أو خطيئة .

ومع ذلك فقد حدث على أبسط صورة وأيسر وجه ،
حدث بلا جهد ولا مقدمات . . وكأنه شيء طبيعي كان يجب
أن يحدث . وهو لا يشعر من حدوثه بخرج ولا ندم ، بل
يحس بمزيد من لطفة ومزيد من حنين وشوق .

ولم تكن هي أقل منه إحساساً ، بالنشوة والحنين ، بل
كانت تشعر بفرط تقاربهما وتوثق عرى الروابط التي
تصل أحدهما بالآخر .

ولم يفكر كلاهما في قرب الفرقة ، ولم يضق بها ، فقد
أضحى الإحساس بالتقارب أقوى من الإحساس بالفرقة ،

بل لم يعد أحد منهما يشعر أنه يمكن أن تكون
بعد ما حدث فرقة .

وافترقا قرب الفندق بعد الاتفاق على لقاء الغد ، وعاد
« علي » إلى صاحبه بميس البطارية . وعادت هي إلى الفندق
وبنفسيهما نشوة الثمالي ، وطرب السكاري .

ووصل « علي » إلى ثكنات البطارية وعبر البوابة مجيباً
على تحية جندي القره قول ، واتجه إلى كشك الميس فوجده
خالياً إلا من أحد الجنود السفرجية وسأل عن عبد العال
فعلم أنه ينتظره في النادي .

وأصلح « علي » من هندامه ، واتجه إلى النادي ، ولم
يكن يبعد عن البطارية إلا بضعة خطوات ، وعبر الحديقة
الصغيرة الكائنة أمام واجهة النادي المشرفة على البحر ،
وأحس بالرهبة وهو يجتاز الباب المفضي إلى الصالون الرحب
الذي علقت في صدره صورة كبيرة تمثل الملك في طابور
التتويج وقد امتطى حصانه وسار وراءه رجال الياوران
ورئيس هيئة أركان حرب بجيادهم . وكانت رهبة « علي »
وارتباك ناتجة عن ازدحام الصالون بخليط من كبار الضباط
ومختلف الرتب الأخرى الذين لا يعرف معظمهم ، وهم

بالانسحاب لولا أن رآه « عبد العال » وكان يجلس على
مقعد بجوار الراديو فنادى عليه :
— على .

واتجه « على » إليه وقد أحس بنوع من الظمأ نينة وهو
يرى بجواره بعض معارفه من ضباط الدفعة والضباط الآخرين
الذين حضروا في المدرسة .
وتلقاه الزملاء في ترحاب وشوق وأفسحوا له
مكاناً بجوارهم .

وجرى الحديث مختلطاً متناظراً ، أسئلة من هنا وأجوبة
من هناك ، وأسئلة بلا أجوبة ، وأجوبة بلا أسئلة ، وثرثرة
وإشاعات ، ومناقشات على غير موضوع ، أو على موضوع
ليس عليه خلاف ، وبالتالي ليس هناك وجه للمناقشة فيه ،
وأحاديث عن القشلاقات والمدافع ، وعن النوبة بتجربة .

ولم يستطع « على » أن يركز ذهنه في هذا الخلط
المشوش وجذبه أقرب صوت محبوب إلى مسامعه وهو صوت
« عبد الوهاب » يترنم في الراديو بقصيدة « أعجبت بي » ،
ولم تسكد تنتهى القصيدة ، حتى جذبه عبد العال من يده قائلاً :
— قم نتعش .

وعلى مائدة العشاء جرى الحديث في السياسة . وأخذ

« على » يتناول طعامه وهو منصت برغمه إلى المناقشات
الدائرة ، مشترك من آن لآخر بكلمة أو كلمتين حتى لا يهتمه
عبد العال ، كما اتهمه وهم جالسون أمام الراديو ، بالعشق
والسرхан .

قال عبد العال :

— إن الوزارة تلفظ آخر أنفاسها .

وأجاب اليوزباشى محفوظ أركانحرب اللواء :

— هذه نتيجة محتومة لسياسة الاستثناءات ومنظمات
القمصان الزرق التي انتشرت في أنحاء البلاد .
ورد كمال أحد ضباط المشاة :

— على أية حال لا بد للوفد من هذه الاستثناءات
لكي يسترضى أنصاره ، ولا بد له من تلك المنظمات الشعبية
حتى يؤمن نفسه ضد عصف الطغيان به وبالبلد وهو خارج
الحكم .

وأجاب عبد العال :

— هذه سياسة خاطئة . . إن كل موظف يرضيه من
أنصاره يغضب به آلافاً من غير أنصاره . . . ليس أغضب
للموظفين من هذه الاستثناءات الصارخة ، ومنظمات

القمصان الزرق ليست منظمات شعبية . إن الشعب شديد
السنخ عليها .

— على أية حال هذه الاستثناءات طبيعية لكل
الوزارات الحزبية . . وإن كانت تبدو في الوفد على نطاق
واسع فلأن نفوذه أقوى وأنصاره أكثر . . ولست أظن
هذا هو السبب في ذلك التداعي الذي تراه في الوزارة .
— ما السبب إذاً ؟

— إن الممول الذي تسبب في أول شرخ في بنيانها هو
خروج ماهر والنقراشي .

— ولكنهما خرجا بسبب هذه الاستثناءات ؟
— من يدري ؟

— ماذا تعنى بقولك « بمن يدري » ؟ ! وهو سبب
جلي واضح ؟

— إن هناك أسباباً أخرى . . هناك مناورات خفية
للإيقاع بالوفد تنسج خيوطها في القصر ، فالقصر يخشى قوة
الوفد ويخشى تضخم القمصان الزرق .

— القصر ليس له شأن بالوفد ولا بغيره . . إن الملك
فوق الجميع . . وهو بعيد عن المناورات السياسية .

— لست أقصد الملك . . بل أقصد رئيس الديوان . .
إن على ماهر ليس بالرجل السهل . . إن كل المراسيم

المرسلة من الوزارة إلى القصر معجلة . وسترى أن الوزارة
متسقط صريعة في القريب العاجل .. على يد رئيس الديوان
وسمكون هو إن شاء الله وريثها الشرعى فى الحكم .

— وكيف يحكم ؟ وإلى من يستند ؟

— يستند إلى الفريق الآخر .. الفريق المعارض ..
يؤلف منه تيمًا يساند بعضه البعض .. ويطعمه بالفريق المنشق
من الوفد .. فريق النقراشي وماهر .. أعرفت لم يخرجوا
على الوفد ؟ إنها مؤامرة ماهرية .

— كلام فارغ . أنت حسن الظن جداً بعلى ماهر .. إن
خروج أحمد ماهر والنقراشى ليس له أية صلة بعلى ماهر ..
إن الوفد يقتل نفسه بنفسه .. إن سوس الفساد ينخر فى
عظامه ، وقد بدأ يفقد سيطرته الشعبية . ألا تسمع الهتافات
فى مظاهرات الجامعة ، إنها كلها مضادة للوفد هاتفة بسقوطه ،
لقد كان الوفد قوياً كحزب مجاهد مناضل ، أما الآن فقد
فقد سلطانه على الجماهير ، بعد أن انتقل من الأرضة إلى
الأرائك وبعد أن ترك النضال لينعم بمغانمه ويتقاسم أسلابه .
وصمت عبد العال ، ثم انطلق من شفتيه السؤال الذى
كان « على » يتوقعه بين آونة وأخرى وكان يجاهد فى تركيز
ذهنه وتتبع الحديث حتى لا يؤخذ به على غرة :

— ما رأيك أنت يا « على » ؟

— رأيي أن الوفد . . ككل حاكم يفقد سلطانة الشعبي
بمجرد أن يعتلي الحكم . . إن بغض الناس أمر الطبيعي للحاكم .
وصديق قول الشاعر « ونصف الناس أعداء لمن ولى الأحكام
هذا إن عدل » هذا هو السبب الأول في زلزلة الثقة بالوفد .
فلو أن الوفد قد عدل في حكمه ، لفقد حب نصف الناس ،
وإن هو لم يعدل . . فقد أضاع الحب كله ، على أية حال
لا بد له أن يرتجى مرة أخرى على الأرضة ويدعو الناس
معه إلى الجهاد . . حتى يستعيد ما فقد .



قسم ۲ قلب ۱



«على» إلى القاهرة بعد لقاء آخر لأنجى فى الفندق
 عاتده ما بين الصالة والساحة وملعب الانزلاق والسينما،
 وكشفت اللقاء «سهيلة» وبعض صديقات «أنجى»، وأصابها
 القلق فى أول الأمر، ولكنها ما لبثت أن قذفت الأمر
 كله وراء كتفها عازمة على ألا تعبأ بأحد أو تخشى أحداً.
 وتحقق قول سليمان الذى ودع به «علياً» فى المحطة عند
 ذهابه إلى الإسكندرية، ووجد «على» نفسه قد نقل إلى
 الآلاى الأول سيارات خفيفة، كما نقل سليمان إلى الآلاى
 الأول دبابات خفيفة، وهما الآلايان الميكانيكيان الجديدان
 اللذان أنشئا فى السوارى واللذان كانا بداية تكوين جيش
 جديد غير هذا الجيش الهيكلى الذى كان لا يستعمل إلا فى
 الموالد والجنازات.

وضاق «على» بالنقل فى أول الأمر فقد أحب الخيالة،
 أحبها بخيلها واسطبلاتها وجنودها وعلائقها وسبلتها، أحبها
 بكل عظمتها الظاهرة للناس فى الطواير، وبكل قذارتها
 الخافية عن أعينهم فى الاسطبلات.. أحب عملها الكثير
 المرهق، وواجباتها التى لا تنتهى.. أحب صوت الحديد
 فى أكياس التبن وهو يهز، أو على حد تعبير السوارى

« يهرش » . . وأحب الجلد الغريق في الدين والصابون ،
وأحب السروج اللامعة ، والركابات البراقة . . أحب طرقات
المهاميز وانطلاق الخيول من الاسطبلات تعيث في
القشلاق فساداً .

ولسكنه مع ذلك لم يملك إلا الانضواء تحت آلايه
الجديد ، واستبدال الأوفر أول البنى ببنطلون الركوب
والخذاء الطويل ، والنزول أسفل العربات بالصعود على
ظهور الخيل ، والبنزين والزيت والشحم بالتبن والنخالة .
وأحس في عمله الجديد روحاً جديدة . . روحاً ناهضة
وثابة ، وتحقق ما قاله له سليمان من أن البعثة العسكرية
البريطانية تعمل جادة في التدريب والنسليح . . فقد عقدت
الفرق المختلفة للتدريب على استعمال المدافع الخفيفة وعلى
السوافة والصيانة ، وتسلم آلاى الدبابات أول فوج من
الدبابات الخفيفة التى كانت على ضآلة حجمها تشيع بين
جدران السوارى إحساساً بالفخر والقوة فى كل غدوة لها
وروحة .

وتحققت نبوءة « عبد العال » السياسية وتزلزل عرش
الوفد ، وأقيل من الحكم إقالة أحاط بها نوبة رضاء شعبي
لم يعهد لها الوفد من قبل فى حياته السياسية ، ولكن الدور
لم يكن قد حل على « على ماهر » لوراثة الحكم . . فاستمر

فى رئاسة الديوان يمسك فى الخفاء بخيوط رفيعة قلقة ،
وتولى الحكيم محمد محمود رئيس الأحرار مستنداً إلى برلمان
تعاونت فيه الأحزاب المعارضة للوفد .

وسنحت الفرصة لعلى بالسفر فى هذا الصيف مرة
أخرى ، فقد طلب الملك مشاهدة مدفع خفيف وصل أخيراً
إلى السوارى وكلف « على » بحمله إلى الإسكندرية ليعرض
على الملك فى قصر رأس التين .

وكانت المهمة ثقيلة رهيبة . . فقد كانت المرة الأولى
التي يدخل فيها أحد القصور الملكية . . وهو يرهب كل
جديد . . فما بالك إذا كان هذا الجديد قصر ملكيا !!
ومع ذلك فقد هانت مشقتها لأنها أتاحت له فرصة
السفر إلى الاسكندرية ، ولقاء « أنجى » . . ووصل إلى
الإسكندرية قبيل العصر واتجه إلى القصر رأساً ومعه
الجندي الذي يحمل المدفع .

وقاده الحرس إلى حجرة الياورنوبتجى فحياه فى ترحيب
رقيق وسأله أن ينتظر حتى يرفع الأمر للمسمع الملكية .
وبعد برهة قصيرة طلب منه أن يتبعه بالمدفع . . وسار
« على » وراء الياورنوبتجى فى ممرات طويلة وصالونات
رحبة متسعة ، ولم يحاول أن يهبط الطريق . . ولم يستطع

ذهنه أن يلتقط تفاصيل ماحوله .. فقد أصيب من فخامة
نقوشها وأبهة أثائها .. بما يشبه الدهول .

وأخيراً وصل إلى حجرة متوسطة الحجم عارية الجدران
قد خلت إلا من بضعة مقاعد وأريكة ومكتب وبعض
أسلحة وآلات ميكانيكية .. ووسط الحجرة وجد شخصاً
عاريّاً إلا من البنطلون وقد بدا جسده ضخمّاً أبيض غزير
شعر الصدر مائلاً إلى السمّنة .

وذهل « على » .. فقد كان الواقف أمامه هو
« الملك » نفسه .

ولم يكن « على » يتصوّر قط أن يراه وجهاً لوجه ..
فقد كان كل ما يتوقعه أن يسلم المدفع لأحد الأمناء أو
التشريفاتية أو أى إنسان آخر ، ويتولى هو توصيله إلى
« الملك » .. ولو أنه قد تخيل لقاء « الملك » لما خطرت له
مثل هذه الصورة العجيبة ، فقد كان لا يمكنه أن يتخيل « الملك »
إلا مشدوداً بالكسوة المزركشة ، متمنطقاً بالسيف محاطاً
بهالة من الفخامة والآبهة .. وحشداً من رجال الياوران
والأمراء والكبراء والوزراء كما تعود أن يرى موكبه في
صور الاحتفالات والاستقبالات .

أما أن يقف هكذا أمامه عاريّاً في هذه الحجرة البسيطة

المجرّدة ، فذلك ما لم يخطر له ببال .. وما لا يستطيع
تصديقه رغم رؤيته رأى العين .

ورحب به « الملك » بصوت جهورى ، وأقبل على
المدفع يفحصه فخص عارف خبير ، ثم طلب منه أن يتركه
ويتفضل ، وأمر الياور النوبتجى أن يعد له غداء إذ لم يكن
قد تناول الغداء ، وأن يعد له مكاناً للمبيت معه إذا أراد
المبيت .

وغلب رضاؤه بتلطف الملك وترحيبه به وحسن لقائه
له .. دهشته الأولى التي أثارها وقوف « الملك » عارياً بصدره
المكتنز وشعره الكثيف ، وبعثه الرضاء عليه أن يرد عمله
هذا إلى البساطة والديمقراطية بدلاً من الشذوذ .. وكانت
حصيلة مشاعره نحو « الملك » في هذا اللقاء .. هو الإعجاب
والتقدير .

وعاد « على » إلى القاهرة بعد أن اختطف لقامين مع
« أنجى » أحدهما في سينما الفندق ليلاً ، والآخر في الكابينة
نهاراً .. رشف فيهما من كؤوس الحب ما أطفأ به ظمأه ،
وأشبع نهمه .

وقص « على » على سليمان ما رآه من الملك ،
فأدهشه ما سمع ، ولم يقر في نفسه ذلك العرى الذى
ظهر به ، ولكن عين الرضى (الكليّة عن كل عيب)

أرجعته — كما أرجعه على — إلى البساطة والديمقراطية وإن كانت أقوال الرواة بعد ذلك قد أخذت تكرر من حوادثه ما أكد حقيقته وشذوذه .

كانت أولى الروايات هي ما رواه أحد زملائهم ، وكان أبوه يشغل منصباً كبيراً في وزارة المالية عن حادثة سمعها من وزير المالية وقت ذلك وهو أحمد ماهر .

روى الزميل أنه حدث في إحدى اجتماعات اللجنة المالية التي يرأسها الوزير أن دق التليفون ، ورد الوزير وتحدث برهة وقد بدت عليه أقصى مظاهر الاهتمام ، ولم يكبد ينتهي من المحادثة حتى نهض من مقعده قائلاً لأعضاء اللجنة :

— عن إذنكم يا جماعة . سأضطر إلى مغادرتكم لأن الملك قد استدعاني لمقابلته حالا .. لا بد أن المسألة خطيرة .. أرجوكم .. استمروا في الاجتماع حتى أعود إليكم .

واندفعت اللجنة تتساءل عن الأمر الخطير الذي استدعى « الملك » من أجله وزير المالية ، وأخذت التكهينات تتواتر وأجزم السكل أن الوزارة استقالت ، وأنه سيكون يتشكيها من السعديين وحدهم .

وأخذ الأعضاء يتساءلون عن مصير البرلمان ، وهل

سيعطى المستوريون ثقتهم للرئيس السعدي أم أن للسعديين
أغلبية تكفل لوزارتهم الامتقرار ، أم أن هناك بعض
عناصر أخرى مرجحة ستنضم للسعديين .

واستمرت التسكيمات حتى هلّ وزير المالية وقد علت
ثغره ابتسامة مرحة .

وتساءل الأعضاء :

— خبيراً

— لا شيء . . . مسألة بسيطة .

وسأل أحد الأعضاء :

— استقالت الوزارة ؟

— استقالت . . . له ؟

— ظننا من هذا الطلب المفاجيء أنك قد استدعيت

لتشكيل وزارة جديدة .

وقفقه وزير المالية وأجاب :

— لا . . لا . . المسألة أبسط من هذا كثيراً .

— ماذا حدث إذآ ؟

— لقد ذهبت إلى القصر ، وفي لحظة وصولي مثلت

أمام الملك ، فوجدته واقفاً في أحد صالات القصر لا يرتدى

سوى البنطلون وقد بدا هائجاً ثائراً . . ولم يكذب يراني حتى

اندفع ينزع الأبسطة المفروشة في الأرض ويمزقها شرمزق صائحاً : « أهذه السجاجيد الممزقة البالية يصح أن تكون بالقصر الملوكى ؟ لقد أحضرتك حتى ترى بعينيك ، وحتى لا تعود بعد ذلك إلى تخفيض اعتمادات القصر .. أنظر بنفسك ، أأست وزيراً للبالية ؟ » .. ولم أملك سوى الأسف والاعتذار والانسحاب .

وأكد لعلى وسليمان هذا الاندفاع والحق الرواية الأخرى التى كانت تتناقلها الألسن عن « الملك » عندما ربط محطة سكة حديد القبة فى إحدى العربات ثم ساق العربى ونزعهما من مكانها . ومع ذلك فلم تززع هذه الروايات من مكانة « الملك » فى نفسيهما .. كانا يريان فيها — إذا صدقت — نوعاً من اندفاع الشباب وقوته .

وانقضى الصيف ، وعادت « أنجى » من الأسكندرية . وأقبل الشتاء ولم يعدما اللقاء بين حين وآخر بفضل إصرارهما عليه ومخامرتهما به .

وانهمك على وسليمان مع آلاياتهما خلال الشتاء فى الاستعداد للتدريب المشترك ، وانتهى تدريب الجماعة والبلوك والأورطة فى الأراضى الواقعة حول طريق السويس .. وأجريت عدة مشروعات تسكتيكية على تخته الرمل بواسطة

البكباشى الإنجليزى مستشار البعثة ، وكان الرجل بادى
الإخلاص والاجتهاد .

وفى فبراير بدأ التدريب المشترك فى وادى النطرون ،
وتحركات الدبابات والسيارات إلى المعسكر الذى أعد لها
قرب استراحة شل ، وانتهت المناورة وعاد « على » بعرباته
مرة أخرى إلى كوبرى القبة ، وما لبث قليلا حتى تحرك
بيلوكه فى رحلة استكشافية فى الصحراء الغربية ، مصطحباً
إحدى بلوكات الجيش البريطانى ليختبر مدى قدرة العربات
الخفيفة والمدرعة على السير فى صحارى مصر .

وحل صيف ١٩٣٨ وتخرج حسين من مدرسة البوليس
وعين فى الإسكندرية ، واستطاع « على » الحصول على أول
أجازة له وكانت « أنجى » قد رحلت إلى الإسكندرية فرحل
« على » ليقضى أجازته هناك ، ونزل مع أخيه فى حجرة فى
أحد البنسيونات .

واستمتع على وأنجى فى ذلك الصيف بأسعد أيام حياتهما
إذ لم يكن يمضى يوم دون أن يلتقيا فيه ، إما صباحاً فى جوف
البحر على متن الأمواج وعلى سطح الصخور ، وإما ليلاً فى
سان استفانو حيث استطاع أخوه بقدرته كضابط بوليس
أن يحضر له بطاقة دائمة للدخول ، وبطاقة أخرى لركوب
ترام الرمل

وانقضى الصيف حاملا معه أطيب ذكريات الحياة . .
وأجمل أيامها . . وأقبل شتاء جديد .

وزادت رغبة اللقاء بين « أنجي » و « علي » بعد أن عودتهما
الصيف على اللقاء اليومي ، وجعلت كليهما يحس بضيق اليوم
الذي لا يلتقيان فيه من عمرهما سدى . . وبدأ التحايل على
اللقاء والمغامرة به يشغل كل تفكيرهما ويحتل كل وقتهما ،
واتخذوا من دور السينما والكازينوهات الخلوية في المعادى
والهرم ومصر الجديدة أمكنة للاقائهما المختلس .

وأحس « سليمان » بفرط انشغال « علي » وخشى أن
يبدو منه ما يشعر الرؤساء بالتقصير ، وأن تسوء سمعته التي
أجهد نفسه خلال العامين الماضيين في بنائها . وفي ليلة من
ليالي الشتاء جلسا في صالون الميس أمام المدفأة عقب انتهاء
« علي » من حديث تليفوني طويل وكان يبدو عليه الشرود
وهو يحملق في المدفأة ، فسأله سليمان قائلاً :

— ماذا بك يا علي ؟

وعاد « علي » من شروده قائلاً :

— لا شيء .

— مع من كنت تتكلم ؟

— مع أنجي .

— يجب أن تخفف علاقتك بها . . إنها تشغل كل

وقتك . . ولست أدري ما نهاية كل ذلك . . ليس هناك
علاقة يمكن اختفاؤها إلى الأبد . . فإذا تتوقع أن تكون
النتيجة ؟ هل تنوى أن تتزوجها ؟ وإذا نويت ، فهل تظن
أن ذلك في الإمكان ؟

وخيمت سحابة همّ علي وجه «علي» وأغرق في الصمت
وعاد سليمان يسأل :

— لماذا لا تجيب ؟

— وبماذا أجيب ؟! أنت نفسك تعرف أن هذه أسئلة
لا يمكن الإجابة عليها . . هذه أشياء ننخر فيها بلا تفكير في
نتيجة ولا نملك أن ننزع أنفسنا منها مهما كانت النتيجة التي
يمكن أن نصل إليها .

— لا يا علي هذه أشياء تحتاج في مقاومتها إلى إرادة قوية .

— مقاومة ماذا ؟! مقاومة حبي لها . . وحبها لي ؟! لماذا

أقاوم حق في الحياة ؟! أليس لي الحق في أن أحب وأحب .

— هذا شيء قد طال يا علي . . منذ أن كنا في المدرسة

وأنت تغرق فيه . أنا أعرف الكثيرين قد أحبوا وسلوا

وأحبوا وسلوا . . ولكني لم أر مثلك أبداً في التعلق بهذا

الحب الذي لا يمكن أن أرى له نهاية سليمة . . هل تعتقد أن

الأمير سيقبل زواجك منها ؟! أم تزال تنوى أن تتزوجها

رغم انفه ١٩ نخطفها مثلاً ١١ أم تراك تنوى أن تظل هكذا
طيلة حياتك عاشقاً لها .

— أنا نفسي لا أعرف ياسليمان . . ولقد مللت من
فرط التفكير في هذا . . وانتهى بي الأمر إلى أن أسلم نفسي
بالعجز عن الوصول إلى نتيجة وإلى الاستسلام لحبها دون
التفكير في عواقبه أو نتائجه .

— إذاً على الأقل لا تدعه يفسد عليك عملك ويسوء
سمعتك .

— ولكنى لم أقصر في أية ناحية من نواحي العمل .
— إنك تسكث من الاستئذان من طابور بعد الظهر . .
وتسكث من تبديل النوبة بتيجية .

— لم يحدث ذلك إلا مرة أو مرتين .
— وماذا تريد أن يحدث أكثر من ذلك . . أنا على
أية حال لم أسمع من أحد شكوى منك . . ولكنى أخشى
فقط أن يشتم منك التقصير ، أو الإهمال .
— إنى أحاول جهدى ألا أدع شيئاً من الخارج يفسد
علىّ عملي . . أياً كان .

ومضت فترة صمت تشاغل فيها سليمان بإدارة الراديو
وانبعثت منه أغنية الجندول وقد أخذ عبدالوهاب يردد :
« أنا من ضيّع في الأوهام عمره » .

وضحك سليمان قائلاً :

— أسمعك الفال ؟ ماذا يقول لك ؟ !

وأجاب « علي » ضاحكاً في شيء من المراحة :

— ليت الأوهام تستمر حتى آخر الحياة . ليتني حقاً

أضيع فيها عمري ، أهنأك أعذب وأجمل من أوهامنا يا سليمان ؟

وقذف « علي » بكثلة خشب في جوف المدفأة واستغرق

في التفكير برهة ، ثم رفع رأسه فجأة كمن نوى أمراً كان

يتردد في الإقدام عليه . . وقال متسائلاً :

— سليمان . . أمعك نقود ؟

وبدت الدهشة على سليمان وأجاب مردداً :

— نقود !!

— أجل .

— في حدود كم ؟

— خمسة جنيهات .

وزادت دهشة سليمان وهتف متعجباً :

— خمسة جنيهات !! ولماذا تريدها ؟ !

— أريد قرضاً سأرده لك أول الشهر .

— ولكن لماذا تريده ؟

وأطرق علي رأسه وقال في ضيق :

— أريده وكفى .

— معنى الآن ثلاثة جنينها ، وأظننى أستطيع الحصول لك
على الجنين الباقيين فى الغد من أى جهة ، ولكن لماذا تريد هذا ؟
ولم يجب « على » وبدأ مستغرقاً فى صمته . وعاد سليمان
يسأله فى لهجة رفيق :

— لماذا لا تفصح يا على ؟ منذ متى تخفى على أسرارك ؟
إنى أنصحك لأنى أخشى عليك ولأنى أحبك كأخى . .
ولكن ثقب أنى لن أتأخر فى معاونتك حتى فيما اختلف معك
فيه . . صارحنى بالأمر كله .

ورفع « على » رأسه المطرق وقال :

— أريد أن أبتاع هدية لأنجى فى عيد ميلادها بعد غد .
— هدية لعيد ميلادها بخمسة جنينها ١١ أجنون
أنت ؟ ! أتقترض من أجل هدية لها ؟ لماذا كل ذلك ؟
— لأنى يجب أن أرد هديتها .
— أى هدية تلك ؟

— لقد أهدتنى ساعة ذهبية .. ابتاعتها لى من مصر وفها
عندما رأت جلدة ساعتى قد بليت . وقد سألتنى ألا أبتاع
جلدة سواها حتى تحضر لى أخرى . ثم فوجئت بها تقدم إلى
ساعة بجلدتها . . وخشيت أن أرفضها فأجرح شعورها .
ولم أملك إلا أن أقبلها وأنا أحس بخليط من الحيرة والخرج
والفرح ، وعزمت على أن أرد لها فى أقرب فرصة . .

ولكنى كنت حائراً كيف أردّها لها .. وهى تبدو لى فى غير حاجة إلى شىء .. وكنت أخشى أن أردّها بلا مناسبة فأكون فى ردّها متصنّعاً متكلفاً وكأنى أردّ هديتها .. حتى علمت أن عيد ميلادها بعد غد ، فوجدتها خير فرصة لرد الهدية .. ما رأيك أنت ؟

وأجاب سليمان وهو يهز رأسه فى دهشة :
— معك حق .. إن هذا هو خير ما تفعل .. ولكن ماذا تنوى أن تشتري لها ؟

— لقد وجدت سلسلة ذهبية دقيقة قد علقى بها قلب ومفتاح ولا يتجاوز ثمنها الخمسة الجنيهات وهى تبدو لى مناسبة جداً .
— وأين الساعة التى أهدتها إليك ؟ لماذا لم ترنى إياها أيها الماكر ؟

— لقد أخفيتهما فى الدولاب فى صندوق أحفظ فيه بأول هدية أعطتها لى .

— أعطتك هدية أخرى قبل هذه ؟
— أعطتني وردة منذ بضعة سنوات .. ولم أرد أن أخبرك عن الساعة فقد كنت أشعر من قبولها بحرج شديد فإني لم أكن أقر أن يقبل الرجل هدية من امرأة .
وضحك سليمان وقال :

— على أية حال ما دمت قد نويت أن تردّها فلاحرج عليك منها .

وفي اليوم التالي كان « على » يهبط من قطار المعادى ويتجه إلى السكازينو المشرف على النيل . وكان الوقت قبيل المغرب والشمس قد مالت نحو الأفق وبدأت برودة الليل تطارد فاول الدفء الذى خلفته الشمس الغاربة ، وكان المكان يبدو نخالياً إلا من مربية معها طفلان تتحايل على حملهما على الانصراف معها خشية البرد . . وعاشقان قد اختليا وراء أحد أسوار الفيسكس العالية .

وبعد برهة أقبلت « أنجي » تستحث الخطى من الطريق القادم من بيت النبيلة « خديجة » إحدى أقرباء أبيها العجائز والى كانت تتعلل بزيارتها عندما تريد لقاء « على » فى المعادى ، وكانت لا تكاد تجلس عندها برهة حتى تستأذن للخروج بحجة الرغبة فى التريض تاركة العربية أمام الباب سائرة على قدميها إلى السكازينو .

وأقبل العاشقان يحيى أحدهما الآخر فى شوق ولهفة ، وكانت لهفتها لا تنقطع حتى ولو لم يمر بين اللقاء واللقاء سوى بضع دقائق ، كانا دائمى اللهفة والشوق والحنين .

وتساءلت « أنجي » وقد هبت عليها نسمة باردة من ناحية النيل :

— أليس هنا برد؟

— ظننت أننا نسكون هنا بمنأى عن الـأعين؟

— إن المكان خال تماماً ، ولست أرى أى أعين سوى

أعيننا .

— هيا بنا إذاً إلى الداخل ما دمت تفضلين ذلك .

وغادر « على » مكانه متجهاً إلى الصالون الزجاجي . .

وانتقى منضدة فى ركن نام يشرف على النيل ، وجلس أحدهما

مواجهاً للآخر وقد واجه « على » الباب وواجهت « أنجى »

صفحة النيل .

وقالت « أنجى » ضاحكة وهى تنظر من فوق كتفيه إلى

ترقق حمرة الشفق فى صفحة الماء الساكنة :

— أمامى منظر بديع .

ونظر « على » فى عينيها وأجاب :

— وأمامى منظر أبدع .

— إنى أبصر الشفق فى النيل .

— وأنا أبصر الجنة فى عينيك .

وصمت برهة وهو يرنو ببصره فى عينيها ثم أردف قائلاً :

— يبدو لى أحياناً أنى أستطيع أن أمسك الشهور

والأعوام مكتفياً من كل وسائل الحياة بالنظر فى عينيك .

— أتغنيك عنيّ عن غيرها من الـأعين؟

— إنها تغنيني عن الطعام والشراب والنوم وعن كل حاجات الحياة .

— أنا أيضاً أحس بالغنى عن كل شيء عندما أكون معك .

— وعندما لا تكونين معي ؟

— أحس بالغنى عن كل شيء إلا عن العودة إليك .

ومد « على » يده فأمسك بيدها المستندة على المنضدة وتحسس أصابعها في رفق ثم جذبها إلى فمه . . . ومس بشفتيه كفها من الداخل ، وسرت أصابعها تتحسس أنفه وعينه وشعره .

وأقبل الساقى فرفعت كفها عن وجهه وسأها على :

— ماذا تطلبين ؟

— نشرب سوياً فنجانين من الشاي .

وطلب « على » من الساقى أن يحضر شايًا . . . ولم يسكده ينصرف الساقى حتى قال على :

— لقد تحدثنا كثيراً عن عينيك . . أرجوك أن

تغمضيهما حتى نستطيع التحدث في شيء آخر .

— سأغمضهما عند حضور الشاي حتى تستطيع تناوله .

— بل اغمضيهما الآن .

— لم ؟

— قلت لك اغمضيهما .

وأغضت « أنجى » عينيها ، ومدت يده في جيبه فأخرج
السلسلة ثم شبكها حول عنقها قائلاً :
— افتح عينيك .

وفتحت « أنجى » عينيها وأخضت رأسها ناظرة إلى
السلسلة وتساءلت في دهشة :
— ما هذه ؟

— كل سنة وانت طيبة يا أنجى .
وبدت على « أنجى » أقصى آيات السعادة وهتفت به :
— أكنت تذكره ؟
— إني أذكر كل شيء عنك .

— ولكن لماذا كلفت نفسك ؟ ! كان يكفيني جداً أن
تذكره بمجرد تهنئة .

— لو استطعت أن أهب لك العالم كله لما ترددت ..
ولكني لم أملك سوى قلبي أهديه لك .
— وهذا المفتاح ؟

— حتى لا يفتحه سواك .
— سأفتحه لأضع قلبي فيه .. سيكون قلبين في قلب ..
وأقذف بالمفتاح في النيل حتى لا ينفصل القلبان .

محمد



العاشقان من تناول الشاي وتبادل المناجاة .
أنشأ ثم نهضت ، أنجى ، للانصراف يتبعها ، على ،
ولم يكاد يعبران الباب حتى مرقت من أمامهما عربة جعلت
« أنجى ، تثبت في مكانها مأخوذة فزعة ثم همست لعلی :
— لقد رأيت علام في هذه العربة . . . ولست أدري
أقد رأنا أم لا ؟ يجب أن نسرع بالافتراق .. سأحدثك في
أول فرصة .

واندفعت في عجلة متجهة إلى البيت ، وسار « على ، تجاه
المحطة وهو يحس بقلق خفي ولا سيما بعد أن رأى العربة
التي مرقت أمامهما والتي كانت تقل علام تغير اتجاهها وتدخل
في الطريق الذي سارت فيه « أنجى ، .

وعاد إلى الميس وما زال القلق يملؤ نفسه وحاول أن
يطمئن عليها تلك الليلة في التليفون ولكنه لم يفلح في الاتصال بها .
ومرت بضعة أيام دون أن تحدثه ، وزاد به الشك
واشتد القلق والضيق . وفي كل مرة يذق لها التليفون يجيبه
صوت غير صوتها . وتجاسر مرة ومسال عنها فقليل له إنها
غير موجودة .

وفي أحد أيام النوبة تجية وقد انتهى من طاوور الهاتف

وتشميع السرجخانات عاد إلى الميس يحرق ساقيه المشقلتين
بالجهد ، ويجري نفسه المرهقة بالضيق والتبرم . وكانت
ليلة جمعة والميس قد خلا إلا منه ، وجلس على أحد المقاعد
الكبيرة ماداً ساقيه في امتزخاء مطلقاً لذنه العنان .

ترى ما سبب قطيعتها خلال تلك المدة ؟ ! أوشى بها
« علام » إلى أبيها ، فثارت ثأثرته وضيق عليها الخناق ؟ ولكن
أما كانت تستطيع أن تحدثه لحظة في التليفون ؟ أقدر ضاق
الخناق حتى عن بضع كلمات تطمئنه بها ؟ أم ترى قد أصابها
علة أو وعكة ؟ ! إنه المقصر في حقها إذاً ، لماذا لا يتحدث
مرة أخرى ؟

ولكنه سبق أن تحدث ، وهو يخشى أن يسبب لها حرجاً
من فرط ما يدق التليفون ولا يجيب .

ليجرب مرة أخيرة فقد تكون الفرصة مواتية .
ونهض إلى كشك التليفون الخشبي الملاصق لجدار
حجرة المائدة في الساحة الخلفية للميس ، وجلس على المقعد
وأغلق باب الكشك ، وبید مرتجفة أدار القرص .

ودق الجرس بضع دقائق ، وتوالت مع دقائق الجرس
دقات قلبه . ثم كف الدق ، ومضت لحظة كف خلالها عن
التنفس ثم أتاه الرد خافتاً من سماعة التليفون :

— آلو .. مين يا فندم ؟

وأحس بقلبه ينبض في صخب وضجيج ، هاتفاً مصففاً ،
وأجاب متسائلاً في نبرات مرتجفة :

— أنجى ؟

— أية نمرة تريد ؟

ولم يكن لديه في صوتها ذرة شك فأجاب :

— أنا على يا أنجى .

ومع ذلك فقد رد عليه الصوت بطريقة آلية مقتضبة :
— النمرة خطأ .

وأغلقت السكة . وأحس بالدماء تتصاعد إلى وجهه .
ومضت فترة والساعة معلقة في يده وعيناه تحدقان في فراغ
الكشك الضيق المظلم في حيرة ويأس ، ثم هبطت يده ببطء
ووضعت الساعة مكانها ، وغادر الكشك بخطى بطيئة
متثاقلة عائداً إلى صالون الميس وارتقى على المقعد الكبير
وبه ما يشبه الانخيار .

ومضت أيام أخر والقطيعه مستمرة ، والذهن مشدّت ،
والأفكار والهواجس ، يلاطم بعضها البعض . هذه الهاجسة
تصرع تلك ، وتلك تصرع هذه ، والالتهامات تتواتر ،
والتبريرات والاعتذارات تلاحقها ، مفندة مفسرة ، وخلال

كل تلك الأفكار المتصارعة والهواجس المتلاطمة ، تنتابه
نوبات حنين وشوق ، تملؤه رغبة في البكاء ، لولا بقية من
تماسك وتجاذب .

وكان أكثر ما يدفع به الاتهامات عن ذهنه هو الاعتذار
بمرضها .. فقد كان المرض هو العامل الوحيد الذي يمكن أن
يمنعها من الاتصال ، رغم أن ردها على التليفون في تلك المرة
يضعف تلك الحجة ، ولكنه كان يبررها بأن التليفون ربما
كان قريباً منها في ذلك الوقت ، ولم يكن المرض قد أحل عليها
قاستطاعت الرد .. ولكن منعها من الاسترسال في الحديث
معه وجود أناس حولها .

وهكذا كان يحاول أن يدفع عنها الاتهام لينقله إلى نفسه
متهماً إياه بالتقصير في السؤال عنها .

ولكن كيف يسأل .. والاقتراب من القصر يكاد يكون
محرمًا ، والكتابة إليها مستحيلة ، والحديث في التليفون غير
ذي جدوى !

ولم يكن تفكيره يعدو هذا النطاق ، حتى أقبل عليه
سليمان في حجراته وهو يرتدي ملابسه استعداداً لطاير
بعد الظهر ، وقذف إليه بإحدى المجلات الأسبوعية
المصورة وقال له في هدوء :

— فى أخبار المجتمع ما قد يهمك قراءته .

ورفع «على» حاجييه متسائلا فى دهشة ، وهو يشد
القائش الجلودى حول وسطه :

— يهمنى أنا؟

ولم يكن شرود «على» وحرزته الذى منى بهما خلال بضعة
الأسابيع الماضية لينخفيا على سليمان .. ولم يكن يصعب عليه
أيضا أن يدرك علمتهما .. ولكنه لم يجد هناك فائدة فى التدخل
فى الأمر أو محاولة تقديم أى أنواع النصيح ، فقد كان أدرى
الناس بعدم جدواه .. وكان واثقا أن المشكلة برمتها لا يحلها
غير الزمن ، وأنها لا بد أن تأخذ دورها كاملا فى حياة
«على» .

ومع ذلك فقد خيل إليه أن ماقرأه بالمجلة يمكن أن يلقى
بعض الأضواء على ذهن «على» ، ويريه الأمر كما يجب أن
يرى لا كما يجب أن يراه .

وانتهى «على» من ارتداء ملابسه وأمسك بالمجلة ، ولم
يكذب يقلب الصفحة التى قصد سليمان أن يريه إياها حتى بدت
عليه دهشة شديدة .

كان أول ما استرعى انتباهه صورة لآنجي فى ميدان

صباق الجزيرة .. وقد بدا بجوارها شاب أنيق وسيم ، وفئة
جميلة شديدة الشبه به .

وأخذ « على » يتأمل الصورة في صمت ووجوم ، ثم أخذ
يقرأ ما كتب أسفلها .. ومرّ بعينه مروراً سريعاً على بضعة
أسطر تتحدث عن السباق .. وعن خسر وعن ربح ، وعما
لفت نظر المحرر من مختلف الوجوه حتى وصل إلى الفقرة
التي تعنيه من كل ما كتب :

« وبدا في أحد الألواح وجه يتألق .. هو وجه النبيلة
« أنجي » كريمة الأمير إسماعيل .. وكانت ترتدى ثياباً ماديّاً
مرفوع الياقة بأربعة أزوار كبيرة زرقاء .. والتساير على
بساطته آية في الأناقة .. وكان يجلس بجوارها النبيل
إبراهيم كال ابن الأمير كال الذي يشاهد دائماً في
صحبتها » .

وبذل « على » أقصى جهده لكي يكتب عاصفة المشاعر
التي أثارها الصورة ووقع الخبر في نفسه ، ودون أن ينبس
ببنت شفة أو تبدو على وجهه اختلاجة واحدة .. مد يده
معيّداً المجلة إلى سليمان وهو ينظر إلى الساعة قائلاً :

— هيا بنا .. لقد اقترب موعد الطابور .

وتحرك الصديقان في صمت ظاهر .. وصخب خفي ..

وكان سليمان يود لو فعل « على » أى شيء غير هذا الهدوء
المميت .. والصمت القاتل ، الذى كان لاشك يمزق أحشائه ..
ويحرق قلبه .

كان سليمان قد أعد عدته لكل وسائل الإقناع .. حتى
يرفع « على » من هوة أحزانه وينشله من وهدة يأسه ،
ولسكنه كان ينتظر أن يبدو على « على » الحزن ، أو الغضب
وأن يعلق على الصورة والمقال بما يظهر مشاعره .. أما أن
يأخذ الأمر بمثل هذا الهدوء والسكينة وكأنه لا يعنيه ،
فذلك ما بعث الحيرة والقلق فى نفس سليمان .

وعبرا طريق الميس ، وبدت الدبابات الخمس مهبطه
فى طريق القصر وقول ، وقد اصطف أمامها الجنود
بالأوفراولات الحمراء ، وقبل أن يفرق الاثنان ليذهب
كل منهما إلى طابوره .. تسامل سليمان :

— متى ستنتهى من طابور المدفع ؟

— فى الموعد العادى .. الرابعة والنصف .

— وإلى أين ستذهب بعد ذلك ؟

— لم أفكر بعد .

— إذا انتظرني حتى أعود .. سأقوم بطابور السواقة

حول منطقة الملاحظة ولن أتأخر عن الخامسة .

وهزّ « على » رأسه موافقاً ، ولكن سليمان عاد يؤكد :
— إياك أن تخرج قبل أن أعود . . إني أريدك
في أمر هام .

وقفز سليمان إلى الدبابة الأولى ، واستمر « على » في طريقه
إلى أرض الطابور حيث تم على فرقة المدفع ، وقاد الجنود
إلى إحدى عتابر النوم التي كان يجري فيها طابور المدفع .

وكان الآلايان الميكانيكيان قد احتلا المنطقة الفراغ
المنخفضة الكائنة بين ثكنات الخيالة والطريق العام والتي
شيدت فيها الأبنية السويسرية ذات الجدران المبنية من عروق
الخشب والطوب الأحمر والسقف الجمالون المغطى بالشمع ،
وكانت المنطقة قد قسمت إلى قسمين : أحدهما وهو الأقرب
للقرى قول احتلته الدبابات الخفيفة ، والآخر الأقرب إلى
الحديقة احتلته السيارات الخفيفة ، وقد صفت أبنية المكاتب
ناحية الطريق ووضعت العتابر في خطوط متوازية ناحية
الخيالة ، وبين المكاتب والعتابر وضعت الجراجات عمودية
عليها تتوسطها مساحات متسعة لاصطفاف الطوابير . أما
إدارة السوارى فقد انتقلت إلى فيلا مستقلة تشرف على
الطريق العام كانت تستعمل فيما مضى منزلاً لقائد السوارى ،
واستعمل بناء الإدارة القديم ليكون مقراً لرئاسة
آلاى الخيالة .

وقف «على» في أحد عنابر النوم بآلاى السيارات وأخذ يسير جيئة وذهاباً طارقاً أرضية العنبر المكوثة من البلاط المعصرانى الأبيض الكبير بحديد كعب حذائه مراقباً الجماعات المصطفة فى طول العنبر وقد وقف أمام كل جماعة أحد التعلیمجية على مشمع فرش على الأرض ووضع عليه مدفع برن .
وتعالت أصوات التعلیمجية تشرح الدرس الذى كان مقررأ شرحه فى طاوور اليوم ، وأخذ «على» يرقب بعينيه وينصت بأذنيه . . دون أن يرى أو يعى شيئاً .

كان يتحرك بين الجماعات حركة آلية . . لا يكاد يميز بين المدفع وحذاء العسكرى . . كان غريقاً فى هواجسه ووساوسه . . كان صدره يغلى وذهنسه يفور . . كان سيل الاتهامات يتدفق بلا تبرير يحد من اندفاعه أو اعتذار يوقف من تدفقه .

كان يشعر بهيكل أمانيه يوشك أن ينقض وينهار . . كانت الرجة التى اتتأبته رجة عنيفة . . مفاجئة .
أمكن أن يكون هذا هو سبب القطيعة والفرقة ؟ . .
لا مرض إذاً ولا وعكة . . بل ملل وهجر ونسيان .
وصدها فى التليفون وإنكارها له . . كان صدأ مقصوداً وإنكاراً مع سبق الأصرار .

أيمكن أن يحدث مثل هذا التبدل السريع ؟ ولم ؟
ولأى سبب ؟

وهذه الصورة الملائكية السامية التي طالما وضعها على
هام سحب أو هامه وحلق بها في سماءات أحلامه . . كيف
تهبط صاحبها لتحتل صفحات مجلة كتافها الارستقراطية
اللاتي تحتل صورهن في السباق وفي الحفلات صفحات
المجتمع والطبقة الراقية .

أيمكن أن تضحي « أنجي » . . المخلوقة السامية التي يتخيلها
ملكه وحده . . ملكا مشاعاً على صفحات المجلات
يتحدثون عن جمالها وأناقتها ويصفون لون ملابسها وطريقة
تصفيف شعرها 11

وأكثر من ذلك يتحدثون عن ذلك الذي يصاحبها . .
ويلازمها في كل الحفلات بمنتهى السهولة واليسر . . كأنما
ذلك أمر طبيعي محتوم .

لا . . لا . . إن « أنجي » لا يمكن أن تكون كهذه . .
لا بد أن في الأمر شيئاً . . لا بد أن هناك عذراً . . من
العسير عليه أن يسلم بكل هذه الظواهر . . إن ثقته فيها . .
وإيمانه بها . . الثقة المطلقة والإيمان بلا جدل ولا تفكير . .
مازالا كما هما . . يقاومان كل سيول الاتهامات . . ويسندان
هيكل الأمان ويقيانه من الانقضاض والإنهيار .

أجل .. إنها ..

« المدفع ضرب طالقتين ووقف »

وأعادته من غمرة أفسكاره .. صيحة التعليمي ..
وضجة ارتماؤه على الأرض أمام المدفع وحركاته السريعة
التي يشرح بها كيفية إصلاحه إذا ضرب طالقتين ووقف .
واستمر ذهنه حائراً بين صيحات التعليمية .. وأفسكاره
الصاخبة الشائرة .. حتى انتهى الطابور .. وعاد أدراجه إلى
الميس .

ولم يكد يستقر في حجرته حتى دفع الباب ودخل سليمان
وقد علا شعره ووجهه وثيابه طبقة من الغبار أبدته كفأر
غارق في صفيحة دقيق .

ورسم « على » على شفطيه ابتسامة باهتة وقال محاولاً
الترحيب بسليمان :

— أهلاً .. لقد عدت سريعاً .

وكان سليمان يعرف ما تحجبه تلك الابتسامة من مرارة
وانهيار وبأس وحزن .. ولم يرد أن يضيع الوقت
في مقدمات لا طائل تحتها ، فجرمقعداً بجوار « على » وجلس
على طرفه متكئاً برفقيه على ركبتيه ورفع بصره إلى وجه
« على » البادى الهدوء قائلاً له :

— إسمع يا على . . دعنا نتكلم بصراحة ولتكف عن
عدم الاكتراث والهدوء الذى تدعيه ، فأنا أعلم ما بنفسك
جيداً — لقد أريتك الصحيفة وأنا أعرف أنها ستؤلمك
وتفجعك . . وأنا لم أبلغ من الحق إلى الحد الذى أقدم على
إيلامك عامداً بلا سبب . . ولست عدواً لك حتى أتسلى
بفجيعةك . . ولكنى أردت أن أريك حقيقة ما تحاول
تجاهله . . أردت أن أبصرك بحقيقة واقعة تأبى إلا
إنكارها . هذا الحب الذى تفرق فيه لا فائدة منه ولا طائل
تحتة . . إنك مخدوع واهم . . وأنت تحب مخلوقة من صنع
أوهامك أنت . . تحاول أن تضعها فى صاحبك هذه، وشتان
بين الاثنين . . المخلوقة التى صنعتها أنت من نسج خيالك . .
المرهفة السامية المثالية الشاعرة الذائبة . . ليس بينها وبين
صاحبك الحقيقية صلة ولا شبه . . إن صاحبك هى تلك التى
رأيتها مرسومة على صفحات المجلة . . الارستقراطية المتأنقة
السطحية المشاعر التافهة التفكير . . الذى لا يشغل ذهنها غير
ارتداء ثوب وتصفيف شعر وحصان راجح ، وصديق تافه
تتأنق به ، تلك هى حقيقتها . . لا تحاول الجدل فيها . . فهل
تشابه فى شئ مع معبودة أوهامك ؟ ولو كنت تتسلى بها

كما تتسلى بك لسان الأمر . . أما أن تندفع في حبها بمثل هذا الجنون . . وتحاول أن تعلق عليها مصيرك ومستقبلك . . فهذا هو الحق بعينه . . لقد مضى عليك شهر . . وأنت أشبهه بمخبول شارد الذهن . . وأنا أحاول أن أتستر عليك وأخفي أخطائك ، ولكن إلى متى ؟

— ما هذا الذي تتستر على فيه ؟ أو أى أخطاء تقصد ؟
— ليس هذا هو موضوعنا . . أنا لا أحاول أن أمتن عليك بما فعلت . . فذلك هو واجبي نحوك . . وذلك هو ما ساستمر في فعله من أجلك ، لأنى أحبك . . وأشعر بأنك مخلوق تستحق الحب والتقدير . . وأكره أن تحطم حياتك ومستقبلك ، من أجل وهم خاطيء في مخلوقة تافهة لا تستحق حبك .

وتجههم وجهه على ، ووضحت على ملامحه دلائل الألم والمرارة التي كان يحاول كبتها ، ورفع يده وضغط على جبينه كأنما يحاول منعه من الانفجار والتحطيم .

ومضت فترة صمت حاول أن يتمالك فيها نفسه ، ثم أطلق زفرة حارة وأجاب في هدوء :

— إنى واثق من صدق مشاعرك وطيب نواياك وقد يكون في قولك الكثير من الصحة . . ومع ذلك فليس من

اليسير على قبوله . . ليس من السهل على إنسان أن يدمر بسهولة ما قضى السنين في نسجه من شفاف قلبه وخيوط أحاسيسه . . إنه شيء راسب في أعماق من العسير على انتزاعه ، شيء ملتصق بالروح وليست مجرد أوهام كما تظنها . إن في انتزاعه من القلب إدماء للقلب . . وفي فصله من الروح قتلاً للروح . . إن من السهل عليك أن تسدي النصح . . وهو بلا شك نصيح صديق سليم . . ولكن ما أشبهه بدرس سباحة يعطى من معلم على الشاطئ لغريق بين الأمواج .

— ولكن الغريق يقاوم في سبيل حياته .

— وأنا أيضاً أحاول المقاومة .

ونفض د على ، لارتداء مترته وسأله سليمان :

— إلى أين ؟

— سأذهب إلى البيت لزيارة أبي وأمي . . فقد مضى

على أسبوع لم أرهما .

— ألا تنتظر حتى نخرج سوياً ؟

— أريد أن ألحق قطار السادسة .

وغادر د على ، الميس ، وبعد فترة كان القطار ينهب به

الأرض في طريقه إلى البلدة .

أحقاً كان يريد الذهاب إلى والديه ؟ .. أهذا هو الدافع

الأصيل . . أم هناك دافع آخر خفي لا شعورى ١٩ .
أتراه مازال يأمل فى لقاءها ١٩ .

وهتف به هاتف فى باطنه . . ليته يستطيع ا
لقاء واحد ، يخلو كل ما غمض ، ويفسر له كل ما أعياه
تفسيره .

أليس من حقه عليها . . أن يسألها تبريراً لهذه القطيعة ،
وذلك التبدل والتغير ، ورداً على كل تلك التهم ١٩
ولكن كيف اللقاء ١٩

وهبط من القطار متجهاً إلى البيت متبعاً الطريق الأطول
المار بالأسوار العالية . . وانتهى طوافه بالجدران دون أن
يسمع منها سوى صفير الريح فى أطراف الشجر . . وهم
بعبور الطريق عندما أبصر بأضواء عربة تبسدد ظلمته
وتوقف فى مكانه بجوار إحدى أشجار الكافور الضخمة
وأحس بدقات قلبه تتوالى . . كأنها دقات جرس تعلن
اقتراب خطر .

ومرت به العربة متهادية واستطاع أن يبصر فيها وجه
" أنجى " وكذلك استطاع أن يميز بجوارها ذلك الوجه الذى
أبصر صورته بجوارها فى المجلة وبجواره وجه أخته " سهيلة " .
واختفت العربة فى الظلمة . . مخلفة فى نفسه مزيداً من

حنين ومزيداً من مرارة . وتابع طريقه إلى البيت مثقل
النفس بالأحزان ، مكروب الصدر بالهموم . . واجتاز
الردهة المعشوشبة أمام البيت وطرق الباب وسمع صوت
والدته من الداخل تنادى بصوتها الهادى الرقيق :
— تعالى شو فى مين يا بهية .

وسمع وقع أقدام خفيفة آتية ، ثم فتح الباب وأطل وجه
« بهية » السمع يتسامل :
— مين ؟
— أنا على .

واجتاز « على » الباب فى عاصفة من الترحيب والابتهاج
وارتكز على ركبته بجوار أمه الجالسة على حشية فى ركن
الصالة وأمامها كنكة قهوة على « منقذ » صمغير وضمته بين
ذراعيها وقبلته فى شوق .

وبحث « على » حوله فلم يجد أثراً لآبيه فتسامل :
— أين أبى ؟

— ذهب إلى الشيخ رجب . . لقد ضاق بالقعدة . . إنه
لا يطيقها أبداً . . ولولا عجزه الفعلى لما استطاع أحد أن
يجبره عليها ، لقد أصبح مشوار المحطة يرهقه . . هو الذى كان
لا يكف عن السير والعمل طيلة النهار .

— على أية حال ، ليست هناك ضرورة لأن يرهق نفسه
في أى شيء ، يجب أن يستريح .

— الراحة متعبة يا على لأمثال أليك . . لقد أخذ
على العمل . أخذ على أن يكسب رزقه بعرق جبينه .

— لقد كسب من عرق جبينه ما فيه الكفاية . وقد
أضخى واجبنا أن نرد له بعض عرق جبينه . إني ما زلت
أذكر ما قاله لى فى طفولتى ، عن ماء وجهه ، الذى أراقه
فى سبيلى وفى سبيل حسين .

— لقد أرسل حسين خطاباً اليوم . أين هو يا بهية ؟
وأقبلت بهية تحمل صندوقاً صغيراً أخرجت منه رسالة
أعطتها لعل .

وقالت الأم :

— اقرأها .

وأخذ على فى قرامتها ، ولكن الأم صاحت به :

— اقرأها بصوت عال .

وضحك على قائلاً :

— ألم تقرأها لك « بهية » ؟

وأجابت « بهية » ضاحكة :

— قرأتها عشر مرات .

وقالت الأم في إلحاح :

— أريد أن أسمعها عشرين مرة ، لشد ما أوحشني
حسين ؟ ! ترى من الذى يطعمه ، ومن الذى يغطيه ؟ ! لقد
كان دائماً يعرى نفسه ليلاً .

وضحك « على » قائلاً :

— إنه لم يعد طفلاً . لقد أضى ضابطاً محترماً .
— إنى لا أراك إلا طفلين ولن تتم فرحتى بكما إلا إذا
أتممت زواجكما .

وبدا الشروء على وجه « على » وأجاب محاولاً الابتسام :

— مازال الوقت مبكراً يا أماء . . . علام العجلة ؟ !
— أريد أن أتمتع بأولادكما قبل أن أموت .
— متعك الله بطول العمر . . . ستعيشين حتى أولاد
أولادنا .

— يكفينى أن أرى أولادكما . . . لقد أضحت بهيمة
عروساً . . . ولن أستريح حتى أحقق أمنيتى بزواجها لأحدكما .
واندفعت الدماء حارة إلى وجه بهيمة . . . وأطرقت
مستحبة برأسها .

ورفع على عينيه إلى « بهيمة » ، وقد بدت أمامه لأول
مرة فتاة مكتملة ، ناعمة القسمات ، حلوة الملامح . . . وطاف

بذهنه حبها المنطوى بين جوانحها . . . وأبصرها تتحسس
بيدها الصندوق الصغير الذى أخرجت منه رسالة أخيه .
وتذكر رسائل أخيه إليه . . المليئة بالمغامرات والعريضة ،
وتذكر ما حدثه به عن علاقته الأخيرة بإحدى وصيفات
القصر . . . وكيف تعرف بها فى المونسنيير . . ودعته إلى
الرقص ، ثم دعته إلى العشاء بعد ذلك فى نادى اليخت الملكى .
وأحس بعطف شديد على بهية . . وعلى آملها المعالقة فى
الهواء ، وبأهولة السحيفة التى تفصلها عن أميتها المنشودة .
وقالت أمه تستدعيه من شروده :

— ما رأيك يا على ؟

وأجاب « على » وهو ينظر إلى بهية فى عطف شديد :

— إن بهية أختى يا أماه .

ولم يعجب هذا القول أمه ، وتمت فى لهجة غير راضية

لها خبيثتها ومعناها :

— لعلها ليست قدر المقام ١١ .



وانگر...



الشتاء وما زالت القطيعة مخيمة سحبها على نفس

« على » ، وثلوج اليأس ، والضيق ، والخذلان

متراكمة فى فؤاده ، وأقبل صيف ١٩٣٩ حاملا معه نذر

الحرب مؤذناً بقرب اندلاع شرورها ، ولم تفصح محاولات

تشمير لين بمظلمته فى سبيل السلام المحتضر إلا فى منحه بضعة

أنفاس صناعية أجلت منيته إلى حين .

وبدت فى السوارى حركة نشاط غير عادية فى التدريب

واستكمال النسلح وإعداد العربات ، وأضحت ربح الاستعداد

للحرب تشتم فى كل نواحى النشاط فى الآلايين الميكانيكيين .

وبدأت حركات الاستكشاف والاستطلاع فى الصحراء

الغربية حيث كانت تعتبر المنطقة المعرضة للهجوم من جانب

إحدى دولتى المحور المرابطة فى ليبيا على حدود مصر الغربية .

ويبدو أن الحلفاء كانوا قد وضعوا خططهم الأولى

للدفاع عن مصر على أساس احتمال هجوم قوات المحور فى

اتجاهين : الاتجاه الأول عبر الطريق الساحلى . . طريق

مطروح الاسكندرية ، والثانى جنوباً بشرق عبر الصحراء

من ناحية سيوة إلى الواحات البحرية إلى القاهرة . . أو إلى

الفيوم ثم القاهرة .

ويبدو أيضاً أنهم قد قرروا الاستعانة بالقوات الميكانيكية المصرية استعانة عملية إيجابية في العمل ضد هذا الهجوم الأخير . . وهو الأ أكثر مشقة والأبعد احتمالاً بالنسبة لقوات المحور ، على أن تركز قوات الحلفاء ، وقد كانت في ذلك الحين قلة ضئيلة من آليات السوارى (الهوزارس) التى تحولّت إلى قوات ميكانيكية للعمل ضد أى هجوم على الطريق الشمالى .

وذهب د على ، للقيام بتلك الرحلات الاستكشافية فى صحبة مستشار البعثة وقائد الآلاى ، وقاموا باستطلاع الطريق الموصل بين الواحات البحرية والقاهرة ، ومدى قدرته على تحمل العربات . ثم قاموا باستكشاف مداخل الواحات ومخارجها ، وأرسل د على ، وحده لاستكشاف الطريق الموصل إلى سيوة والطريق المتفرع منه شمالاً إلى المغرة والمستنر شمالاً حتى يقاطع الطريق الساحلى قرب العلمين .

وشغلت تلك الرحلات الاستكشافية د على ، إلى حين ، وأسدت بعض الستر على أحزانه وأشجانه ، حتى انتهت الرحلات وعاد إلى القاهرة .

وفى أول رحيل إلى داره لم يملك إلا أن يطوف بكعبته

ويحج حج اليائس المهموم إلى ديار ليلي . . يشتم ريحها ،
ويتنسم عبيرها .

وأخذت نذر الحرب تتوالى وريحها تقترب . . وبدأ
الاستعداد لرحيل آلاى السيارات إلى الواحات البحرية
ليتخذ مواقعه خارج الواحة على الجرف المشرف على الطريق
القادم من سيوة إلى البحرية عبر النقب رقم ١٣ .
وفي ذلك الحين سافرت « أنجي » إلى الاسكندرية
وصدرت الأوامر للآلاى بالتحرك بعد أسبوع ، وأحس
« على » بخنين مفرط إليهما ، وود لو يراها مرة واحدة قبل
أن يرحل .

وسافر إلى الاسكندرية في أجازة بضعة أيام متعللاً
برغبته في زيارة أخيه .

وكانت الاسكندرية تذكره بأمتع أيامه وأجمل ذكرياته
كانت تذكره بأول لقاء لهما في المعمورة . . وكان يحس من
ريح البحر نشوة . . ومن صوت الموج متعة .

ورحب به حسين أشد الترحيب . . وأنباه بأنه سيضع له
برنامجاً من المتع سيظل يذكره طوال مدة غيبته في الواحات
البحرية .

وظل حسين يسرد له البرنامج . . ويعدد له الوجوه

الجميلة التي سيمصحبانها في السهرات والشخصيات التي سيلمقياها
من نجوم المجتمع ، و « علي » شارد الذهن غارب البال ،
حتى انتهى حسين من حديثه وسأله قائلاً :

— ها . . ما رأيك ؟

وبدا كأن سؤال حسين قد أفاقه من دھوله . .
فأجاب متسائلاً :

— رأي في ماذا ؟

— في ماذا ؟ . . في كل ما قلت لك من سهرات وفسح
ورفع « علي » بصره إلى أخيه وقال في شبه إصرار :
— اسمع يا حسين . . أنت تعرف أن سهراتك لا تمتعني . .
إن كل ما أريده هنا . . شيء واحد . . سأقوله لك صراحة .
— ما هو ؟

— أنجي .

وضحك حسين ونظر في وجه أخيه الجاد وقال في
لهجته المازحة :

— أنجي فقط . . بسيطة . . خليها على الله .

— أنا لا أضحكك يا حسين . . إني أتكلم جاداً ، لا بد
أن أراها قبل أن أرحل .

وبدا علي وجه حسين الجد وهو يقول :

- على أية حال لست أظن رؤيتها بالأمير الشاق . .
- إني أذكر أني أبصرتها منذ أسبوع خارجة من هانو .
- وصمت برهة وبدأ عليه التفكير ثم أردف قائلاً :
- وليس علينا لكي نراها ، إلا أن نرابط على باب هانو ، حتى نراها تدخل مرة أخرى .
- ألا تكف عن المزاح يا حسين ؟
- إذا دعني أفكر . . كيف نراها ؟ كيف نراها ؟
- ثم أمسك بذراعه فجأة صائحاً :
- يا لي من غبي ، نراها في البحر يا أخي ، لا شك أن لديهم كايينة في سيدي بشر نمرة ١ .
- إن كايينتهم في المعمورة .
- قد تكون لهم كايينة أخرى في سيدي بشر .
- لا أظن .
- على أية حال لست أظن رؤيتها بالأمير العسير ، إن قصر أبيها معروف في زينيا .
- ربما لم ينزلوا فيه . . كما فعلوا في العام الماضي عندما نزلوا في سان استفانو .
- إذا اذهب إليها في سان استفانو ، على أية حال ، لا تسددها دع الأمر لي .
- واستطاع حسين من معارفه المختلفة ومصادره العديدة

أن يعرف في نفس اليوم أنها تنزل في قصر أبيها في زينيا ،
وأنها تذهب في معظم الأيام إلى كايينة لهم في سيدي بشر
وأنها تذهب بعد الظهر أحياناً إلى سان استفانو .

واستطاع أن يعرف أكثر من هذا أنها غالباً ما تكون
في صحبة أخيها وأبناء الأمير كال : ابراهيم وسهيله .

واستطاع ، على ، بكثير من الجهد أن يخفي معالم الضيق
والخذلان الذي أصابه من النبأ الأخير الذي أسر له به أخوه .
وأحس بالأس يدب في قلبه ، ووجد أنه أخطأ
باستمرار تعلقه في أمل واه . . وأخطأ بحضوره إلى
الإسكندرية وبمحاولته لقائها .

ومع ذلك لم يستطع أن ينكص على عقبيه . . كان في
باطنه شيء . . مازال يشد أزره ويقيم صرح أمانيه . . هو
الثقة بها ، والإيمان بحبها ، ثقة بلا تفكير ، وإيمان بلا وعي
ولا إرادة .

ومرّت الليلة الأولى وهو يتجول عبثاً في سان استفانو ،
ومرّت بعدها الأيام وأوشكت الأجازة أن تنفذ بلا طائل ،
ولم تجد محاولات أخيه في تسليته والترفيه عنه نفعا ، فقد كان
يصحبه واجماً شارد الذهن .

كان يجلس وإياه في المونسنيرو والآكسيديور وغيرهما ،
تقرع أذنيه الموسيقى الصاخبة . . وتتوالى على ناظره

الاكتاف العارية والصدور المكشوفة والأجساد المترنحة
ثم تبخر كلها كالدخان تاركة في ذهنه صورة واحدة تلح
عليه ولا تفارق رأسه .

وفي اليوم الأخير لأجازته جلس يتناول الغداء مع أخيه
في إحدى المحلات العامة ، وقال «علي» في يأس وهو يضع
الفرطة جانباً :

— سأرحل في قطار العصر ، إنه يقوم في الثالثة .

— ولماذا هذه العجلة ؟ ! أمامك قطار المساء ، يقوم
في السادسة ويصل في التاسعة .

— لا داعي للتأخير .

— كل تأخير وفيها خيرة . . كما يقول المثل .

— إذا كانت الخيرة لم تأت في أربعة أيام ، فلن تأتى
في أربع ساعات ، وليس هناك أى موجب للتأخير .

— انتظر حتى تشاهد السباق .

— السباق ؟

— أجل . . إنه سيبدأ بعد نصف ساعة ، وهناك احتمال
كبير في رؤيتها .

وطافت بذهن «علي» صورتها التي رآها في المجلة ممسكة
بمنظارها وقد جلس بجوارها إبراهيم ، وغامت على وجهه
سحابة ضيق .

وراح حسين يؤكد قوله :

— إني واثق أننا سنراها .

وأجاب « على » كمن يحدث نفسه :

— وما الفائدة ؟

— فائدة ماذا ؟

— فائدة أن نراها معلقة في مقصورتها كأنها الفاكهة

المحرّمة .. أو محاطة بحشد من الرفاق الارستقراطيين .

— وماذا في ذلك ؟ تقدم إليها وحدها .

— لا .. لا .

— يا أخى لاتعقدها .. لنرها أولاً ثم يحملها ربنا .

وفرغا من الطعام ، واتجها إلى نادى السباق ، وأبرز

« حسين » فى البوابة بطاقة دخول لاثنين ، ودخلا وهو يقول

لأخيه ضاحكاً :

— إني أحيانا مجاناً .. لا أكاد أدفع إلا ثمن السكن ،

ولو أردت أن أبيت فى كل بيت ليلة لاستطعت ، ولكن

لا بد أن يكون لى مقر .

وكان الشوط الأول قد بدأ ، وتبع « على » أخاه إلى حيث

اندس بين جموع المشاهدين ، وسرعان ما انهمك حسين فى

مراقبة السباق ، وأخذ « على » يسترق البصريئة ويسر ،

ويتلفت خلفه محاولاً إخفاء المقصورات عليه يجدها فى إحداها .

وانتهى الشوط ، والتفت حسين إلى « على » قائلاً
في حماس وقد أمسك بيده برناج السباق :
— سألعب هذا الدور . . إني أقسم أن الجواد الأول
« هب الريح » لابد أن يكسب . . سألعب واحداً وثلاثة ،
مارأيك ؟ أأشاركني في تذكرة ؟
— لا داعي للعب يا حسين .
— سألعب بريال واحد ومأشركك فيه . انتظرني حتى
أعود .

واختفى حسين وسط الجماهير المتجهة إلى نوافذ التذاكر
ووقف « على » يرقب الزرافات الصاخبة التي احتشدت بها
ساحة السباق ومدرجاته .
ولم يكن البحث يسيراً وسط تلك الوجوه المتكاثرة ،
ومع ذلك فقد أخذ « على » يرقب في تودة وصبر ، حتى تبين
فجأة أحد دلائل وجودها ، وأمسك بخيط قد يقود إليها ،
وهو وجه أخيها علام .

كان « علام » يسير متجهاً إلى الساحة (البادوك) التي
يعرضون فيها الخيول التي توشك أن تجري ، وظل « على »
يرقبه حتى وقف أمام الساحة بين الجماهير المحتشدة ، وأذن
الشوط الثاني بالبدء وخرجت الخيول متجهة إلى ميدان

السباق ، الواحد بعد الآخر ، واستمرت عيناه ترقبان الدليل وتمسكان بالخيوط .. وتحرك «علاء» عائداً إلى المدرج ثم تمهل لحظة محيياً عجوزاً ذا طربوش أحمر طويل يبدوله أهمية في ساحة السباق . ثم صعد سلم المدرج وهبط ثانية ثم دخل في ممر واختفى .

وهكذا فقد «على» الدليل .. وأحس بضيق شديد .. وودلو استطاع أن يتجه إلى «علاء» ليسأله أين «أنجي» ، ولكنه لم يملك سوى أن يستمر مراقباً الممر الذي اختفى فيه علّه يظهر ثانية .

وقبل أن يظهر «علاء» قبل حسين مندفعاً كالصاروخ وجذبه من ذراعه قائلاً :
— أسرع .. لقد وجدتُها .

وتساءل «على» في ذهول :
— من ؟

— أنجي .. أسرع إنها تنتظرك .

واندفع «على» وراءه بلا وعى ولا إدراك .. حتى وجد نفسه يقف فجأة أمام «أنجي» وقد انتحيت ركناً هادئاً بجوار أحد أحواض الجارونيا وأخذت تتشاغل بفحص برنامج السباق وقد بدا على سيماها القلق والاضطراب . ورفعت وجهها عن البرنامج والتفت عيناها بعينيه ،

وجرت بينهما نظرة حارة ذائبة ملؤها الحنين والشوق ،
وأحس كلاهما برغبة جنونية في الاندفاع في أحضان الآخر
وتبدد من ذهن « على » كل ما كان يحترق فيه من اتهامات
واستفسارات وشكوك وريب . لقد أذابت نظراتها اللهي كل
ما نكتل في نفسه من جلا ميد اليأس والضيق ، وذرت ابتسامتها
الرفيعة الحنون كل ما رسب في قلبه من شوائب الكدر
والحزن . وفي غمضة عين لم يعد يبصر أمامه سوى « أنجي » ربة
أحلامه . . . ومنتهى أمانيه . وعادت إلى نفسه ثقتها بها ، وإيمانه
بحبها . . كأقوى ما تكون الثقة ، وأشد ما يكون الإيمان .
حدث كل هذا من نظرة سرت بين العيون ، والشفاه
لم تنبس بكلمة بعد ، ومدت « أنجي » يدها مصافحة وهي تقول
في شيء من الاضطراب :

— كيف حالك يا على ؟ ألم أكن أعلم أنك هنا ؟

— لقد أتيت منذ بضعة أيام .

ودق الجرس معلناً بدم الشوط الثاني ، وهتف حسين

وهو يتركهما عائداً إلى ساحة السباق :

— عن إذنكما . . سأنتظرك أمام المدرج يا على !

وزادت مظاهر الاضطراب على وجه « أنجي » . .

وتلفتت حولها في قلق وخشية . وأحس « على » من قلقها

قلقاً أشد ، ومن خشيتها خشية أكبر ، ومضت لحظة اضطراب

تعذر على كليهما الحديث وأخيراً قال علي :
— أود أن أحدثك كثيراً يا أنجي .

— لا أظن الفرصة سانحة الآن .

— متى تسمح الفرصة إذاً ؟ لا بد أن أحدثك وأسمع
منك . لقد أوشك اليأس أن يدك صرح أمانى ، ويدمر
حصن آمالى ، ولولا ثقة راسخة بك ، وإيمان عميق بحبك ،
لا نطفأت من نفسى كل بارقة ، وضاع كل أمل .

* — دع الثقة راسخة كما هى ، ودع الإيمان عميقاً كما هو .

— إلى متى ؟ إنى أوشك أن أجن .. ما سبب كل هذه

القطيعة والتباعد ؟

وبدا من بعيد شبح « علام » وقد أقبل مع « سهيلة » .

وزادت مظاهر الاضطراب بأنجى وهتفت فى عجل :

— لن نستطيع أن نكمل حديثنا الآن .

— ولكن لا بد أن أسمع منك شيئاً .. لقد مضى على

أربعة أيام وأنا أبحث عنك .

— إذا نلتقى غداً فى سيدى بشر .. لو أتيت إلى هناك

فسأحاول أن ألقاك فى ميامى .

— إنى لا أستطيع أن أمكث إلى غد .. لا بد أن أرحل

هذا المساء .

— ولم ؟

— لأننا سنسافر في الغد إلى الواحات البحرية ..
سيتحرك الآلاى بأكمله إلى هناك .

وبدت علامات الضيق والحزن على وجه « أنجى » ..
وأردف « على » يقول يائساً :
— إن هذه آخر فرصة أراك فيها .

— لا تقل هذا .. مترانى عندما تعود .

— وكيف أراك .. وأنت قد أبيت على " حتى الرد في
التليفون .

وهزت « أنجى » رأسها في قنوط وقالت في مرارة :
— كنت مكرهة .. لم يكن هناك من سبيل إلا أن أفعل
ما فعلت .

— ولماذا لم تحاول أن تقول لى حتى ألتس لك عذراً .
وحتى أنتزع من نفسى تلك الوسوس القاتلة ؟ لماذا لم تكتبى
إلى " وقد سبق أن كتبى من قبل ؟

— لقد حاولت الكتابة .. ولكنى طويت ما كتبت
لم يكن هناك فائدة من الكتابة .. بل ربما كان هناك ضرر .
وتلفتت أنجى حولها ثم همست به فى اضطراب وحزن :
— سأتركك الآن .

— أهكذا سريعاً ؟

— لا بد أن أعود إلى المقصورة .

وأحس « على » بالحزن يفعم نفسه وهمس بها :
— ألا تقولين شيئاً ؟

وبدا على « أنجى » أنها تقاوم نوبة بكاء وضغطت بأسنانها
على شفرتها السفلى وقالت فى يأس :

— وماذا بوسعى أن أقول ؟

— أما زال حبك كما هو ؟

وهمست « أنجى » فى صوت لا يكاد يسمع :
— وأكثر .

ثم اندفعت من مكانها تجاه المدرج ، ووقف « على » يرقبها
فى ذهول .. وهى تتباعد بسرعة حتى اختفى شبحها ثم سار
بخطى متثاقلة متجهاً إلى أخيه .

ووقف « على » بين الجموع المحتشدة المضاحكة الصاخبة ،
وأخذ يحملق فى مر السباق الأخضر الطويل الذى أقبلت
الخيول تعدو به من بعيد .. وقد تصاعدت حوله الصيحات
وتعالى الهتاف والتصفيق والتشجيع والاستحاث . وبين
هذا كله لا يترك ذهنه سوى لفظ واحد يسرى فى همس ،
يتضاءل أمامه أشد الصياح .. لفظ واحد قد تملك مشاعره
وأخذ بلبه .. ونفذ إلى مسامعه كالنغم واللحن الجميل
قائلاً : وأكثر .

وأكثر .. وأكثر .. وأكثر .. ولا شيء غير ذلك ..
حتى انتهى السباق ، وغادر « على » الإسكندرية ، عائداً إلى
القاهرة .. وبمنفسه شعور عميق بالراحة والسكينة .

لقد استطاعت نظرتها الرقيقة ، وكلماتها الحنون ، أن تمحو
في لحظة كل ما رسب في أعماقه من وساوس وريب خلال
الشهور الماضية ، وانسدل ستار كشف على الصورة المزججة
التي طالما جسدتها أوهام الفرقة والقطيعة ولم يعد في ذهنه
سوى صورة واحدة هي « أنجي » الأولى .. حبيبة الروح
السامية الرقيقة المرهفة .

لقد رفض ذهنه التفكير في سابق وساوسه .. وضرب
صفحاً عن ما كان يطالبه من تبريرات وتفسيرات
واعتذارات ، واكتفى من كل ذلك .. بالنظرة والحكمة .

وفي الصباح بدأت عربات الآلاى في التحرك بعد أن
انتهى التفتيش عليها .. وسارت تحترق طرق القاهرة وقد
شدت بالمدافع وحملت في عرباتها الذخائر . وأحس الجنود
والضباط لأول مرة أنهم يتحركون لعمل جدى ، وأنهم
سيقومون بنصيبهم في الدفاع عن مصر .

وألقى « على » نظرة على بناء حبيب إلى نفسه ، كان
يحس بقلبه يدق له كلما مر به . وتخيل « أنجي » بين جدران

تجلس بين زميلاتها على إحدى التخت أو تتريض في الفناء
أو تستريح تحت النخلة .

وغمره إحساس بحزن هادئ غير ثقيل ، حزن غير
ذلك الحزن المفعم بالوساوس ، المليء بالريب ، المشغل بالتناق .
كان حزناً لذيذاً ، إن صح أن للحزن لذة .. كان حزناً مليئاً
بالطمأنينة والثقة والإيمان ، حزناً مشبعاً ، يحمد الله أن أتاح
له فرصة لقاء في اللحظة الأخيرة ، غسل بها شوائب الكدر
والشجن ، وهياً له زاداً — على قلة محصوله — قيناً بأن
يقيم أوده في فرقته ، ومنحه ذكرى — على ضآلتها —
جديرة بأن تؤنس وحشته وتجمل غربته .

واجتازت العربات طرق القاهرة وانتهت إلى بداية طريق
الإسكندرية قرب الهرم ، ثم دلفت في طريق الفيوم وسارت
برهة انحرفت بعدها إلى المدق المؤدى إلى الواحات البحرية .
وكان الطريق طويلاً ، يبلغ الثلاثمائة وسبعين كيلومتراً ،
لم تمتد إليه يد بالدك أو الإصلاح ، وليس به من معالم
الطرق سوى آثار العربات السائرة في الرمال ، وعلامات
إرشاد حديدية دقت في الأرض يثبت عليها طول الطريق
كل خمسة كيلومترات .

وتعاون ملل الطريق والهجير والتراب .. على تقديم
رحلة ، لا يتمنى الراحل فيها إلا أن ينتهى منها . وهو يجد

نفسه منطلقاً في فراغ لا حده ولا نهاية ولا هيئة مميزة
تتكسر من حد ذلك الأفق الفارغ المنبسط ، بل رمال ،
ورمال ، تشابهه في كل بقعة .. وفي كل منطقة ، حتى المرتفعات
التي تبدو على الخريطة وكأنها جبال واضحة مميزة يمر عليها
الراجل دون أن يحس بها .

هيئة واحدة هي التي يستطيع الإنسان أن يميزها .. وهي
بحر الرمل ، الذي بدا فعلاً كأنه بحر من الرمال تعاقبت فيه
سلسلة من كثبان الرمال المسماة بالغرود كأنها أمواج
متلاطمة . وينقطع فيه أثر الطريق بين الرمال المتهايلة .

وبدأ المرور في بحر الرمال ، وتحمل العابرون من مشقة
العبور ما هان إلى جواره كل ما لا قوه من مشقة الطريق ،
وغرزت العربات في الرمال الخفيفة وكأنها تسير في الماء .
وأضحى على « على » أن يقاوم الحر والرمال المتهايلة
تحت العربات الثقيلة حتى عبر بلوكة الغرود اللعينة .

وأخيراً أشرفت العربات على منخفض الواحة . وبدأت
قراها كأنها بقع خضراء .. تتناثر حولها جبال هرمية
كأنها الأفاع المقلوبة .

واستمرت العربات سائرة في طريقها على حافة الهضبة
دون أن تهبط من النقب إلى الواحة حتى وصلت إلى المواقع
التي اختيرت لكي تحتلها القوات المدافعة .

عبر و قودت



الآلاى مواقعه على المرتفعات المشرفة على
اهتل الواحة من الناحية الشمالية الغربية . . المقاطعة
للطريق القادم من سيوة إلى النقب رقم ١٣ .

وكان الرأى قد استقر على احتلالها بعد عمليات
الاستكشاف الأولى التى قام بها قائد الآلاى ومستشار البعثة
وفى صحبتهم « على » . . إذ كانت أصلح المواقع للدفاع عن
الواحة . . وكان اتساع المنطقة وصلابة أرضها يمنحان القوات
الميكانيكية حرية المناورة والقيام بأى هجوم على القوات
المعادية المحتمل تقدمها من ناحية سيوه . . كما كانت المواقع
لا تبعد كثيراً عن قواعد تموينها التى أنشأها سلاح خدمة
الجيش داخل الواحة عند الباويطى . . وكانت خطوط
المواصلات بينهما سهلة ولا سيما بعد أن نسف المهندسون
جزءاً من الجرف المشرف على النقب ١٣ والذى كان يعوق
المرور عليه ويزيد فى انحنائه . . كما قاموا بدكه ورصفه حتى
تستطيع عربات المياه ولوريات التعيين والبترول عبوره ،
دون أن تغرز عجلاتها فى رماله المتهايلة .

ووزعت القوات بحيث وضعت الأورطة الثانية التى
تضم بلوك « على » فى المقدمة . . ووضعت الأورطة الثانية

فى الاحتياط مع رئاسة الآلاى .

واحتل « على » ببلوكة يمين الطريق ، واحتل البلوكان
الآخران يساره .. ووضعت رئاسة الأورطة فى موقع
متوسط فى الخلف .

ولم تكن طبيعة العمليات التى يتأهب لها الآلاى لتسمح
بالقيام بمعسكر ثابت فقد كان مفروضاً فيها الخفة والسرعة .
وكان على الجنود والضباط أن ينشأوا فى العراء بجوار
عرباتهم المحملة بالذخائر والأسلحة وتعينات الطوارىء ..
ولم تسمح حملة الآلاى الخفيفة بأن تحمل فى ذلك الطريق
الطويل إلا بعدد محدود جداً من الخيام .. وزع على رئاسة
الآلاى والسكرتيرين واستعمل معظمه المطابخ والميسات .
وكان نصيب البلوكات الثلاثة الأمامية خيمة طراز
استبالية وتزلك مربع صغير لا تزيد مساحته على متر فى متر
وكان على الضباط الثلاثة أن يتقاسموها سوياً .

وقنع « على » بالتزلك رغم انعدام فائده ، رغبة منه فى
الخلوة والاستقلال بنفسه ، واقتسم الضابطان الآخران
الخيمة بعد أن نصباهما فى مكان متوسط بين بلوكيهما .

واستقر « على » أخيراً فى مكانه .. وأحس لأول مرة
بنوع من السكينة النسبية بعد بضعة أيام من العمل الشاق

والجهد المتواصل في الرحيل واحتلال المواقع وتنظيم القوات
وتلقى الأوامر من الرؤساء وإعطاء التعليمات للصف ضباط
والجنود .

ورقد على فراشه السفرى الذى وضع نصفه فى التزلج
وبرز نصفه الآخر فى العراء . . ولم تكن للتزلج فى الواقع
أية فائدة عملية ، إذ كان لا يزيد على أربعة جدران من القماش
بلا سقف . . ولا يكاد يتسع إلا لواقف أو جالس . . ومع
ذلك فقد أحس به « على » نوعاً من الحجاب والستر يلمه فى
هذا الفراغ اللانهائى . . ويشعره بوحدة محبة إلى نفسه .

ورقد « على » على الفراش المشمع ذى السيقان الخشبية
الخفيفة المتقاطعة ، وقد ضم نصفه الأعلى الجدران الثلاثة
الضيقة وبدت بينها رقعة السماء داكنة تتألاً بها حبات
النجوم . . كأنها حبات الترت فى ثوب أسود . . وكانت بالجو
نوبة ركود وزممة مما تبدأ بها ليالى الصيف . . وأحس « على »
بعض الانقباض والحر بين الجدران الضيقة فأبدل وضعه
فى الفراش ووضع رأسه فى الهواء الطلق وساقيه بين التزلج
فبدت له رقعة السماء أكثر رحابة وأفسح صدرأ . . ووصل
إلى أذنيه لغط الجنود فى مواقعهم وقد جعله سكون الليل
وفراغ المكان واضحاً مسموعاً .

وانطلاق ذمته يستدعى ربة الأحلام ، ولم يكن
استدعاؤها — على بعد الشقة — بالأمر العسير .
وسرعان ما أقبأت عليه .. تؤنس وحشته .. وتشاركه
رقده العجيبة في الفلاة الموحشة .. والرمال القفرة .
وأغمض عينيه .. والطيف الجميل منه خير بعيد ، يشاركه
أحلام الغفوة .. كما شاركه أحلام اليقظة .

ومرت الأيام بعد ذلك والقوات الأمامية تقوم
بواجبها في المراقبة ، والقوات الاحتياطية تقوم بالتدريب
اليومي العادي .

وكانت ساعات النهار تمر بطيئة متأقطة ، والحرارة
خانقة ، والملل شديد والسكون شامل ، لا يقطعه إلا صوت
ذبابه تطن في الهواء الساخن أو صوت عربة يحاول سائقها
أن يدير « المارش » المستعصى .

و ذات مساء وقد تجمع الضباط للسمر في رئاسة
الآلاى والتف البعض حول جهاز الإذاعة يعمل بالبطارية
بلغ مسامعهم نبأ إعلان الحرب .

ولم يكن وقع النبأ مفاجئاً إذ كانت حالة التوتر الدولى
قد بلغت حداً جعل نشوب الحرب متوقفاً بين لحظة
وأخرى ، وكان مفهوماً أن نقل الآلاى من ثكناته

بكبرى القبة وتشريده في تلك الفلوات المقفرة لم يكن من باب
العيب أو الذمسية ، وإنما هو استعداد للشوب الحرب . ولصد
أية هجمات متوقعة على ذلك الطريق من جانب الإيطاليين .
ومع كل ذلك - ومع توقع النبأ بين آونة وأخرى -
أحس « على » بأسى عميق يفهم قلبه على فشل الإنسان في أن
يصون إنسانيته ، وعلى تردى البشر في هاوية حرب
لا يستطيع « على » أن يفهم لها سبباً سوى تطاحن المطامع
وتضارب الأهواء .

وتلقى الضباط النبأ بشيء من الوجوم مالبث أن تغلبت
عليه طبيعتهم المرححة الضاحكة ، وأنباهم قائداً لاى أن المسألة
دخلت في دور الجد ، وأن الحرب قد وقعت . وأن دورهم
فيها ليس بالهين ، فهجوم الإيطاليين محتمل بين آونة
وأخرى ولا بد لكل منهم أن يفتح عينيه جيداً .

ولكن الأيام مضت بعد ذلك دون أن تعلن إيطاليا ،
الحرب ، وبدأت الأعصاب المتوترة تهدأ وتسترخى . .
فقد كان الجميع يحسون أن موقفهم بات معلقاً بموقف إيطاليا .
وأن حالة السلام في ناحيتهم مضمونة مادامت إيطاليا تتخذ
موقف الحياد ، إذ لم يكن هناك ما يهدد حدود مصر الغربية
سوى القوات الإيطالية المرابطة في ليبيا .

ورغم تباعد شبح الحرب مؤقتاً .. وإحساسهم بنوع
من الظمآنينة .. فتمدبداً الملل يأخذ بخناقهم والسامة تطبق على
أنفاسهم .. ووقوع البلاء - كما يقول المثل - ولا انتظاره ،
وليس أسوأ من الحرب إلا المراقبة في المواقع انتظاراً لحدوثها .
وزاد من مشقة العيش .. ضعف وسائل التموين وامتداد
فترة احتلال المواقع الأمامية ، وتفرق الجنود والعربات
في الفلاة دون أن تتوفر لديهم وسائل الراحة أو الترفيه .
كانت المياه تنقل من الواحات في عربات بكميات
محدودة ، وكان الاستحمام متعذراً .. فإن وجدت مياهه
لم يوجد مكانه ، وإن وجد مكانه عصف به الأعاصير
الرملية فوضعت على الأجساد من الرمال والأتربة أكثر
مما أزالته عنها المياه .. ومرت فترة تعذر فيها الحصول على
السجائر .. وأصيب الجنود بما يشبه الجنون ، وأدهش وعلى ،
ذلك التأثير العجيب للسجائر .. كان كل شيء محتملاً .. حتى
الجوع والعطش .. ولكن الحرمان من السجائر كان يحدث
بين الجنود شبه تمرد ، وأضحت السيجارة تهرب بينهم بما
يزيد على الريال .

وانتشر الناموس والذباب ، كل يتولى الأذى والمضايقة
في نوبته : الناموس ليلاً ، والذباب نهراً .. هذه الأفواج تسلم

تلك كأنها نوبات الدوريات ، وازدادت إصابات الملاريا ..
رغم الكميات الهائلة التي ابتلعها القوات من أقراص الكينين .
وبدأت التدابير تتخذ لتهيئة وسائل الراحة للقوات بعد
أن طال بها التشريد والتفرق بين التباب ، وطالت فترة
البقاء في المواقع الأمامية دون أن تبدو من إيطالية
بادرة للاشتراك في الحرب .

وزيدت الخيام .. وأنشئت معسكرات ثابتة للأورطة
وسحبت البلوكات من مواقعها الأمامية ، وأنشئت اللترينات
والحمامات وغيرها من المرافق وأجريت الاستعدادات لإقامة
أطول دواماً وأكثر راحة ، واستدعيت من القاهرة ..
بقية الأسلحة المعاونة ، وأنشئت ورشة لإصلاح العربات
والأسلحة ، وزاد عدد القوات في باطن الواحة ، وبقي آلاى
السيارات معسكراً وحده خارجها بعد أن ارتدت قواته من
الخطوط الأمامية إلى المعسكر القريب من جرف الواحة .

وكان « على ماهر » قد تسلم مقاليد الحكم بعد أن ضج
منه « محمد محمود » وأعياده لا تستمر أرفيه وأعجزته كثرة العراقيل
والمقبات ، وأحدث على ماهر عندما تولى الوزارة رجعة
في دوائرها بعد أن أخرج عدداً كبيراً من وكلاء الوزارات
وكبار الموظفين من كل لون ونوع وكان بين هؤلاء رئيس

هيئة أركان حرب الجيش فوضع مكان الرجل الطيب
محمود شكري . . عزيز المصري . . الذي بدا نقيضاً لسلفه
في كل شيء .

وبمر الأيام واستمرار تخلف إيطاليا عن الحرب زاد
الهدوء في جبهة البحرية واشتد الملل ، وأخذ « علي » يحس
بالوقت يمر به ثقيلاً بطيئاً . . حتى ليكاد يمشي القهقري ،
وأخذ الحنين في نفسه يشتد والشوق يزداد . . ولم تعد تجدي
معه الذكرى المجترة الذي كان يحيا عليها في لياليه الموحشة ،
وأيامه الطويلة التي لا يملأ فراغها سوى الانتظار والتفكير .
وامتلأت نوته الميدان بالرسائل الطويلة يسطرها للغائب
النائي بلا أمل في إرسالها له ولا رجاء في إبلاغها إياه . . وكأنها
نفثة مصدور يطلقها كلها ملأت الكروب صدره وأفعمت
جوانحه . . واختلطت في النوتة مشروعات التكتيك . .
بأحاديث الهوى . . وحرس الجنب بالمناجاة الحارة .

وأقبل الشتاء وزادت الحياة مشقة وعسراً ، وكان البريد
لا يصل إلا متقطعاً والرسائل عزيزة نادرة ، ولم يكن « علي »
قد تلقى خلال بضعة الأشهر التي أقامها سوى رسالتين من
أخيه تحملان تحياته وأشواقه وبعض مغامراته ، ورسالة
من « بهية » استطاعت أن تسكتبها بأسلوبها البدائي وخطها

الريك تحملها أشواق أمه وأبيه ، وبعض الأنباء التافهة .
وفي الرسائل الثلاثة لم تخط كلمة واحدة ، عما كان يهفو
إليه قلبه وتتوق إليه روحه . . لقد كتبوا إليه عن كل تافهة
لا يهنيه أمرها . . أما عن أنبي . . فلا حرفاً واحداً .

وأخيراً وصلت إليه رسالة من حسين ، وكان الوقت
خفى وقد انتهى من التفتيش على صيانة عرباته ومدافعه ،
وأقبل على خيمته ليخلع الأوفراول الأحمر ويرتدى
الشورت والقميص . وفي طريقه إلى الخيمة مر بخيمة المطبخ
وقد وقف أمامها لورى التعيين يفرغ حملاته من الخضر
واللحوم ، ولم يكذب البواكامين يلحجه حتى أقبل عليه محياً
وبين يديه مجموعة رسائل وقال :

— الخضر تلك رسالة في بريد اليوم .

وبحث عن الرسالة ثم مدّ بها يده فتناولها « على »
شاكراً ، ومضى إلى خيمته .

كانت الرسالة من حسين فقد ميز خطه بسهولة على
مظروفها ، ورغم يقينه عندما أنباء البواكامين بها ،
أنها لا بد وأن تكون من أخيه . . فقد أحس بشيء من
الخذلان عندما تبين أنها فعلاً منه . . إذ لم يستطع يأسه

المطابق أن يطفىء ذبالة أمل كانت ماتفتاً تتوهج كلها
أبصر بربداً مقبلاً .

كان يعلق نفسه بخيط رفيع من الأمل . . قد تخفيه
أحياناً ظلمات اليأس والملل والضيق . . ولسكنها مع ذلك
لا تمحو وجوده . . فمنه كان يستمد الصبر والجلد والقدرة
على مباشرة مظاهر الحياة كخيرها من الأحياء .

ألم يسبق أن كتبت له من قبل ؟ ألم تطلب منه أن يستمر
على الثقة فيها والإيمان بحبها ؟

ألم تجبه عندما سألتها : « أما زال حبك كما هو ؟ » بقولها
« وأكثر ، ؟ » .

مالذي يمنعها إذاً من الكتابة إليه ؟

ومع ذلك فهي لا تكتب .

وجلس على المقعد السفري القماش في داخل الخيمة . .
وفض الرسالة محاولاً تبديد ما أصابه من خذلان وضيق ،
ولم يصعب عليه ذلك . . فقد كان مجرد وصول رسالة أمراً
يبعث على الطرب ، وهي رسالة من أخيه الحبيب لا بد أنه
يكون قد حملها الكثير من فكاكته ومرحه ومغامراته .

ثم . . من يدرى . . ربما يكون قد استحي وضمها
بعض أنبائها .

ألم يلمح له هو في رسالته الأخيرة برغبته في أن يذكر له شيئاً عنها ؟

وبدا في قراءة الرسالة ، وافتقر ثغره عن ابتسامة واسعة وهو يمر ببصره على السطور المرححة المساجنة . . ثم أحس بالبصر يتجاوز السطور سريعاً ليثبت على كلمة كانت تستطيع دائماً أن تجتذب بصره بين مئات الكلمات ، وهما قلبه وتوالت دقائقه ، وتوقف برهة عن القراءة حتى يتمالك أنفاسه وحتى يتأكد أن الكلمة هي « أنجي » حقاً . . وأنه لم يكن واهماً ولا متخيلاً . . ثم استرسل في القراءة :

« وقد رأيت صاحبك « أنجي » مرتين ، وتمنيت في كل مرة لو كان في يدي خاتم سليمان لكي آمر ماردته أن يمد يده لإحضارك من خيمتك على حافة الواحة البحرية . . حتى تتمتع بصرك بها . . لقد كانت حقاً رائعة ، ويبدو لي أنها تغيرت كثيراً عما كنا نبصرها في حديقة أبيها ونحن طلبة ، لقد رأيتها في المرة الأولى ترقص في الموكسليسور مع قريبها النبيل ابراهيم كمال . . كانت ثابتة الخطى ، مرفوعة الهامة . . وقد لمحتني وهي توشك على الانصراف ، وأشارت لي بهزة من رأسها ، وقد توقفت قليلاً وبدأ على ملاحقتها كأنما تود أن تحدثني عن شيء ولكنها ما لبثت حتى انصرفت مع رفاقها .

ورأيتهما في المرة الثانية في إحدى الحفلات الخاصة ..
في قصر الأميرة نجمات ، وقد دعيتني إليها « درية » وكانت
حفلة هائلة ، وقد حضرها « مولانا » وكان تبدو عليه أقصى
أمارات الغبطة ، والطرب .. وكانت قهقهته تتجاوب في
أنحاءها .

لقد سنحت لي فرصة الحديث مع « أنجي » للحظة خاطفة ،
وسألتني عنك .. فقلت لها إنك مازلت في الواحات البحرية ،
وأنك تسأل عن أنباتها ، ولم أتبين من حديثها ذلك المرح
الذي قد يبدو في ظاهر حركاتها ، وخيل لي أنها مهمومة ..
أو على الأقل هذا ماتوهمت .

وكان في صحبتها نفس « الشلة » التي رأيتهما معها من قبل .
ماذا أعرف أيضاً عن أنجي ؟ .. لست أذكر الآن أكثر
من هذا .. لا .. لا .. بقي شيء واحد .. لقد قالت لي
أنها تود أن تحدثني في أمر هام .. ولكن « درية » أقبلت
وانتزعني لكي أرقص معها .. وعندما عدت إليها كانت
منهمكة وسط شلتها .. ثم اختفت عن ناظري بعد ذلك ..
دون أن تسر إليّ بحديثها الهام .. وماذا أيضاً ؟ .. أظن هذا
كل شيء .

أما عن ...

ولم يتمم على الرسالة . . وتركها تسقط من يمينه فوق المنضدة ، ورفع يسراه يضغط بها على جبينه كأنه يعتصره ، ثم غطى وجهه بكفه مغمضاً عينيه وقد أحس كأن أكداً من الحزن ترسب في جوفه ، وتشل حركته وتهك قواه .

وبعد . . . ١١

ماذا بعد كل هذا ؟ ١١

أهذا هو حبها إلا أكثر ؟ .. أنلك هي ربة أحلامه . . وآلهة أوهامه ؟ .. أم تراه كما قال سليمان قد رسم لها في ذهنه صورة ليس بها من حقيقتها صلة ولا شبهة ؟ أهل حقاً . . ترقص مع ذلك المخلوق . . الذي يأتي إلا أن يبدو معها في كل مكان ؟

لا . . لا . . لا يمكن أن تفعل أنجي هذا . . إنه مازال يذكر آخر لقاء لهما . يذكر نظرتها الحارة وحديثها العذب ، يذكرها كما أحبها دائماً ، طاهرة نقية مرهفة نبيلة سامية ، لاصلة بينها وبين تلك الصورة الشوهاء التي يحاولون أن يبدونها بها . ولكن من الذي يحاول أن يبيدها بها أخوه ؟ وما فائدته من هذا ؟ أى شيء يدعو له لأن يفترى عليها كذباً ؟ ثم إن «حسين» يسرد حديثه عنها ببساطة من لا يجد فيه عيباً . .

إنه يذكره بلا نفور ولا إحساس بالخرج . . إن كل ما فعل
هو أن لبي طلبه وروى له أخبارها . . وإذا كانت تلك هي
أخبارها . . وذلك هو كل ما استطاع معرفته عنها ، فما ذنبه ؟
وأخذت الأفكار تهضرم في رأسه . . والظنون تنهش
صدره . . وكان البعد وطول الفرقة قد أوهت مقاومته . .
فأحس أنه يتهاوى أمام ضربات الوماس . . ولطمات
الشكوك . . وامتلات نفسه بياس شديد . . وهو ملقى
في وحدته النائية بلا أمل في شيء . . مستسلماً لهجمات
الظنون . . بلا سلاح يقاوم به . . لالقاء ولا كلمة ولا نظرة .
وعندما سحان وقت الغداء لم يغادر خيمته واعتذر عنه
بوعكة طارئة . . وفي العصر بدا في المحاضرة التي ألقاها قائد
الآلای على تخته الرمل ، واجماً ، شارد الذهن . . وعندما
اجتمع الضباط للسمر في المساء افتقدوه بينهم وتلفت القائد
حوله متسائلاً :

— أين على ؟

وتطوَّع أحد زملائه بالإجابة قائلاً :

— أظنه بالخيمة .

— ماذا به ؟

— لقد كان متعباً من الظهر .

ووجه القائد سؤاله إلى اليوزباشى الطيب :

— ألم تره يادكتور إبراهيم ؟

— لقد رأيته بعد الغدا .. لم يكن به شيء .. الحرارة

طبيعية .. والنهض عادى .. أظن أنه مجرد إنهاك .. أو قد يكون هناك ما يضايقه نفسياً .

— لقد بدا عليه الشرود والوجوم خلال المحاضرة ..

كان يبدو وكأنه فى عالم آخر .. ولا أظنه فهم كلمة واحدة مما قلت .. ألا يعرف أحد ما ذا به ؟

وأجاب أحد الضباط :

— لقد وصلتته اليوم رسالة .. ربما كان بها ما يحزنه ..

أنا أعرف أن أباه كان مريضاً بالضغط .

وبدت علامات التفكير على وجه القائد .. وبعد فترة

صمت ، وجه الحديث إلى اليوزباشى أركان حرب الآلاى متسائلاً :

— اسمع يا عبد العزيز .

— أفندم سعادة البية ؟

— متى ستنزل الدفعة القادمة من أجازات الضباط ؟

— ستنزل يوم السبت .. فالمفروض أن تحضر الدفعة

الأولى يوم الجمعة .

— دفعة أنور وكال ؟

— أجل .. لقد قاما يوم السبت ، وسنحسب الأجازة
خمسة أيام عدا يومى سفر فيكون موعد قدومهما يوم الجمعة .

— ومن سينزل فى الدفعة التالية ؟

— أظن حسين وزكى .

ورد حسين مصدقاً على قوله :

— أجل إن الدور علينا .

وصمت القائد مرة أخرى ثم تسامل :

— ومتى سيحل الدور على « على » ؟

— أظن ما زال الوقت مبكراً عليه .. لن يحل دوره
قبل بضعة أسابيع .

— إذا دعه ينزل فى هذه الدفعة .

— بدل من ؟

وبدا الوجوم على حسين وزكى ، ولكن القائد ما لبث
أن أزال وجومهما بقوله :

— لينزل معهما ،

وبدا التردد على وجه الأركانحرب وأجاب قائلاً :

— ولكن دوره لم يحل .. أعنى أن بعض الضباط قد ..

— لن يعترض الضباط على شيء .. إنى أعرف أن

حالته المعنوية سيئة .. منذ مدة وأنا ألاحظ ذلك .. وليس

هناك فائدة من استمراره على حالته تلك . . لن تحصل منه
على نصف مجهوده . . دعه ينزل هذا الأسبوع ليطمئن على
أبيه . . وسيعود إليك كالحصان . . إنه ضابط كفء وممتاز
ويجب أن نعاونه على استرداد قدرته على العمل وعلى رفع
روحه المعنوية .

وقال حسين وقد تأثر بقول القائد :

— إنى على استعداد للتنازل له عن دورى ،

— لا ضرورة لذلك . يمكنكم أن تسافروا أنتم الثلاثة .

يستطيع الآلاى أن يسير بدونكم أسبوعاً . . ولست أظن
أن إيطاليا تنوى الهجوم هذا الأسبوع .

وكان « على » قد استلقى على فراشه السفرى . . وأخذ
يحدق فى ذبالة الفانوس الهاريكين المعلق فى عمود الخيمة
وشرد ذهنه بعيداً . . بعيداً .

لو أنيحت له الفرصة أن يراها . . ويتحدث إليها . .
لا زال هذا اليأس الجاثم على صدره . . إنه مازال واثقاً بها
مؤمناً بحبها . . إنه لن يخذلها قط .

فقط لو استطاع أن يراها لتمنحه من نظراتها قوة على
الصبر والتجلى . . هذه المرة . . عند ما يعود إلى القاهرة لن
تمنحه قوة من رؤيتها والحديث إليها . . إن لها حقاً عليه . .

حق الحسنة الروحية .. والارتباط الأبدى .. لن يتركها هذه
المرّة إلا وقد ارتبط برباط أوثق .. أجل يجب أن يوضح
لها همومها ووسائله ، ويطلب منها أن تسكف عن هذه المظاهر
التي تبدو بها ويتفق معها على خطوة إيجابية في سبيل ارتباطها .
إلى متى سيظل على موقفه السلبي المتردد !! ألم يصبح كفتناً
لها ؟ إنه وشيك الحصول على الترقية خلال بضعة الأيام
القادمة .. وسيصبح ملازم أول ، وهو يستطيع أن يتقدم
لخطبتها .

يتقدم لمن ؟ .. لأبيها ؟ .. لأفندينا ؟ . وأفرعه الخاطر
وأحس بعجز عن الإقدام عليه حتى في مجرد التفكير .
ولكن ماذا يخشى ؟ ماذا يفرضه من أفندينا ؟ ما دامت
هى تحبه ، وما دامت قد صممت على أن تربط حياتها به ..
وطلبت منه الثقة فيها والإيمان بحبها ؟

كيف يستطيع أفندينا أن يقف في وجه الطبيعة ؟ كيف
يمكن أن يقاوم وثاق الأرواح ورباط القلوب ؟
لا .. لا .. إنه يجب أن يخضع .. وعندما يذهب إلى
القاهرة هذه المرة لابد أن يخسم الأمر .

ولكن متى سيذهب إلى القاهرة ؟ يخيل إليه .. أنه لن
يعود إلى القاهرة قط .. وأنه سيفنى بقية عمره بين هذه

التياب المقفرة الرملية ، وسط الخيام والعربات ، والناموس
والذباب .

ما زال أمامه وقت طويل حتى يحل عليه الدور .. فإن
أقدميته لن تمكنه من النزول إلا في آخر دفعة ، وسيكون
اليأس والوساوس قد قضت عليه قضاء تاماً .. قبل أن يحل
موعد نزوله .

وأحس بوقع أقدام تقترب من الخيمة ، ثم أبصر شعباً
يقترب منها ويخطو إلى داخلها وسمع صوت حسين يهتف به :
— ستنزل معنا يا علي بعد غد ، أو على الأصح في الغد .
فقد عز منا على أن نتحرك من هنا في منتصف الليل . .
فالقمر سيكون مشرقاً .. والطريق واضحاً وسنستفيد ببضعة
ساعات الليل حتى نصل إلى القاهرة في ظهر السبت ونستفيد
باليوم كله بدل أن نضيعه في السفر .



عبدالعزیز



موكب العربات الثلاث على ضوء القمر

النصاب في منتصف الليل وكانت معالم الطريق تبدو باهتة في الضوء الشاحب ، وأشباح التلال الهرمية في باطن الواحة تلقى ظلالها مترامية بجوارها والسكون قد ساد إلا من صوت محركات العربات .

وخلف الموكب الواحة وراءه ، وانحدر في التلال المؤدية إلى بحر الرمل ، وأحس « علي » بجسده المنهك قد أخذ في الاسترخاء على حركة اهتزاز العربة ، وبدأ النوم يتسرب إليه طاوياً في برديه حشد الأفكار الذي يدور برأسه كالذوامة .

واستغرق « علي » في غفوات متقطعة لا يكاد يستسلم إليها حتى توقظه رجة أحد المطبات . . ثم استقام الطريق بعد ذلك فتمنحه غفوة طويلة . . لم يحس هو مداها إلا بعد أن وقفت العربات وفتح عينيه فإذا بخيوط الضوء تتسلل من الأفق الشرقي طاوية ضوء القمر كاسفة وجهه .

ووقفت العربات برهة للراحة وهبط الضباط الثلاثة يحركون سيقانهم ، ونظر « زكي » إلى ساعته وبدأت على وجهه سيماء الفرح وهو يقول :

— قطعنا مرحلة طيبة في وقت قصير ١٩

وأجابه زميله «حسين» :

— لقد عاوننا على ذلك أننا اجتزنا بحر الرمل دون

أن نتوقف إحدى العربات .

— لقد كنت تمشى بسرعة مخيفة ، ولم أملك أنا إلا أن

اتبعك .

— ولولا هذا لما اجتزناه بهذه السهولة .

— على أية حال يجب أن نخفف السرعة .

— مازال أمامنا ما يربو على المائتي كيلو . . والطريق

في المرحلة القادمة أكثر تمهيداً .

— إننا نستطيع أن نقطع المسافة الباقية بسهولة في خمس

ساعات .

— سنضرب بذلك رقماً قياسياً .. سنكون في القاهرة

الساعة العاشرة .

— كأننا استيقظنا في بيوتنا . . لن يضيع علينا يوم

السفر . . سنكسبه كاملاً .

— لشدما أنا مشتاق إلى القاهرة وشوارعها وحواراتها

ونسائها . . لقد كرهت عيناى اللون الكاكي . . إني

أتوق إلى رؤية اللون الأحمر . . في الثياب أو الحدود

أو الشفاه . . لتد أقسمت ألا أضيع دقيقة واحدة في النوم ،
صامضى الأسبوع كله مستيقظاً وسأرجل النوم حتى نعود إلى
الواحة البحرية .

— أنا أيضاً سأفعل مثلك . . إن لدى من الأعمال التي
أريد إنجازها ما يشغل شهراً بأكمله ولست أدري كيف
سأقسم وقتي في هذا الأسبوع .

ولم يكن « على » قد نبس بينت شفة ، بل كان يقف
صامتاً شاردأ وقد وضع يديه في جيبى يتطالونه وأطرق
برأسه إلى الأرض وأخذ يحفر بكعبه حفرة في الرمال كأنه
حصان قلق .

ونظر إليه « حسين » وحاول إخراجها عن صمته متسائلاً :
— وأنت يا على . . ماذا تنوى أن تفعل ؟ وكيف
ستقضى أجازتك ؟

ولم يعرف « على » كيف يجيب .
ماذا ينوى أن يفعل ؟ . . أيستطيع هو أن يدري ؟ !
وإذا درى ما ينوى أن يفعل . . أيستطيع فعله ؟ !
أيستطيع أن يقضى فيه أجازته ؟

إنه ينوى لقاءها ، وعتابها ، ومناجاتها ، والاتفاق معها
على ربط علاقتهما بميثاق إيجابي معترف به . . ثم التقدم
إلى أبيها .

ولكن . . هل سيتاح له لقاءها ؟ وإذا منحه الحظ
السخي فرصة اللقاء . . فكيف ستلقاه ؟ بصورتها في ذهنه . .
أم بصورتها البادية أمام الناس ؟ وإذا عاتبها فكيف ستلتقي
عتابه ؟ أله عليها حق العتاب ؟

وإذا قبلت عتابه . . وأوضحت له موقفها بما يقنعه . .
أستقبل ما يعرضه من ارتباط إيجابي ؟ أستوافقته على ذلك ،
وتمنحه من إيمانها به مزيداً من الثقة والإيمان والقوة التي
تمكنه من التقدم إلى أبيها . . أم ستفرع من مجرد عرضه
عليها ؟

وإذا وافقت ، ومنحته الثقة والإيمان والقوة . . أسيجد
في نفسه من الجرأة ما يجعله يتقدم إلى أفندينا . . بجأه . .
وعظمته ، وعجرفته وكبريائه ؟

وإذا وجد الجرأة وتقدم . . فكيف سيلقاه أفندينا ؟
أف له . . ولهذا العالم البغيض الممقوت . . أبعد كل
ما فعل ووصل إليه في الحياة . . مازال يجد نفسه صغيراً
متضائلاً . . إزاء ذلك العملاق الارستقراطي المتعالي ؟
ورمق صاحباه في شroud .

هذا هو ما ينوي أن يفعل . أيستطيع أن يقوله لهما ؟
وببساطة أجاب على سؤالهما الذي مازال معلقاً :

— سارى أبى وأمى .

وضحك «حسين» قائلاً :

— أباك وأمك ؟ !

وشاركه «زكى» فى ضحكته وعقب عليه بقوله مازحاً :

— لعن الله أباك وأمك . . أستقضى فى رؤيتهما كل

الاجازة ؟

ولم يملك «على» إلا مشاركتهما فى الضحك قائلاً :

— وزيارات الأقارب والنزهات ، والسينما ، إلى آخره .

— تعنى ستضيعها سدى . . خسارة فيك الاجازة . .

هيا بنا . .

— هيا . . لياخذ كل منا دوره فى السوافة حتى نريح

السائقين . . إذ أخشى أن يناموا فى الطريق .

ومرة أخرى انطلقت العربات تطوى الحصى والرمال

والأرض الواسعة الفارغة ، ورويداً رويداً . . أخذ الضوء

ينتشر وتساعد قرص الشمس من وراء الأفق بضوئه الأحمر

اللين شاقاً طريقه إلى كبد السماء . . وزادت سرعة العربات

وتغافل الضباط الثلاثة عن عداد السرعة كأنه لا يراه .

واستمر السير طويلاً مملاً حتى لاح فى أقصى الأفق

الخلاوى المنبسط الذى تنطبق سماؤه على أرضه . . شبح باهت

ضئيل يلفه الضباب حتى لا يكاد يبين .

وأخذت تعرجات الأرض وثنياتها التي تصعد فيها
العربات وتنحدر .. تبدى الشبح مرة وتخفيه أخرى .. حتى
لكأنه السراب لا يكاد يلمع حتى يختفي .. وأخذت الأعين
تحدق في الشبح متلهفة مشتاقة ، والقلوب تدق فرحة مصفقة .
وأخيراً بدت معالمه جليلة واضحة ، واستقام في الأفق
شكله الهرمي الواضح المحدود ، وتوالت بعد ذلك المعالم ..
وبدا السهل الأخضر منبسّطاً تعلوه طبقة من الضباب وتتناثر
فيه أشباح دور وأشجار مختلطة متشابكة تكاد تضيع معالمها
في الخضرة المنبسطة والضباب المنتشر .

وأصاب الراكب نشوة ، واندفعت العربات في جنون
كأنها تود أن تلتقي بنفسها في أحضان العمار والحياة بعد أن
ملت طول السير في القفر اليباب .

وكانت عربة « على » في مؤخرة الراكب تلاحق العربتين
الطائرتين .. وقد ضغط « على » بقدمه دواسة البنزين وتشبث
بعجلة القيادة وتخلل بصره زجاج العربة محملاً في الطريق
الرملي المطوى تحت العربة وكأنه يعدو في سباق .

وجأأة أحس برعدة تسرى في بدنه وبغياض خلط المرئيات
أمام عينيهِ وضربات متلاحقة تثقل رأسه وغثيان ودوخة
جعلت الأرض تترجح أمام ناظره .

و-حاول جهده أن يقاوم ، ورفع يسراه يضغط جبينة
ويمسح عيفيه .. وكانت نوبة خفيفة مشابهة قد أصابته عشية
أمس جعلته ينتفض ويرتجف ، ولكنها لم تلبث أن زالت ،
وانتظر أن تزول النوبة كما زالت سابقتها ، ولكنها أحس بها
تتضاعف وتزايد ، وشعر بجسده ينتفض كأن ريحاً باردة
تعصف به ، وازداد ثقل الضربات على رأسه ، وبدأت له
المقاومة مستحيلة وهو لا يكاد يتناسك على مقعده ولا تكاد
يدها تطبقان على عجلة القيادة .

ورفع قدمه عن دواسة البنزين ، ووضعها في إعياء على
الفرملة .. وأخذ يضغط في جهد ومشقة .. وتمهلت العرب
رويداً رويداً .. حتى توقفت تماماً .

ودهش السائق من توقف العرب .. وظن أنها في أول
الأمر خللاً ، ولكنها وجد عالياً قد مال إلى الأمام واتكأ
بساعدته على عجلة القيادة ، وألقى برأسه في إعياء شديد على
ساعده ، ثم استغرق في شبه غيبوبة .

وتساءل الجندي السائق في جزع :

— حضرة الضابط .. حضرة الضابط .. ماذا بك ؟

وأجاب « على » في صوت خافت ملؤه الإعياء :

— لا شيء .. إني متعب قليلاً .. ولا أظنني أستطيع

مواصله السواقة .. تعال مكانى لتسوق .

ولسكنه لم يتحرك من مكانه .. لقد كان يحس بانهميار
تام يجعله لا يستطيع حراكا .

وصاح السائق بالجندى الجالس فى الخلف :

— اعطنى بعض الماء من زمميتك يا مهدي .. حضرة
الضابط مغمى عليه .

وقفز الجندى من بين شوالات البرتقال وصفائح العجوة
التي كانت العربى محملة بها ، والتي كان «على» يحملها هدايا لأهله
ولأهل بعض زملائه ، وهبط إلى الأرض .. وأخذ يفك
الزمزية القماش المعلقة فى العربى .

وقبل أن يبدأ السائق علاجه بزمزية المياه
استطاع «على» أن يتجامل على نفسه ويسحب جسده من
عجلة القيادة إلى المقعد المجاور .

وفى خلال ذلك كانت العربتان المتسابتان قد اكتشفتا
توقف عربى «على» وتمهلتا برهة .. وما لبثتا أن أدارتا
وجهيهما وانطلقتا عائدين لتقديم المساعدة .

وأحس «حسين» و«زكى» بالضيق والحنق ، وهما
يعودان القهقري بعد أن باتت القاهرة ملءناظرهما . وأضحى
لا تكاد تفصلهما عن الحياة والخضرة .. والوجه الحسن ..
بضعة كيلو مترات .

وتوقفت العربتان بجوار عربة «علي» ، وهبط الضابطان
يتساملان في حنق عن سبب العطل . . وقبل أن يتلقيا
الإجابة لمحا «علي» وقد تراخى جسده على المقعد في إعياء تام
وقد بدا وجهه منهكاً شاحباً .

وأقبلا عليه في جزع وسأله زكي :

— ماذا أصابك يا علي ؟

وأجابه «علي» في صوت خافت مجهد :

— إني متعب بعض الشيء ، لقد أصابني دوخة ورعدة
ولسكننا نستطيع أن نواصل السير .

ووضع كفه على جبينه فراعته طيب يتصاعد منه وأحس
بأن جسده يرتجف وأسنانه تصطك .

وكانت الشمس قد تعالت في كبد السماء ، وملأت الجو
دقئاً يكاد يكون حاراً . . ومع ذلك فقد همس «علي» في صوته
المرآعد :

— إني بردان ، أشعر ببرد شديد ، أريد شيئاً أتدثر به .

وصاح حسين بالسائق :

— هات معطفي من العربية .

وأحضر السائق المعطف . . فوضعه حسين على كتفيه

ولف به .

وقال « زكى » :

— لا شك أنها ملاريا .. منذ متى شعرت بالتعب ؟

— أصابتنى نوبة خفيفة عشية أمس .

— كان يجب أن تستريح .. لو أخبرتنى لما تركتك تفامر

بالسفر .. وأنت مريض .

— لم يخطر ببالى أنها ملاريا .. كانت نوبة خفيفة جداً .

وتدخل « حسين » قائلاً :

— على أية حال لقد سافرنا وانتهى الأمر .. المهم هو

ماذا يمكن أن نفعله الآن ؟

وأجاب « على » فى صوته المجهد الخافت :

— نواصل السير .

— وأنت محوم ؟ وأنت بهذه الحالة ؟

— ليس بى شيء ، إنى مجهود فقط ، وأستطيع أن أجلس

هكذا فى مقعدى حتى أصل إلى البيت .

— إن أماننا ما يقرب من عشرة كيلومترات على أول

طريق الهرم ، ومن أول طريق الهرم إلى بيوتكم ما لا يقل
عن ثلاثين كيلو متراً .

— إنها مسافة قصيرة .

— ألا ننتظر حتى تستريح قليلاً ؟

— لا .. لا .. هيا بنا .

— إذا دعني أجلس بجوارك .. سأسوق لك .. تتقدم أنت يا زكي بعربتك وسر على مهل ، لاتزد عن ثلاثين كيلو ولتبعنا العرببة الثالثة .

وعاود الراكب مسيره ويبدأ متمهلا .. و « على » مستلق على مقعده خائر القوى ، محموم الرأس ، مقرور الجسد .. تصطك أسنانه وترتعد أطرافه ، لا يكاد يرفع أجفانه ، أو يقيم عنقه أو يصلب ظهره .

وعلى هذه الحال وصل « على » إلى بيته وهبط صاحبا يأخذان بساعديه ليعاوناها على السير للدخول إلى البيت ، وكان أكثر ما يشغل رأسه المحموم ، هو جزعه على أمه عند الدخول عليها بعد طول غيبة في حالته تلك من الأعياء والمرض .. وهو الذي كان يهوى لنفسه فرحتها بعودته المفاجئة .

وسحب ساعديه من ساعدي صاحبيه قائلا وهو يحاول جمده التماسك والتجملد :

— إنى أستطيع السير ، إنى أحسن حالا .

وقبل أن يصل إلى الباب كانت « بهيمة » قد فتحتة على صوت ضجيج العربات .. ولم تنكد تعاو وجهها سيما الفرحة

بوصول « علي » ، حتى غلبها جزعها من إعيائه البادي وخطواته
المتثاقلة ، ولم يمنحها حياؤها من صاحبيه من الاندفاع إليه ،
وسؤاله في لهفة وجرع :

— ماذا بك يا علي ؟

وارتسمت على شفثيه ابتسامة باهتة وهو يجيب :

— لا شيء .. متعب قليلا .. أين أمي ؟

— إنها في الداخل .

وأحسنت « بهية » حرارة جسده وهي تصافحه فقالت
في أسي وخوف :

— إنك محموم !

وقال زكي مطمئناً :

— إنها حمى بسيطة .. لقد أخذناها كلنا .. إنها ضريبة
الواحات ، لا بد لنا من تأديتها .

واجتاز « علي » الباب تتقدمه « بهية » وتلفت إلى صاحبيه
قائلاً :

— إنني عاجز عن شكركما .. وددت أن أدعوكما للغداء
ولكنني أعرف قيمة وقتكما .. إنني آسف على هذا التأخير الذي
تسببت لكما فيه .

وشد زكي على يده قائلاً :

— ليس هناك أى تأخير ، كان لابد لنا من الاطمئنان
على وصولك .

وقال حسين :

— سأبلغ المستشفى العسكرى حتى يرسلوا لك طبيباً .
وانصرف الصاحبان ، وتقدم « على » بخطواته المتثاقلة
وهو يكاد يتهاوى .. وانبعث من المطبخ صوت الأم مختلطاً
بصوت وابور الجاز مستفسراً :

— مَنْ يا بهية ؟

وصاحت بهية مجيبة :

— إنه على .

وأضاعت ضجة الوابور صوت « بهية » ، فلم تميز الأم
قولها . وخطت بضعة خطوات إلى الباب الفاصل بين المطبخ
والصالاة لتستطلع بعينها ما عجزت أذناها عن تبينه ، فإذا بها
تفاجأ بعلى .

ووقفت لحظة مبهوتة ثم اندفعت إليه صائحة :

— على !!

وسبقت دموعها إلى خديها ، قدميها إليه ، ومدت ذراعيها
تحتضنه وقد خيمت على عينيها سحب الدموع فلم تبصر منه
إلا صورة مهزوزة مطموسة .

ومضت فترة وهي تضمه إليها ، ودموعها تختلط بوجهه
وهو يربت ظهرها في رفق ، وذهب عنها انفعال المفاجأة
الذى جعلها لا تكاد تشعر إلا بولدها الغائب بين ذراعيها .
وبدأت تحس بأنفاسه الملتهبة ، ورأسه المحموم ، وجسده
المرتجف المقلور ، وسرت الرجفة من جسده إلى جسدها
وهتفت مرتاعة :

— مابك يا على ؟ مابك يا حبيبي ؟ إن رأسك
ملتهب !

وأحس الأب القابع في حجرته بالضجّة وبلغ مسامعه
اسم «على» يتردد فاندفع بذراعه المشلول ، وجسده الهزيل
الخائر يستطلع جليلة الأمر صائحاً :

— على .. ماله على ؟

وأجاب «على» وقد رسم على وجهه ابتسامة حاول
جهد أن يرفع بها مظاهر الإعياء والمرض الذى يكاد يلقى به
أرضاً :

— لا شيء يا أبى .. لقد استطعت الحصول على أجازة
ورغبت أن أفاجئكم بالحضور .

وهتفت الأم وهي تمسك به مشفقة وتقوده إلى
حجراته :

— إن جسدك يرتجف .. تعال إلى الفراش .

واقترب منه أبوه وضمه إليه قائلاً :

— ماذا بك يا علي ؟ ماذا حدث ؟

— لا شيء أبداً .. المسألة لا تستدعي كل هذا الخوف ،

لأنها حتى بسيطة مرت علينا جميعاً .. الحمد لله إنها أصابتني وأنا معكم .

واستلقى «علي» في فراشه يرنح تحت سطوة الحى وأحس أنه كان مغالطاً عندما وصفها بالبساطة .. فقد أمسكت بخناقه وألحت عليه حتى تركته خائراً مكدوداً .. لا تكاد نوبتها تحل حتى تلقيه جسداً بلا وعى ولا حراك .

ومرت الليالي طويلة مضيئة والام ساهرة لا يغمض لها جفن ، والاب يرقب في جزع وإشفاق ، و« بهية » دائبة لا تكف عن الحركة .

ووصل حسين بعد أن كتبت إليه « بهية » تنبئه بوصول أخيه ومرضه .. واتخذ دوره في السهر والخدمة والترفيه عن أخيه في الساعات التي يفيق فيها من سطوة الداء .

وبلغت العلة بعلي أشدها .. وألقته في فراشه يتململ ويتأوه ويهذى .

وجلست الأم في سكون الليل وبهيمته هامية المقلّة تنهت
إلى هذيان ابنها الحبيب مختلطاً بنقيق ضفدع أو نهيق
بوم .

وكان الهذيان في أول الأمر خليطاً غير مفهوم أشبه
بتأوهات شاك أو نفثات مصدور ، ولكنها ما لبثت حتى
ميزت فيه اسم « أنجى » .

وتكرر الهمس بالاسم كأنه يناديها أو يناجيها ..
وتحدث عن أشياء لم تستب معناها .. عن صورة في ذهنه ،
وصورة في مجلة ، وعن ثقته وإيمانه ، وعن ريح الرجاء ..
وعن قلبان في قلب .. وعن سيثاق إيجابي .. واستمر
الهذيان عن أشياء كثيرة قصر ذهنها عن إدراكها .. كل
ما عرفته أنها أشياء تتعلق بأنجى .. فقد كان اسمها لا يفتأ
يتردد بين آونة وأخرى .

شيء واحد هو الذي استطاعت أن تفهمه في نهاية
الهذيان ، وهو التقدم للخطوبة « أجل سأقدم إليه ..
إنه أمير ، ولكنني أيضاً ضابط في الفرسان .. لقد جاهدت
لكي أكون أهلاً لك .. وأنت نفسك لاتعترفين بالفوارق
الطبقية .. فلماذا يحول بيننا ؟ سأقدم إليه وإن لم يقبل

فسنفّر سوياً . . أليس كذلك ؟ ألم تقولى أنت نفسك أنه
لن يفرق بيننا ولا الموت . . أجل ، ولا الموت . . إني لن
أموت . . لن أرضخ للموت . . أريد الحياة من أجلك . .
سأحيا . . سأحيا . .

ولم تستطع الأم أن تحتمل فاندفعت فى نوبة حارة من
البكاء وهى تهتف بابنها :

— ستحيا يا بنى . . ستحيا من أجلها ، ومن أجل
شبابك ، ومن أجلنا جميعاً . . سيحقق الله آمالك . . فالله
كريم رحيم .

ورفعت يديها إلى السماء تدعو « يارب » .
وأقبل حسين وبهيمه على صوت نحيبها ودعائها يستفسران
فى جزع عن جليلة الأمر . . وقصّت الأم حديث الهذيان
أو ما فهمته من رغبته فى خطبتها .

وبدت الدهشة على وجهيهما وهتفت بهية :
— يخطبها ؟ يخطب ابنة افندينا ؟ غير معقول !
وبدا التفكير والحزن على وجه حسين وتمتم قائلاً :
— إنه يهذى . . مجرد هذيان .

وانطلقت تنهيدة طويلة حارة من صدر قابع فى ركن

مظلم ، وقد بدأ صاحبه مغمض العينين كانه فى إغفائة . .
لا يسمع ولا يعى ، ومع ذلك فقد سمع ووعى كل ما قيل .
واستقرت فى رأس الأب الكلمة الأخيرة التى ختم بها
الحديث ، وأخذت تلف فى ذهنه وتدور .

« مجرد هذيان » .

أجل . . إنه فعلاً لا يعدو أن يكون فى مظهره . .
مجرد هذيان محوم .

ولكن . . فى واقعه . . فى حقيقة . . فى باطن هذا
المحسوم الذى يهذى . . أهو حقاً مجرد هذيان . أم تراه
الحق النابع من روحه المتدفق من قلبه ووجدانه .

أيضحى التطلع إلى الهدف الذى كرّس الإنسان له
نفسه ، والأمنية التى ركز فيها جهده . . مجرد هذيان .

أبعد كل ما أراق من ماء وجهه ، وبعد كل ما تعب وشقى
ليوفر له المركز اللائق والمستقبل المرموق .

أبعد كل ما جاهد هو نفسه . . حتى أضحى ذلك
المخلوق المثالى الكامل . . يجد مطالبته بما هو حق له ، مجرد
هذيان ؟

لماذا ؟ . إنه ضابط محترم . . قويم الخلق ، جميل الخلق ،

لا عيب فيه ولا هنة . . وهو يحب الفتاة . . والفتاة — فيها
يمتقد — تحبه .

فأى هذيان في أن يرجوها لنفسه .
وماذا يرجو الأمير لابنته خيراً من هذا .
لا . . لا . . إن ما يرجو ابنه الحبيب ليس من الهذيان
في شيء . . إنه كفء له . . وأهل لتحقيقه .
وأطلق الرجل تنهيدة أخرى وراح في إغفاءة .



میرزا فتحعلی



انقضت غمة المرض ، وخفت وطأة الداء ،
وأخيراً ، وزالت الحمى عن «على» بخلافه منه جسداً واهنا
وانفساً مكدودة مرهقة .

وانتهت فترة النقاهة ، واسترد «على» الكثير مما أضاع
المرض من قواه ، وما فت من عضده . . وعاد إلى قاعدة
الآلاى فى الشكنات بعد انتهاء أجازته المرضية ، ليقدم
نفسه إلى قائدها ، وايتلقى منه الأوامر بالرحيل .

وكانت جيوش ألمانيا وقتذاك تسكتسح الحلفاء ،
وإيطاليا قابضة تترقب وتنتظر دون أن تبدو منها أية نية
لدخول الحرب مما ترك القوات المدافعة عن حدود
مصر الغربية والمواجهة للقوات الإيطالية فى ليبيا فى حالة
طمأنينة واسترخاء ، ومما جعل انجلترا تخفف من قواتها إلى
الحد الأقصى حتى تستطيع الانتفاع بها فى الجهات الأخرى .
وخففت تبعاً لذلك القوات المصرية الموجودة فى
الواحات البحرية وتطلب عودة بعض قوات الآلاى إلى
القاهرة زيادة عدد الضباط الموجودين فى القاعدة . .
فلم يكده «على» يصل إلى الشكنات ليدير أمر رحيله حتى
أمره قائد القاعدة بالبقاء .

ولاقى امر البقاء فى نفس « على » غبطة وترجيها ، فقد
وهبه فرصة أخرى لمحاولة لقاء « أنجى » .

ومرت الأيام وهو يترقب الظروف ويتمين الفرص ،
حتى أخذ اليأس يذب فى نفسه ، وعزم على أن يثد مشاعره ،
ويغضب قلبه ، وصمم على أن يسأل قائد القاعدة أن يعيده
إلى الراحة البحرية . . . على البعد يعارنه على السلوان .

وكان الأب الصامت يرقب عملية الصراع فى نفس ولده .
يرقب وجوهه وشروده وصمته المطبق الحزين ، ويحس
بكل ما يلقاه ويفضيه ويقضى مضجعه . . بعد أن سمع ذلك
الهديان الذى انطلق منه على غير إرادة وقد صرخته الحمى .
وخيل إلى الأب فى جلسته الصامتة أنه قد يستطيع أن
يعد إلى ولده يد العون .

إنه مقتنع كل الاقتناع بعدالة أمانيه وأحقية مطالبه . .
مقتنع بأنه أهل لتحقيق ذلك الرجاء المطوى فى صدره
والذى لا يجسر على أن يفضى به لأحد .

فلماذا إذا . . لا يمد له يده ؟ لماذا لا يتقدم هو . .
ليعرض مطالبه ويحقق أمانيه ، ويتحمل عنه عبء الصدمة ،
ويتلقى عواقبها . . إن كانت لها عواقب ؟
لماذا لا يتقدم هو ليخطب له ابنة الأمير ؟

ورنت الجملة في حناياه . . رويداً خفيفاً . . وترددت كما
يتردد الصدى في فراغ ساكن .

هو يتقدم إلى الأمير . . كي يخطب ابنته لابنه ؟ . .
أى يحنون أحق مخرف . . هو ؟ !

وماذا يقول عنه الناس لو علموا بأمره ؟ بل ماذا
يقول الأمير نفسه حينما يسمع منه هذيانه ؟
لا شك أنه سيظنه قد جن ؟

أياً كان الإبن ، ومهما بلغ . . هل يغير ذلك من حقيقة
أبيه ؟ أيمكن أن يبدل دخوله المدرسة الحربية ، وتخرجه
منها إلى سلاح الفرسان . . أن أباه هو الرئيس عبد الواحد
رئيس بستانى الأمير ؟

وانتهالت مطارق اليأس على ذهن الرجل ، وأفرغت
المقارنة كل ما في جعبتها من وسائل التثييط والتثبيس .

ومع ذلك فقد أحس الرجل ببقية إيمان تصمد أمام
كل عوامل اليأس . . إيمان بالله وبنفسه وبابنه ، وبقين
راسخ في أعماقه . . بأنه بشر والأمير بشر ، وأن أكرم البشر
عند الله أتقاهم ، وأنه خير له أن يتلقى الصدمة بنفسه ، من
أن يتلقاها ابنه . . أو يتركه هكذا مغرقاً في يأسه وقنوطه .
وفي فجر يوم جمعة وصوت المؤذن ينطلق من المئذنة

مؤذناً بالصلاة تسلل الرجل من الدار يتوكأ على عصاه
وقد شدت يده المشلولة إلى عنقه ، وجلس في ركن الجامع
يتهمم ويدعو ، وطالت مصلاته حتى أرسلت الشمس سهامها
الدامية تسلل من نوافذ المسجد هابطة إلى أرضه .

وأحس الرجل بسكينة تملأ نفسه وإيمان يفعم جوارحه ،
ونهمض يتوكأ على عصاه . . قاصداً القصر .

وكان يعرف عادة الأمير في تجواله الصباحي بين السوبة ،
وأحواض الزهور . . وخيل إليه أن تلك هي خير فرصة
يلتقاه فيها على حدة ، ويسر إليه بما أضمر .

ودلف من الباب الخلفي في خطواته البطيئة المتثاقلة ،
واقترب من السوبة وقد شرد ذهنه وأخذ يستعيد لنفسه
ما سيقول للأمير .

وأحس من سيره وسط الأصص والزهور بحنين
زائد . . وكأنه ردّ إلى أهله وعشيرته بعد طول غيبة ،
وأخذ يرمقها في عطف ومدّ يده بخير إرادة ينزع عن
إحداها بعض الحشائش العالقة بها .

ورفع رأسه فإذا بالأمير يقف قبالة وقد حلق فيه
بنظرة ملؤها الدهشة وسأله قائلاً :

— الرئيس عبد الواحد . . ماذا أتى بك إلى هنا ؟

وهبت الرجل وارتج عليه فلم ينبس ببنت شفة .
ولاحظ الأمير يده المشدودة إلى عنقه .. فسأله متلطفاً :

— مال يدك ؟

— أصابها شلل .

— منذ متى ؟

— منذ مدة .. عقب أن غادرت حدائق أفندينا .

— لا بأس عليك .. لم أكن أعلم بما أصابك ،

وكيف حالك الآن ؟

— الحمد لله .

ودفع الأمير يده إلى جيبه بحكم العادة وأخرج منها ورقة
مالية دفعها إلى الرجل قائلاً :

— خذ هذه .. وإذا احتجت إلى شيء .. أخبرني .

وأخذ عبد الواحد الورقة وتمتم بوضع كلبات شكر ،
وانتظر الأمير منه أن ينصرف إذ لم يخطر بباله أنه قد أتى
لغير طلب إحسان ، ولكن الرجل استمر واقفاً ينظر إليه
في تردد ووجل وكأنما يود أن يقول شيئاً .

وقال الأمير في شيء من الدهشة :

— أتريد شيئاً آخر ؟

ولمّ الرجل أطراف شجاعته ، واستعاد إيمانه بالله الذي

بددته هيبة الأمير وانبعث منه صوت بدا له كأنه إنسان آخر
يتحدث بإسنانه :

— أجل .. إني في الواقع لم آت لأفندينا لأجل أن
أخذ منه إحساناً ،

وقاطعه الأمير في حدة :

— لماذا أتيت إذا ؟

... لقد أتيت طامعاً في أكثر من إحسان .

— لعلك تريد العودة إلى العمل ، ولكن حالك هذه
لا تسمح لك بمباشرة أى عمل .

— إني لا أطلب عملاً .

وعاد الأمير يقاطعه في دهشة وحدة أشد :

— ما الذي أتى بك إذا ؟ ! أفصح !

— إن ابني « علي » قد أضى ضابطاً في الفرسان . وقد
ترقى إلى رتبة الملازم أول .

— مبروك .. وماذا تريد أن أصنع له ؟

— إنه يطمع في رضا أفندينا وعطفه .

— وماذا يمكنه أن يفعل برضائي وعطفي .. أفصح عما
تريد ؟ ! وكفى عطلاً ؟ !

وخيل إلى الرجل أن الجو قد أضى مهيباً .. وبمنتهى
البساطة .. ألقى قنبلة قاتلاً :

— إنه يريد أن يخاطب ابنة أفندينا .
ولا جدال هنالك أن طلب الرجل كان آخر ما يمكن
أن يخطر ببال أفندينا ، حتى لقد توهم أنه أخطأ السمع ،
وعاد يسأل الرجل مستفسراً :

— يخاطب مَنْ ؟

— أنجى هانم .

ونظر إليه الأمير يفحصه في ذهول واندفعت المشاعر
الصاخبة تتصارع في نفسه .. حنق .. غضب .. دهشة ..
مفاجأة .. ثورة .. ولسكنها ما لبثت كلها أن انحسرت عن
نفسه .. وطواها اعتقاد جازم منه بلوثة الرجل .. وأخذ
ينظر إليه في حذر وإشفاق وقلق .

ووقف الرجل ينتظر ، مطرق الرأس ، كريشة تنتظر
اقتراب العاصفة ، وطال صمت الأمير ، فرفع عبد الواحد
رأسه في بطء يرقب وجهه .. عليه يرى من معالنه ما لم يفصح
عنه بشفتيه .

ولم يجذبوا در الثورة ، ولم يلح مظاهر الغضب .. فأحس
بأن المسألة أهون مما كان يتوقع .. وبدأ له أن قبول الأمير
ليس بمستبعد .

وأخيراً تحدث الأمير قائلاً محاولاً أن يكسو صوته

مظاهر الهدوء والحلم :

— إسمع ياريس عبد الواحد .. عد إلى بيتك واسترح
ولا تقلق نفسك بأمر ابنك .. إنه يستطيع أن يتزوج من
يشاء .

— إنه لا يريد غير الأميرة .. إني أعرف أنه يحبها ..
وأعتقد أنها أيضاً تحبه .

وإلى هذا الحد .. لم يستطع الأمير أن يكظم ثورته ..
فاندفع يهدر كالبركان :

— إذهب من أمامي قبل أن أحطم رأسك أيها الغبي ..
إذهب .. من الذى سمح لك بالدخول فى الحديقة .. أيها
المخبول .. انصرف .

واندفع من فمه مميل من السياب ، والصيياح المتشابك
المتداخل الذى لا تميز تفاصيله .

وفوجيء عبد الواحد بالعاصفة العاتية تعصف به بعدما
خدعته بمظاهر الهدوء الأولى .. وبدأت له استحالة الصمود
أمامها ، فاندفع بهثر فى خطاه مولى الإدبار إلى الطريق ..
والأمير يلاحقه بصيحاته المتفجرة التى بدأ يستبين منها قوله
إلى إدريس الذى أقبل مهرولا من ناحية القصر :

— مجنون .. اذهبوا به إلى مستشفى المجاذيب .. أو

أبعدوه من هنا .. لا أريد مجانين في أرضي .

ووصل عبد الواحد إلى بيته وتسلسل إليه وكأناه ارتكب
جريمة يخشى من أهل الدار فضحك أمرها ، وآوى إلى فراشه
وهو يرتجف هلعاً ، وما زالت صيحات الأمير تطن في أذنيه .
ومضت فترة والدار مخلاة إلى الصمت ، لا يكاد يحس
أحد من أهلها بما وقع حتى سمعت طرقات على الباب وكان
« علي » قد استيقظ من نومه فأسرع يفتح الباب فإذا بإدريس
تابع الأمير ومعه بعض الحراس .

ودهش « علي » وقال مرحباً :

— أهلاً إدريس أفندي .. صباح الخير .

— صباح الخير يا بني .

— أي خدمة !

ونظر الرجل إلى الحراس وبدأت عليه الحيرة والتردد

ثم قال لهم :

— انصرفوا أنتم .. انتظروني عند باب القصر .

ثم وجه القول إلى « علي » :

— أظن أننا نستطيع أن ننتهي الموضوع سوياً في هدوء

دون حاجة إلى فضيحة وضجة .

وبهت « علي » وتساءل :

— أى موضوع ؟ ماذا حدث ؟

— أين أبوك ؟

— أبى ؟ .. أظنه راقداً فى الداخل .. ماذا حدث ؟

وكان بعض الجيران قد اقتربوا يستطلعون الأمر ،

فأردف الرجل قائلاً :

— دعنا نتحدث فى الداخل .

وأفسح « على » الطريق قائلاً :

— تفضل ، لقد أذهلتنى المفاجأة عن دعوتك للدخول .

واستقر الاثنان على مقعدين فى مدخل الدار ، وقال

« على » متسائلاً :

— ماذا حدث ؟

— إن الأمير ثائر على أبىك .

— أبى أنا ؟ لماذا ؟ ماذا فعل ؟

— لقد زاره اليوم .

— ولسكنه لم يغادر الدار . إنه متعب وذراعه مشلول

ولا يكاد يغادر البيت إلا إلى المسجد .

— الذى حدث أنه حضر إلى السوبة فى الصباح المبكر

ولقيه الأمير هناك .

— أهذا هو الذى أهاج الأمير ؟

— بالطبع لا .. لقد عطف عليه الأمير وأعطاه إحساناً
ولكنه أنباه بأنه لم يحضر للإحسان .. وإنما جاء لينخطب
ابنته لك .

وبهت « على » وهتف بالرجل مشدوهاً :
— يخطب ابنته لى ؟ يخطب أنجى لى ؟
— أجل ! أجل ! هذا هو ما قاله .. ولم يشك أفندينا
فى أنه قد أصابته لومة .. وأمر بوضعه فى مستشفى المجازيب .
وأحس « على » كأن حملاً ثقيلاً قد أطبق على أنفاسه .
وخيل إليه أن الأرض قد تهاوت من أسفله .. ومضت
برهة قبل أن يتمالك نفسه ويحيب فى يأس عميت :
— أريد أن يضع أبى فى مستشفى المجازيب لأنه طلب
بد ابنته لى ١٩

— معه حق .. لست أدرى كيف فعل الرئيس
عبد الواحد هذا .. كيف جرؤ على قوله .. لا شك أن به
شيئاً .. إن الشلل لا بد قد أثر على عقله .. ألا تعتقد هذا ؟
ولم يجب « على » .. كان من وقع المفاجأة ومن فرط
الأس أشبه بالغريق .

وأردف الرجل يقول فى لهجة يشوبها العطف :
— إنى أحب الرئيس عبد الواحد .. إنه رجل طيب ،

لم يسيء في حياته إلى أحد .. وإني أكره أن أتسبب له في
أذى .. ولكن ما فعل كثير .. أنت لا تتصور هياج
الأمير و غضبه .. إنه لا يريد أن يبقى في أرضه دقيقة
واحدة .. لقد أمرني أن أحمله قسراً إلى مستشفى المجاذيب
ولكنني ..

ورفع «علي» رأسه المطرق الحزين وقال وقد تمالك وتجلد:
— لا داعي لكل هذا يا أدریس افندی .. دع الأمر
سأدبره بما يرضي الأمير ، سأرحل بأني عن الدار ، سرحل
جميعاً ولن تروا لنا بعد اليوم وجهاً .
— ولكن إلى أين ؟

— سأستأجر بيتاً قريباً من الشكنات .. لقد كنت في
الواقع أطلب هذا من أبي منذ مدة طويلة .. ولكنه كان
يأبى أن يترك هذا البيت الذي يعتبر نفسه قطعة منه ، وكانت
أمي تؤيده في رغبته .. ولكنني أعتقد أني أستطيع إقناعهما
بالرحيل .

— أظن ذلك هو خير ما تفعل .. بدل الطرد
والفضيحة .. إني سأهدي الأمير .. وأقنعه أن ما حدث
لأبيك ليس إلا نوبة طارئة .. وأنت قد رحلت به إلى
القاهرة لعلاج .

— أشكرك يا إدريس أفندى . . وأرجوك رجاء
خاصاً أن تكتم الواقعة قدر ما استطعت .

وانصرف إدريس أفندى . . ودخل « علي » إلى الصلاة
فوجد أمه قد وقفت تنتظر في لهفة وفزع وتساءله عما حدث
وماذا يريد إدريس أفندى .

وأجاب « علي » في اقتضاب :

— يريد منا أن نرحل عن البلدة .

وصاحت الأم مشدوهة :

— نرحل ! من الذي يستطيع طردنا من أرضنا وبيتنا ؟

— اخفضي صوتك . . إن الأمير يريدنا أن نرحل .

— وما فعلنا ؟ !

— لقد ذهب أبي إليه ليخطب ابنته . . فاعتبره بفعلته

تلك مجنوناً خطراً . . ولذلك لا يجب أن يبقى في أراضيه .

وهتفت الأم في صوت مرتجف :

— أفعل أبوك هذا ؟ متى ؟

— هذا الصباح .

— ولكنه لم يغادر البيت !

— لقد خرج في الفجر ثم عاد قبل أن نستيقظ .

— وماذا دعاه إلى ذلك ؟ ! أين هو ؟

— لا تقولى له شيئاً . . دعى الأمر لى . . وأعدى
نفسك للرحيل .

— إني إن أترك دارى أبداً .

— يا أمى من أجل أنا لا بد أن نرحل . . كان يجب أن
نترك الدار منذ زمن . . نحن فى مركز يهيء لنا أن نسكن فى
دار أحسن . . ولست أجد هناك ما يربطنا بها إلى الأبد .

— يربطنا بها تراب الأرض . يربطنا بها الجدران التى بنيناها
حجراً فوق حجر . . تربطنا بها السنون الطويلة .

وانسابت الدموع من عيني الأم وأقبلت « بهية » تربت
ظهرها وتهدها قائلة :

— لا داعى للبكاء يا خالتي . . ما دمنا كلنا بخير . . فأى
مكان يضمنا جميل . . ثم أنه لم تعد لنا خيرة فى البقاء أو
الرحيل .

وتركت « على » ، « بهية » ، تهديء أمه ، ثم دلف فى سكون
إلى حجرة أبيه .

وكان الرجل قد تمدد فى مقعده . . وبدأ فى استرخائه
ورأسه المدلى على صدره كالمستغرق فى سنة من النوم ،
ولكن لم تسكد قدما « على » ، تطرقان أرض الحجرة حتى
رفع رأسه فى إعياء وفتح جفنيه المسبلين فى ثقيل ونظر إلى

« علي » نظرة اعتذار واستغفار وكأنه يقول له :
— سامحني يا بني .

ولم يشعر « علي » بأن هناك ما يستدعي اعتذار أبيه ..
ولم يحس بأنه قد ارتكب أمراً إذاً ولا فعلاً نكراً ..
ولا خيانة الذكاء ، ولا أضله عته ولا خبل ، كما ظن الأمير
وتابعه .

بل إنه لم ينحرف قيد أنملة عن طريقته التي كان يصرف
بها أموره وهو في أوج صحته وفي كامل قواه .

لقد كانت حياته سلسلة توضحيات من أجل ولديه ، ولم
يحاول قط أن يجعل توضحياته تتخذ مظهر التوضيحات .. فقد
كان يستبرها من صميم واجبه في الحياة .. كان يعتبر نفسه
الجدع الموصل لعصارة الحياة إلى ثمرتين .. وكان حياة
الثمرتين ونضجهما هي مظهر حياته هو .

لقد أراق ماء وجهه فيما مضى ليحفظ لهما ماء وجهيهما .
وعمله اليوم لا يزيد عن استمرار لوسيلته القديمة ..
قطرات أخرى من ماء الوجه .. سكبهما ليحفظ ماء وجه
« علي » .. لقد جمل من نفسه درعاً يتقي به ولده .. صدمة
الخيبة ، واطمة الخذلان .

كان يعرف ما بنفس « علي » ، ويعرف اللهب

الذى يضطرم في فؤاده ، فلم يجد بداً من أن يتقدم للفداء
فإما منح ابنه ثمرة الرجاء أو وفر له راحة اليأس .
ولم يعرف « على » كيف يعبر لأبيه عن شكره وكيف
يوضح له مشاعره .

واقترب منه ، والرجل ينظر إليه نظراته الآسفة
المعتذرة وانحنى على يده المستندة على حافة المقعد ورفعها إلى
شفتيه فقبلها بحنان واحترام كأنه يقبل يد قديس أو نبي ،
وبدا كأنما يعوضه بها عما لاقاها في سبيله من مذلة
ومهانة .

وسحب الأب يده برفق وربت ظهره ، ثم ضمه إليه وقد
ذهبت من عينيه نظرة الأسف .
وتحدث « على » قائلاً :

— آسف يا أبى لما سببته لك .. إنى لم أرد أن أشركك
في أزمى ، ولكنك أبيت إلا أن تزج بنفسك فيها . . .
إنى ما أحسست أنى أكره نفسى وأكره حى .. إلا هذه
الساعة التى دفعتك فيها إلى المذلة .. كان يجب على أن أكون
أكثر حكمة .. فأوفر عليك البقية الباقية من ماء وجهك ..
ولقد حاولت أن أكبت مشاعرى .. ولكن ماذا أفعل
إذا كنت قد أبيت إلا أن تنفذ إلى جوانحى وتكشف

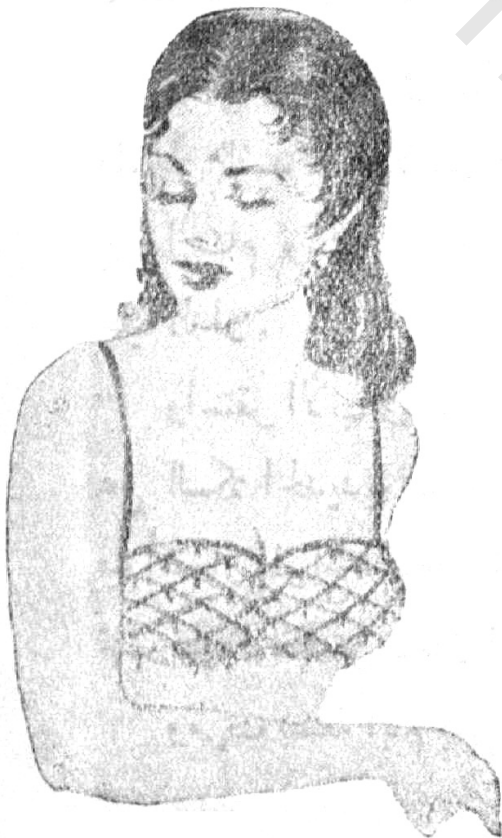
خبايا صدرى .. وتعرف علتى .. وتسكب فى سبيل برئها
البقية الباقية من قطرات ماء وجهك .

واختلجت شفتا الأب .. وحاول أن يحببه .. ولكن
لسانه لم يسمعفه .. فقد أصابه الشلل وأفقدته الصدمة القدرة
على النطق .

وانزلقت العبرات حارة من عين « على » وهو يضم إليه
أباه « المجنون الخطر » .



آن سلف



وعلى ، بعائلته إلى كوبرى القبة فى بيت منعزل
انتقل قريب من السكة الحديدية الزاهية إلى المطرية
وعزبة النخل ، وكان البيت لا يكاد يختلف كثيراً عن بيتهم
فى تواضعه وقدمه والحديقة التى دقت بها طلمبة المياه وزرعت
أحواضها جرجيراً وتناثرت فيها عيدان الذرة وتساق
الوف على جدرها حتى امتد إلى السطح .

وكان البيت لعائلة رقيقة الحال بناه ربها من مدخراته ،
فلما أحيى إلى المعاش أصبحت فى حاجة إلى جنيهات الإيجار
فاخلته قناعة من البيت الملك بحجرتين على السطح .

ووجدت الأم فى الدار الجديدة شيئاً من العزاء عن
الموطن القديم . . لاسيما فى الفرن المبنى فى الحديقة وفى
برج الحمام وعشة الطيور ، والخلاء الفسيح الذى تشرف
عليه الدار .

واستقر الأب فى صمته الأبدى على مقعد فى شرفة تطل
على السكة الحديدية يسمح ببصره فى الفضاء الذى تكاثفت
فيه أشجار الموالح المحيطة بقصر القبة ، وبين آونة وأخرى
تهب عليه لفة من دخان القطارات الرائحة الغادية .

ومرت بضعة أيام بعلى وهو كالأخوذ المشدود . .

جَمَدَ الحزن أحساسه و بلد اليأس مشاعره ، وأصبح يتحرك
ويعمل ويأكل ويشرب ويتحدث . . بلا وعي ولا حساسية
ولا تفكير .

وحضر « حسين » في أجازة قصيرة لرؤية أبيه بعد أن
كتبت إليه « بهية » عن إصابته وعن انتقالهم من الدار .
وفي حجرة « علي » اختلى الأخوان ، وكان « حسين »
البادي بالحديث . . قال مستفسراً :

— ماذا حدث يا علي ؟

— حدث ما تراه .

— أريد بعض التفاصيل .

— ليست هناك تفاصيل كثيرة . . لقد فوجئت
بأدريس أفندي يطرق الباب ذات صباح وينبئني بأن الأمير
ثائر وهو يريد إرسال أبي إلى مستشفى المجاذيب .

— هكذا . . مرة واحدة ؟

— هذا ما قاله لي .

— ولأى سبب ؟

— لأن أبي طلب منه يد ابنته لي .

— وماذا دعاه إلى أن يفعل . . أقلت له أنت شيئاً ؟

— أبداً .

— ربما سمع من أمي !!

— لم تذكر له أمنا شيئاً !! ومن أين تعرف أمي ؟

— من هديانك الذي هذيت به .

— هذيت بماذا ؟

— بأنجي وبرغبتك في التقدم لخطبتها وياصرارك على

أن تحيا من أجلها .

— أنا قلت هذا ؟

— وأكثر من هذا .. إني لأعجب يا على من إصرارك

على السير في هذا الطريق اليائس المظلم .. إني لم أر أكثر

منك حكمة ولا أوفر عقلاً .. إلا في هذا الناحية ، فإن

أصرفك فيها جنون مطبق .. كف عن هذا التشبث والعناد ،

ولا تمنع في تعذيب نفسك كفقراء الهنود .. ألم يصبك كل

ما صادفت باليأس منها ؟ ماذا يمكن أن تنتظر بعد أن

اعتبر أبوها جرداً للتفكير في خطبتها .. محض جنون .. يستحق

صاحبه الوضع في مستشفى المجاذيب ! أما زلت تبصر بعد هذا

ومضة أمل ؟

وشعر «على» بالآلم يخزه ، وهو يرى نفسه موضع لوم

وتأنيب ، واندفع الدم إلى وجهه .. فقد أحس أن أخاه

على حق .. أخاه الطائش النزق .. يرى خطاه ، ويدهش

من إصراره على الاندفاع فيه ، ويسأله . . أما زال يبصر
بعد ما حدث ومضة أمل ؟

تلك هى العلة ، وذلك هو الداء الذى حرمه من راحة
اليأس . . إن مصابه هو أنه مازالت فى نفسه تلك الومضة
من الأمل . . لقد كان إيمانه بها أقوى من كل ما حدث .

ورفع رأسه فى هدوء وقال فى ما يشبه الهمس :
— أجل . . إن الأمل فى نفسى لم تنطفئ جذوته بعد .
ورفع حسين حاجبيه فى دهشة شديدة ونظر إليه نظرتة
إلى مجنون وهتف :

— أمل ؟ أمل فى ماذا ؟

— فيها هى .

— كيف ؟

— إنها هى التى غرست الأمل فى نفسى ، وهى وحدها
التي تستطيع اقتلاعه . . إنها هى التى دفعت الإيمان فى قلبى ،
وهى وحدها القادرة على انتزاعه .

— ألم تنتزعه من نفسك بعد كل ما حدث ؟

— لا . . إني مازلت أو من بها . . قد تصيبني فى بعض
الأحيان نوبات من اليأس تعصف بنفسى ، ولكن لا تنكاد
تهدا العاصفة حتى أحس بها قد عادت تتسرّب إلى قلبى

أقوى مما كانت .. كلما ذكرت قولها « إنه لن ينتزع أحداً من الآخر .. حتى الموت نفسه » . أحسست أن يأسى منها خيانة للعهد ، وأنى قد خذلتها واندحرت أمام هجمات من القدر لم تصل بعد إلى حد الموت .

وأطلق حسين تهيدة يأس وقال فى غيظ :
— كان يجب أن يأمر الأمير بوضعك أنت فى مستشفى المجاذيب بدلاً من أبى .. إنك تهذى بخرافات عن الحب والموت .. وإذا كنت تعتبر يأسك منها .. بعد كل هذا .. خذ لانا لها .. فتى تياس منها إذا ؟

ومر بذهن « على » آخر لقاء لها فى المعادى . وأبصر بعين الوهم « أنجى » تجلس قبالة وقد أمسكت بالقلب الذى أهداه إليها يوم عيد ميلادها ، وخيل إليه أنه يسمع همسها « سأفتحه لأضع فيه قلبى .. وأقذف بالمفتاح إلى النيل حتى لا ينفصل القلبان ، ويبقيان دائماً .. قلبان فى قلب » .

ثم طاف برأسه شبحها آخر مرة أبصرها فى السباق وهى تهتف به : « دع الثقة راسخة كما هى ، ودع الإيمان عميقاً كما هو » فإذا ما سألها .. أما زال حبك كما كان ؟ .. همست قائلة : « وأكثر » .

ووجد نفسه يجيب أخاه فى حدة وضيق :

— كيف أياأس منها ، وقد غرست في نفسى ذلك الإيمان العميق بها؟! كيف أخذها وقد أكملت لي هذا الحب في آخر لقاء لنا في السباق؟!

وأحس « حسين » بعطف شديد على أخيه ، وكره من نفسه لومه له .. ومدّ يده فربت ظهره برفق وحنان ، وقال في لهجة رقيقة حانية :

— وما آخرة هذا الحب يا على؟! ما نهايته؟! إلام يمكن أن يؤدي بكما .. أمام كل هذه السدود والحوائل والعقبات .. ماذا تستطيع أن تفعل أنت؟

— أستطيع أن أفعل كل شيء .. لو لقيتها .. وعرفت رأيها ، وفهمت ظروفها ، ووضحت لي أعذارها .. ووثقت منها أنها باقية على العهد .

ووجد حسين نفسه يتسامل ببساطة :

— وإذا لم تكن؟

وأطرق « على » برأسه وأجاب في صوت خافت كأنما يتحدث نفسه :

— إذا لم تكن؟

— أجل! إذا لم تكن؟

— إذا لم تكن .. أطفأت ومضت الأمل .. وأغرقت في راحة اليأس .

وتنهّد حسين تنهيدة راحة وقال كأن المشكلة قد حلت :

— إذا التقها يا أخى ، وأرح نفسك .

— وكيف ألقاها ؟ لقد مضى عام وأنا أحاول لقاءها

فلم أنجح إلا فى ذلك اللقاء الخاطف الذى كان فى السباق .

— يا أخى لا تسكن قليل الحيلة .. لو أدى الأمر إلى أن

ترابط على باب قصرها ليل نهار حتى تلقاها فافعل .. إلبس

ثياب خفير .. تنكر فى زى فلاح .. افعل أى شىء ؟

— تكلم كلاماً معقولاً .. هذا مجنون وعيث ۱۱

— دعك من هذا ۱ أتريد أن تفهمنى إننى لا أستطيع

لقاء أى مخلوق أياً كان إذا أردت ذلك .

وقال د على ، متمللاً :

— الذى حدث أنى حاولت أن ألقاها ولكن لم أستطع .

— أتراهن أنى أستطيع أن أجعلك تلقاها اليوم ؟

— لا داعى للرهان ، لأنها سافرت إلى الإسكندرية .

— وكيف عرفت ؟

— من إدريس افندى .. لقد لقيته أول أمس وأنبأنى

بأسفه على كل ما حدث .. وقال لى إن الأمير قد سافر إلى

قصر الإسكندرية ، وأنه لو بكر فى السفر بضعة أيام لما حدث

ما حدث .

- إذا تعال معي إلى الإسكندرية .
- لا أمتثل للحصول على أجازة بمسدد الأجازة المرضية الطويلة التي أخذتها .
- إذا سافر معي يوم الخميس والجمعة القادمين .
- إني نوبتجي يوم الجمعة .
- ما بالك تسدها هكذا . . ابدل نوبتجيتك .
- سأحاول .
- لا تقل مستحيل . . بل قل سأفعل . . ستحضر معي إلى الإسكندرية ، وسأجعلك تلقاها . . ولو بالبوليس . .
- ماذا تظني . ! هنيئة مثلك . ! إن مركزي في الإسكندرية أهم من الحكمدار والمحافظ . . قم وفرّج عن نفسك واضحك . . وفرّش . . سيحلها ربنا إن شاء الله .
- وضحك ، على ، ضحكة خفيفة مغتصبة ، واستمر مطرقاً في مكانه ، ولكن حسين جذبه من يده قائلاً :
- قم بنا .
- إلى أين ؟
- ستسهر معي الليلة .
- أنا لا أحب السهر .
- بل سأجعلك تسهر رغم أنفك . . انهض . . وكفى

جلوساً كالملاك الحزين .. إن أسوأ ما تفعله في حالتك تلك
هو الجلوس والتفكير ، قم بنا سأجعلك تسهر ساهرة ، تظل
تقسم بها طول حياتك .. سنذهب أولاً إلى « كريمة » ..
أتذكرها ؟

— كريمة من ؟

— كريمة الولد .. البنت التي جلست معك يوم ذهبنا إلى
صاله نعيمة ونحن طلبة .. ألا تذكر ؟

— أجل ! أذكرها .. الفتاة النحيلة السمراء .

— إنها لم تصبح نحيلة ، ولا سمراء .. لقد امتلأت
وتصلحت جداً .. وأصبحت صاحبة الصالة التي كانت تعمل بها
إنها الآن أشهر راقصات مصر .. ألا تسمع عن كريمة ماهر ؟
— أظني قرأت الاسم في بعض المجلات .

— إنها هي نفسها .. وهي تسألني عنك في كل مرة
تقابلني .. لاشك أنها ستسر جداً عند ما تراك .. إن
الليلة ليلة افتتاح صالاتها .. هيا بنا .. قم أبدل ملابسك .
— أرجوك يا حسين .. أنت تعرف رأيي في هذه
الاماكن وتعرف ضجري منها .

— أنت لا تعرفها حتى تكون رأياً فيها ، ولا يمكن أن
تضجر منها لأنك لم تجرب السهر فيها ، والإنسان دائماً يكره

ما يجهل .. بفرّب يا أخى مرة واحدة من باب العلم بالشىء .
— لقد جرّبت ، ولم يطربنى شىء بها .

— متى ؟ ونحن طلبة ؟ .. هذه الهنديات التى جلستما ..
وكأنك تلميذ فى محاضرة أو متعبد أمام واعظ ؟ لقد كبرت
الآن . ولا بد أن تعرف كيف ترفه من نفسه وتخلصها من
ذلك الكبت الذى يجعلك تحصر كل اهتمامك فى شخص بذاته ..
فإما هو ، أو لاشىء .

— تلك هى طبيعتى ، وأنا لا أستطيع تغييرها .. إن طبيعة
خالق لا تلائم تلك الأجواء التى تصطنع فيها المتعة .
— لا تسكن فيلسوفاً .. قم وارتند ملابسك .. ودع
الباقى على .. سأتكفل أنا بإمتاعك منها كانت طبيعتك .
— أنا واثق أنى لن أستمع بشىء .

— لاضرورة لأن تستمتع .. تعال من أجلي .. اعتبر
أنها مجرد صحبة لى ، ألم أوحشك يا أخى ! . على أية حال ..
إذا لم تذهب الليلة . فلن أتدخل لك فى شىء .. ولن أعينك
على اللقاء .. مارأيك ؟

وضحك « على » وأجاب :

— لست أدري .. ماذا يهمك .. من أن أذهب .. أو
لا أذهب ؟

— يا أخى . . نريد أن نفرش . . ونهيمس سوياً . .
قم . . قم .

وارتدى « على » ملابسه . . وقبيل التاسعة مساءً كان
الأخوان يجتازان باب صلاة كريمة . . وقد دخل حسين
كعادته مرحاً ، باسم الشجر ، يلقى التحيات يمنة ويسرة . .
ويتلقى الترحيب والتكريم من هنا وهناك . . بينما تبعه « على »
مشدود القامة ، بارز الصدر ، مرفوع الرأس ، مقطب
الوجه ، كأنما يسير فى طابور .

ولم يبد على الصلاة تغيير يذكر اللهم إلا تجديد المقاعد
والستائر وطلاء للجدران ، وكان المكان مغرقاً فى ضجته
الطبيعية ، ولم يستطع « على » بمشيته الصلبة المستقيمة وذمته
المرتبك الوجل أن يميز الكثير مما حوله ، كل ما ميزه
أصوات تتعالى وأشباح تغدو وتروح تلوح بينها أكتاف
عارية ووجوه منقوشة مصبوغة .

ووقف حسين برهة ودار ببصره فى الصلاة كأنما يبحث
عن شيء ، ووقف بالتبعية « على » ، ولكنه لم يحسر أن يدور
ببصره ، بل ظل محققاً بعينه فى رأس أخيه ، وهو يحس
بالخجل من وقفته . . ويتخيل الأبصار كلها معلقة به ،
فاحصة إياه .

وبدا كأن حسين قد وجد ضالته عند ما وقع بعصره
على « كريمة » وقد أقبلت من الباب الصغير المؤدى إلى غرف
الراقصات ، ولم تكلم « كريمة » يقع بعصرها عليه حتى تهلل
وجهاً وصاحت مرحبة :
— أهلاً .. أهلاً ..

ثم أقبلت عليه تشق طريقها بين الأجساد المحترقة .
والحناجر الصاخبة وهي تتلقى التحيات وصيحات الإعجاب ،
ولم يكن بعصرها قد وقع على « على » ، حتى مدت يدها
مصافحة حسين فاستدار مقدماً إليها « على » .

وبدت كأنما أخذت من مرآه .. وتلاحقت أنفاسها ..
وكسى وجهها شيء من وجل العذاري لا يكاد يتناسب قط
مع مظهرها المستهتر ولا مع الجوارح العريضة المحيط بها .
وأحست وهي تضع كفها في كفه الكبير ، وهو يشد
عليها ويمزها بأن تياراً دافئاً سرى في جسدها .. تياراً
لذيذاً لم يتدفق في باطنها إلا كد البارد منذ أمد طويل .

وقفز في ذهنها أول لقاء .. وما أثاره في نفسها من
إحساس باللهفة والشوق كأنه خل غائب أو ألف ضائع ..
والليلة .. وبعد هذه الغيبة الطويلة .. وبعد أن يئست حتى
من استرجاع طيفه في أحلام السكرى .. وبعد أن طمست

معالمه الأحداث التي تزخر بها حياتها .. يقف أمامها مرفوع
الهامة ، مشدود القامة ، ليصيب جسدها بنفس الهزة الأولى
ويدفع في رأسها نشوة لقاء الغائب الميسوس من لقائه .

وهتفت مرحبة وهي تحاول استعادة سيطرتها على نفسها :

— أهلا .. أهلا .. ما هذه الغيبة الطويلة .. عاش

من رآك .

وأحس « على » بشيء من الارتباك وهو يجدها قد
استبقت كفها في كفه أكثر مما يستدعي السلام العادي .

واستمرت « كريمة » في ترحيبها .. وهي ما زالت مطبقة

على يده :

— ثلاث سنوات طوال .. لا تفكر في زيارتنا مرة

واحدة .. إنني لم أرك أبداً في حلة الضابط .

وجاهد « على » ، أن يوقف الدمام المتصاعدة إلى وجهه

وهو يحس كأن كل الأنظار قد وجهت إليه ، وأنهم يفحصونه

ليروا كيف يبدو في حلة الضابط .

وأحست « كريمة » بلمحة الاضطراب والوجل التي طافت

بوجهه والتي سببها اندفاعها الصياني نحوه ، فأسرعت تجذبه

من يده متجهة إلى الباب الذي أقبلت منه ، وقد أمسكت

حسين بيدها الأخرى قائلة :

— تعالاً معي . . نشرب فنجاناً من القهوة . . قبل أن
يبدأ العمل .

ونظرت إلى ساعتها . . وأردفت قائلة :

— ما زال على موعد البدء ربع ساعة . . أستطيع أن
أتحدث فيه معكم . . لشد ما أؤخشتماي !

ودلفا من الباب إلى دهليز ضيق رطب تسكثف فيه
الدخان ، وقامت على أحد جوانبه بضع حجرات ضيقة
استطاع « على » أن يلمح بها بعض الراقصات والممثلين وهم
يضعون الأصابع على وجوههم ، ويبدلون ملابسهم .

وأفضى بهم الدهليز إلى رحبة متسعة تطلت من سقفها
ستائر مرسومة ، وتناثرت في جنباتها أرائك ومقاعد وقطع
أثاث ألقيت في إهمال ، وأدرك « على » أنه يسير فيما يسمونه
بالسكواليس ، وأحس بنوع من شغية الأهل التي تهيب كل
ناظر إلى السكواليس لأول مرة . . وقد بدأ أمامه المسرح
قديماً بالياً والمناظر باهتة مشققة ، أبعد ما تكون عن الروعة
التي تبدو بها عندما تنحسر عنها الستائر الخمراء التي تحميها من
أعين النظارة .

ودخل الثلاثة الحجرة الأخيرة السكائنة في نهاية الدهليز
وبدت الحجرة ضيقة بالنسبة لرحابة المسرح المواجه لها ،

ولم يزد ما بها من أثاث على أريكة من القטיפينة الحمراء نعل وبرها عند متكآت الأيدي ومساند الرؤوس ومتعدين «فوتيل» من نوع الأريكة وتسريحة عالية من الطراز القديم قد تناثرت عليها الأصباغ والخطور وفنجان قهوة أظفى في تنوته عقب سيجارة ، وكوب عكر ماؤه بغسيل الأصباغ ، وفي جانب الخجرة قام دولاب ضخم فتحت ضائفه نصف فتحة وبدأ من خلالها خليط من ملابس الرقص والملابس العادية ووقفت أمامه عجوز موشومة الذقن وظاهر اليد ، قد اتشحت بالسواد وانهمكت في ترتيب الملابس في الدولاب ، ولم تكذب العجوز تراحم حتى تركت ما في يدها واتجهت إلى الباب مغادرة الخجرة في صمت ، وقبل أن تختفي العجوز صاحت بها كريمة :

— اطلبي لنا ثلاث فناجين من القهوة أحدهم سادة .

وأردف حسين :

— إثنين سادة .

ورفعت العجوز رأسها فبرزت حسين وانقرجت شففتها

عن ابتسامة واسعة وقالت :

— مساء الخير ياسى حسين !

— وانت من أهله يا حاجة . . ألم تعرفيني ؟

— كيف لا أعرفك . . العتب على النظر

وقبل أن تنصرف عادت تسأل :

— اثنين سادة . . والثالث ؟

وأجاب على :

— لا ضرورة للثالث .

وسألت كريمة :

— وله ١٩

وأجاب حسين نيابة عن علي :

— على لا يشرب القهوة ولا الشاي ولا السجائر

إنه لا يملأ جوفه إلا بما يفيد .

وأردفت العجوز :

— معه حق . . ربنا يهديه أكثر وأكثر .

وقبل أن تنصرف العجوز صاحبت بها كريمة :

— إذا مذاق له زجاجة سباتس مثليجة . . أم حتى

هذه ممنوعة ؟

وضحك على :

— لا . . لا . . لا مانع أبداً .

وانصرفت العجوز وقالت كريمة تدعوها إلى الجلوس .

— تفضلاً .. الحجرة ليست قدر المقام .. ولكننا
تبعنا عن ضجيج الصلاة .

وحاولت أن تخفي ما أحست به من ارتباك واضطراب
لمواجهتها على بالثرثرة :

— لماذا لا تزورنا يا علي .. إن حسين عذره معه فهو
في الأسكندرية .. ومع ذلك لا يأتى إلى القاهرة إلا
ويعر علينا .. أما أنت فما عذرك ؟

وتتم «علي» معتذراً كأنما هو قد قصر فعلاً في أداء
واجبه نحو زيارتها :

— لقد كنت في الواحات البحرية .. لمدة طويلة ..
ثم مرضت بعد ذلك بالمalaria .

وبدا علي وجه كريمة الانزعاج .. انزعاج حقيقى ضاعفه
قدرتها الطبيعية على المبالغة في إبداء مشاعرها .

وصاح حسين ضاحكاً :

— لا تنزعجى هكذا .. إنه أمامك كالحصان .

وجرى الحديث بعد ذلك بتجاذب الثلاثة أطرافه ،
كلمة من هنا ، وكلمة من هناك ، وفي خلال ذلك كان «علي»
يسترق إلى كريمة النظرات يفحصها المرة بعد المرة .

هذه المرة كانت أكثر امتلاء ، ولم يكن امتلاء عن
سمينة أو ترهل . . بل امتلاء في موضعه ، أو في مواضعه ،
في الردين والصدر والذراعين والساقين ، أما الخصر فقد بقي
على ضيقه ولفته ، وبدأ وجهها وفي ملامحه نفس العذوبة التي
تفيض منها كجموعة واحدة تفقد أجزاؤها عذوبتها إذا
أخذت كل على حدة .

وأحضر الجرسون القهوة والغازوزة ، وصبت « كريمة »
القهوة في الفنجانين . . والغازوزة في الكوب الكبير
المليء بالثلج .

وأخذ « علي » يرقب برغمة كريمة .

إنه يذكر في المرة السابقة رغبته في تغطية جسدها
العارى ، أما في هذه المرة فقد أحس برضاء عما ظهر منه .
رضاء كرهه من نفسه ومع ذلك لم يملك إلى أن يشعر به . .
كما لم يملك إلا أن يختلس النظرة تلو الأخرى إلى إبطيها
الناعمين الأجردين ، وإلى مفرق صدرها الذي تكشف عنه
كل لفطة أو انحناء .

وكانت تنفذ منها إلى أنفه رائحة عطر لطيف ، كاد يدفعه
لولا الحياء والتحفظ إلى أن يقترب منها ليشتم المزيد منه .

ومع كل ما جمال بذهنه من أفكار أنكرها هو من
نفسه ، فقد ظل محافظاً على مظهره الجاد وجلسته العسكرية ،
ورودده المقتضبة الخجلة المتحفظة .

وبلغت آذانهم دقات المسرح الثلاث التقليدية الآذنة
بالبدء ، ونظر حسين إلى كريمة وهي ترشف الرشفة الأخيرة
من فنجانها وقال متسائلاً :

— متى نمرتك ؟

— بعد هذه .

— إذا نتركك للاستعداد ؟

ونفض الثلاثة .. وقبل أن تغادر كريمة الغرفة أقبل أحد
الجرسونات ، وهمس في أذنها ببضع كلمات فأجابته :

— قل له إنني مشغولة الليلة .. وقل هذا لكل من
يسأل عليّ .

ثم أردفت موجهة القول إلى حسين وعلى :

— سأأتى إليكما بعد انتهاء الغرة مباشرة .. لقد أمرتهم
أن يحجزوا لكم اللوج نمرة ١

وسار الأخوان في الممر متجهين إلى الصالة ولكنهما
لم يكادا يخطوان بضع خطوات حتى استرجعتهما كريمة قائلة :

— حسين . . . سانهشى سوياً الليلة . . . أنتما ضيفاي . . .
فأعْمَلَا حسابكما على هذا .

وأجاب حسين :

— لا داعى للكلفة يا كريمة .

— لا تكن بخيلاً . . . أنت تعلم أنه ليس بيننا كلفة .

وأتم الأخوان سيرهما . . . وتمتم حسين ضاحكاً :

— ما هذا السكرم الحامى الذى هبط عليها . . . يبدو أن
الشوق قد برح بها . . . حلال عليك .

— علىّ أنا ؟ ولماذا أنا بالذات . . . ولست أنت مثلاً ؟

— لقد أتيت إليها عشرات المرات فلم تلح بدعوتى إلى
العشاء بهذا الشكل ثم أنها لم تكف عن السؤال عنك فى كل
مرة آتى إليها . . . وأنت تراها قد اعتذرت عن كل لقاء هذه
الليلة من أجلك . . . ماذا تريد أكثر من هذا ؟

— أنا لا أريد هذا ، ولا أكثر من هذا . . . ليس بى من
حاجة إليها . . . فلتوفر على نفسها كل هذا . . . إني لن
أتناول معها العشاء ولن أجلس معها . . . بل سأعود الآن
إلى البيت .

ونظر إليه حسين فى دهشة شديدة :

— ماذا تقول ؟ أجننت ؟

— لم أجن .. إن ما أفعله هو عين العقل .. فلا داعي
للتورط في علاقة معها .. لأنى لست على استعداد
لهذه العلاقة .

— أى استعداد هذا الذى تعنى ؟

— إذا كانت قد دعتنى الى العشاء اليوم فلا بد أن أردّه
لها غداً .. وأنا ليس لدى من مالى أو وقتى ، أو شعورى ،
ما يمكننى من مجاراتها أو سد حاجاتها ، إنها ليست كفؤاً لى
ولست كفؤاً لها .

— ما هذه السخافات التى تهذى بها .. كأنى بك قد
دعيت إلى زواجها . يا أخى هذه ليلة سنقضها مسرورين ..
فلماذا كل هذا التفكير والتدقيق ؟ هيا بنا .

— لا بد أن أعود .. إنى أشعر بحاجة إلى النوم .

— النوم ؟ الساعة الآن العاشرة .. وتحدث عن
النوم ؟ هيا .

— قلت لك إنى لا بد أن أعود .. أتمم أنت السهرة ،
وسأعود أنا .

— لن أتركك تعود أبداً .. ماذا تقول عنا المرأة ؟

اجلس على الأقل حتى تشاهد نمرتها ثم تعتذر لها .

وجلس الاثنان في اللوج ، وبدأ حسين يتلقى التحيات
واندج في المجال ، وجلس « على » ساهماً واجماً ، وانتهت
الغزة الأولى ، وبدأت غمرة « كريمة » ، وظهر في أول الأمر
حشد من الراقصات يقدمن لرقصتها . . ثم بدت هي ملفوفة
في وشاح أسود شفاف . . جعلت تتمايل وتدور في رشاقة
وخفة وهي عارية القدمين ثم ما لبثت أن ألفت بالوشاح .
واندفعت ترقص شبه عارية . . رقصة أبدت سيطرتها على
كل عضو وكل عضلة في جسدها . . كانت ترقص في شبه
جنون . . ونظرها محدد في ناحية واحدة وعيناها معلقتان
بعينين مخصوصتين كأنها لا ترى سواهما ولا ترقص إلا من
أجلهما .

وتذكر « على » هيكها النحيل عند ما شاهدها أول مرة
ونظرها إليه نظرة طير صائد ، وتذكر ما أحسبه نحوه من
ميل مبعثه العطف الشديد . . وعند ما التقى بعصره ببصرها
وهي تدور على المسرح في حماس جنوني تملسكه نفس المبل
أو أشد . . ولكن مبعثه كان أكثر من عطف . . كان
شوقاً ورغبة . . ملأه منها خشية ، وعند ما أسدل الستار

نهض في إصرار واتجه إلى الباب .. مصدماً على العودة إلى
الدار . . . والهروب من التجربة الأولى ، يدفعه إلى الهروب
وجه أشقر ملائكي قام فجأة بينه وبين الجسد العاري
الملقى كأنه سد منيع .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



« على » مع أخيه إلى الإسكندرية بعد أن تمكن
سافر من مبادلة نوبتجية يوم الجمعة . . وهبط الاثنان
من القطار في محطة سيدى جابر ، وأحس « على » ريح
الإسكندرية الرطبة تلمح وجهه حاملة إليه أعذب ذكرياته ،
وجلس بجوار أخوه فى التاكسى ، وقد تواترت على ذهنه
صور اللقاء الأول فى سان استفانو . . ولطمة الموجهة
فى الممصرة ، وندت عنه زفرة حارة حملها حرارة جوفه
وعب بدلها من الريح الرطبة ما بل به صدره وأندى قلبه .
ونظر إليه حسين وقال ضاحكاً :

— ما بالك تنهد كأم ثكلى . . المفروض أنك ألقيت
همومك فى القاهرة وأنيت إلى الإسكندرية بلا هموم . .
ألم أعذك بما طلبت ؟

وأجاب « على » بضحكة مقتضبة ثم عاد إلى شروده .
ولم يطل السير بالعربة حتى توقفت فى شارع كليوباتره
الرئيسى العمودى على البحر ، وهبط حسين ووراءه « على »
ودلفا فى عمارة لا تبعد كثيراً عن البحر ، وفى الطابق الثانى
دق حسين جرس أحد الأبواب وبعد لحظة فتح الباب
وأطلت منه امرأة فى منتصف العمر بملامحة الجسد متوردة

الحدين ، وقالت بلهجة عربية ركيكة وقد بدا على وجهها
سماه الترحيب والتهلل :

— أهلا حمين .. حمد الله على السلامة .

وأجاب حسين على تحيتها بقوله :

— أهلا أم ريتا .. أوحشتيني كثيراً ، هذا أخى على ،
وهذه أم ريتا التى لولاها .. لضعمت فى الاسكندرية ..
ولما كنت أساوى بصلة .

وربت ظهرها الممتلئ محدناً بكفه طرقات عالية ..
وأردف ضاحكاً :

— أم ريتا أذا امرأة حضنتها حتى الآن .. صدق من
قال .. الدهن فى العتاقى .

وأجابت أم ريتا ناهرة فى دلال :

— اختشى عيب .

ثم وجهت القول إلى على :

— أخوك هذا شقى جداً .. لا يكف عن المزاح أبداً .
وأفسحت المرأة لها الطريق فدخلت إلى صالقتها منضدة
عتيقة ، ودولاب فضية عال ركب ظهره من مرآة كبيرة
مخبشة وصفت على رفوفه البلورية بضعة تحف من الصينى
وطقم من الأكواب الكريستال .

ونفذت إلى أنف «علي» رائحة الرطوبة العفنة التي تشتم
في بيوت الإسكندرية . . مزوجة برائحة زفارة اختصت بها
بيوت الأروام والجريج ، وقبل أن يدخل الأخوان إلى
حجرة حسين تساءلت المرأة :

— أتريدان طعاماً ؟ !

وكانت الساعة الثالثة والنصف ولم يكونا قد تناولا من
الطعام سوى قطعة ساونديتش هدأت جوعهما إلى حين .
وأجاب حسين متسائلاً :

— أعندك شيء ؟

— عندي صينية مكرونة بالفرن ، وفاصوليا بيضاء .
وإذا أردتما قليت لكما بيضاً وفتحت لكما علبة سردين . .
أو شعيرت لكما رنجة .

— سلمت يدك يا أم ريتا . . لقد ظننت أنني لن أجد
عندك غداء ، وكنت أفسر أين نأكل . . جهزي لنا الطعام
حتى نأخذ دشاً بارداً . . أين ريتا . . إنني لا أجد لها أثراً ؟
— لقد ذهبت إلى السينما .

ودخل الأخوان حجرة النوم . . حجرة عادية لا تزيد
عن أية حجرة نوم في أي بنسيون . فراش وتسريحة
ودولاب وكومودينو بجوار الفراش ومشجب ومقعدان ،

ومنهنهذة صغيرة وضع عليها أبا جور ورصت عليها بضعة
كتب ومجلات .

وخلع حسين ملابسه واتجه إلى الحمام . . عارياً عن
الملابس ، وصاح به « علي ، ناهراً :

— ما هذا ؟ اضع عليك شيئاً يسترك !! إن المرأة
قد تراك ؟!

— لا تحمل همها . . إنها منا وعلينا . . لقد عودتها
على ذلك .

ووقف حسين تحت الدش رافعاً عقيرته بالغناء رغم
صوته النشاز ، ولم يملك « علي » إلا أن يدندن نفس الأغنية
بنغمتها الصحيحة . . كما كانا يفعلان دائماً . . حيث يشعر
حسين أنه يغني جيداً ما دام « علي » يغني معه ، فإذا توقف
« علي » اكتشف حسين نشاز نغمته .

وانتهى حسين من الحمام وتبعه علي . . مستوراً بالطبع ،
وأحس من الحمام ومن تهريج حسين بشيء من الاتعاش
أضاع الكثير من سر حانه وخفف من تفكيره القلق
المهموم وجلس حسين يمشط رأسه ويغرقها بالبريل كريم ،
وهو يثرثر قائلاً :

— أم ريتا هذه لقطة . . لست أدري ماذا كنت أفعل

في الإسكندرية لولاها .. تصور .. هذه الحجرة بالأكل
والشرب والغسيل والمكوى .. بأربعة جنينيات وليلة .
— ليلة ؟

— أجل .. ليلة أنا معها في الأسبوع محل زوجها
المرحوم ، بترو ، الذي كان يعمل بحاراً .. إنها سمينة بعض
الشيء ولكنها في الفراش معقولة .. وابنتها ، ريتا ، لا بأس
بها أيضاً ، إنها تبدو صغيرة ولكنها ممتعة .
ونظر إليه ، على ، وهز رأسه في عجب وقال :
— أنت حيوان ؟

وأجاب حسين وهو يعصب رأسه بالفروطة :
— وأنت أغبي من أي حيوان .. ستضيع عمرك
وراء سراب .

وأقى صوت أم ريتا ، منادياً إياهما للغداء :
— الغداء جاهز .. تفضلاً .

وعقب الغداء سألت المرأة حسين :

— أأعد لأخيك حجرة ريتا ؟

— لا .. لا .. لا تتبعي نفسك في شيء . سينام معي .

لقد تعودنا منذ الصغر أن ننام معاً في فراش واحد .

وامتلقى حسين في الفراش ، واسترخى ، على المقعد

الفوتيل متشاغلا بتصفح إحدى المجلات منتظراً أن يبدأه
أخوه بالحديث .. شارحاً ما ينوي عمله في تنفيذ خطة اللقاء .
وأغمض حسين عينيه ، وبدأ كأنما ينوي أن يروح في
سيات ، ولكن « على » ما لبث أن أيقظه بسؤاله :

— لم تقل لي ماذا تنوي أن تفعل .. ليست أمامنا فرصة
سوى الليلة لأنى لا بد أن أسافر غداً إلى مصر .
— ولماذا لم تسافر بعد غد في قطار الصباح ؟
— يجب أن أكون في الشكنات قبل الساعة لأن
الطابور يبدأ في الساعة تماماً .

— لا ضرورة لهذا الطابور .
— لا يمكن .. وإلا اعتبروني غائباً .
— قدّم عيادة .
— لم أتعوّد هذه الصيانيات .
— على أية حال .. اعتقد أنى سأدبر لك الأمر الليلة
حتى لا تحتاج إلى هذه الصيانيات .
— كيف ؟

— سأتصل بقدره محمود وأطلب منها أن تعرف أين
مبذهبون الليلة .

— وأنى لها أن تعرف ؟

— إن علاقتها معهم جميعاً طيبة لأن أسهمها عند الرجل الكبير مرتفعة هذه الأيام . . إنها قد أصبحت أكثر من وصيفة للملكة .

— ماذا تعنى ؟

— أعنى أن الملك يحبها .

— الملك يحب وصيفة ؟ أهي قالت لك ذلك ؟

— أجل .

— لا بد أن تكون كاذبة . . وما علاقتها بك أنت ؟

— تزعم أنها تحبني .

— أهذا معقول ؟ الملك يحبها وهي تحبك أنت ؟

— ولم لا ؟ ألا تعتقد أنت نفسك أن الحب

لا يعرف القيم المادية .

— أجل . . الحب الروحي لا يعرف القيم المادية . .

ولكن الحب المادى . . يجب أن يعرف .

— أنا على أية حال لا أعرف أن هناك فرقاً بين حب

وحب . . كله حب .

— وأنت ما موقفك منها ؟

— أحبها .

— متأكد ؟

— أعتقد هذا . . إنها أحب من عرفت .
— لأنها أقوى من عرفت نفوذاً ، وأكثرهن فائدة .
— محتمل ، وإن كنت لم أفكر في هذا بعد . . إنى أفكر
فيها كامرأة . . إنى أريدها وهى تريدنى . . وأنا أمتعها وهى
تمتنع . . وعندما تقدمت إليها فى أول مرة فى إحدى الشلل فى
المونسير انتقتنى من بين الجميع وأنا لا فى العير ولا فى النفير ،
وراقصتنى طوال الليل . . ولم يكن ما بيننا رقص بقدر ما هو
عناق وضم . . ومنذ تلك الليلة وقد أصبحت حبيبها المقرب .

— بعد الملك طبعاً ؟

— الملك فوق الجميع . . ألا تعرف هذا ؟

— أعرف أنك تزج بنفسك فيما لا قبل لك به .

— وأنت ؟ ألك قبل بما زججت بنفسك فيه . . منذ

عشرات السنين ؟

ومضت فترة صمت خيم الوجوم خلالها على وجهه وعلى

وأحس حسين كأنما قد خدش أخاه فقال معذراً :

— دعنا من هذا . . المهم هو أن نستعين بصاحبتنا على

قضاء حاجتك . . سأطلب منها أن تعرف أين ستذهب

« أنجى » وشلتها الليلة ، وتحجز لنا مكاناً بجوارهم .

— أتظن أنها ستفعل ؟

— طبعاً تفعل ، أنت لا تدري قيمتى عندها . . دعنا
الآن نغفو قليلاً لأنى لم أنم ليلة أمس إلا لماماً ، ولا بد لنا أن
نسهر . . ارقد بجوارى وخذ لك غفوة .

— إنى أفضّل أن أغفو وأنا فى مقعدى .

وفى المساء كان الآخوان يجتازان باب المونسير . .
واتجه حسين يتبعه « على » إلى منضدة فى أحد الأركان . .
وكانت الموسيقى قد بدأت العزف ، وزنجى أسود يتوسط
الأوركسترا ، مرتدياً الأسموكن الأبيض وقد أخذ فى الغناء
بصوت خافت مبجوح ، والطرب قد بدا على بعض الجالسين
وادعاء الطرب قد ارتسم على وجوه البعض الآخر ، وبضعة
أزواج تتأيل متخاصرة ، مترجحة فى حلبة الرقص التى
توسطت المكان .

وجلس « على » على مقعده وقد توترت أعصابه توتراً
شديداً ، ولم يكسب يستقر به المقام ، حتى دار بعينه فى أرجاء
المكان بنظرة سريعة فاحصة ، ثم ارتد بعينه إلى أخيه الذى
كان يشير برأسه محيياً امرأة فى دور الكهولة تهم بالخروج . .
وقد أحاطها بضعة شبان . وهمس حسين لأخيه :

— هذه مدام أسكندرى . . إن هوايتها المحببة هى جمع
الشبان ، إنها صديقة حميمة لقدرية ، وهى خدومة جداً .

ولم يع « على » من جملة أخيه الطويلة إلا اسم قدرية ..
وكان يختطف نظرات سريعة إلى الباب وسأل أخاه في قلق :
— إنها لم تأت بعد ؟

— لا تقلق . لا بد أنها آتية ، لقد أنبأتني أنهم سيحضرون
جميعاً إلى هنا . . أنجي وعلاء وسامح وسهيله وإبراهيم وبقية
الشلة . . وطلبت مني أن أنتظرها . . وأعتقد أنها لا بد
ستأتي معهم .

وعاد « على » يرمق الباب ، ثم علت وجهه مسحة تبهم ..
وتسامل متردداً :

— ولكن . . أظن أنني . . أعنى . . أن الفرصة . .
ستكون سانحة للحديث معها ؟

— ولم لا ؟ لقد اتفقت مع قدرية عندما ترانا أن
تدعونا إلى منضدتهم وتقدمنا إليهم ، وأظن عليك بعد هذا
أن تتولى أمرك . . إن الحديث معها لن يكون مسألة شاقة .
— أظن ذلك ؟ هل يمكن أن أقول لها كل ما أود قوله
وسط هذه الشلة التي تتحدث عنها ؟

— طبعاً . . ماذا تظنهم فاعلين ؟ . . سيكون كل منهم
مشغولاً بنفسه ، أو بكأسه أو بغيره ، وتستطيع أن تنتجى
بها أحد الأركان البعيدة المطلة على البحر . . لا تكن هكذا

قليل الحيلة ، ولا تعقد أسارىرك . ابتسم واجلس على راحتك
نحن اسنا في طابور . . . لنا . .

وقبل أن يتم حديثه لمح قدريه تجتاز الباب ، فأردف
هامساً :

— لقد أقبلوا ، ها هي قدريه .

والتفت « على » فرأى قدريه تقبل بخطواتها الرشيقة ،
وافتاتها الحلوة ، وقوامها المعتدل ، ووجهها الذي يفيض
أنوثة وأرستقراطية ، وتبعها بقية الشلة تتسرّب من الباب
واحداً بعد الآخر عدا « أنجي » وكان « على » قد ثبت بصره
في الباب كأنما يرقب فيه مصيره . . . ولما انتهى دخول الشلة
دون أن يبدو لأنجي أثر ، بدأ اليأس على ملامحه ، وهمس
لأنجي :

— إنها لم تأت ؟

— غير معقول ، لقد أكدت لي قدريه أنها قادمة . .
اصبر قليلاً .

ولم يطل صبر « على » فبعد بضع ثوان دخلت « أنجي »
يتبعها علام .

وأحس « على » بدقات قلبه تتتابع ، كأنها دقات ناقوس
مجنون ، أو كأن بصره طيراً حبيساً يود الانطلاق ، وبداله

أن يقفز إليها ليضمها مرحباً ، ولكنه لم يملك إلا أن يرقبها في صمت وهي تسير في خطواتها الهادئة ومشيتها الرزينة متجهة إلى المنضدة المحجوزة التي أحاطت بها بقية الصحبة .
وخيل لعل وهو يرقب وجهها أن بملاحظها الدقيقة الجميلة سمات حزن ، ولم تكن تبدو بوجهها أصباغ صارخة كبقية من معها ، كانت تبدو نقية طاهرة كما تعود أن يراها في حديقة القصر . وكانت تعقص شعرها الذهبي في مؤخرة رأسها .

وقال حسين وهو يرشف من كوب بيرة أمامه :
— دعك منهم الآن .. لائق إليهم بالاكأنك لم تراهم .
وحوّل « على » بصره في شيء من الخجل ، وتشاغل برشف ما تبقى من كوب الغازوزة الباقي أمامه ، وأردف حسين :

— لا تقلق .. بعد برهة ستتظاهر قدرية بأنها فوجئت برؤيتي ، ثم تدعوني وإياك إلى مائدتهم .. وأرجوك أن تكف عن حيائك هذا .. إنهم قوم لا يعرفون الحياء .. قل لها ما تريد دون أن تعباً بأحد .. فلن أستطيع أن أتبع لك هذه الفرصة مرة أخرى .. فقد استطعت هذه المرة أن أقنع قدرية أن المسألة لا تخصني .. وأنني لا يهمني أن أرى

« أنجى ، أو غيرها ، إنما أريد أن أتبع لك أنت لقاها ..
ولست أظننى أستطيع إقناعها بهذا مرة أخرى .

ولم يكن « على ، فى حالة تساعد على استيعاب ما يقال
له أو فهمه ، فقد بدأت الأفكار تحتشد ذهنه .. كيف
سبقتها ؟ وكيف ستلقاه ؟ أيلقاها بما يحس لها من شوق أم
يدعى البرود ؟ وماذا يقول لها ؟ لقد سبق أن ردد حديثه
معه مئات المرات ، ومع ذلك لا يكاد الآن يعى كلمة واحدة
بما سيقوله لها .

وكيف ستجيبه هى ؟ ! إنه يذكر آخر كلمة قالتها له فى
الإسكندرية عندما لقيها فى ميدان السباق ، وسألها عما إذا
كانت مستمرة على حبه ، فأجابته هامسة : « وأكثر » .
لقد كانت تلك الكلمة هى السند الذى وقى صرح حبه
من الانهيار . كانت القطرة التى بلّ بها صده فى صحراء من
الهجر والقطيعة ، كانت البارقة التى بددت ظلمات يأسه ..
وحفظت ثقته من التزعزع وإيمانه من الضياع .

والليلة .. . هم تراها بحبيبة .. لو أعاد عليها السؤال ؟ !
أتراها مانحة إياه قطرة أخرى تبلّ بها صده ؟ ! ولكنه لا يقنع
بقطرة تعاونه على الحياة .. بل هو يريد منها أن تمنحه الحياة
نفسها .. يريد أن يحدثها كثيراً .. يريد أن يضع حداً

لتلك الظلمات التي تحيط به . . يريد أن يعرف رأيها في كل ما حدث ! أما زال إيمانها بجبهتها قوياً كما هو ؟ أما زال قادراً على تخطي العقبات والسدود ؟ أما زال ساخراً بالتقاليد هائلاً بالفوارق ؟ أما زالت مصرّة على أن تكون له حتى الموت وما بعد الموت ؟

بل . . أما زالت تذكر أقوالها هذه ؟

وإذا كانت تذكر . . وإذا كان إيمانها وحبها كما هو . . فكيف يمكنها تخطي تلك الطوة الشاسعة من التقاليد الصارمة والفوارق الصلبة ؟ وأنى لها هذا التخطي وأبوها يتهم أباه بالجنون لمجرد محاولة هذا التخطي ؟ ! وكيف يستطيع هو أن يحاوله . . وهي تقف منه هذا الموقف السلبي ، وتمتن في النأي والتباعد ؟ وكيف يمكنه أن . .

ولكنه لم يتم تسأله لنفسه فقد جذبه من أفكاره نهوض أخيه من مقعده فجأة وقوله له :

— انتظرني لحظة .

وكان بصره قد التقى ببصر قدرية ، فهزت رأسها بالتحية ثم أشارت إليه فنهض متجهاً إلى المنضدة التي أحاطت بها الشلة ، وصافح قدرية ولثم يدها ، وأشار برأسه إلى بقية الجالسين الذين انهمكوا في الشراب والضحك ، وقالت قدرية مرحبة :

— أهلا حسين . . كيف حالك ؟ ! أجلس .

ونظر حسين إلى حيث يجلس أخوه وقال معذراً :

— إني أجلس مع أخى .

— هاته يجلس معنا هو الآخر . . بدل أن تجلسا هناك

وحيدين . . إذهب وناده .

وتحرك حسين متجهاً إلى أخيه ، وكانت « أنجى » تتبادل الحديث مع سهيلة ، ولم يبد عليها الكثير من الدهشة عندما رأت حسين وردت تحيته بإشارة من رأسها ، ولكن دهشتها الكبرى بدت عند ما نظر حسين تجاه أخيه واعتذر عن الجاوس لوجوده .

لم يكن بصرها قد وقع على « على » ، حتى تلك اللحظة ، إذ لم يكن يبدو عليها كثير اهتمام بما حولها . ولم تكن تتوقع قط أن تراه في هذا الوقت ولا في هذا المكان ، ولذلك كانت مفاجأتها أكبر واضطرابها أشد ، أفقدها القدرة على السيطرة على مظهرها وتمالك أعصابها ، فتلاحقت أنفاسها لاهثة مكروبة كأنها تعدو في سباق وقد أخذت طاقات أنفها الدقيقة ترتجف مع الأنفاس المتلاحقة ، وأخذ الصدر يعالو ويهبط .

ولاحظت قدرية اضطرابها ، ونظرت سهيلة إليها في
دهشة قائلة :

— ما بالك شردت هكذا؟ ما بالك لا تردين؟ أبك شيء؟

وأجابت « أنجي » في صوت خافت :

— أبداً . . مجرد ضيق يصيبني من آن لآخر .

وأقبل حسين يتبعه « على » بسيماؤه الجادة ومشيته
العسكرية محاولاً أن يكسو وجهه مظهر الهدوء ، وجوفه
يغلي بالأحاسيس .

وشد « على » على يد قدرية التي قامت بواجب تقديم
الأخوين إلى الشلة مرددة الأسماء في لهجة رقيقة باسمه .
وانحنى الرؤوس في رقة حتى جاء دور علام ، وكانت
آثار الشراب قد أخذت تبدو في حركاته ونبراته ، ولم تؤكد
قدرية تنطق باسمه حتى هتف ضاحكا :

— نحن معرفة قديمة . . كيف حالكما ؟ وكيف حال

الرئيس عبد الواحد ؟

ورشف من كأسه رشفة ثم أردف موجهاً القول إلى

الجالسين حوله :

— كان أباهما خير جنايني شهادته حدائقنا .

ونصاعدت الدماء حارة إلى وجهين : وجه « على » ووجه

«أنجى»، وكان كل منهما يرمق صاحبه بنظرات قلقة ملؤها
اللهفة والحب والحذر والخوف، وأحست «أنجى» بعد أن
ألقى أخوها بقوله الأحمق بما يمكن أن يتورط فيه من سخافات
قد تزيد الموقف حرجاً .

ونظر ساح — الذى كان دائم الملازمة لأنجى — إلى
«على» نظرة فاحصة ثم سأل علام بقوله :
— إذا . . فهذا هو ؟ !

ولم يدعه «علام» يتم حديثه ، بل قاطعه قائلاً بلمهجته
المستهترّة الساخرة :

— أجل إنه هو بعينه الذى تقدم يخطب أنجى ، تصوّر
الجرأة والوقاحة !
ثم اندفع بيقهقه .

وخيم السمّت على الجميع ، وبرق الشرر فى عيني حسين
وأحس «على» بموجة غضب تجتاحه وتدفعه إلى أن يقلب
المنضدة على رؤوسهم جميعاً ، ولكنه تمالك وتجلّد دون أن يرد
بكلمة واحدة وسحب أخاه من يده وغادرا المكان فى صمت .
واستمر علام يشيعهما بيقهقهته قائلاً :

— لقد كاد أبى يضعه فى مستشفى المجاذيب ، ولكنه
اكتفى بطرده من العزبة .

ونظرت إليه « أنجى » ، فى حلق شديد وقالت والبكاء
يكاد يخنقهما :

— مستشنى المجاذيب يجب أن يملك أنت . . إنه خير
منكم جميعاً .

ورفع ساح حاجبيه وتساءل فى دهشة مآخرة :
— ومالك متأثرة هكذا ؟ لماذا كل هذا الاهتمام
والعطف ؟

ولم تجب « أنجى » ، وبدأ عليها كأنما أغرقت فى لجة من
الهموم والأحزان ، ومالبت حتى وضعت يدها على جبهتها
ثم نهضت متأقلة وهى تقول :

— إنى أشعر بصداع شديد . . سأعود إلى البيت .
وتساءلت سهيلة فى دهشة :

— أهكذا سريعاً ؟ ! إننا لم نبدأ السهرة بعد ؟

— إنى أشعر أن رأسى يكاد ينفجر .

وقال ساح راجياً :

— اجلسى قليلاً ، وأؤكد لك أنه سيزول بعد برهة .

وأجابت « أنجى » ، فى إصرار :

— لا أستطيع أن أمكث أكثر من هذا . . لابد أن

أعود الآن .

ورد سماح وهو ينهض :

— إذا . . أقوم معك لأوصلك بعربتي .

— أشكرك . . سأخذ عربتنا ثم أعيدها إلى علاء
بعد أن توصلني .

ونهمضت قدريّة قائلة :

— لاداعي لذلك . . إني أستطيع أن أوصلك لأنني
ذاهبة الآن .

وتصايح الجميع :

— إلى أين ؟ !

— تذكرت شيئاً هاماً كنت أوشك أن أنساه . .
هيا بنا يا أنجي .

وسارت « أنجي » إلى الخارج تتبعها قدريّة ، وعندما
تحركت بهما العربة كانت « أنجي » مغرقة في الصمت وقد
شردت ببصرها إلى الطريق الممتد التي تتابعته فيه الأنوار
الخافتة ، وبدأ البحر يجيش من ورائها في هدير متواتر .

وقالت قدريّة في صوت خافت :

— إني آسفة لما قد أكون سببته من حرج ولكن
لم يخطر لي ببال أن يتطور الموقف إلى مثل هذا . . إني لم
أتوقع أن يتهور علاء بمثل ما قال .

ولم تجب « أنجى » ، ولكنها أطلقت تهيدة طويلة ،
وعادت قدريّة تقول :

— أتخبين أن نلتقي بهما ، لنعذر لهما عما حدث ؟
وساد الصمت فترة ، وبدأ على « أنجى » كأنها لم تسمع
فقلت قدريّة :

— مارأيك ؟

وهمست « أنجى » فى يأس :

— لافائدة

— لافائدة من ماذا ؟

ولم تجب « أنجى » ، ورنّت فى شروء بعينها إلى الظلمات
المتكاثفة المتراكمة وراء الأمواج .

وفى تلك اللحظة كان حسين قد تأبط ذراع أخيه وسارا
بخطوات متشاقلة تلفهما الظلمة وتلفح وجهيهما ريح البحر .
وقال حسين مفرجاً عن كربه وضيقه :

— كان بودّى لو حطمت رأسه ، ولكن خشيت من
الفضيحة ، وكرهت أن أزيد موقفك تعقيداً .

واستمر « على » فى صمته ، وكره حسين فيه هذا الصمت .
كان يعرف ما يضطرب فى جوفه . . وود لو فرّج عنه
بالحديث . . فعاد يستدرجه إليه :

— على أية حال سأردها إليه في فرصة قريبة . . المهم
الآن هو أن تحاول تدبير لقاء آخر . . سأطلب من قدرية
أن تدبر لنا لقاء لا يكون به ذلك الحيوان الوقح . وعسى أن
تستطيع ذلك الليلة القادمة .

ورفع « على » رأسه المطرق وأجاب في صوت خافت :
— إني سأسافر غداً .

— لا تكن عنيداً . . ارسل في طلب أجازة محلية .

— لا أظن هناك داع للبقاء .

— أترك الأمر لي . . سأحاول أن أفعل لك شيئاً

خلال النهار ، ويمكنك أن تسافر في المساء .

وهذه « على » رأسه في يأس وأجاب :

— لا فائدة .

— لا فائدة من ماذا ؟

— من كل شيء .

وانطلقت الإجابة اليائسة وكأنها ترد على السؤال

الحائر الذي لم يجب عليه « أنجي » ، بخير نظرة صامتة تفيض
بالأسى واليأس .



منیر سراجی



« على » في فراشه مسهد الجفن عاصف الذهن ..

رقم تتلاطم أفكاره تلاطم موج استبدت به رياح هوج .. فلم يعد يستبين منها أمره .. ولا عاد يميز بينها إلا خليطاً من الحيرة واليأس والضلالة .. وأحس رأسه يكاد ينفجر .. فسحب جسده من الفراش الذي شارك فيه أخاه وكان حسين قد تكوّر وانبعج واحتل ثلاثة أرباع الفراش تاركاً له حافته كما تعود أن يفعل في صغره ، وتسلى « على » إلى الباب المؤدى إلى الشرفة المطلة أحد جوانبها على البحر واتكأ على حافتها محلقاً في الفراغ الداكن من الماء والسماء ، تبرق فيه النجوم والمصابيح خافته باهتة ، ومضت به برهة وهو في وقفته تلك صامتاً إلا من أنفاس تتردد ، وفؤاد يصخب ، ورأس بضج ، حتى أحس بالريح الباردة تنفذ إلى عظامه فعاد إلى الحجرة وأغلق الباب ورامه في سكون .

ولم يعد إلى الفراش ولكنه اتجه إلى المنضدة في ركن الحجرة وأضاء الآباجور الصغيرة وجلس على مقعد بجوارها وسحب بضع أوراق بيضاء أعدها أخوه لكتابة الرسائل ، وأمسك بقلم واتكأ برفقيه على حافة المنضدة مستنداً جبينه بكفه الأيسر غطاء عليه بأصابعه كأنه يعتصره أو يسكت ضجته

كما تعودت أن أفعل في صباهى . . واحتفظت بك مودة فيه . . أحبك حب المودة في مرقدتها ، الميوس من بعثها .
ولكننى لم أياس منك ، فشاعرك كانت أحر من أن يخمد ها كل نأى . . وأسطع من أن يطفئها كل بعد ، ويقتنى من حبك كان أقوى من الظروف والأوضاع والقيود والسدود التى حاولت هدم صرحه ودك بنيانه .

وأنا أكتب إليك لأنى كما قلت — أريد مزيداً من أمل — فليس أقدر منك على منجى إياه ، وأنت ولا شك تذكرين ذرا كثر ، التى منحيتها إياى فى آخر لقاء لنا فى ميدان السباق ، لقد كانت رغم قصر اللقاء واقتضاب الحديث خير عون لى على الحياة . . لقد بددت بها كل سحب اليأس الجائمة على .

والليلة . . ورغم كل ما حدث من سوء . . ما زالت أذكر نظرتك الحزينة اللهني . . ومازلت أحس منها — وهى لا تزيد عن نظرة — هداية وعزاء وأمل .

ولكننى مع ذلك أكتب إليك لأنى أريد المزيد من الأمل . . والفهم . . أريد أن أفهم أشياء كثيرة لا أفهمها ، وليس أقدر ولا أشد إقناعاً فى إفهامى إياها . . منك .

أسئلة كثيرة جداً تصطبخب فى ذهنى وتضج فى خاطرى

ولكنى لا أريد حتى أن أحدهما لك فأنا لا أقف منك
موقف المحاسب المستجوب ولكن موقف الراجي السائل ..
الراجي عزاء .. السائل أملا .

حدثيني أنت عما شئت ، و اشرحى لى ما شئت ، وانتقى
ما يحلو لك مما يدور فى خاطرى ، وأجيبى على ما شئت منه
ودعى ما تشائين .

أنا لا أعاتبك ولا أحاسبك ، فأنت أسمى فى نفسى من
العتاب والحساب .

ولكن اكتبى إلىّ لتمنحىنى أملا .. إذا رأيتى أستحقه
أما إذا رأيتى أحق باليأس فلا تجيبى .

وسواء أجبت أم لم تجيبى ، فإن حبك باق .. لأنه أسبق
إلى نفسى من كل ما فعلت وما تفعلين .

والفارق بين أن تحكمى علىّ باليأس أو تمنحىنى أملا .
هو الفارق بين حب المومودة .. وحب الحبيبة الباقية
التي لا تقف فى سبيل حبها سدود ولا صعاب ولا فوارق
ولا تقاليد .

هو الفارق بين أن أطوى عليك جوانحى .. وأن
أطوى السدود والصعاب حتى يكون كل منا لصاحبه .
هو الفارق بين الواد والحياة .. وأدك فى قلبى .. أو
حياتى من أجلك .

الخنس

وانتهى « على » من الرسالة ، وأعاد قراءتها مرة وثانية
وثالثة وهو يحس أنها لم تعبر كثيراً عن ذلك السيل المتدفق
في ذهنه ، إنه يود أن يناجيها ويعاتبها ويعتذر إليها عما فعل
أبوه بحسن نيته .. يريد أن يعرف مشاعرها ونواياها
وخططها المستقبلية ، ولكنه مع ذلك يشعر أنه لا يستطيع
أن يكتب أكثر مما كتب .. وهمّ بضع مرات بأن يمزق
الرسالة أو يعيد كتابتها ، ولكنه ما لبث أن طواها وأغلق
عليها أحد الظروف الموضوعية على المضادة ، ثم نهض عائداً
إلى فراشه .

وفي الصباح فتح حسين عينيه ليجد « على » قد ارتدى
ملابسه ، فسأله في دهشة :

— إلى أين ؟

— أريد أن ألحق قطار الصباح .

— يا أخى أعقل .. لماذا كل هذه العجلة ؟! انتظر حتى

المساء فقد يحلها ربنا ، ونستطيع أن نفعل شيئاً خلال النهار .

— لا أظن .. لا داعي لإضاعة الوقت عبثاً .

— وماذا لديك في القاهرة .. ألم تبدل نوبتيك ؟

— عندنا تفتيش قائد الآلاى على العربات في الغد ..

ومن الواجب أن أمر اليوم عليها .

— يا أخى لعنة الله عليك ، وعلى العربات ، وعلى قائد
الآلای . . انتظر حتى تتغدى معى ثم سافر بعد الظهر .
فقد تسنح لنا الفرصة صباحاً . . من يدري ؟

— أية فرصة هذه التى ستسبح ؟ إني واثق أنها إذا
سبحت فلن تسبح بطريقة أفضل مما سبحت بها أمس . .
إن كل ما أريده منك . . هو أن توصل لها هذه
الرسالة . . وأظنك تستطيع .

وأمسك حسين بالرسالة يقابلها بين يديه وتساءل :
— ماذا كتبت بها ؟

— لا يهمك ما كتبت . . أتستطيع إيصالها . . أم
لا تستطيع ؟
— بالطبع أستطيع .

ثم صمت برهة وأردف فى استسلام :

— اللهم إلا إذا كانت . . لا تريد هى أخذها .
وفوجئ ، ، على ، بقول أخيه ومد يده فاستعاد الرسالة
قائلاً فى وجوم :
— أعتقد ذلك ؟

وبدا على حسين الندم على ما قال . . واختطف
الرسالة قائلاً :

— أنا لا أعتقد شيئاً .. إنه مجرد كلام ، ماذا يدعوها
إلى رفضها .. لتقرأها على الأقل .. من باب العلم بالشيء
وحسب الاستطلاع .

— وكيف ستسلمها لها ؟

— سأعطيها إلى قدرية لتوصلها إليها .. إذا لم أستطع
أنا أن أسلمها لها .

— أعتقد أن قدرية مأمونة ؟

— مأمونة ؟ ! أتظن رسالتك ثمينة إلى حد أن تفكر
قدرية في سرقتها ؟

— نعمت أقصد ذلك .. بل أعني أنها ربما تعطيها لأحد .

— اطمئن .. سأضمن لك تسليمها يدأ بيد .. أتريد شيئاً
أكثر من ذلك ؟

— إذا كانت تنوى أن تكتب رداً ؟ !

— سأحضره لك .

— بمجرد أن تسلمه ؟

— سأأخذ أول قطار وأحضره لك بنفسى .. أظنك

لا تريد بعد هذا شيئاً ؟

— لا .

— ولكن كل هذا بشرط .

— ما هو ؟

— أن تتغدى معي . . سأطعمك دفقة بالكوارع ،
لم تذق لها مثيلاً في حياتك . . اجلس الآن حتى أحضر لك
ريتا . . إناك لم ترها بعد . . إن دمها خفيف جداً .
ثم وضع حسين سمبائه في ثمنه . . وأطلق صفارين
طويلتين وقال :

— متحضر حالا . . صفاران لها . . وصفارة
واحدة لأمها .

ولم يكذب ينهي من قوله حتى اندفع الباب ودخلت ريتا
ولم تكن تتجاوز السابعة عشرة ، قد النوى شعرها الأسود
القصير في حلقات صغيرة فوق رأسها . . وضحكت عيناها
الخضراوين كعيني هر . . وافتر ثغرها عن ابتسامة عريضة
ظهر من خلالها كوبرى سلك تأني أمها إلا حشوه في ثمنها
لكي يعدل من بروز إحدى أسنانها . . وقد لفت حول
جسد ها روبا حريراً رخيصاً بدت قيمته فيما حوى من
صدر رجراج وردفين مكتمزين يبديان من أنوثة الفتاة ما لم
يبد وجهها .

وألت الفتاة تحية الصباح ثم تساءلت :

— أحضر لك الشاي ؟

وأجاب حسين :

— قبل الشاى تعالى أولا حتى آخذ حوض الصباح .

وبدا الخجل على وجه الفتاة وقالت زاجرة :

— عيب يا حسين :

وأجاب حسين متصنعاً الدهشة :

— عيب !! إنه أخى .. وأنت أختى .. تعالى .

ونفض من فراشه قافزاً يحاول اللحاق بها ولكنها اندفعت تعدو هاربة ضاحكة .

وهزء على رأسه فى عجب من انحلال أخيه وردعه

قائلاً :

— يا أخى اختش .. ماذا تقول أمها ؟

— ماذا تقول ؟! أتظن أن كليهما لا تعرف ما أفعله

بالأخرى ؟

وتناول الأخوان الفطور مع « ريتا وأمها » ، وأحس

« على » بنظرات « ريتا » ترمقه فى شبه إعجاب ، وأحب هو

نظراتها وبراعتها وكره من أخيه عبئه بها ، وعندما لأمه بعد

الفطار على هذا العبث أجابه حسين ضاحكاً :

— ماذا تريد منى أن أفعل بها .. أحبها .. كما تفعل

أنت بغياوتك ؟! .. أنا لا أحب .. ولكنى أشتهى فقط ..

لا أفكر إلا في الجسد الذى بين يدي . . فدعني أعبت كما
أريد . . لأنى إذا لم أعبت هن عبثن بى .

وفى الساعة الخامسة والنصف وقف حسين على رصيف
محطة سيدى جابر مودعاً ، وضم إليه هـ علياً ، ضمة تقبلها
بكثير من الخجل والحرص لا رتدائه ثيابه الرسمية ولنفوره
الطبيعى من مظاهر المشاعر ، ولكن حسين لم يأبه الخجل أو
حرصه فقد كان يحبه ويعرف قدره ، ويحس بما يعتمل فى
جوفه من أسى مكبوت ، ولم يفه هـ على ، بشيء عن الرسالة
قبل أن يرحل ، ولكن حسين وفر عليه الحديث عنها بقوله
مؤكدأ :

— فى خلال هذا الأسبوع سأحضر لك الرد . . إن
شاء الله .

— ولكن كيف يمكنك الحضور ؟

— إنى أعمل يوماً بعد يوم . . وسأنتهن فرصة خلوصى
من العمل وأحضر ليلاً وأسافر فى اليوم التالى . . سلامى
إلى والدينا .

— فقط ؟

وضحك حسين قائلاً :

— وإلى بهبة .

— أيها الضال . . إنها ملجؤك الأخير .

— الملجأ للعجزة . . وأنا لست عاجزاً .

— أنت ضال !

— أحب الضلالة .

— حتى تهجر عنها . . فتعجب الملجأ .

— وقاني الله شره .

— شر لا بد منه .

— للعجزة فقط .

وضحك « حسين » . . وأطلق القطار صفارته مؤذناً
بالرحيل ، فرفع يده بالتحية مأوَّحاً .

وفي المساء كان حسين يتحدث في التليفون مع قدرية
قائلاً :

— أريد أن أراك الليلة .

— آسفة إن موعدنا في الغد عند مدام اسكنرى .

— ألا يمكن أن نجعله الليلة ؟

— مستحيل . . إني قد ارتبطت بموعد هام ، ولكن

لماذا هذه العجلة ؟

— كنت أريد أن أسلمك رسالة تعطيها لأنجي .

— يا أخي أجلبها للغد .

— اسمعى. ألا يمكن أن تعرفى منها إلى أين ستذهب الليلة؟
— أعتقد أنها لن تغادر سان استفانو .
— إذا سأحاول أن أسلمها لها أنا .. وإذا فشلت
فسأعطيها لك غداً .

وقبل التاسعة دخل حسين سان استفانو وألقى نظرة
فاحصة على الصالة الرحبة التى تناثر بها المناضد ولم يطل به
الوقوف حتى وجد « أنجى » ، تجلس مع أبيها وبحوارهما رجل
وامرأة لا يعرفهما .

وأخذ بوجود أبيها .. وأحس بخيبة أمل شديدة .. فقد
كان لم رأى الرجل وقع رهيب فى نفسه لم يستطع أن يتخلص
منه منذ صغره عند ما كان يسهى مع أبيه ليتبل يده ويتلقى
منه المنح والعطايا .

وأخذ يدور من بعيد حولهم ، وقد أصابته الحيرة
وداخله اليأس إذ كان من العيب أن يلجأ إلى أبة محاولة
للاتصال بها مع وجود أبيها ، ولم يجد بداً من أن يقبع فى
أحد الأركان لمراقبتها .. عل الفرصة تسنح بمخاطبتها وتسليمها
الرسالة .

ولم يكد يستقر على المقعد حتى برق فى ذهنه خاطر
جعله ينهض من مقعده ويتجه مسرعاً إلى إحدى كابينات

التليفون ، ورفع السماعة فأجابته العاملة فرد عليها قائلاً :
— أنا الملازم أول حسين عبد الواحد .. إعطاني السكة
من فضلك .

وأدار القرص طالباً إحدى نمر الفندق ، فردت العاملة
نفسها مرة أخرى معتقدة أن المتحدث من الخارج دون أن
يخطر لها ببال أن المتحدث هو نفسه الذي طلب تحويل السكة
وأجاب حسين وكأنه يتحدث من خارج الفندق :
— من فضلك أريد أن أتحدث إلى أنجي هانم .
— انتظر على السماعة .

ووقف حسين ينتظر ، وقد وضع يده في جيبه ممسكاً
الرسالة ، وأحس بكثير من الاضطراب وبدأ له أن الوقت
يمر ثقيلًا بطيئًا ، وخيل إليه أن «أنجي» ربما تكون قد رآته
وأنها أدركت أنه هو الذي يطلبها وأنها سترفض الحضور ،
وأخذت الوسوس تتوالى على ذهنه .. حتى سمع العاملة
تقول له :

— معاك يا فندم .

وسمع صوت «أنجي» يليه مباشرة هاتفة :

— آلو ..

— مساء الخير يا فندم .

— مساء الخير .. من ؟

— أنا حسين . .

— حسين من ؟

— حسين أخو علي .

— أخو علي . . .

ومضت برهة صمت لم يدر ما إذا كانت تحاول تذكره
أم تحاول تمالك نفسها من الدهشة والارتباك ، وبعد لحظة
أردفت قائلة في تساؤل :

— أفندم .

— أسمحين لي بوضع كلمات ، إني آسف على إزعاجك
ولكنني مكلف بتسليمك رسالة .

— بمن ؟

— من علي .

— مستحيل !

— وما وجهة استحالة .

— كيف يمكن أن أقابلك وأخذها منك ؟

— ليس هناك أسهل من ذلك . . إني أحدثك من

اللوكاندة . . من إحدى كبائن التليفون . . لا يفصلني عنك

موى جدار وأمتطيع أن أمسكها لك ببساطة عندما تغادرين

حجرة التليفون دون أن يلحظ أحد .

— ولكن . . ؟

— ليس هناك لكن . . إذا كنت لا تريد الرسالة خشية العواقب . . فمأتكفل أنا بتسليمها لك دون أى حرج عليك . . وإذا كنت لا تريدونها . . لأنك لا ترغبينها فأنبئيني حتى أمرقها أو أعيدها إليه . . فليس هناك بالطبع ما يمكن أن يكرهك على أخذها .

ومضت فترة صمت خيل إلى حسين أنه يسمع فى السهاعة تردد أنفاسها وبعد لحظة أتى إليه صوتها خافتاً مستسلماً :
— سأخذها .

— والرد ؟

— أى رد ؟

— الرد عليها ؟ إنه يريد رداً . . أأستطيع الحصول عليه غداً فى مثل هذا الوقت ؟
— كيف ؟

— بنفس الطريقة التى سأسلمك بها الرسالة . . سأطلبك غداً كما طلبتك الليلة ويكون الرد جاهزاً معك .
وبعد فترة تردد أجابت قائلة :

— سأحاول .

— إلى اللقاء فى الغد . . سأسلمك الرسالة بمجرد أن تغادرى الكابينة . . مساء الخير .

— مساء الخير .

ووضع السماعه ثم غادر الحجرة الصغيرة فرأى « أنجى »
تخرج من الحجرة المجاورة وقد توترت أعصابها وبدأ عليها
ارتباك شديد . . فتقدم كأنه يسير في طريقه دون أن ينظر
إليها وقد أطبق على الرسالة بيده وكان الممر خالياً إلا من
أحد صبية التليفون ، وعندما اقترب منها مس يدها تاركا
الرسالة ببساطة بين أصابعها . . مستمراً على السير في
طريقه كأنه لم يفعل شيئاً .

وضغطت أصابع « أنجى » على الرسالة بعصبية شديدة
جعلتها تتسكور مخفية في كفها المطبقة . . وخيل إليها أن
الأنظار كلها مصوَّبة إلى الرسالة المخفية ، وأنها تكاد تقرأ
ما بها وتفصح أمرها . . وتباطأت خطواتها وتعجلت حركة
ذهنها . . ماذا تفعل بالرسالة الآن ؟ .. إن عليها أن تدسها
في الحقيبة حتى تخلص إلى نفسها ثم تقرأها .

ووصلت إلى المنضدة . . وجلست على مقعدها قائلة في
هدوء دون أن يسألها أحد :

— إنها سهلة تسأل عما إذا كنت سأذهب إليها غداً .
ومدت يدها ففتحت الحقيبة وأخرجت المنديل فمسحت
به أنفها ثم أعادت المنديل إلى الحقيبة مع الرسالة .

ولم يطل بها الجلوس حتى أبدت رغبتها في العودة .

وفي حجرتها . . . وحيدة في سكون الليل إلا من هدير
الموج يأتي خائفاً من ورام النافذة العريضة فتحت الحقيبة
وفضت الرسالة المجددة المسكورة وبدأت في قراءتها .

وعند ما انتهت من القراءة أطبقت عليها ثانية . . . وأمعن
ذهنها في شروء بعيد ، مقلباً صحائف الماضي جائلاً بين أربعة .

تذكرت إلقائه بجسده أمام الترولى لإنقاذ حياتها . .
ونخبلة من النهوض حتى لا ترى رقعة بنطلونه . . تذكرت
ترفعه وإبائه وتباعده عنها ، ثم لقائهما أول مرة وهو عائد
من كشف الكلية الحربية ، وكيف أبى على نفسه الرجاء .
وتذكرت لقائهما على شاطئ الترع وفي الحديقة وفي السينما
وتذكرت رقدته في المستشفى وزيارتها له ، ثم تخرجه ورؤيتها
إياه يوم التتويج ، ورسالتها إليه ، ثم لقائهما في الإسكندرية
بين الأمواج والحدائق . . وتذكرت لقائهما الأخير يوم
ميلادها وهديته إليها . . القلب الذهبي ومفتاحه ، وتذكرت
نفسها المليئة بالأمل المفعمة بالرجاء .

كان أملها فيه وقتذاك أقوى من كل الفوارق ، وإيمانها
بحبه أشد من كل العقبات . . كانت تراء خسير الرجال . .

وتعتبر أن حتمها في الارتباط به لا يمكن أن يسلبها إياه مخلوق ، وأن مصيرها معه هي وحدها التي تستطيع تقريره .
لقد غرست في نفسها هذا اليقين . . وكان كل لقاء معه يزيد ثقتها عمقاً ، وإيمانها شدة . . حتى كانت ليلة المعادى عند ما افترقا . وقد تعاهد كل منهما على أن يكون للآخر حتى الموت وما بعد الموت .

وفي لحظة الافتراق لحها أخوها عندما مرّ بعربته .
وتذكرت ما أوجسته من خيفة وما أحست به من ضيق . . ولكن خيفتها وضيقها . . كانا تفاؤلاً بالقياس إلى ما حدث بعد ذلك .

لقد ثار أخوها ثورة حاقدة حانقة . . وأشعل الثورة في نفس أبيها . . ولم تكن الثورة مبعثها لقاءها مع رجل . . بقدر ما كانت على طبيعة الرجل نفسه ، وعلى الهوة السحيقة التي بينهما . . وعلى جدية علاقتها به . . وشعورها له .

لقد اعتبرها أبوها كارثة . . وصمم على أن يكون إزائها قاطعاً باتراً . . فأمرها بصرامة أن تكف عن كل علاقة به أو لقاء له . . وكان عليها أن تطيع الأمر . . لا خوفاً على نفسها بل عليه هو . . فلقد صمم أخوها بكل ما فيه من حقد ونزق وجنون على أن يقتله قتلاً إن رآها معه ، أو عرف

أنه ما زال على صلة بها ، وصمم أبوها بكل ما فيه من قسوة
وصلف وجبروت وسلطان وعناد وإصرار على أن يضيع
مستقبله إن لم ينته كل ما بينهما .

وكان عليها أن تختار بين علاقة يائسة وصلة ممتعة لا فائدة
منها ولا طائل تحتها . . وحياته ومستقبله .

فاختارت حياته ومستقبله . . وعزمت على أن تطوى
حبه . . وأن تده - كما فعل هو - في قلبها .

ومرت بها أسود الليالي وأمرّ الأيام . . وكم من ليلة
خلت إلى القلب الصغير تغرقه بدموع تنساب في صمت . .
وأنفاس تلهب كالشواظ . . وكم من مرة همت بالكتابة
إليه لتنفض ما في فؤادها ، ولسكنها عادت فمزقت ما كتبت .
كانت تجد في الكتابة إليه إشعالا لنيران الأمل . . وهي
التي كانت تستجدي الزمن مزيدا من اليأس ، وكانت تخشى
أن تدفعه رسالتها إلى أي فعل إيجابي قد يودي به .

وبدأ أبوها يدفع في حياتها بقربها « سامح » . . محاولا
أن يهيء له منها ما يشغلها به . . معتقدا أنه خير من يمكن
أن يكون لها زوجا .

ولقد عزمت في نفسها ألا تكون لأحد ، وأصبحت

في حياتها أشبه بدمية صامتة يضعونها أين شاءوا ويحركونها
كيفما شاموا .

ولقد شفى الزمن صدع قلبها . . وأغلقه على المومود
فيه . . وأهال البعد الكثير من أتربة النسيان . . أو هكذا
خيّل إليها حتى أبهرته في السباق فجأة . . فإذا بما سبق أن
حدثها به عن المومودة في قلبه قد حدث لها . . وإذا بالمومود
في قلبها قد استيقظ ونفض عنه الأتربة وحطم الحدث . .
وإذا بالقلب المفرق في سكون الموت قد رقص وغنى
وصفق وهفا . . وإذا بسيول الحب تتدفق . . كما تتدفق
المياه المحجوزة ورام سد إلى أرض مجذبة قفراء . . وإذا
بها لا تملك إلا أن تحببه عند ما سألها أما زالت تحبه بقولها
«وأكثر» . . وبودها لو كانت هناك كلمة خيراً من تلك للتعبير
عما بنفسها .

ولكن . . الواقع المرير . . الذي انتزعها منه لقاءها
المفاجيء . . عاد ليقيم من نفسه سداً آخر يحجز وراءه
ما تدفق من مشاعر . . وليقبض على المومود الهارب ويغلق
عليه الحدث مرة أخرى .

وعادت أتربة اليأس تنهال من معاول الواقع . . وصمت
القلب المصفق وعاد غناؤه نواحاً وترنيمه أنيناً .

كان لقاءه خطيراً .. إذ كان يضعف من قدرتها على
المقاومة .. وهى فى أشد الحاجة إلى المقاومة .. من أجل
حياته ومستقبله .. فى حاجة إلى الكثير من النسيان
والياس .. ليحكم الإغلاق على الموءود فى القلب ويقطع
عليه السبيل إلى البقاء والعيش .

وكانت تظن أنها قد مهدت له الطريق إلى اليأس وأنها
منحته من النأى والهجر ما أعانه هو الآخر على عملية الوأد .
كانت تعتقد ذلك حتى رآته بالأمس .. وقرأت فى
رسالته الليلة : « .. لا أعنى اليأس منك فإن إيمانى بك فوق
كل يأس ، « إن مشاعرك أحر من أن يخمدها كل نأى ..
وأستطع من أن يطفئها كل بعد .. وبقينى من حبك أقوى
من كل الظروف والأوضاع والقيود والسدود » .
بعد كل مافعلت ، وماقطعت ، وماهجرت ، يقول هذا !
إنه يطلب منها مزيداً من أمل .. بعد كل ماجرفته عليه
من يأس .. إنه يقول :

« أكتبى إلى تمنحيني أملاً .. إذا رأيتنى أستحقه » .
يستحقه .. ! .. إنه يستحق أن تمنحه حياتها .. ولكنها
لا تريد أن تمنحه الأمل .. لأنها تخشى على حياته هو وليس
على حياتها .

ولكن أليس من حقها أن توضح له كل شيء ؟ . أليس
من حقها أن تبين وتشرح ؟ . أليس من حقها أن تقول لماذا
لا تريد أن تمنحه أملا ؟

إنه يريد حبها .. لماذا لا تكتب إليه لتقول له إن حبها
له باق — بحبه — رغم كل شيء ؟

لماذا لا تكتب إليه لتقول أن حبهما قد تسامى إلى الحد
الذي لا تبلغه سدود أو قيود ، فهو باق على النأى والهجر
والبعد .. واصل مهما أبت الأوضاع والفوارق .. والواقع .
وأمسكت بالقلم وبدأت الكتابة .

وجرى قلبها على الورق في عدو لا يتوقف .. فسررد
كل ما أحاط بها من ظروف وما أكرهت عليه من أوضاع
وشرحت مبررات نأيها وكل ما قامته من أشجان وأحزان .
وختمت رسالتها بقولها :

« لقد وضحت لك كل ما بنفسى ، ولست أدري أجبت
به عن كل ما يخطب في ذهنك من أسئلة أم مازال هناك
مالا أستطيع تخمينه ، لقد سبق أن حاولت أن أكتب عنك
ما بى ، لى أقضى على كل أمل لك فى .. ولكى
يصيبك منى يأس مريح .. يخلصك تماماً من الموءودة
فى قلبك .

ولكن حبك — كحي — كان أقوى من كل يأس . .
والوَأَد في قلبينا لم يكن وأدأ بقدر ما هو تمكين واستقرار ،
ولذلك لم يكن أمأى من سبيل سوى أن أكتب لك
لأقول لك كل شيء ولأمنحك كما قلت المزيد من أمل .

ولقد أكون بذلك أنايية . . وقد تكون ثورة
مشاعري التي أشعلتها رسالتك أضاعت قدرتي على الصمت
والتضحية التي أقدمت عليها من أجل مستقبلك وحياتك ،
ولكن عزائي في ذلك هو اقتناعي الآن بأننا نستطيع أن
نسمو بمشاعرنا ومطالبنا عن الواقع الملموس . . وأن يظل
ما بيننا متصل رغم تلك الموانع والسدود وألا تقلل منه
قطيعة ولا بعد ولا أي تغيير مادي يمكن أن يقوم بيننا . .
وأن نستمد سعادتنا من إيمان كل منا بالآخر إيماناً لا يزعزع
ولا يهن . . وأن يبقى كل منا الآخر حتى الموت .

إذا اقتنعنا بهذا ، هانت علينا العقبات ، وهان علينا كل
ما يمكن أن يضعوه في سبيل حبنا بما يملسكونه كبشر . . ولم
أعد أخشى عليك بعد ذلك من أن أمنحك مزيداً من الأمل
بل كل الأمل . . وأقول لك :

أحبك .. أحبك .. أحبك بكل ما في من أنفاس تتردد .

المخالصة

...



قطار المساء «حسين» وفي جيبه رسالة «أنجي» إلى

«علي» ، ومد ساقيه فأسندهما على المقعد الخالي أمامه ملقياً ببصره في ظلمات النافذة يرقب أشباح الأعمدة المتواترة .
ونقل بصره من النافذة إلى الساعة في معصمه ، فألفاها
قد شارفت الحادية عشرة ، وكان القطار قد غادر طنطا ، ولم
يبق سوى ساعة حتى يصل إلى القاهرة .

وشرد بذهنه وهو يتحسس الرسالة في جيبه .
هذه الوريقات التافهة يعلق عليها أخوه سعادته ومصيره !
أخوه العاقل الرزين . . يتضاءل عقله ، وتذرى رزائته أمام
هبة مشاعر هو جاء تستبد به !

ماذا يمكن أن تحوى هذه الوريقات أكثر من ألفاظ ؟
ما قيمة الألفاظ في تغيير الواقع الذي تفرضه الحياة علينا ،
الواقع الأصم الأعشى الذي لا يسمع ولا يقرأ . . أهى مجرد
تخدير يفقدنا إحساسنا به إلى حين ؟

ألم يكن خيراً له لو جابه الواقع الأصم بنفس صماء ؟
ولكنه لا يريد ذلك . إنه يأبى إلا الهيمن في أودية من
الأوهام عريضة مديدة . . وفي هذه الوريقات مزيد من
ضباب الأوهام يخفي عنه سدود الواقع .

إنه يعلق مصيره على هذه الوريقات .. وهى لا تزيد
عن مجرد كلام فى كلام .. أقصى ما فيه .. « أحبك » يطبق
عليها .. ويتعلق بها تعلق الغريق فى كسر من حطام سفين ..
لا يكاد يمنحه إلا مزيداً من لطم الموج وعصف الرياح .
وهو يقطع هذه المسافة فى آناء الليل ليحملها إليه ..
ليحمل إليه الوهم .. ويشاركه فى حماقته .. وفى عدوه وراء
الأوهام .

أما كان خيراً له لو أطبق عليها وألقى بها من النافذة ..
ومنحه بذلك راحة اليأس ، وأنقذ مصيره من أن تتحكم
فيه مجرد تفاهات ؟

بل أما كان خيراً من هذا لو مزق رسالته هو ، وأراح
نفسه من العدو وراءها .. وأراحها هى من القراءة والرد ؟
أجل .. كل هذا كان خيراً مما فعل .

ولكنه مع ذلك لا يملك إلا أن يفعل .. ويستمر فى
فعله .. لأنه يحب أخاه .. ويكره آلامه وأحزانه .
ثم .. من يدره ؟ ! ألا يحتمل أن تكون الرسالة
نفسها تحمل راحة اليأس .

لا يظن .. فلو كانت تقصد هذا .. لو فرت على نفسها
مشقة الكتابة .. وأبت الرد .

إنها لا تهديه إلا أملا ، فهي رقيقة طيبة . . وهي تحبه .
وهذا شر ما فى الأمر .
وأغمض عينيه فلم يفتحهما إلا فى محطة مصر .
وهبط من القطار ، وعبر فناء المحطة إلى الميدان الفسيح
الحالى الذى خففت ضجته وسكنت حركته .
ولفحته نسمة من نسبات الليل الرطبة فبددت من عينيه
بقايا نعاس ما زالت عالقة بهما من نومة القطار .
وأحس بالنشاط يدب فى مفاصله . . وقبل أن يبلغ
محطة الأوتوبيس . . برقت فى خاطره فكرة زادت من
اتعاشه .

إن الساعة لم تزل الثانية عشرة وصاله « كريمة » فى أوج
طربها ومجونها ، وأهل الدار فى أوج غطيظهم ، وطرقاته فى
هذه الساعة لا شك ستفزحهم ، فماذا عليه لو ذهب لقضاء
الليلة عند « كريمة » . . على أن يعود إلى الدار فى الصباح
المبكر فيعطى الرسالة لعل ، ويقضى بعض الوقت مع أبويه
ثم يعود إلى الإسكندرية فى قطار الضحى ، إنه بذلك يصيب
عصفورين بحجر . . وإن يشعر فى قرارة نفسه بأنه أضاع
السفر فى حماقة نقل رسالة من بلهاء إلى أبله . . بل قضاها
فيما يستحق من شراب وطرب .

وعند ما استقر به العزم على هذا ، غير اتجاه سيره إلى
شارع عماد الدين واستمحت الخطا متجهاً إلى صالة « كريمة » .
كان الطريق خالياً والضيعة المعتادة أمام باب الصالة قد
سكنت ، و « الباطنية » قد آووا الى الداخل ، ولم يبق في
المدخل إلا جسد لإحدى جامعات الأعتاب قد تكور بجوار
الحائط ملتفاً بخرقه البالية ، وقد أطبقت أصابعها على كوز
من الصفيح حوى محصول اليوم . . وتناثر حولها خليط
من قصاصات الإعلانات وقشر اللب .

دفع حسين الباب ، فلطمته هبة ساخنة فاسدة من خليط
الأنفاس والدخان والعرق والكحول ، أحس من نفاذها
إلى خياشيمه وحاولها محل هواء الطريق النقي بكثير من
الاشمئزاز . . ولكنه لم يلبث حتى تعوددها . . وأخذ يشق
طريقه إلى الداخل بين الأجساد المترنحة المنزقة في ضجيج من
الضحك والتصفيق والصراخ .

ولم يطل به البحث . . حتى عثر على « كريمة » . . وقد
جلست على منضدة في أحد الأركان . . بجوار رجل أصلع
أكرش . . لا ينفك يندفع في الضحك بين لحظة وأخرى
فيرتج جسده ، ويمتزكرشه ، في ذبذبات سريعة . . كأنه
موضوع على « سوسته » .

ولم تكذب « كريمة » تلجح « حسين » حتى بدت عليها
دهشة فرحة وتهللت أساريرها ثم لوححت له بيدها .
وأقبل عليها « حسين » مصافحاً . . فقامت بواجب
التعريف بينه وبين جلسيها :

— اسماعيل بك . . حسين بك .
ثم التفتت إلى حسين مرحبة :
— أهلاً . . أهلاً . . ما هذه الزيارة المفاجئة ؟ ولماذا
لم تأت مبكراً ؟

— لقد حضرت الآن من الإسكندرية .
— الآن فقط ؟
— أجل . . وكان أول ما فعلت هو أن أتيت إليك .
— فيك الخير .
— لعلك تدركين معزتك عندي .

— وأنت . . ألا تعرف معزتك عندي ؟
وصفق اسماعيل بك منادياً الجرسون ، صائحاً بأعلى صوته :
— واحد شمبانيا . . لحسين بك ، لمعزته عند « كيكي » .
ثم صاح منشدآ . . وهو يترنح من فرط الشراب :
— أنا أحبك . . وأحب أبو أبو اللى يحبك .
ثم التفت إلى المسرح واندفع مقهقها مهتزازاً مترجرجاً .

ورفعت « كريمة » كأسها إلى شفيتها وقالت متسائلة :
— كيف حال أخيك علي ؟ أما زال مصر أعلى الترفع
عنا ؟ ألم نصبح قدر مقامه . . بعد ؟

— من قال إنه يترفع عنك ؟

— إذا لماذا لا يزورنا ؟

— لأنه لا يحب السهر .

وعلق إسماعيل بك مقمقها :

— افتحى له .. ما تينه .

وأجاب حسين :

— أنت تعرفين أنه ليس له في هذا المجال .. لقد حاولت

سراراً أن أعوده عليه ، فلم أفلح .

— أنا أستطيع أن أعوده عليه .

— مستحيل .

— لماذا ؟

— لأنه عاشق . . عاشق قيس .

وازدردت « كريمة » ببقية كأسها وهي تطلق ضحكة قصيرة

ساخرة وتقول متسائلة :

-- ومن تكون ليلى ؟

— ككل ليلى مستعصية متعذرة بعيدة المنال .

وأقبل الساقى بزجاجة الشمبانيا .. وملاً الكؤوس
الثلاثة ورفع إسماعيل بك كأسه صائحاً :

— فى صحتك يا حسين بك .. فى صحتك يا كيسى .. فى
صحة ليلي وقيس .. ومجانين العالم كلهم .

ورشفت « كريمة » رشفة ثم عادت تتسائل :

— لم تقل لى من هى ليلي على ؟

— دعينا منهما .. لقد ضقت بها وبه .. لاني جائع ..
أعندكم شىء يؤكل ؟ !

— انتظر حتى نتعشى سوياً .

وقال إسماعيل بك متدخلاً :

— سأدعوكم للعشاء معى .

ولم يبد على حسين الترحيب بالدعوة ، ومال إلى
« كريمة » هامساً :

— سأبيت الليلة عندك .. متى سينصرف صاحبنا ؟

وأجابت كريمة :

— لا تأبه له .. إنه لا يفعل أكثر من أن يوصلنى بعربته

إلى باب البيت .. ليس له إلا فى الضحك والشراب .. إنه
رجل طيب .

وكان الرجل فعلاً رجلاً طيباً لا مطالب له أكثر مما قالت كريمة .

وعندما حملهما بعربته آخر الليل إلى دار « كريمة » في شارع
الساحة . كانت تبدو عليه .. وقد اضطجع بجسده السمين
الأكرش مخموراً على مقعد العربى .. أقصى آيات السعادة
والرضاء .

وكان البيت أحد بيوت شارع الساحة النفسية العتيقة
السميكة الجدران الحديدية النوافذ .

وصعد حسين وكريمة متشابكي الأذرع قد تساند
جسدهما المترنحان وترجحا يميناً ويسرة على الدرج الحجرى
المتآكل بين الدرازين الحديدى المترب والجدار المشقق
المرطوب .

وعندما وصلا إلى باب الشقة طرق حسين الباب بسبابته
ولكن « كريمة » قالت مما أخرة :

— اضرب بقبضة يدك .. فأمر « زنوبة » لا توقظها إلا
طلقات المدافع .

— أليس معك مفتاح ؟

— كان معى .. ولكنى لا يمكن أن أتذكر الآن أين
وضعتة .

واستمر « حسين » فى الطرق حتى انبعث من وراء الباب
صوت خافت يتسائل :

— مين ؟

وصاح حسين . . وقد استند بجسده المترنح على ضلفة
الباب :

— افتحي يا أم زنوبة .

وعاد الصوت يتسامل في لهجته النائمة :

— مين ؟

— افتحي . . الله يخرب بيتك . . ويبت بنتك زنوبة .

ورفعت كريمة سبابتها وقالت مهددة :

— لا .. إلا ابتها زنوبة .. أتعرف من تكون زنوبة

هذه التي تريد أن تخرب بيتها ؟

وهزّ حسين رأسه بالنفي ، فأجابته كريمة وهي تشير
بسبابتها إلى صدرها :

— هذه هي زنوبة . . أنا زنوبة بنت أم زنوبة .

— وكريمة ؟

— انه الإسم الفنى .

وفتحت ، أم زنوبة ، الباب فى حذر وبدت على ضوء

الصالة هيكلا أشمط معصوب الرأس بمنديل أسود .

ودخلت كريمة يتبعها حسين قائلا :

— متى سيتوب عليك ربنا من هذا البيت ؟

— قريباً جداً . . فى أول الشهر . . سأنقل إلى الشقة

الجديدة فى الدقى . . رغم أنه يحز على أن أترك هذه الشقة
لكن ماذا أفعل وهى لم تعد تليق براقصة مصر الأولى .

ثم وجهت القول إلى « أم زنوبة » متسائلة :

— أقدر نام كل الخدم ؟

— أجل . . أتريدى شيئا ؟

— لا . . اذهبى أنت إلى فراشك .

وغابت العجوز فى ممر جانبى .

والتقى حسين بجسده فى إعياء على أقرب مقعد فى الصلاة

ومدد ساقيه وطرح رأسه إلى الخلف على حافة المقعد .

وقالت « كريمة » ضاحكة وهى توازن جسدها متكئة

على حافة المنضدة :

— مالك تجلس هكذا ؟

— إني أشعر كأن الشمبانى قد نزلت إلى قدمى .

— لقد أفرطت فى الشراب .

— وأنت ؟

— ما زال فى جوفى فراغ لزجاجة أخرى .

— وأنا ما زال فيه فراغ لزجاجتين . . أتراهنين ؟

— أراهن .

— هات الزجاجات . . ماذا عندك ؟

— عندى واحدة شمبانيا .

— فقط ؟

— وواحدة ويسكى .

— فقط ؟

— وواحدة زيب .

— لا بأس .. هاتيها كلها .. وهات الرهان .

— قم أولا إلى الحجرة واخلع ملابسك ، ولا تجاس
هكذا كالقتيل .

ومدت يدها إليه فتشبث بها ونهض فتعلق بعنقها وضمها
إليه قائلاً فى لهجته المخمورة :

— أحبك يا كريمة .

وأجابته بنفس لهجته :

— وأنا أحبك .

— كثير ؟

— أجل .

— أنا أكثر .. أم على ؟

— على .

— معك حق .. وأنا أيضاً أحبه أكثر منك .. رغم

أنه مغفل كبير .

واجتاز الإثنان باب الحجرة وهو متعلق بها . . ودفعها
إلى الفراش متهما كما فوقها ، فقالت وهي تحاول إزاحته :
— انتظر حتى أبدل ثيابي .

وهمت بالنهوض ولكنه دفعها برفق إلى الفراش قائلاً :
— تبدي ثيابك بيديك ؟ حاشا لله . . وأين أذهب أنا ؟
استلقى على راحتك ودعى المهمة لى . . إني أحب أن أرى
التياب تتساقط كأوراق الخريف .

ثم قرن القول بالفعل وبدأ ينزع عنها ثيابها قطعة قطعة
حتى وصل إلى الصديري فتعذر عليه فك أزراره فقالت
وهي تنهض من الفراش :
— عنك أنت . . دعنى أتم بقية المهمة وأبدل أنت
ثيابك .

— أين الزجاجات ؟

— سأحضرها لك .

وضمهما الفراش بعد أن ملأ من الزجاجات كل فجوة
فراخ في جوفيهما .

وبعد فترة استنفذ فيها حسين كل ما تبقى في جسده من
جهد استلقى على الفراش في استرخاء تام ، ومدت كريمة يدها
فوق السكودينو الصغير بجوار الفراش وأخذت تتحسس

علبة سجائرها حول الأبا جور حتى أمسكت بها وفتحتها
لتناول سيجارة تجلب لعينها النعاس وتطرد ذلك القلق
والأرق الذي تسببه لها دائماً أعصابها المرهقة ، ولكنها
وجدت العلبة فارغة .

والتفتت إلى حسين متسائلة :

— أين سجائرك ؟

وأجاب حسين وهو في نصف إغفاءة :

— في جيب الجا كيتة .

ونهمضت «كريمة» في تناقل وترنخ متجهة إلى المقعد الذي
ألقيت عليه الجا كيتة وتحسست الجيوب حتى وجدت العلبة
في إحداها فدفعت يدها في فتحتها وأخرجت العلبة ولكنها
لم تخرجها وحدها . . بل أخرجت مظروفاً كان ملاصقاً لها
أطبقت عليه يدها مع العلبة .

وأمسكت «كريمة» بالمظروف الأزرق تقلبه بين أصابعها
وقد اضطجعت في الفراش تنفث من شفيتها دخان السيجارة
فيتصاعد في حلقات لا تكاد تتجاوز دائرة ضوء الأبا جور
حتى تختفي في ظلمات الحجرة . . وقربت المظروف من أنفها
تشمه ، ثم قالت ساخرة :

— خطاب غرام . . من أين لك هذا يا أستاذ ؟

ولم يحب «حسين» .. فقد أفقده الإعياء والشراب والنوم
قدرته على الفهم والنطق .. وعادت كريمة تسأل في صوت
أعلى وهي نصف مخمورة ونصف واعية :

— ما هذه الرسالة ؟

وتمكن حسين من النطق فأجاب محاولاً إسكاتهما :

— لست أدري .. أطفئ النور ونامى .

— أأستطيع قراءتها ؟

— افعل ما تشائين .. ولكن كفى عن الكلام ..

ودعيني أنام .

وأسندت «كريمة» السجارة على حافة الطقطورة المجاورة
للأباحورة وفضت الظرف وأخرجت الرسالة ، وبدأت في
قراءة الأسطر الأولى على ضوء الأباحورة .

ولم يكن الدافع لها على فض الرسالة في أول الأمر
سوى حب الاستطلاع .. ورغبة في التسلية تستجلب بها
الكرى إلى أجفانها المسهدة ، ولكنها لم تكذب تقرأ بهنعة
الأسطر الأولى حتى استغرقت في القراءة مأخوذة دهشى .
وعندما انتهت من القراءة ألقت بالرسالة على الكومودينو
بحوار الأباحورة .. وشرد ذهنها محدقة في فراغ السقف
المظلم . الذى لم تفلح دائرة ضوء الأباحورة فى الوصول إليه .

إذا فهذه قصة المجنون بليلاه . . كما تسردها رسالتها
التي منحتها بها مزيداً من أمل
وأي أمل ! . أمل وهمي سرابي . . تعلقه به في فراغ
عريض من الحرمان واليأس . . وتحرمه به من كل
متعات الحياة .

لمه ١٩ لأنها تحبه ؟

هي أيضاً تحبه . . لقد أحبته من اللقاء الأول . . من
النظرة الأولى . . هي المادية الواقعية التي لا تعترف إلا بكل
ما هو مسوك ملموس . . وكان ممكناً أن يحبها . . لولا أن
الأخرى كانت أسبق منها إليه . . فشده بخيوطها الوهمي . .
الذي تسميه أملا .

كان ممكناً أن يحبها ، كما أحبته . وأن يقبل منها كل ما هي
على استعداد لمنحه إياه من حب ومتعة ووفاء وإخلاص ،
ولكنه أعرض عنها . . إعراض المزدري . . وأنكر
إقبالها إنكار المترفع الأبي .

وأعجب ما في القلب . . أنه لا يتشبث إلا بكل معرض
منكر . . فهو يأبى إلا التشبث به على ندرة ما يراه . . وهي
لم تنوّد من قلبها أن يجدد في أمر إلا أمره هو . . على
فرط نأيه وإعراضه ويأسه منه . . حتى أصبحت تجد إحدى

وسائل التعزى أن تحبه فى أخيه . . وتمنح أخاه ما لم تستطع
أن تمنحه إياه ، وتأخذ من أخيه ما لم تستطع أن تأخذ منه .
وهى تعجب لفرط عناده وصلابته .

كل الناس يشتهونها . . ويتلفون على ليلة معها . . إلا
هو . . إنه يأبى حتى مجرد اشتهاه بلا ثمن . . ورغبة بلا مقابل .
حتى ليلة واحدة يمكن أن يمنحها أى رجل لآية امرأة قد أباهما
عليها . . ورفض دعوتها للعشاء وتركها تلك الليلة دون كلمة
استئذان أو تحية وداع . . لقد فر منها . . فرار سليم من
أجرب . . أو مدين من دائن . . كأنما كانت ستسلبه بعض
حبه . . أو ستختلس بعض مشاعره .

وماذا أجده حبه ؟ وماذا أجده مشاعره ؟ سوى
الضلالة والهميام فى بيداء من اليأس والحرمان .

وهو بعد هذا يمد يده . . ويمد قلبه . . ليستجدى أملا
وفى ألفاظ ضائعة . . وأوراق زائلة . . بلا حرارة
جسد ، ولا طيب شفاه ، ولا دفء صدر ، تمنحه ما تسميه
مزيداً من أمل ، أو مزيداً من سراب .

وألقت بصرها على الرسالة بجوارها . . فإذا بخافتها قد
لامست عقب السيجارة الموضوع على حافة المنفضة . .

وإذا بالنيران تطوى الورقة .. وتسرى بين السطور بطيئة
هادئة .. ولكنها آكلة مستشرية .

وهمت « كريمة » بأن تمد يدها لتتخذ ما تبقى من الرسالة
ولكن يدها ظلت متناقلة على الفراش .

وبعد لحظة .. أتت النيران على بقية الرسالة .. أو على
بقية الأمل .. ولم يبق من هيكلها سوى رماد تذروه الرياح .
وانطلقت من صدرها تنهيدة راحة .. ومدت يدها
فأطفت الأباجورة .. وأغمضت عينيها شاعرة بالكثير
من الهدوء .



انطق



« حسين ، ليجد الرسالة الخطيرة التي يعلق عليها

استيقظ

أخاه مصيره ، والتي تعجل من أجلها الرحيل إلى
القاهرة في جوف الليل . . قد أضحت هشيما أسود بارداً
لا أمل فيه ولا رجاء منه .

ولم يكن هناك معنى للوم « كريمة » وهو أحق باللوم ،
وتملكته الحيرة . . كيف يواجه أخاه ؟ أينبئه صراحة
بكل ما حدث ويسأله مهلة للحصول على رد آخر ؟ . . وقد
لا تساعد الظروف على الحصول عليه مما يشعل في نفسه نيران
القلق والشك . . أم يكتم عنه المسألة حتى يحصل على الرد
فعلاً . . ثم يقصها عليه كمزحة مضحكة .

أم . . يقبل حكم القدر . . الذي أبي إلا أن يقطع هذا
الخيوط من الأمل . . وأن يفرض القطيعة ويضيع
الرجاء ؟

ألم يكن يود هو نفسه لو أنه لم يحمل إليها الرسالة ، أو
مرفق الرد وألقى به من نافذة القطار ١١ ولكنه لم يجسر
على ذلك رغم يقينه أن هذا هو خير ما يؤديه لأخيه ، وأن
الاستقرار في هوة اليأس خير من التراجع في فراغ الأمل .
وإن لأحزان اليأس نهاية . . يعتمد الإنسان بعدها أحزانه

ويكف عن الاحساس بها . . أما هموم الشك فلا نهاية لها
فهى حية متجددة . . تتجدد فى كل هزة شك . . بين الخيبة
والرجاء .

إنه لم يقو على أن يمنح أخاه راحة اليأس . . ولكن
القدر قد أبى إلا أن يمنحها له . . لقد أبى إلا أن يدفعه إلى
« كريمة » . . ولو أراد لدفعه إلى البيت . . وأبى إلا أن
تفتقد « كريمة » مسجارتها . . ولو أراد لأبقى لها فى علبتها
واحدة . . وأبى إلا أن تسحب أصابعها الرسالة من جيبه
مع عتبة سجائره . . ولو أراد لأخرج العلبة وحدها . .
وأفلت الرسالة .

وأبى القدر كذلك . . إلا أن تقذف الرسالة بجوار
« العقب » ، ولو أراد لنحماها بعيداً وأسقطها على الأرض .
كل ذلك قد أباه القدر . . وأصرّ على أن تحرق الرسالة
ويقطع خيط الأمل ، وأن يضع حداً لكل متاعب « على »
وأحزانه وهمومه . . فلماذا لا يرضخ هو لحكم القدر ويشد
رحاله عائداً إلى الاسكندرية . . وكأن الرسالة لم تكن . .
وكانه لم يسافر إلى القاهرة ؟ أو كأنه قد سافر من أجل
ليلة مع « كريمة » . . وهو على أية حال قد استمتع بالليلة

وبكرية .. ولقد كانت رغم حرقها الرسالة .. كريمة
معه إلى أقصى حدود الكرم .

ثم .. ماذا يملك هو أن يفعل غير ذلك ؟

وهكذا أقنع حسين نفسه بالعودة إلى الاسكندرية في
أول قطار ، ولم يكن أسهل عليه من إقناع نفسه بما يريد ..
وإرضاء ضميره بما يشتهي .

ومرت بضعة أيام .. ثم وصلت رسالة قلقة من « علي »
يسأله فيها عما فعل ، فأجابه في اقتضاب بأنه بذل أقصى جهده
حتى سلم إليها الرسالة . وأنها أنبأته بأنه ليس لديها رد عليها ،
وأنه يرى أن من الخير له أن يكف عن محاولة الاتصال
بها أو التفكير فيها .

ووصل الرد إلى « علي » في الثكنات .. حمله إليه جندي
البريد وهو يوشك أن يغادر المكاتب بعد انتهاء العمل ..
وميز بالظرف خط أخيه ، فاخطف الرسالة وعاد أدراجه
إلى مكتب الأورطة ليخلو بنفسه لقراءتها .

ولم يكن يحس وهو يقرأها بإساقه على الأرض .. ولا
بشيء من الكائنات الموجودة حوله .. لا جنود .. ولا
عربات .. ولا جدران .. لا شيء سوى أكداس من

المرارة ترسب في أعماقه . . وأثقال من الحزن واليأس
تجثم عليه وتزهق أنفاسه .

أهذا هو نصيبه منها بعد كل ما منحها من حب وعبادة؟
ألم تجد في رسالته . . وفي مشاعره المتدفقة ما يستحق
كلمة رد؟

وعزّت عليه نفسه التي أوردتها موارد الهوان والمذلة
وهي العريضة الآية .

عزّت عليه نفسه أن يعرضها للسؤال . . فلا يكون
نصيبها سوى إعراض المزدري .

« أكتبني إلى . . فأنا لا أقف منك موقف المحاسب
المستجوب . . ولكن موقف الراجي السائل . . الراجي
عزاء . . السائل أملاً » .

« أكتبني إلى » لتمنحيني أملاً . . إذا رأيتني أستحقه . .
أما إذا رأيتني أحق باليأس فلا تجبني » .

ولقد رآته أحق باليأس فلم تجب !!
لم تجب حتى بكلمة أسف أو اعتذار . . حتى لكانها
خشيت أن يمنحه أسفها نوعاً من الأمل . . لا يستحقه .

وطافت بذهنه صورة أبيه . . طريداً ذليلاً . . متهماً

بالجنون لمجرد تفكيره في طلب يدها .
لقد صدته كما صد أبوها أباه .. ومن يدري ربما اتهمته
عند ما قرأت رسالته بأنه مجنون خطر .
لقد ضلته وغررت به .. لوّحت له بالأمل .. فلما مدّ
يده ليأخذه لطمته بالصمت والإعراض .
لقد استجداها كلمة .. فأبتها عليه .
ويح نفسه !! أشد ما هانت عليها وعليه .
وأحس بخليط من المرارة واليأس والمذلة يغلي في أعماقه ،
ويتفجر في ثورة عاصفة جامحة ، وتمسكه لأول مرة شعور
بالسكره والبغضاء .. لكل شيء .. لنفسه ولها .. ولأبيها
وأبيه .. وأخيها وأخيه .. والعالم كله .
وأطبقت أصابعه في عصبية مخنقة على الرسالة فمزقتها
إرباً .
واندفع من الحجرة .. يدق الأرض بقدميه متجهاً
إلى الميس .

ولم يتناول الغداء ، بل ارتدى على أحد المقاعد في جمود
وصمت .. وعند ما حل موعد طابور العصر .. ذهب إلى
الطابور بذهنه الشارد ، ووجهه المتجهم .. ولم يكذب ينتهي

الطابور . . حتى عاد إلى جلسته الصامتة في الميس كأنه صم
أو تمثال .

ولقيه « سليمان » في جلسته تلك وهو يمر بالميس حيث
كان يعمل مساعداً لأركان حرب السوارى . . ولم يخف على
سليمان ما ينم عنه مظهره من ضيق مكبوت ، وكان أعرف
الناس به منذ أن كانا سوياً في المدرسة .

وربت سليمان كتفه وقال متسائلاً :

— ما بالك يا على ؟ ! أنوبتجى أنت اليوم ؟

وأجاب « على » ، في اقتضاب . . وقد ألقى برأسه على

حافة المقعد :

— لا

— إذن مالك تجلس هكذا ؟ لماذا لم تبدل ملابسك ؟

— سأبدلها بعد هنية .

— ولماذا تبدو مغرقاً في الحزن ؟ ! أحدث شيء ؟

— لا .

— كيف حال أبيك ؟

— كما هو .

— ووالدتك ؟

— بخير .

— والمسألة الأخرى . . هل جدّها بها جديد ؟
— لا .

وسأله سليمان في حدة :

— إذن ما بالك . . كأنك شيعت ميتاً ؟

— مجرد صداع .

— بل بك أكثر من صداع .

وجذب سليمان مقعداً . . وجلس بجواره وقال
متلطفاً :

— قل لي ما الأمر ؟ ماذا حدث ؟ أما زلت تحزن

نفسك بتلك السخافات القديمة . . ألم تيأس منها بعد ؟

وأطلق « على » زفرة حارة . . وقال في ضحكة مريرة
ساخرة :

— الحمد لله . . لقد منحنا الله نعمة اليأس .

— إذن ما بالك تجلس هكذا ؟

— وماذا تريدني أن أفعل ؟ أرقص ! ؟

وأجاب سليمان وهو يمسك بيده محاولاً أن ينهض به :

— بل تنهض وتغير ملابسك ، وتخرج كبقية عباد الله .

قم معي نذهب إلى السينما سوريا . . إن في سينما « فؤاد »
رواية . . .

وجذب « علي » يده . . وقال مقاطعاً :

— أرجوك . . دعني . . أنا مستريح هكذا .

ودخل أحد الجنود فحيا سليمان قائلاً :

— سعادة البية المدير موجود فوق في الإدارة ، وهو

يسأل عليك .

وتركة « سليمان » وغادر الميس . . واستمر هو مغرقاً

في صمته وجموده .

وزحفت من حوله الظلمة . . ومر به الضباط واحداً

بعد واحد ، وقد أبدل كل منهم ملابسه . . وغادر الميس

وملء نفسه المرح والأمل ، وهو في موضعه ، يضحك ذهنه

بالأفكار ، وتصخب نفسه بالانفعالات حتى أحس من

فرط التفكير أن ذهنه يوشك أن ينفجر ، وأن جدران

الميس وسقفه باتت أشباحاً خيفة توشك أن تنقض

عليه .

ونفض من مكانه فجأة . . كأنما يريد الهرب من نفسه

ومن أفكاره .

ولم يكد يجتاز الباب حتى بدا سليمان مقبلاً عليه قائلاً

في حزم وإصرار :

— هيا بنا .

— إلى أين ؟

— تبدل ملابسك ، وتذهب معى إلى السينما .

— دعنى أرجوك .. إنى فى حاجة إلى الراحة .

— ان أتركك لهذا اليأس المميت ، والوحدة الموحشة
القاتلة .. كفى انفراداً بنفسك .. لست أدرى ماذا يعجبك
فيها ؟ هيا بنا .

وجذبه سليمان من يده إلى حجرته .. وبعد لحظات
كان الاثنان فى طريقهما إلى سينما فؤاد .

ومرت ساعات السينما و « على » يحملق شاردآ دون
أن تلتقط عيناه سوى بضعة مناظر متلاحقة لا معنى
لها ، وحمد للسينما ظلمتها وسكونها التى منحه ثلاث ساعات
أخرى من الصمت والتفكير .

وانتهت السينما .. و أكرهه سليمان على أن يتناول معه
بضعة قطع من الساندوتش .. ثم افترق الاثنان بعد أن ركب
سليمان أوتوبيس (٨) الذاهب إلى شبرا ليعود به إلى البيت
على أن يأخذ « على » أوتوبيس (١٠) الذاهب إلى
مصر الجديدة .

وأحس « هلى » بالرغبة فى السير ، فى الانطلاق
والفرار . . الانطلاق من قبضة الأفكار القائمة التى تمسك
بخطاه ، والفرار من سجن اليأس الذى يكتم أنفاسه .
وتذكر قول أخيه فى إحدى ساعات يأسه قبيل تخرجه
من الكلية عندما كان يقبع حزينا يائساً بين جدران
الكلية :

« دع الأمور تجري بأيسر من هذا . . لا تغلق نفسك فى
هذا القالب الحديدى . . وتفرض عليها إحساساً معيناً تأبى
الفكاك منه . . لا تشيد حياتك على أمنية . . بغيرها تصبح فى
عداد العدم ، إنك تسجن نفسك يائساً حزينا مهموماً لأنك
حصرت كل تفكيرك فى مخلوقة واحدة ، متهددة المآل .
لا يمكن بحال أن تكون لك . . وبت تحس أن الحياة
بغيرها قفر يباب . . حطم أسوار سجنك ، وانطلق بخارجها
تجد الحياة ما زالت بخير ، وتجد بها من النعم المتعددة ما يغنى
كل منها عن الأخرى . . إذا استعصت هذه . . أغنت عنها
تلك . . إن الحياة التى أظلمت من حولك . . ما زالت تضيء
حول الناس . . »

أحقاً . . ما زالت الحياة تضيء ١٩

وتطلع ببصره إلى الطريق . . فوجد أنواراً تتأرجح ،
ومهايبح تتألق . . وكان أول ما صادف عينيه . . لافتة
كبيرة بالأنوار الكهر بائية كتب عليها « صالة كريمة » .

واندفعت إلى ذهنه صورتان . . صورة السمرام الراجية
بوجهها الأسمر . . الخالي من الأصباغ ، . وشعرها الأسود
المعقوص على قمة رأسها . . وجسدها النحيل الرقيق وعينها
المتوسلتين الراجيتين . . وثيابها البسيطة التي جعلتها تبدو في
صالة الرقص كأنها ناسك بين فجار . . وعابد بين كفار .

وتبعثها صورة أخرى . . لنفس المخلوقة . . وقد بات
الوجه أكثر فتنة . . والجسد أشد إغراء . . وإن كانت
ال نظرة قد بقيت كما هي . . . متوسلة راجية لهن .

وتذكر شوقها وصدده ، وحنينها وإعراضه ، ودعوتها
وفراشه .

وأحس وهو يقرأ اسمها يتلألاً في اللافتة كأنها
دعوة جديدة . . وكأنه يبصر في الأنوار عينها المتوسلتين
الراجيتين . . وتملكه من إحساسه بعض الراحة . . وبداله
أن صاحبه الداعية الراجية . . قد تحمل إليه الكثير من

العزاء . . أو تبدد عنه ظلمات اليأس المحيطة به . . وتوهن
بضجيج الأفكار التي تعصف بذهنه .

وفي شيء من التردد . . وجد قدميه تسوقانه إلى الباب
المتأليء الصاخب . . وبعد لحظة كان يجلس في ركن ناء من
أركان الصالة يحملق في صمت ووجوم .

ولم يستطع ذهنه الشارد أن يعي شيئاً مما أخذت تلقيه
المونولوجست التي أخذت تتوثب وتهتز مطلقة من شفقتها
ميلاً من الألفاظ المنغمة السريعة المتلاحقة وأحس بضجيج
الصالة يزيد أفكاره عصفاً . . وجوها الخائقة يزيد سجنه
إطباقاً وضيقاً . . ووجد نفسه كالمستجير من الرمضاء
بالنار .

وأخذ يرقب خليط الأجساد البشرية الضاحجة الصاخبة
الضاحكة الماجنة . . وبدأ له كأن بهم عتيا أو جنة ، وتلفت
حوله كالأسير يتلمس سبل النجاة .

ولفجاة وقعت عيناه على عينين سوداوتين واسعتين
ترقبانه في ذهول ودهشة وتساؤل . . وقد بدت صاحبتهما
كالماخوذة المشدوكة .

واندفعت « كريمة » تجاهه . . لاهثة الأنفاس ، مكروبة

الصدر ، كأنما لا تصدق عينيها .. أو كأنها تود أن تطبق عليه
قبل أن يفلت منها ثانية .

ووقفت أمامه تحاول أن تتمالك أنفاسها .. كأنها طفلة
مذنبة أمام مربيتها القاسية .. وقد فقدت كل سيطرة على
نفسها ، وأضاعت كل قدرتها ومهارتها كغانية محنكة مجربة
تعرف كيف تعامل الرجال .. وتساملت في صوت هامس
كعذارى المدارس .. وقد أخذ صدرها يعلو ويهبط :

— علي ؟ ! غير معقول ! إني لا أصدق !

ونفض « علي » قائلًا وهو يمد إليها يده ، وقد أصابه
الكثير من الارتباك :

— أهلا كريمة .. مساء الخير .

— مساء الخير .. تفضل .. تعال هناك في البنوار .

ودون أن تفلت كفه من كفها جذبه تجاه البنوار ..
وأردفت متسائلة :

— أين حسين ؟

— حسين ؟ ! إنه لم يأت .

وتوقفت كريمة فاغرة فاها .. وتساملت في دهشة :

— لم يأت ؟ ! أعني أنك أتيت وحدك ؟

واندفعت إلى ذهنها صورة الرسالة المحترقة . . وخيل
إليها أن حسين قد أنبأه بما فعلت ، وأنه أتى لمناقشتها الحساب
وهمت أن تهتذر مستغفرة عند ما أجابها قائلاً :

— أجل . . لقد أتيت وحدي . . أغريب هذا ؟

وأجابته في صوت خافت :

— أعتقد أنه غريب منك لأنك لم تتعود الحضور إلا

برفقة حسين .

— لقد أحسست الليلة بالضيق واليأس . . وتذكرتك

وأنا أمر بيابك . . وخيل إلى أنك قد تستطيعين إزالته . .
فلجأت إليك . . فلهي لا أضايقك .

— أبدأ . . أبدأ . . إني سعيدة جداً . . جداً .

وهكذا بدد بقوله مخاوفها . . ولم تجد مبرراً لفضح نفسها

بالاعتذار ، وبدالها أن القدر قد أتاح لها فرصة طالما تآقت
إليها . .

لقد شعر باليأس والضيق . . وهي أدري الناس بسبب

ضيقه ويأسه . . بل لقد كانت تتمناه وتوقعه . . وهي

تترك أنياب النيران تقرض الرسالة . . وتقرض معها خيط

الأمل الذي كان يتعلق به . . وكانت تحس بالراحة وهي

تقطع ما بينه وبين الأخرى دون أن يخطر لها ببال أن القدر
سيكون سخياً معها إلى هذا الحد .. فيلقى به إليها .. دون بقية
خلاق الله .. لتمسح ضيقه وتزيل بأسه .

وأحسست « كريمة » بنشوة غامرة .. وهى تراه يذكرها
ويشعر بها .. ويلجأ إليها لتزيل أحزانه ..

لقد أحبته حباً يائساً .. وكان أقصى ما تطمح إليه هو أن
يمنحها الفرصة لكي تهبه كل ما تملك .. من حب و متعة ،
ووفاء وإخلاص ، وكل شيء .. ولكنه كان دائماً يعرض
عنها وينكرها .

والليلة وقد أقبل عليها .. أو كما يقول لجأ إليها .. مانحاً
إياها الفرصة التى كانت تتوق إليها .. وتأمل فيها ..
فعلينا ألا نتركها تفلت من يدها .. إنها فرصتها الأولى
والأخيرة .

وجلست « كريمة » بجواره فى البنوار .. وأحس هو
بالكثير من الحياء والخرج والضيق .. وخيل إليه أن
الأنظار قد باتت تتطلع إليه أكثر مما تتطلع إلى المسرح .

ولم يصعب على « كريمة » أن تدرك مدى حرجه .. ولم
تجد معنى لجلوسهما هكذا فى البنوار أمام الناس .. وهو

لا يتمتع بمشاهدة ولا شراب ، بل يحيط نفسه بجو من الوجل
والتكلف والتزمت الذي يزيد من ضيقه .

وهمست « كريمة » وهي ترقبه في شوق :

— أنا أعرف أنك تضيق بهذه الجلسة .. وإن أطيلها
عليك .. سأتركك الآن لأنني نمرتي ، ثم نرحل بعد ذلك
للعشاء سوياً في البيت .. أظنك لن ترفض دعوتي هذه
المرة ؟ ما رأيك ؟

ونظر « علي » إلى عينيها الراجيتين وهز رأسه قائلاً :

— متشكر .

— متشكر .. أجل ؟ أم متشكر لا ؟

— متشكر .. أجل .

وغادرت ، كريمة ، البنوار لتؤدي نمرتها الراقصة ..
وجلس « علي » يرقبها بذهن شارد وكأنما روعه ما فعله وما
يوشك أن يقدم عليه ، ولا يكاد يلم به طيف « أنجي » حتى
يبعده في عناد وإصرار وثورة وحنق ... إذا كانت قد
أبت عليه مجرد كلمة عزاء تجمل بها اليأس وتهون القطيعة ..
فليكن يأسه قاطعاً ، وقطيعة بائنة لا رجعة فيها ، وليكن
وأدّها أدياً ، لا بعث فيه ، ولا صخرة منه .

وبهذا التفكير . . قطع على نفسه كل سبيل للندم أو التراجع . . ولم تؤكد ترسل إليه « كريمة » حتى نهض إليها . . واتبع الجرسون في طريقه إلى حجرتها رافعاً رأسه ، مبرزاً صدره في مشيته العسكرية غير ملتفت بمنته ولا يسرة ، كأنه في طاوور عرض .

وقبل أن تغادر « كريمة » الصالة من الباب الخلفي همست في أذن الجرسون :

— إذا سأل عنى أحد فقل إنى متعبة وأريد أن أستريح .

وأوصلهما التاكسي إلى البيت ، وقد أغرق كل منهما في أفكاره . . فلم يتبادلا في الطريق سوى بضع كلمات عابرة .

ووصلا إلى البيت ، وصعدا الدرج ، وفتح باب الشقة وتبادلت « كريمة » بضع كلمات مع الخادمة . . اختفت الخادمة على أثرها . . وأخيراً ضمتها الغرفة وحيدتين لا ثالث لهما .

كانت المغامرة الأولى لعل . . وكان يحس بمشاعر متضاربة متنافرة سرعان ما تركزت في اضطراب لذيذ ونشوة خفية بعثت الحرارة في جسده ، وجرفت أمامها كل

مشاعر الندم والضيق ، والحزن واليأس ، والتردد والقلق . .
و . . و . . إلى آخر هذا الخليط الذي كان يروح تحتسه .
لقد تبدد كل ما بنفسه في تلك اللحظة . . عدا إحساس
جنسى فائر . . وهو يشعر بخلوته مع أنثى ويفكر فيما هو
مقدم على فعله معها . . ولم يكن يعرف كيف يبدأ ولا ماذا
يقول . . ووقف يتشاغل بالنظر إلى لوحة معلقة في الحائط
وهو مفرق في اضطرابه اللذيد وقلقه الممتع . . وبمنفسه
خشية من أن تدفعه قلة التجربة والاضطراب إلى أن يقصر
في أداء واجبه كرجل .

وأحس في وقفته المضطربة بعطرها يقترب منه . . ثم
بصدرها يلامس ظهره ، وبذراعيها العاريتين تحيطان بصدره
وتضمانه برفق . . واستدار إليها فإذا بها تقف عارية إلا
من قميص شفاف لا يكاد يخفي شيئاً من تفاصيلها ، وتساعد
الدم إلى وجهه ، وبلا وعى ولا إرادة ضمها إليه بعنف . .
ودفعه الانفعال الشديد إلى أن ينتهي من واجبه في لحظات
خاطفة .

وهمست وهي ترقد بجوارمه وتضغط شفتيه بشفتيها بعنف :
— كنت أريدك دائماً ، إنى لا أصدق أنى بت أملكك
وأنتك بين أحضاني .

واستسلم « على » للهفتها الجارفة وشوقها الشديد . . وقد
تمسكه شيء من الضيق لعجلته وإحساسه بالتقصير في إرضاء
أنوثتها . . رغم مظاهر الرضاء المفردة ، التي أحاطته بها
وأبدتها له .

ونمض الاثنان لتناول العشاء وأفلحت بمرحها وخفتها
ومهارتها في إزالة جو التوتر والخشية والقلق الذي كان
يرهف أعصابه . . وعند ما انتهى العشاء وجلسا سوياً في
الشفرة كان يحس بالراحة وزوال الكلفة . . وعندما احتواهما
الفراش مرة أخرى وضم جسدها اللدن جسده . . كان يملؤه
شعور بالآلفة والهدوء والطمأنينة كأنه يرقد في فراشه . .
وفي آخر الليلة كان يرقد قريراً راضياً ، وقد أفعم نفسه الشعور
بالثقة ، والسعادة ، والسيطرة . . بعد أن أشبع الجسد
المسترخي بجواره إشباعاً كاملاً . . وأرضاه إرضاء تاماً



و



« أنجى ، إلى البيت . . بعد أن سلمت الرد إلى

عادت

حسين ، وجلست على الفراش تعيد قراءة رسالة

« على ، وقد وضعتها بين صفحات كتاب كانت تقرأ فيه . .

وحاولت أن تستعيد ردّها إلى ذهنها وتتخيل كيف سيكون

وقعه عليه . . وتساءلت نفسها : أأصاب بهذا الرد . . أم

أخطأت ؟ أكان خيراً لها أن تقطع خيط الأمل . . أم تمد

في حبّاله ؟ لماذا اندفعت في الرد . . متناسية كل ما يمكن أن

يترتب على ردّها من عواقب ، متجاهلة تهديد أخيها وأبيها

لحياته ومستقبله ؟ وهل سيقنع « على » بهذه البسارقة من

الآمل ، ويكتفى بما سمته صلة روحية دائمة تسمو على كل

السدود والعقبات . . أم سيدفعه الأمل إلى مغامرة جديدة

قد تودى به وبها ؟ إن بنفسها شوقاً إليه ولهفة على رؤياه

وبودها ألا يقنع بما عرضته من صلة روحية وهمية . . وهي

تساءلت نفسها : أحقّاً يجد أخوها وأبوها في تهديداتها ؟ أحقّاً

يمكن لهؤلاء أن يهدد حياته . . وأن يقدم أبوها على القضاء

على مستقبله ؟

ولم لا ؟

إن مدى خبرتها بأخلاقهما . . وما يضمّرانه في قلوبهما

من حقد وصلابة وعناد ، لا يجعلها تستبعد منهما أى شر .
ولكن ما النهاية إذن ؟ ما آخره كل هذا ؟ لماذا وهنت
عزيمتها ونقد صبرها ، فلم تستمر في قطيعتها لتضع النهاية بما
فرضت على نفسها وعليه من يأس وقنوط ؟

لماذا مدت في حبال الأمل . . بعد أن أوشكت على
التقطع ؟ !

لماذا ؟ لماذا ؟ !

واستمرت الأفكار تتواتر في ذهنها مختلطة متشابكة ،
حتى تسلم النعاس إلى جفניה فأغلقت الكتاب على الرسالة
ووضعت على « الكومودينو » بجوار الفراش . . وأطفأت
الباچور واستغرقت في النوم .

واستيقظت في الصباح فغادرت فراشها إلى الحمام ، وفي
تلك الآونة كان « علماء » يبحث عن صحف الصباح ، ودخل
حجرتها علّه يجدها هناك ، ووقف يقلب البصر في الحجرة
باحثاً هنا وهناك . . وقبل أن يغادر الحجرة استرعى التفاته
عنوان الكتاب الموضوع بجوار الفراش وكان قصة انجليزية
فأمسك به يقلب صفحاته وأخذت عيناه تمران بالصفحات
المتتالية مروراً عابراً . . حتى توقفت فجأة أمام الرسالة .

ولم تثر الورقة اهتمامه في أول الأمر ثم بإغلاق الكتاب

عليها . . لولا أن قفز بصره إلى نهايتها فقرأ الإمضاء « على » .
وأحسن من الإمضاء لسع الجمر . . وتصاعدت دماء
الغضب إلى رأسه . . وسحب الرسالة من بين الصفحات . .
وأغلق الكتاب وأعاد مكانه ، ثم غادر الحجرة .

وعادت « أنجى » إلى الحجرة . . وعند ما انتهت من
إبدال ثيابها وهمت بالنزول لتناول الإفطار ، سمعت صوت
أبيها يناديهما من حجراته .

وذهبت إليه . . وقد خلا ذهنها مما حدث . . أو بما
يوشك أن يحدث ، وأدهشها تجهمه البادى ووقفه أخوها
بجوارها في تحد وتحفز . . ولكنها لم تكدر تلقي نظرة على
ما في يده حتى وضح الأمر كله .

ولم تنبس ببنت شفة ، ووقفت تنتظر هبوب العاصفة .
ومد أبوها يده بالرسالة وتسامل وهو يزأر :
— ما هذه ؟

ونظرت « أنجى » إلى أخيها في غيظ مكبوت ، وقالت
وهي تغالب دمعها :

— كيف يبيع لنفسه أن يدخل حجرتي ويعيث بكسبي ؟
وقاطعها أبوها في عنف صائحاً :

— يبيع أو لا يبيع . . ليس هذا بموضع مناقشة الآن

المهم هو كيف أبحث أنت لنفسك استمرار هذه الصلة . .
بعد أن حرّمتها عليك ؟

وأطرقت « أنجي » برأسها صامتة . . وأردف يقول
هادراً :

— ولكن الذنب ذنبى . . والغلاطة غلطتى . . كان يجب
أن أردعه ردعاً شديداً . . حتى لا يستمر فى غيه هذا .
ثم نهض من مكانه . . بحركة عصبية . . وأخذ يسير فى
الحجرة جيئة وذهاباً ، وهو يقول كأنما يحدث نفسه :

— هؤلاء الناس . . لا شك قد جنوا . . الأب يتقدم
لخطبتك . . والإبن يكتب إليك رسائل غرام . . كأنما قد
نسى أنه ابن جناينى . . وكأن الدُّبُورَةَ التى قد وضعها على
كتفه قد محت ضعة أهله ، وأزالت حطة منبته ، ولكنك
أنت المسئولة عن ذلك . . أنت التى شجعت على هذا التناول ،
ولكن سأعرف كيف أوقفه عند حده . . سأعرف
كيف « أخرب بيته ، وأضيع مستقبله .

وصمت لحظة ثم صاح بها ناهراً :

— اذهبي . . لا تربني وجهك .

ولكن « أنجي » لم تذهب ، واستمرت فى وقفها مطأطئة
الرأس ، وقد عضت بأسنانها على شفقتها السفلى حتى كادت

تدميها . . وانحدر الدمع صامتاً على وجنتيها . . وقالت في
لهجة متوسلة :

— إنها غلطتى أنا فعلاً . . أنا التى شجعتك . . وأعدك
من الآن أنى سأقطع كل صلة بيننا ، وكل ما أرجو ألا تسيء
إليه ، وألا تمس مستقبله .

وقال « علام » ساخراً :

— أيمك مستقبله إلى هذا الحد ؟

وصاح الأب نائراً :

— ألم تعدى بهذا من قبل ؟

— أقسم لك بكل أيمان . . و

وقاطعها « علام » قائلاً :

— لا تصدّقها .

ونظر إليها الأب وقال ساخطاً :

— اذهبي الآن من أمامى . . سأعرف أنا كيف أقطع

ما بينكما .

وبعد بضعة أيام دق جرس التليفون فى مكتب قائد
السوارى وجرت مكالمة قصيرة وضع القائد بعدها الساعة
ثم دق جرساً على مكتبه ، وبعد لحظة دخل سليمان مساعد
الأركان حرب ، ووقف أمامه محيياً وتساءل القائد :

- أين الأركان حرب ؟
- لقد ذهب إلى قسم القاهرة .
- أجل . . تذكرت .
- وصمت برهة ثم أردف متسائلاً :
- ماذا تعرف عن علي عبد الواحد ؟
- ودهش سليمان من السؤال المفاجيء . . وأجاب
بلا تفكير :
- إنه من أكفأ الضباط .
- أنا أعلم أنه ضابط ممتاز في عمله . . ولكن
خصوصياته . . ماذا تعرف عنها ؟
- وداخل سليمان الخوف من هذا السؤال . . وتوجس
منه شراً . . وتذكر حالة د علي ، في الأيام الأخيرة . .
والتغيير العجيب الطارىء على سلوكه ، وإفراطه في السهر ،
وإندفاعه في طريق لم يكن يخطر ببال أحد أن يندفع فيه . .
والشائعات التي سمعها عن علاقته بالراقصة د كريمة . .
- ومع ذلك فقد طوى سليمان ظنونه في ذهنه ، ورد على
سؤال القائد بقوله مؤكداً :
- إنه ممتاز في كل شيء . . في عمله وفي خلقه . . وحياته
الخاصة لا تشوبها شائبة .

وهزّ القائد رأسه في دهشة وحيرة وقال متسائلاً :

— ما السبب إذن ؟

— السبب في ماذا يا أفندم ؟

— في نقله المفاجيء بهذه الطريقة العجيبة ؟ . . لقد حدثني كاتم أسرار . . وقال لي إن المطلوب إبعاد الملازم أول «على عبد الواحد» عن القاهرة . . وأنه لذلك قد تقرر نقله إلى الحدود . . وعليه أن يقدم نفسه إلى رئاسة الحدود حالا . . وقال إنه سيؤيد حديثه بجواب لحين ظهور النقل في النشرة العسكرية .

وبدت الدهشة والوجوم على سليمان وتساءل متمتماً :
— ولكنّه لم يفعل ما يستحق عليه هذا ؟ ! وهو من أكفأ ضباط السوارى ،

— لقد قلت هذا . . فقل لي إنها أوامر عليا ، لا وجه للمناقشة فيها . . ولا يسعنا غير تنفيذها . . فعليك أن تستدعيه لتلقى هذه الأوامر .

وقبل أن يغادر سليمان الحجرة . . دخل الصاغ د أحمد فهمي ، أركان حرب السوارى . . وقبل أن يحدث القائد بما فعل في قسم القاهرة . . أعاد إليه القائد الأوامر الخاصة

بنقل ه على ه فهت الصاغ ، وقال محتجاً :

— ولكن هذا اعتداء على سلطة قائد السوارى ١٩
لا يمكن أن يرغمونا على نقل ضباطنا .. إذا كانوا يريدون
ضباطاً للحدود فليكتبوا إلينا ونحن ننتقى لهم من نستطيع
الاستغناء عنه .. إن هذا الضابط حاصل على فرقة مدفع
٢ رطل .. وعلى فرقة دبابات كروزر .. ولا يمكن
الاستغناء عنه .

وقال القائد مهدئاً :

— صبرك يا فهمى .. ليست المسألة مجرد حاجة الحدود
إلى ضباط .. إن المطلوب هو إبعاد هذا الضابط بالذات
عن القاهرة .

— ولماذا ١٩ لينبئونا على الأقل عن السبب !! إذا كان
قد أخطأ فلنجازيه ١٩

وبدا القائد يضيق وقال محتدأ :

— يجب تنفيذ الأمر يا فهمى .. هذه أوامر عليا .
وأطرق الصاغ .. وقد بدا على وجهه الضيق .. وساد
الصمت برهة .. وما لبث أن قطعه سليمان بقوله :
— إذا كان المطلوب هو مجرد إبعاده عن القاهرة ..

فإن ذلك متيسر دون حاجة إلى نقله من السلاح .. فقد سبق أن طلب منا إرسال ضابط ليتولى قيادة الدبابات التي سيرسلها الجيش الإنجليزي لتمزق حامية سيوة .. ونستطيع أن نضرب عصفورين بحجر ، فنرسل « على » إلى هناك .. فننفذ أوامر نقله مع احتفاظ السلاح به .. ونسكون قد حللنا مشكلة الضابط المطلوب إرساله .. وأعتقد أن « على » خير من يصلح لهذه المهمة .

وبدا الارتياح والهدوء على وجه الصاغ وأردف مؤيداً :

— هذه فكرة طيبة جداً .. ونحن نستطيع أن نعيده بعد ذلك بمجرد أن تخف حدة المسألة .. فحرام أن يفقد السلاح مثل هذا الضابط .

وبدا التفكير على وجه القائد .. وأردف « فهمي » متسائلاً :

— ما رأي سعادتك ؟

— فكرة وجيدة .. انتظر لحظة .. حتى أعرضها على كاتم الأسرار .. فلعلها ترضيه ويستغنى بها عن نقله من السلاح .

ورفع السماعة وأدار قرص التليفون . . وبعد مكالمه
قصيرة وضع السماعة . . وقال وقد علمت وجهه علامات
الرضا :

— لقد وافق . . على أن يظل في سيوة حتى صدور
أوامر أخرى .

وغادر « سليمان » مكتب القائد وهو في دهشة من هذا
النقل الإجبارى . . ولقد ظن في بادئ الأمر أن سلوك
« على » في الأيام الأخيرة هو السبب في نقله . . ولكنه
رجح — بعد أن عرف أنه مفروض بأوامر عليا —
أن يكون بإيحاء من الأمير اسماعيل . . لأنه لا يمكن أن
تكون هناك جهات عليا يهملها إبعاد « على » سواه . . ولأن
مسألة سلوكه أيضاً لا يمكن أن تهم أى جهة من الجهات
العليا .

ولقد رحب « سليمان » فى نفسه بالحل الذى استطاع
الوصول إليه . . بل لقد وجد فيه خير من نقد « لعل » من
ذلك الطريق الشائك الذى يوشك أن يندفع فيه . . والذى
لم تكن تجدى لإنقاذه منه نصائح ولا عضات . . لا سيما
وقد وجد فيه عزاء عن الصدمة التى يبدو أنه تلقاها من

الناحية الأخرى . . التي ركز فيها كل أمله .

وأبلغه الأمر . . ليس على أنه أمر بإبعاده عن القاهرة . . بل على أنه ثقة في قدرته على قيادة هذه الدبابات . . وكان هذا هو ما يعتقده سليمان فعلا في قرارة نفسه .

ودهش « على » من القرار في مبدأ الأمر ، ولكنه ما لبث بعد أن قلبه على وجوهه أن أحس منه براحة كبرى . . وبداله كأنه منحة من السماء وهبتها له ليغير بها ذلك الوضع الذي فرضته عليه الظروف ، ووجد نفسه ينزلق إليه دون أن يحس .

كان يجد أن المغامرة التي اندفع إليها في ساعة يأس وقنوط قد شدته إلى « كريمة » بوثاق يشتد يوماً بعد يوم ودفعته بالتدرج إلى وضع كان يعتقد أنه مبرأ عنه منزله عن الاندفاع فيه .

ولم يكن يضيق بما يفعل بقدر ما يضيق بالتفكير فيه وفي عواقبه ، وفيما يمكن أن يتمخض عنه أو يؤدي إليه ، وكان من العسير أن ينهي بمحض إرادته . . فليس أصعب علينا من التخلص من مسيات المتع لمجرد الخوف من

عواقبها المحتملة الكائنة في علم الغيب . . . وكان يشده إلى « كريمة » حبها المفرط ، وخضوعها التام . . . وقدرتها على إشباع غريزة الرجل فيه إشباعاً عجيباً ناتجاً عن مهارتها كامرأة مجرّبة ، واندفاعها وحساسيتها كامرأة عاشقة . . . حتى أضحي لا يصد رغبته فيها — إذا ما ثارت في نفسه — مقاومة من إرادة ، ولا مانع من خشية أو تفكير .

ومن وراء كل هذا . . . كان يلم به طيف « أنجى » من بهيد وهو يصده عنه . . . صد الغاضب المشوق . . . اليأس المتمنى والطيف يهتف به في عتاب هامس حزين : « إذا كانت قد صدتك . . . فما ذنب طيفها تصده . . . طيفها الذي لم يفارقك في أشد أوقاتك بأساً ، ما بالك تبعده وهو مؤنس وحشتك ومبدد ظلمتك ؟ ألم تقل لها في رسالتك : « أجيبي أو لا تجيبي فإن حبك باق ؟ ألم تشدها دائماً في قلبك ؟ لماذا تأبى الواد عليها . وتترك قلبك فراغاً صفهناً ؟ » .

ولكنه لا يلبث أن ينتفض ثائراً . . . وكأنه يأبى على نفسه مجرد التفكير فيها .

وهكذا رحب « على » بالسفر كفرصة للفرار . . . الفرار من كل شيء . . . من اليأس والزلل . . . والوحشة الروحية . . .

والعصيان الجسدى .. والحيرة والمقاومة .. والضيق والقلق
والخوف والرغبة .

لقد بدا له فى السفر منجاة من كل هذا .. وكأنه سيلقى
عنه بكل أحماله .. ويهرب نظيفاً مجرداً .

ووصل إلى سيوه .. وقد ألقى عنه فعلاً بكل أحماله
وأثقاله .. عدا شيئين .. صندوق صغير كان يضع به آثاراً
عزيزة .. لم يجسر أن يفتحه ، ولم يقدر أن يتركه ، وطيف
يلم به من بعيد معاتباً فى همس .. وهو يصده صد المشوق ،
ويدفعه دفع المتمنى .

وبدأ « على » مهمته فى سيوه .. مهمة شاقة استغرقت
منه كل جهده ووقته .. فقد كان عليه أن يتسلم بعض
دبابات متوسطة من الجيش الإنجليزى .. ليتولى بواسطتها
الدفاع عن سيوه .. بعد أن ثبت وجود دبابات إيطالية فى
جغوب تهدد قوات سيوه التى لا يحتلها سوى آلاى مصرى
من الحدود الذى لا يملك سوى عربات خفيفة لا يمكن أن
تقاوم الدبابات الإيطالية .

ولم تكن الدبابات الخفيفة .. التى تكوّن منها آلاى

الدبابات الخفيفة المصرية الذى أنشئ في السوارى بالشىء
الذى يمكن الاعتماد عليه في قتال .. لقدمها وضآلتها ..
ولذلك لم يجد الإنجليز بدأ من وضع بضعة دبابات متوسطة
تصلح لمقاومة الدبابات الإيطالية تحت تصرف الجيش
المصرى .. ليقوم بواجب الدفاع عن سيوه .. حيث
كانت القوات البريطانية المرابطة على الحدود الغربية في
ذلك الحين أوهى من أن تمد دفاعها إليها .

وكان على « على » أن يتسلم الدبابات خالية من السائقين
والمدفعجية ، وأن يدرّب عدداً من الجنود المنتخبين من
الحدود على استعمال الدبابات والمدافع بواسطة بعض
الصف ضباط الانجليز الذين أحضروا الدبابات .. وكان
عليه أن يتم التدريب في بضعة أيام .. إذ كان الموقف
يزداد حرجاً .. فقد كانت فرنسا موشكة على الانهيار ..
وكان انهيارها يهدد حدود مصر الغربية بطريق غير مباشر
إذ كانت قواتها القوية الموجودة في شمال أفريقيا تهدد
حدود طرابلس من جهة الغرب مما يضطر إيطاليا إلى توزيع
قواتها المرابطة في شمال أفريقيا بين الغرب والشرق .. وما
يخفف ضغط قواتها على حدود مصر الغربية .

وأتم « على » تدريب جنوده ، وأضحت دباباته قادرة على القتال ، وأحس بالكثير من الراحة والاستقرار .

ولكن راحته لم تطل . . فقد انهارت فرنسا بعد بضعة أيام ، وقلب انهارها الموقف رأساً على عقب . . فقد أخرج إيطاليا من موقفها المتردد كدولة غير محاربة تميل لألمانيا ، ودفعها إلى إعلان الحرب على الحلفاء في ١٠ يونيو ١٩٤٠ ووقف موسوليني على مدفعه يزار بالجنود الإيطاليين : « أيها الجنود المكبلون . . انطلقوا » .

وطلب بيتان (رئيس الجمهورية الفرنسية) الهدنة في ١٧ يونيو . . ومع ذلك لم تكن الحالة على حدود مصر تبعث المدافعين على الجزع ، فقد كانت القيادة الانجليزية في الشرق الأوسط تعتمد على استمرار مقاومة المستعمرات الفرنسية ، وبذلك يمكن استمرار تهديد الإيطاليين في غرب طرابلس وحجزهم بذلك عن تهديد مصر . . ولكن سرعان ما سلم الفرنسيون في كل مستعمراتهم . . « ميتلوز » في سوريا ، و « نوجيس » في شمال أفريقيا . . وبذلك أمن الإيطاليون ظهورهم في طرابلس . . بعد أن زال كل تهديد لهم من الفرنسيين الموجودين في تونس . . وأضحى الطريق

إلى مصر أمامهم سهلاً معبداً .. لا تقف في طريقه إلا قوات
ضئيلة واهنة بعد أن استنفد انسحاب البريطانيون من
« دنكيرك » كل مالى انجلترا من معدات وعتاد ، وبات
وهول الإمدادات للشرق الأوسط متعذراً ، بعد أن
أصبحت الملاحة في البحر الأبيض غير مأمونة .. لوجود
إيطاليا المعادية ، وتحول الطريق إلى رأس الرجاء الصالح .
وزاد من ضعف القوات المدافعة .. اضطراب الجنرال
« ويفل » بعد ذلك إلى إرسال جزء من قواته .. لمساعدة
اليونان في قتالها مع إيطاليا .

وهكذا استقر « على » في سيوة ببضعة الدبابات التي
خلفها له الإنجليز ليصد هجوم الإيطاليين على الحدود
المصرية بعد أن أمنت ظهورهم ، وهى خط المدافعين
أمامهم .

وفي اليوم التالى لإعلان إيطاليا الحرب .. استدعا
الضابطان الانجليزيان اللذان كانا يشرفان على سلاح الحدود
وهما : « باذر » و « هاتون » .. وكانا يعملان ضابطين عاملين
في الحدود ، ثم تحولوا بعد المعاهدة إلى مستشارين في البعثة
العسكرية .

وذهب « على » لمقرهما في الاستراحة البيضاء المستقرة
على الرتبة العالية التي تشرف على الواحة .. وهناك أطلعاها
على الخطة السرية المعدة للدفاع عن سيوة ، وكانت تلتخص
في أن يخرج آلاى سيارات الحدود لمقابلة القوات المهاجمة
عبر الحدود .. فإذا ما اضطرت إلى التقهقر تراجع خارج
الواحة .. على أن يقوم « على » بدباباته بالدفاع عن
الواحة نفسها .

وفهم « على » من الخطة .. أنه وحده المسؤول عن
الدفاع عن سيوة .. وأن كل ما على آلاى الحدود هو
أن يقوم ببعض عمليات العرقلة ، ثم التقهقر بانتظام وترك
الواحة له .

وأحس بمدى المسؤولية الواقعة على عاتقه .. وملاه
إحساس بالفخر يخالطه بعض الوجع والتهيب .

وكان أهل الواحة قد هجروا دورهم .. وانطلقوا في
الحدائق الواسعة المحيطة بالواحة والمليئة بالنخيل وأشجار
الزيتون .. وبقى « على » مع دباباته ومدافعه وجنوده ..
وشغله فرط العمل في إعداد دباباته وأسلحته وتدريب
جنوده عن كل شعور بالوحدة أو الملل .. وأضاع
الإحساس بالمسؤولية كل ما قاساه من يأس وهبوط في

أيامه الأخيرة في القاهرة .

وبدأت الغارة الأولى بالطائرات الإيطالية . . ولم يكن بالواحة أى نوع من الدفاع الجوى سوى بضعة مدافع « برن » لم تحاول حتى أن تفتح نيرانها . . وكانت الغارة استكشافية . . ومفروض بعد ذلك أن تتبعها غارات هجومية يمكن أن تودى دباباته وبجنوده وبالبلدة كلها .

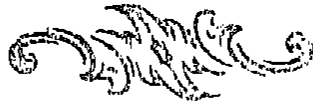
ولم يجد « على » بداً من أن يبتكر سلاحاً مضاداً للطائرات . . وكانت دباباته مزودة بالمدافع ٢ رطل المثبتة فى أبراجها . . فوزع الدبابات على التباب . . بحيث أضحت وقفتها مائلة وبحيث أضحت فوهات مدافعها موصوبة إلى أعلا وهياً بذلك شبكة من النيران المضادة للطائرات .

وعند ما أقبلت الطائرات الإيطالية فى الغارة الثانية . . فوجئت بوابل من النيران القوية سببت لها ذعراً شديداً ، وجعلتها توقن من وجود شبكة قوية متصلة من المدافع المضادة للطائرات . . ولم تحاول بعدها أن تشن على الواحة غارة واحدة .

وأحس « على » بالكثير من الغبطة والسعادة وهو يتلقى التهنة من الضابطین الانجليزین ، ومن ضباط الحدود وزادت روحه المعنوية ارتفاعاً . . وزاد إيمانه بواجبه

وعنايته بروحده الجديده التي أنشأها من الدبابات
الانجليزيه ، والجنود السود . . وأخذ يعد نفسه لخوض
معركة يهد بها هجوم الايطاليين . . ويشقت شملهم .

وعند ما كان يأوى إلى فراشه السفري المنخفض في
حجراته المنزلة في بيوت الضباط . . كان يطوف بذهنه
شبحان : شبح في طوافه عنف وحرارة ورغبة ، وشبح
يلم به من بعيد . . يهمس به في عتاب رقيق . . وكأنه يخشى
أن يراه أو يسمعه . . ولا يلبث الشبحان أن يطويهما سبل
من الدبابات والمدافع والجنود السود والطائرات الإيطالية .



منه



« على » فى وحدته يتحفظ للقتال ويتأهب للمعركة

التممر ولكن الأيام أخذت تمر .. والقتال لا يبدأ ..
والمعركة لا تحل .. والإيطاليون مشغولون عنه بالقضاء
على فلول فرنسا التى صرعاها الألمان .. ثم فى اجتياح اليونان
كجزء من خطة المحور العامة .. لبسط سيادتهم على البحر
الابيض المتوسط واحتلال البلقان وبحر إيجه توطئة لغزو
الشرق الأوسط .. وقد منيت قواتهم بهزائم عدة بعد
اجتيازها ألبانيا واصطدامها بجيش اليونان .. واضطرت
إلى الارتداد حتى فالونا على بحر الأدرياتيك .

فلما بدأوا يوجهون هجومهم بعد ذلك على حدود مصر
الغربية بعد أن وثقوا من ضعف القوات البريطانية المدافعة
كانت خططهم الرئيسية تنصب على الطريق الساحلى ، وظلت
سيوة بمنأى عن هجومهم .

ورويداً رويداً .. بدأت حدة « على » تخف واهتمامه
بما حوله يتضاءل .. وبدأ فراغه يزداد وملله يشتد ، وزاد
الطيفان إطباقاً عليه .. وأخذاً بخنأقه .. أحدهما يلهب
جسده ، والآخر يرهف حسه . ويؤجج زوجه .

ومرت الشهور تلو الشهور .. والركود مخيم والسكابة

سائدة .. والديابات رابضة في خمول .. والمدافع
رافعة أفواها في تشاؤب بليد .. ولا شيء يقطع به « على »
وقته ، أو يملأ فراغه ، أو يذهب سأمته .. سوى التفكير
والصمت والانتظار .

وتوالى الضباط الآخرون على الواحة كل يقضى مدته
محاو لا جهده قتل الملل باللعب والشراب .. و « على » قابع
في وحشته البغيضة .. وسأمته القاتلة .. لا يكاد يربطه
بالحياة غير بضغ خطابات قصيرة متباعدة .. تصله من أخيه أو
من « بهية » .. وفيما عدا ذلك بدا له كأنه قد قطع كل صلة
له بالعمران .. ولم يكن بطبعه قلقاً شكتام ، بل كان الصبر
وقوة التحمل من أميز صفاته .. ولكنه مع ذلك بدأ يضيق
بوحده .. وآلمه أن يلتقي به رؤساؤه بمثل هذا الإهمال ،
دون أن يفكر فيه أحد .. أو يحاول أحد إبداله ..
وعند ما حاول الحصول على أجازة قصيرة للعودة إلى
القاهرة رفض قائد الحامية منحها له بحجة أنه ليس هناك من
يحل محله في قيادة الديابات .. وأنه لا يمكنه النزول إلى
القاهرة إلا إذا أرسل سلاحه بديلا له .. أو على الأقل
يتحمل سلاحه مسؤولية بقاء الديابات في الميدان بلا ضابط
وبدا « على » أنه قد أخفى طريداً منفيّاً ، وعزت عليه

نفسه وهو ملقى في منفاه . . لا يذكره أحد . . وجلس على
المقعد السفري يرقب غروب الشمس في الحديقة الضيقة
المحيطة بالدار المنخفضة التي يحتل إحدى حجراتها ، وبدأت
أشباح النخيل وأشجار الزيتون داكنة في الأفق الأسمر ،
وفي غمرة يأسه أحس بحنين لا يقاوم إلى الطيف النائي الذي
لم ينفك يطوف به من بعيد في عتابه الهامس ، وكأنه يراوده
على الدنو . . وأحس بنفسه تهفو إليه . . وكره أن يحرمها
في وحدتها ويأسها من عزاء طيف لم يبق لها من عزاء في
وحدتها سواه .

وأدنى منه الطيف حتى كاد يشم عبيره . . ويمس شعره
الذهبي . . وهتف به الطيف معاتباً . . وقد عزّ عليه أن يأخذه
بحريرة صاحبه . . وهو لم ينأ عنه لحظة واحدة . . وردّ
عليه هو بأن القطيعة كانت أحد من أن تترك وصلاً لطيف
أو عوداً لذكرى ، وجرى العتاب بينهما رقيقاً ليناً كالغدير
المتفرق من عيون الواحة . . وترك « على » العنان لنفسه
تنهل حنيناً وذكراً . . دون أن توقفها خشية من كبرياء
أو يصدّها خوف من ملام .

ومضت به فترة وهو مغرق في حنينه وقد شغله الطيف
الدانى عن كل ما حوله . . حتى أفاق فجأة على صوت عربية

تقترب . . ولم يسمح له الغبار المثار والظلمة الهابطة من تمييز
هيكلها من بعد ، وإن كان قد رجح من الشخصنة والضجيج
الذي صحب اقترابها أن تكون إحدى عربات «الحاج على»
متعهد تموين الواحة . . وتأكد ظنه عند ما وقفت بالباب ،
وانقشع من حولها الغبار ، وتوقع أن يكون «الحاج» قد
بعث إليه بإحدى الرسائل أو ببعض الأطعمة . . ولكن
تملكته الدهشة عند ما فتح باب العربة المجاور للسائق وهبط
منها شيخ امرأة .

ومضت برهة ، و «على» يحملق في ذهول ، ولا يكاد
يصدق عينيه . . وهو يتبين في الشيخ الهابط من العربة
سمات «كريمة» .

ونهمض كالمأخوذ واندفعت «كريمة» إليه مادة ذراعها
متأهبة للعناق ، ولسكنه صدها بيده الممدودة للبصاغة . .
وتلفت إلى السائق في شيء من الخجل وهو يجذب حقائبها
من داخل «البوكس» ويقف متسائلا : أين يضعها ؟

ولم يجب «على» ، فقد عجز ذهنه عن الاقتناع بوجودها
في منفاه . . والتسليم بكل ما يتبع ذلك من نتائج وتفاصيل
ولم ينتظر السائق جوابه ، بل واصل سيره عابرا أمر الحديقة إلى
محجرته حيث وضع الحقائب وعاد إلى عربته وهو يقول :

— الحاج يهديك السلام . . وسيمر عليك غداً بعد أن
يقابل المأمور .

وعادت العربة حاملة معها ضجتها وغبارها . . ووجد
« علي » نفسه يقف وحيداً مع « كريمة » . . فأمسكها من
يدها وسار إلى الحجرة والدهشة ما زالت تعقد لسانه .
ووقفت أمامه كطفلة مذنبه وقد ربطت رأسها بإشارب
أزرق عقدته أسفل ذقنها وبدأ وجهها بلا طلاء وقد تطلعت
إليه عيناها السوداوتان في رجاء وتوسل .

وهتف بها « علي » هتاف المشدوه :

— كيف حضرت ؟ ! وماذا أحضرك ؟ !

ولم تجب « كريمة » وخيمت على عينيها سحابة دمع لم
تلبث حتى همت في صمت . . ومن خلال دموعها رمقته
في نظرة مستغفرة وقالت :

— أنا أعرف أنك لا تحبني . . ولكنني أعرف أنك
قد أحببت ، وتعرف ما هو الحب . . وتعرف تماماً آلام
الحب عند ما يجد نفسه شيئاً مهماً منسياً . . أنا لا أطلب
منك أن تحبني . . ولكنني أطلب منك أن تعتبرني . . وأن
تمنحني بعض الاهتمام . . لقد سافرت دون أن تخبرني أنك
مستافر . . وكنت معي في الليلة السابقة . . وقضينا الليلة

كأحسن ما يكون الصحاب . . ومع ذلك فقد تركتني إلى
الآن بلا كلمة . . ولا وداع . . ولا حاولت أن ترسل إليّ
بضعة أسطر في رسالة . . لم كل هذا ؟ أنا لم أفعل إلا
كل ما يرضيك فعله . . لأنني أحب فعله بلا تكلف ولا مشقة ،
ولا توقع لمقابل . . لا أطلب منك شيئاً أبداً . . إلا بعض
الاهتمام . . مجرد أن أشعر أنك تحس بي . . أهذا
شيء كثير ؟

وأحس «علي» أن عتابها حق . . وأنه كان معها أنانياً إلى
أبعد حدود الأنانية . . وأنه في سبيل وضع حد لعلاقته بها
وإنقاذ نفسه من تورطه معها . . قد قسا عليها . . ونسى أنه
محب جرب مرارة القطيعة . . وقسوة الهجر . . وبرر
تصرفه معها بأنها امرأة ذات تجارب . . وأن مثلها لا يمكن
أن يخضع لحب أو يفجع بقطيعة . . وأن حياتها أزحم من
أن يخلف إنسان بذاته فراغاً فيها . . وأن في صحبتها ما يعين
على كل وحشة ، ويملا كل فراغ .

لم يخطر له ببال قط أن يكون قد سبب لها بقطيعته مثل
هذه الوجيعه ، وأحس وهو يرمى نظرتها المتوسلة ودمعها
المنساب بعطف شديد . . وتقدم منها فضمها إلى صدره
في رفق . . وقال في لهجة رقيقة معتذرة :

— لقد سافرت فجأة وكانت مشاغلي هنا كثيرة . . ولم
أتوقع أني سأسبب لك كل هذا الألم . . ولا خطر بذهني
أنني سأكلفك مشقة الحجىء إلى . . إن ما فعلته هو
جنون مطبق .

— إنك لم تخلف لي عقلا أتصرف به .
— ولكن كيف استطعت الحجىء ؟
— عرفت من حسين أنك هنا . . واستطعت التوصل
إلى « الحاج علي » عن طريق صديق له من زبائني . . وكان
الرجل كريماً فحملني إلى هنا . . كان لابد لي من لقائك . .
وإلا جنت .

— ولكن بقاءك مستحيل .
— لماذا ؟
— لأنك لا تحتملين البقاء .
— إذا كنت احتملت مشقة السفر . . ألا أستطيع
احتمال نعمة الاستقرار ؟ إني أستطيع أن أحتمل كل شيء
ما دمت معك .

— ولكني لا أستطيع إبقاءك . . ماذا أقول عنك ؟
— خادمة .

— غير معقول . . من يصدق هذا ؟ إنك لست

نسكرة . . وكل إنسان سيعرفك . . ثم ماذا يدعوني إلى
إحضار خادمة ولدى « مراسلة » . . تؤكد لك أن المسألة
لا يمكن أن تمر على خير . . لا بد أن تعودى فى أول عربة
وأنت نفسك ستطلبين ذلك بعد أن . . .

وقاطعته « كريمة » قائلة وهى ترفع وجهها إليه ، وتحيط
عنقه بذراعيها وتبتسم من خلال دموعها :

— دعنا من كل هذا الآن . . إنك أوحشتنى جداً . .
ألم أوحشك ؟

ولم يملك « على » سوى الابتسام ، فحزبت عنقه إليها ،
ثم رفعت رأسها وهى تشب على أطراف أصابعها وألصقت
شفتيها بشفتيه ، فسرت أنفاسها الحارة فى خياشيمه ولفحت
وجهه . . وأحس بدمائه تفور فى عروقه . . وضمها إليه ضمة
عنيفة رفعتها من الأرض بين ذراعيه . . وألصقها ب صدره ،
وتوقف ذهنه عن التفكير . . وتأجج كيانه بالرغبة الجنونية
الحبيسة . . وبدأ وهو يضغط أضلاعها كأن سجين الرغبة
يحطم قضبان سجنه .

ومرت الليلة . . والحجرة الساكنة مغلقة عليهما ، لا يكاد
يشعر أحد بطارىء على ساكنها . . ولا يكاد يشعر ساكنها
إلا بالجسد الشهى اللين الفائر بين أحضانه . . ولا يكاد

الجسد الفاتر يحس إلا بنشوة جارفة تغمره من قمة رأسه ،
إلى أخمص قدميه .

واستيقظ ، على ، في الصباح ، وبدا له وهو يفتح عينيه ،
أن كل ما مرّ به أضغاث أحلام . . لولا ذلك الجسد الراقد
بجواره المغنى في هدوء واستسلام .

وأبدل ملابسه وخرج للبرور على قوائمه . . وكرامة ،
ما زالت راقدة . . وأخذ يحجوب بعربته الصغيرة بين مواقع
الدبابات وهو شارد الذهن مشتت الفكر ، أشبه بالمصاحي
من سكرة . . لم تبق له من نشوتها . . سوى رواسب الهم
والضيق والمرارة .

ولم يعرف كيف يتصرف مع كرامة . . وهو الحي
الوجل القليل الخبرة بهذه الأمور .

أيكمتم أمرها ويخفيها داخل حجراته . . حتى لا يفتضح
أمرها وأمره ؟

ولكن . . أيعقل هذا ؟! أيمكن إخفاؤها في مثل هذا البلد
الضيق المحدود ، وهي تكاد تكون المرأة الوحيدة في النطاق
الذى يعيش فيه ؟

وهل يضمن ألا يذيع الحاج على ، أمرها . . إن لم يكن
قد أذاعه حتى الآن ؟!

وهل له الحق .. فى أن يحيا بين الجنود والضباط مع
امرأة عامة لا تربطه بها .. صلة ولا قرابة ؟ .

وانتهى اليوم والافكار تثقل رأسه دون أن ينتهى إلى
حل .. وأقبل الليل فبدد الجسد الدافئ همومه .

ومضت أيام آخر وهو مستسلم للأمر الواقع .. وكريمة
سعيدة راضية كأنها عروس فى « شهر العسل » .

وبدأ له أن الأمور يمكن أن تسير فى هدوء مادام
لا يضايق أحداً أو يسىء إلى أحد .. حتى بدأ يسمع من
زملائه عبارات التهكم والسخرية .. وكأنما قد ساء لهم وأوغر
صدورهم أن يتمتع بها دونهم أو كأنما كان لزاماً عليه أن يجعلها
بينهم متاعاً مشتركاً .

ولم يكن « على » يشاركهم جلستهم للعب والشراب فى
المنتدى الذى أنشأه بضعة الموظفين الذين يعملون فى الواحة
ولم يكونوا هم يعلقون على هذا حتى شاع بينهم خبر كريمة .
فقال له أحدهم :

— لماذا لا تؤنسنا فى المنتدى ؟

وأجاب « على » فى اقتضاب :

— لأنى أفضل النوم مبكراً .

— معك حق .. لو كان لدىّ مالدريك لما فارقت البيت .

وقال آخر معترضاً :

— يا أخى أحضرها تسهر معنا .. اعطنا بما أعطاك الله .

وبدأ « على » يحس بجو من القلق يحيطه ، حتى فوجئ به ذات يوم بقائد الحامية يطلبه فى المكتب ، وعرض عليه تقرير آخاوأ من الإمضاء خلاصة ما فيه : « أن الملازم على عبد الواحد قد قلب الواحة إلى ماخورة .. وأنه يحضر الراقصات من القاهرة ليقضى الليالى بين أحضانهن .. وأن هذا استهتار بالشرف والفضيلة وعيث بالوظيفة وحض على الفجور .. وفى نهاية التقرير كتب « صورة إلى قائد سلاح الفرسان » ، وعندما أتم على قراءة التقرير أعاده إلى مكتب القائد فى صمت :

وسأله القائد بقوله :

— ما رأيك ؟

— إن جوهره صحيح .. وإن كانت الحواشى والتعليقات غير صحيحة .. إن الراقصة كريمة تعيش فعلا فى حجرتى .. وإن كنت أعتقد أنى لا أنشر بها الدعارة بين الموظفين .. هذه مسألة شخصية بحته .

وأطرق القائد برهة أخذ ينقر خلالها بقلم فى يده على مكتبه ثم رفع رأسه إلى على قائلا وهو يشير إلى مقعد خال :

— إجلس يا على .. دعك من هذا التقرير .. إني إن
ألقى إليه بالا .. وأستطيع أن أمزقه أمامك إذا أردت ..
ولكنني أريد أن أسوق إليك نصيحة شخصية . إني أريدك
كأخ أكبر .. أفاهم أنت ؟
— أجل .

— لقد عرفت بوصول « كريمة » ساعة أن وصلت ..
فالمفروض أني أحاط علماً بكل ما يحدث في المنطقة .. وقد
أبلغني « الحاج علي » بأوصولها قبل أن تعرفه أنت ، وأقول
الحق أني ذهلت فأنا أعتقد أنك مخلوق مستقيم منزّه عن
الشبهات ، وأنا أعرف أنك لم تحاول اللعب أو الشراب مرة
واحدة .. فما بالك بإحضار راقصة معروفة تعيش معك
تحت سقف واحد في مثل هذه المنطقة ، وكرهت أن أفاتحك
وأن أعتبر المسألة كما تقول أنت مسألة شخصية ، وكان يمكن أن
أصمت عنها . لولا أن الألسنة لا تصمت ، ولولا أن مسألة
كريمة قد أضحت شغل المنطقة الشاغل .. فلا حديث للأهالي
أو الجنود أو الضباط أو الموظفين سوى كريمة ، حتى بت
أنت وإياها كما يقولون مضغّة في الأفواه ، وتحمّ عليك أن
تنتهي المسألة .

— كيف ؟

— أعدّها إلى القاهرة في أقرب فرصة . . وإذا أردت
سأرجو لك « الحاج على » أن يقوم بعربة مخصوصة لإعادتها
وتعتبر المسألة بعد ذلك كأنها ما كانت .

— أشكرك جداً . . وأؤكد لك أن الوضع قد فرض
علىّ فرضاً ، وإنّى لم أعرف كيف أواجهه بغير الاستسلام ،
ولقد كنت أوشك أن ألجأ إليك لولا الحياء .

— كلنا قد مررنا بهذه الأشياء . . المهم هو أن نخلص
منها دون أن يعلّق بنا شيء . . وأرجو ألا يكون التقرير
قد ترك أثراً في السلاح .

وأجاب « على » في مرارة :

— ترك أو لم يترك . . ماذا يمكن أن يفعلوا بي شراً
من هذا ؟

وعاد « على » إلى كريمة مطرقاً متجهماً ، وأنبأها بالخبر
في كلمات قصار ، وختم حديثه قائلاً :

— ستقوم بك عربة في الصباح المبكر . . فعليك أن
تعدى حقائبك من الآن .

وأجابت « كريمة » ، نائرة :

— لن يستطيع إعادتي أحد . . أنا لا يهمني ما يقولون .
وأجابها « على » ، في هدوء :

— وليكنه يهمنى . . وأظن ما يهمنى يجب أن يهمنى ؟
وأحسّت « كريمة » أن البكاء يوشك أن يخنقها فأطارت
تغالب دمعها .

واقترب منها « على » ورفع وجهها إليه وأخذ يتحسسها
برفق قائلا :

— إن حماقتنا هذه لا يمكن أن تستمر .
وهتفت « كريمة » وهى تحقق فى عينيه :
— إني أحبك .

— حتى هذا لا يسوغ لنا الاستمرار فى هذه الحماقة .
— قل إنك تحبنى . . قلها رغم أنك لا تعنيها . . فيأني
أحس من سماعها عزام كبيراً .
وصمت « على » برهة . . فقالت « كريمة » فى لهجة
ملؤها الأسى :

— حتى مجرد كلمة تبخل علىّ بها . . قلها وأقسم لك
أنى إن أحاسبك عليها .
وأحس « على » من دموعها المنسابة برغبة فى البكاء . .
ما لبث أن دفعها عن نفسها وهتف بها :
— إني أحبك .

ولم يحس «علي» أنه يكذب . . فلقد كان يشعر لها بنوع
من الحب . . خليط من الاشتهااء والشفقة .

ورحات «كريمة» . . ومرة أخرى جلس «علي» في
وحدة وهو يرقب الفراش الخالي . . والحجرة الساكنة . .
ويستعيد لنفسه ذكرى المرأة العجيبة التي قطعت من أجله
مئات الأميال . . لترجوّه أن يقول لها : « أحبك » رغم
يقينها أنه لا يحبها .

وأحس بأنه يكره نفسه . . لأنه لم يستطع أن يجبرها
على حبها . . الحب الذي تستحقه وتتوق إليه . . الحب
الذي تحبه هي له . . ويحبه هو . . لهاجرة المعرضة . . النائية
بلا كلمة فرقة . . أو تحية داع .

وبدا له أن يقارن بين الإثنين وبين مشاعره لـسكليمها . .
بين الواصلة والقاطعة . . بين من أبت عليه بارقة أمل والتي
تصر على حبه بلا أمل . . ولا مجرد رغبة في أمل .

وقارن بين مكان كل منهما في قلبه . . فإذا بالقلب
الأحق . . يأبى المقارنة . . ويرفض أن يعترف إلا بمكان
الموؤودة .

وإذا بالطيف النائي يدنو هامساً في عتاب : أقد هان
عليه حتى يضعه مع الغير موضع المقارنة ؟

وتطأرت « كريمة » وتطأرت معها الليالى الصاخبة الملهبة
وأحس كأنه يهيم مع الطيف الحبيب ، هياماً ناعماً رقيقاً . .
ويكاد يمس شعره الذهبي ويتلمس أنامله الرقيقة .

وغادر « على » حجراته ، وقد أحس بحنين شديد إلى
الليل الساكن الفسيح بنجومه الرانية ، وأشجاره الهامسة . .
وسار فى الحدائق المتكاثفة وسط النخيل وأشجار الزيتون
وأحس بمشاعره ترفف وأحاسيسه ترقى . . حتى كاد الطيف
الحبيب يتجسد . . وخيل إليه أن الطريق بين الحدائق . .
سيفتهى به إلى السوبة ، وشريط التروى ، والترعة ، والغاب
المتكاثف على حافتها . . وأحس أنه يوشك أن يسمع
طرقات الحصان الرتيبة المنتظمة .

وانتهى به السير إلى العين . . وقد أحاط بها الحوض
المستدير . . واجتمع على مقربة منها بعض الأهالى .
وجلس على حافتها . . ينصت إلى ناي انبعث فى سكون
الليل هادئاً عميقاً .

وأحس من الصوت المنبعث . . والنسمة السارية . .
والخريف الجارى . . كأن روحه قد غمرت فى ماء ظهور . .
أزال عنها كل أدرانها .

وفي طريقه إلى العودة . . أحس بأن جلاميد اليأس
المتكدسة في قلبه قد ذابت، وغيموم الشك والقلق والضيق
المخيمة على روحه قد تبددت . . وملأه إيمان عميق بقوة
قادرة، رحيمة غفور .

ورقد تلك الليلة . . وملأ نفسه طمأنينة عجيبة . .
ومسكنة تامة .



في الثعالب



وقف

سليمان أمام الصاغ الأركانحرب يقرأ التقرير
الذي أرسل في « على » ، وعند ما انتهى من

قراءته وضعه على المكتب وبدأ عليه وجوم شديد .

لم يكن يتوقع من « على » أن يصل به حد الاستهتار إلى
أن يصطحب إلى سيوة امرأة عامة تشين سمعته وتلوث اسمه
وتجعله مضخة في الأفواه .

وأيقظه من شروده قول الصاغ متسائلا في دهشة :
— ما رأيك ؟

ولم يعرف سليمان كيف يجيب .. إنه يحب « على »
ويثق به .. ويكره أن يخذله .

وما لبث أن أجاب بعد فترة تفكير :
— قد يكون التقرير كيدياً .

— وقد يكون غير كيدى .

— على أية حال أعتقد أن خير ما يمكن عمله هو أن
يعود « على » إلى آلايه في القصابة ، وسنقطع عليه مثل هذا
العبث إن صح التقرير لأنه ليس في خنادق القصابة وخيامها
مجال للكرامة ولا لغيرها .

— معك حق .. وأظن آلايه أشد حاجة إليه من

بضلع الدبابات الراقدة فى سبوة . . والى يمكن لآى ضابط
آخر أن يشرف عليها لاسبما وقد كف نشاط الإطالبن
هناك بتاتا بعد أن تحول اهتمامهم إلى الجهة الشالبة .

وهكذا نقل « على » من سبوة إلى القصابة . . السكائنة
شرق مرسى مطروح . . والى احتلتها القوة الخفيفة المشكلة
من وحدات السوارى الميكانيكية التى ألحقت بها وحدات
أخرى معاونة من بقية الأسلحة .

ورغم أن القصابة لم ترد « لعل » غربته عن القاهرة . .
ورغم أن الحياة كانت أشق كثيرا من الحياة فى سبوة . .
إذ كانت حياة ميدان وخيام وخنادق لا تتوفر فيها شىء من
راحة المسكن أو طيب المأكلى أو طمأنينة المستقر . . ورغم
الإنزعاج الدائم من طائرات المحور وتوقع هجومه بين لحظة
وأخرى . . رغم كل هذا أحس « على » بغبطة فى الرحيل عن
سبوة .

لقد أطربه أن يضع حدا لهذه الوحدة الخائقة والممل
القاتل ، وسرّه أن يعود مرة أخرى إلى بلوكة وجنوده
وأسلحته .

وأحس بكثير من التسلية والعزاء بين رفاقه الضباط . .
ومرت به الأيام والشهور وترقى لرتبة البوزباشى .

وشغلت حياته الجديدة المليئة بالحركة والاضطجيج ، حياة
دوى القنابل وأزيز الطائرات وقصف المدافع . . ومالت
فراغه دوريات الاستكشاف التي كان يقوم بها بالتناوب
مع بقية الضباط واحتلت ذهنه أنباء الحرب وأنباء الهجوم
والدفاع والتقدم والانسحاب . . ولم يبق للطيف النائي
سوى لحظات قصار قبل الرقاد يدنو منه خلالها ليهمس
مناجياً أو يهتف معاتباً حتى يستغرق في سباته .

واستطاع الحصول على بضع أجازات قصار كل عدة
شهور . . زار فيها أهله . . وأمضى بعض الوقت مع كريمة . .
وساقته قدماء ذات مرة في بهمة الليل ، فطاف به كالشبح
خارج أسوار القصر العالية ، وكأنه يرد للطيف العاتب
زيارته .

واستمرت المعركة في جبهة الصحراء الغربية في تلك الفترة
بين الحلفاء والمحور متخذة سمات الأرجوحة تدفعها لطمة
إلى أقصى الشرق . . وتعيد لها لطمة إلى أقصى الغرب . .
وقوات الطرفين المقاتلة تعدو إحداها في أعقاب الأخرى . .
لا تكاد تصل إلى أقصى مطارقتها حتى تكون موااصلاتها قد
طالت . . وقواعدها قد بعدت ، وأنفاسها قد تقطعت ،
وتسكون القوات الهاربة قد عادت إلى قواعدها وقصرت

مواصلاتها وقربت مؤنّها ، فلا تسكاد تسكر على المهاجمة حتى
تسكص على أعقابها وتمود المطاردة من جديد في اتجاه
عكسى حتى تصل المطاردة إلى القواعد الأخرى فتدور
الدائرة .

ولم تكن الأرض المحتلة قيمة . . بل كانت بفراغها
ورمالها وصعوبتها . . تحتسب على المحتل ولا تحتسب له . .
وكان اكتسابها يزيد من بعد القوات المهاجمة عن قواعدها
ويصعب من تموينها بالمؤن والذخائر والبتروول . . فيحدد
عدوها بالقدر الذى يمكن مدها بما تحتاج إليه فى سيرها
وقتلها .

وهكذا بدت قوات الطرفين وكأن كلا منهما قد شد
إلى قاعدته بخيط من المطاط كلما زاد بعده عن قاعدته كلما
زادت سرعة ارتداده إليها .

واستمرت الذبذبات تترجح بين برانى وبني غازى . .
دفع الذبذبة الأولى بالقوات الإيطالية المارشال « جرازيانى » ،
فاستولى على السلاوم وسيدى برانى . . ورد الثانية بقوات
الحلفاء الجنرال « ويثل » فوصل بها إلى بني غازى . .
وما لبثت أن ارتدت مرة أخرى إلى الحدود تاركة جيشاً
من جيوشها فى طبرق ، ثم كرّ الجنرال « أوكنلك » البريطانى

فرد الإيطاليين مرة أخرى إلى بنى غازى بعد أن فك الحصار حول طبرق .

ودفع الذبذبة الثالثة الماريشال « رومل » الألمانى . . وانطلق الحلفاء فى زعر وقد تجاوزوا فى ارتدادهم قاعدتهم حتى وصلوا إلى العلمين بعد أن سلم جنود جنوب أفريقيا طبرق .

ووقفت الذبذبة الأخيرة عند العلمين وانسحبت القوة الخفيفة ضمن سبل القوات المنسحبة عائدة إلى قواعدهما فى القاهرة . . تاركة مواقعهما فى جارة المركز التى احتلتها بعد القصاصة .

وكانت الحالة السياسية فى مصر قد تخرجت . . وبات الإنجليز يحسون أن الحكم فى مصر لم يعد بيده القوة التى تستطيع أن تملك زمام الموقف ، والتى تستمتع بثقة شعبية تستطيع أن تفرض بها سيطرتها على الشعب بحيث تؤمن للحلفاء ظهورهم ، وبحيث يحصلون على أقصى ما يحتاجون إليه من مساعدات بكرم وترحيب ، وبلا خوف من دسائس خفية أو معارضة رسمية أو قلاقل شعبية .

وكان « على ماهر » قد استقال بعد أن رفض دخول مصر الحرب . . ولم يكن هناك من شك فى أن ذلك كان

أجدى على الخلفاء . . فقد سلمت قواعدهم ومواصلاتهم
بسلامة مصر من اعتداءات المحور الجوية ، وكانت قوات
مصر المسلحة — أو ما تبقى منها بعد أن سحبت انجلترا
معظم أسلحتها كالدافع والدبابات للاستعانة بها في معارك
الصحراء — أجدى للخلفاء وهى فى مواقعها الدفاعية فى
القنال وفى بقية المنشآت الحيوية .

وتولى الحكم بعد على ماهر « حسن صبرى » ولم يطل
حكمه إذ وافته منيته فى افتتاح البرلمان عام ١٩٤١ ، وخلفه
« حسين سرى » الذى استمر يحكم حتى شتاء ١٩٤٢ ، حينما
أشرف المحور على العلين وقامت المظاهرات المعروفة
تنادى « إلى الإمام ياروميل » ، ولم يجد الإنجليز بداً من
أن يفرضوا فى الحكم القوة التى تستطيع أن تفرض على
الشعب تأييدهم .

وكانت وزارتا صبرى وسرى هما آخر جهود القصر
فى إبعاد الوفد عن الحكم ، ولم تكن هناك وسيلة لإبعاده
أكثر من ذلك بعد أن فرضه الإنجليز بدباباتهم يوم
« فبراير » المعروف . . ولا أجدت محاولة إشراك بقية
الأحزاب معه فى صده عن الاستئثار بالحكم .

واستطاعت الرقابة الصحفية التى كانت تفرضها الأحكام

العرفية في ذلك الوقت أن تستر الواقعة ، وتبيء لها من
التعويه والتضليل ما هوّنها على الرأى العام حتى هتف للسفير
البريطانى بطل الواقعة وحمله على الاكتاف ، وما جعله يرحب
بعودة الوفد لا سيما بعد أن طالت غيبته عن الحكم وامت
من الأذهان مساوئه في آخر حكم له . . وزاد من الترحيب
به ما بدى عجز الحكومات المتتالية عن حل مشاكل التكوين
والغذاء والكساء التى فرضتها قيود الحرب .

ولكن الرأى العام فى الجيش لم يكن لديه نفس الاستعداد
لقبولها ، فقد أحس الضباط منها حرجاً أو غر صدورهم ،
فقد كان اعتداء مسلحاً على « قائدهم الأعلى » وقفوا هم منه
موقف المستسلم العاجز . . وفرضت دبابات الإنجليز على
الملك والبلد ما لم يملكوا هم دفعه وهم أحق الناس بذلك
لأنهم يملكون القوة التى يمكن لها أن تدفع القوة ، أو على
الأقل تقاومها .

وكان « الملك » حبيباً إلى نفوس الضباط كرمز وكشخص
إذ لم تكن مظاهره وأفعاله البادية وقتذاك تتم عن الشذوذ
والعناد والشر التى نمت عنها أعماله فيما بعد . . بل كانت فى
جملتها العامة الظاهرة لا تبدى منه إلا ما يحببه إليهم .

وكان عزيز المصرى قد استبعد من رئاسة هيئة أركان حرب
الجيش ، بعد أن أعجزته طبيعته العجيبة وتفكيره المنفرد

عن التعاون مع من حوله والاستمرار في مركزه وأداء واجبه .
وكاد الزيدى ، أن يخلفه ، لولا وشايات ودسائس
جعلت القصر يفضل أن يضع على رأس الجيش أحد
ياوران الملك لكي يضمن - كما كان يعتقد - أن يضع
قبضته على الجيش بادئاً بذلك سياسة ضمان ولاء الجيش
بوضع رجال الملك في رئاساته المختلفة .

وهكذا تولى إبراهيم عطا الله ، رئاسة هيئة أركان حرب
الجيش وبدأ الاندفاع الواضح المفتعل في طى الجيش تحت
جناح الولاء ، ولم تعد تميز رئيس هيئة أركان حرب الجيش قدرته
على رئاسة الجيش وتدريبه وتسليحه وتنظيمه وإدارة وحداته
ومناوراتهم بقدر ما كانت تميزه قدرته على الاحتفاظ بولاء
الجيش للملك وإظهار هذا الولاء في كل فرصة وحين .

تلك كانت الحالة . . . عند ما عادت القوة الخفيفة إلى
قواعدها بكوبرى القبة ، وعاد معها « على » . . لأنه لم يكن
هناك مفر من عودته ، إذ لم يكن لدى أحد الفرصة أو
الوقت للتفكير فيه وفي المكان الذي يجب أن ينقل إليه
حتى يبقى بعيداً عن القاهرة .

وكان القائد ، أول من تذكر موضوعه عند ما لمح اسمه
نوبتجياً في دفتر الأوامر . . وسأل الصاغ فهمي قائلاً :

— ما رأيك في مسألة علي عبد الواحد ؟
وأدرك فهمي ما يرمى إليه القائد . . . ولكنّه تصنع
عدم الفهم وتساءل قائلاً :

— أى مسألة ؟

— مسألة إبقائه دائماً خارج القاهرة ؟

— يا فندم . . هذه مسألة أظنها انتهت ، ولم يعد أحد
يفكر فيها . . فمن غير المعقول أن يحكم على شخص بالبقاء
خارج القاهرة طول العمر ، ثم إلى أين ننقله إذا كانت كل
قواتنا انسحبت . . اللهم إلا إذا كنت تأمر بنقله إلى قوات
الألمان في مرسى مطروح .

— أتمزح يا حضرة الصاغ ؟

وضحك فهمي وأجاب راجياً :

— دعك منه . . لتنس المسألة كلية . . وأؤكد لك
أنه لن يذكرها أحد .

— وإذا ذكروها فماذا نقول ؟

— سأتولى الرد أنا حينذاك . . إني مسئول عن ذلك .

— أنت لست مسؤولاً . . إن المسؤول هو أنا .

وكان سليمان يرقب المناقشة في صمت . . فتدخل قائلاً :

— أعتقد يا فندم . . أنه لن يذكر المسألة أحد . . لأنى

أعرف الدافع إليها . . وأعتقد أنه انتهى تماماً . . وأستطيع
— بعد إذنك — أن أوضح المسألة كلها لعلى ، وأطلب منه
أن يحذر من أن يأتى ما يحركها ثانية .

وصمت القائد برهة ثم قال منذراً :

— قل له إن مصيره متوقف عليه وحده . . وأنه فى
هذه المرة سيكون النقل خارج السلاح . . لآنى لا أريد
متاعب .

وعاد سليمان إلى مكتبه فرفع سماعة التليفون قائلاً
لعامل التحويلة :

— اعطنى اليوزباشى على عبد الواحد .

وبعد فترة سمع صوت « على » يقول مرحباً :

— أهلاً سليمان .

— أهلاً على . . كيف حالك ؟

— الحمد لله . . وحالك أنت ؟

— ماشيه . . لقد أوحشتنى وأريد أن أراك .

— أطلبنى من أجل ذلك ؟

— ألا تكفى وحشتك لى أطلبك ؟

— قل ماذا تريد ودعك من اللف ؟

— والله لا أريد أكثر من أن أراك . . أين ستذهب
الليلة ؟ .

— مرابط في القشلاق . . لأنى ضابط عظيم .
— إذا سأتى إليك .. أديك ما يمنع من دعوتى للعشاء ؟
— أتتكلم جاداً ؟
— أى والله .

— إذا سأنتظرك وأعمل حسابك فى العشاء ؟
— لا تنس أن توقد المدفأة .. فقد اشتقت إلى جلستها ..
أتذكر جلستنا حولها فى أيام النوبة بتجية ؟
— كانت أيام لذيذة .

وفى المساء ضمت الصديقين جلسة هادئة حول المدفأة فى
صالون الميس ، وبدا الصالون مغلق النوافذ مسدل الستائر
مطلى الزجاج حتى لا ينفذ الضوء إلى الخارج فتبدو منه بارقة
تهتك ستر الظلمات المعتمدة التى تسود القاهرة وتحجبها عن
الطائرات المغيرة بثوب حالك السواد .

وجرى الحديث بين الصاحبين يطرُق أموراً شتى .
قال سليمان متسائلاً :

— أقمت اليوم بتجربة للدفاع الجوى السلبى ؟
— أجل . . ولو أننا لم نعد فى حاجة إلى تجربة . . فقد

علمتنا بضع الفارات الأخيرة المتتالية كيف نأوى إلى
الخنادق بلا حاجة إلى تجربة .

— أظن الخنادق كلها قد حُفرت ؟

— تقريباً .. عدا خنادق حديقة السوارى فما زال هناك
خندق لم يتم حفره ، وقد سألت اليوم فأخبروني أنهم ينتظرون
حتى يخلع مستأجر الحديقة بضعة أحواض خضار لم تنضج بعد .

— ما شاء الله !! .. إذا فعلينا أن نضجى بأرواح
العساكر من أجل بضعة أحواض خضار .. كان يجب
عليكم فسخ العقد مع هذا الرجل .. حتى يخلى الحديقة .

— إن المسألة لا تحتاج إلى فسخ عقد .. غداً سأعطى
أسراً لباشجاويش الإدارة لكي يأخذ بضعة عساكر ويتموا
حفر الخنادق .

— خسارة إتلاف الحديقة .. طالما تسليت في نوبة جيتى
بأكل الخيار والمشمش من أشجارها .. أتعرف أن أسوأ
ما فعلته بنا الفارات هو هذه الخنادق التى بقرناها بطن
الأرض وشوّهناها الخدائق والطرقات .

— هذا خير من أن تبقره بطوننا بشظاياها وقنابلها ..
أتذكر غارة السبت الماضى ؟

— لقد كانت فضيحة ، لقد دمروا بها مطار هليوبوليس .

— وأعجب ما فيها أنها لم تصب شيئاً غير المطار . . إن البيوت المجاورة لم يمسسها سوء .

— لا شك أنها غارة ألمانية ؟

— لقد كنت أتوقع توالى الغارات بعد ذلك . . ولكنهم كفوا عنها منذ ذلك اليوم .

— يبدو أن حالتهم أمام العلمين ليست طيبة .

— لا بد وأنهم يتأهبون لحشد قواهم للضربة التالية .

— لا أظن . . لا تستهن بهذا المشوار الذى قطعوه . .

لقد قطع أنفاسهم . . إن الحشد مع بعد القاعدة وطول المواصلات أمر غير هين .

— كنت أتوقع أن يصلوا الاسكندرية بين يوم وليلة .

— لا أظن . . يخيل إلى أنهم قد بلغوا آخر الشوط . .

وأن الحلفاء سيردونهم مرة أخرى . . لقد خبرت حرب

الصحارى جيداً . . لم أضع هذه المدة التى شر دتمونى فيها هباء .

وألقى سليمان بقطعة خشب إلى المدفأة ، وبدأ عليه

سيماء التفكير . . وسادت فترة صمت قطعها بقوله متسائلاً

وهو يحدق فى المدفأة :

— من الذى شرّك يا على ؟

— تسألنى أنا ؟ . . سل الإدارة .

— كان يخيل إلى أنك تعرف أكثر من الإدارة .
— ماذا تقصد ؟

— أقصد أن إدارة السوارى لم تشرّك . . وأنت تعلم هذا جيداً . . لأنه ليس بها أحد لا يحبك ويقدرك . . لقد صدرت الأوامر بإبعادك عن القاهرة . . وكان المفروض أن تنقل إلى الحدود . . ويتولون هم إبعادك . . ولكن الصاغ والقائد رفضا نقلك من السلاح . . ولم نجد حلاً للمسألة سوى أن تتولى قيادة دبابات سيوة . . فالإدارة إذاً فعلت كل ما فى وسعها من أجلك . . وأوامر إبعادك صدرت من جهات عليا لا تملك الإدارة مخالفتها .
— ماذا تقصد بجهات عليا ؟

— لا تتجاهل يا على . . أنت تعرف أن الأمير اسماعيل لا يستعصى عليه إبعادك عن القاهرة . . ألا تهتقد أنه هو السبب ؟

ودون أن يحول د على ، بصره عن النيران أجاب فى صوت هامس :
— ربما !

— على أية حال لقد مرّت المسألة على خير . . والقائد أبدى استعداداه لتنامى أوامرهم بإبعادك . . وعدم إثارة

المسألة . . بشرط ألا تفعل أنت ما يثيرها .

— ماذا تقصد ؟

— أقصد أن تسكف عن كل صلة لك بأنجي . . وألا تحاول رؤيتها أو الاتصال بها . . حتى لا تذكر الأمير بوجودك فيعود إلى طلب إبعادك .

— لقد انتهى كل ما بيننا يا سليمان قبل أن أسافر إلى سيوة . . ولم يعد هناك أبداً ما يمكن أن يثيره .

وصمت « علي » قليلاً ثم أردف قائلاً في سخرية مريرة :

— اللهم إلا إذا كان مجرد التفكير يسبب له قلقاً . .

وعلى أية حال لن يمنعني الإبعاد من هذا التفكير .

وأحس سليمان بعطف شديد على « علي » وهو مطرق نحو المدفأة وقد بدت مظاهر أسى تعتم وجهه وقال في رفق :

— إسمع يا علي إن تفكيرك من حقتك وحدك وليس

لأحد أن يتدخل فيه . . لا الأمير ولا غير الأمير . .

ولكني مع ذلك أنسام . . ماذا يدعوك إلى التفكير فيما

بعد كل هذا ؟ ! ما يمكن أن يكون أملك في هذا التفكير ؟

وصمت « علي » برهة . . وبدأ كأنما لا ينوي الإجابة . .

حتى همّ سليمان بمعاودة السؤال ، ولكن « علي » أجاب في

صوت خفيض وكأنه يتحدث نفسه :

— لا أظن من السهل أن أشرح ما بنفسى . . ولكني

مع ذلك سأحاول . . ليس هناك من يعرف مدى يأسى منها
قدر ما أعرفه أنا . . فأنا أوقن تماماً . . أنه لا يمكن أن
أمل منها فى أى نوع من أنواع الصلات . . وصدقنى إذا
قلت لك أنى لا يهمنى كثيراً أن أراها أو أكلها أو أسمع عنها
لقد قطعت فى نفسى كل رجاء منها كمخلوقة حية . . وكل رغبة
فيها كشيء مادي . . ولكنى مع ذلك لم أستطع ولا أظننى
سأستطيع أن أقتلع إحساسى بها كشيء مغروس فى أعماقى
ممتزج بكيانى . . فهذا إحساس إن أفلحت فى إخماده اليوم
أو غداً بكل وسائل التبغيض واليأس . . فليس أسهل من
إيقاظه وتأججه بمنظر عابر ، أو نسمة سارية ، أو حلم من
أحلام الدجى . . أو حتى بغير هذا ولا ذلك . . إن
إحساسى بها كصلة روحية لا يمكن اجتثاثه ، فأنا فى اجتثاثه
كمجثث الشعرة . . كلها قطعها . . لا يلبث أن يجدها نمت على
مر الأيام دون أن يعرف كيف اشتدت ولا متى نمت . .
إنها أشبه بالداء المزمن لا برم منه . . ولا علاج له . . وإن
كنت أجدها داء خفياً بلا خطر ولا ضرر . . بل إنه أضحى
ألزم إلى من صحتى ، ومن حياتى . . أفهمت كيف أفسكر فيها
وأحس بها ؟ لقد باتت شيئاً كامناً فى نفسى لا زوال له ،
ولا خلاص منه .

وأمسك « سليمان ، المساك الحديدى يقلب به النيران ،

ولم يكن من قبل يؤمن بمثل هذا الشعور الذي حدثه عنه
« على » ... شعور الإصرار على تملك ما لا صيبيل إلى تملكه
ولكنه أحس من نبرات « على » إيماناً قوياً راسخاً
لا يتزعزع ولا يتزعزع .. ولم يكن هناك معنى لأن يحاول
زحزحته أو زعزعته .. ما دام قد طواه في نفسه ، وضمه
بين جوانحه .. وما دام لم يعد عليه منه ضرر ولا خطر .
وقال سليمان بعد فترة تأمل وتفكير :

— قد تكون على حق في تفكيرك ومشاعرك ، وحتى
لو لم تكن على حق .. فلا أظن هناك من يقدر على تغيير
طريقة تفكيرك ، وتبديل كيفية إحساسك ما دمت تجد
فيها نوعاً من السعادة أو العزاء .

ولكن كل ما أطلبه منك وأنصحك به هو ألا تجعل
لتفكيرك ومشاعرك مضاعفات تغير مجرى حياتك .. أو
تؤثر على طبيعتك أو عمالك أو تصرفاتك .. لا تدعها تجعل
منك إنساناً سلبياً حالماً شاردأ .. استهلكها في باطنك حتى
لا يبدو لها أثر على ظاهرك .. أفهمتي ؟

وهزّ « على » رأسه وأجاب :

— أجل أفهمك جيداً .. وأسألك : ألا تجدني أفعل
كما تقول ؟ لو لم أقل لك ما قلت .. أكنت تجدني ما ينم عنه
إني أعمل .. وأتحرك .. وآكل .. وأشرب .. وأتحدث
كغيري من بقية البشر .

— لست أقصد هذا . . فليس يكفي أن تعمل وتتحرك وتأكل وتشرب وتحدث وتبدو كغيرك من بقية البشر . . بل يجب أن تكون خيراً من بقية البشر . . لأن لديك الطاقة والقدرة على أن تكون كذلك . . يجب أن تكون لك آمالك الكبار التي تتناسب مع قدرتك . . والتي يمكن أن تستهلك في تنفيذها طاقتك وجهودك . . إنى أعتقد أنك لست بالخلق العادى الذى يمكن أن يكتفى منه بمجرد العمل العادى ، بالأكل والشرب والتحدث والنوم والسير . . فيجب أن تخرج عن هذا النطاق الضيق الذى حددت فيه أملك وأغلقت عليه رجاءك يجب أن تخرج من سلبيتك التى تضاعفها قناعتك بالتفكير الشارد الحالم ، دع تفكيرك يخرج إلى محيط أكبر وأوسع إلى محيط واقعى تستطيع أن تلمس به ماحولك من مهالك وبلايات طبق علينا ، وأغلال نرسف فيها ، ونرزح تحت ثقلها .

— لست أفهم ما تريد .

— أيعجبك هذا الفقر والجوع والمرض الذى ينخر فى أمتنا ؟ أيعجبك هذا الاعتداء الصارخ على سيادتنا وحریتنا ؟ أيعجبك هذه المذلة والهوان ؟ ماذا تبقى لنا من كرامة بعد أن وطأت نعالهم القدرة رمز سيادتنا وبعد أن أذلونا بدباباتهم ، وفرضوا علينا رغباتهم ؟

— وماذا تريدني أن أفعل ؟ ماذا أملك أو يملك غيري .
لمنع هذا ؟ !

— تملك كل شيء . . . تملك الإيمان والعمل . . . يجب أن
نشأ لكرامتنا . . . يجب . . .

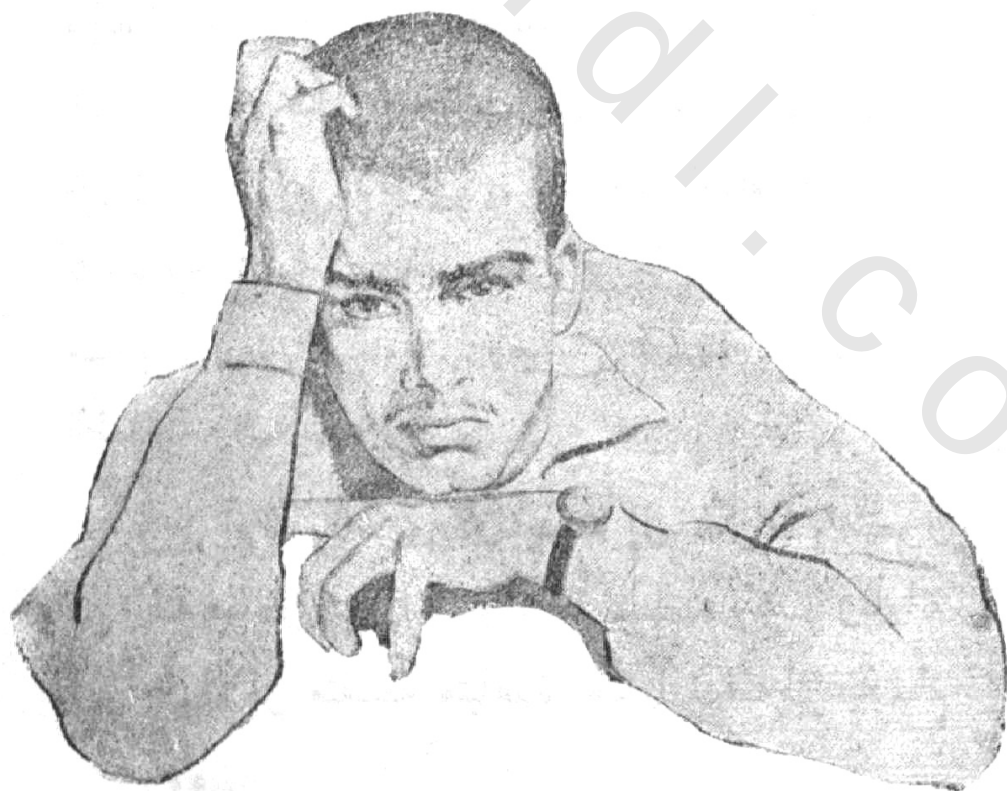
— اسمع يا سليمان . . . أنت تعرفني جيداً . . . منذ أن
كننا طلبة . . . أنا لا أعمل إلا في حدود واجبي . . . ولا أحب
أن أحميد عنه . . . أنا ضابط . . . وواجبي هو أن أكون
ضابطاً جيداً . . . ويجب ألا تخرج جهودى عن هذا النطاق . .
إن آمالى كلها مركزة فى الجيش وفى أن أكون ضابطاً ممتازاً .
— وحتى هذا لا تفعله . . . إنك تكاد تؤدى عملك . . .

لماذا لم تفكر مثلاً . . . فى الدخول فى كلية أركان حرب . . . ألا
يدخل هذا فى حدود آمالك ؟ ألا يجب أن تبذل فيه جهدك ؟
— لا يمكننا التقديم لأنه لم تمض علينا المدة الكافية ،
وليس هناك ما يدعونا إلى العجلة .

— بل مضت المدة الكافية ، وتستطيع أن تقدم طلب
الالتحاق من الآن . . . وتركز كل جهودك فى الاستعداد
لامتحان الدخول . . . غداً سنقدم طلبنا ، ونبدأ ماذا كرتنا
سويًا . . . ما رأيك ؟ اتفقنا ؟

وبغير اكتراث . . . أجب « على » :
— كما تريد .

میرزا خاں



« على » و « سليمان » في الاستعداد للدخول في
كلية أركان حرب وفي نهاية العام نجحاً في الامتحان
وأفضيا العام الذي يليه في الدراسة في الكلية . . غارقين في
دوسيهات القوات المدرعة والمدفعية وواجبات الأركان حرب
والمشروعات التكتيكية والإدارية . . وكان أكثر ما يشق
على « على » في الكلية هو دراسة علومها بالإنجليزية . . فقد
كانت هيئة التعليم مكونة من ضباط انجليز من البعثة العسكرية
يساعدتهم بعض ضباط منتخبين من المصريين . . وكان عليه
أن يمضي الليالي الطوال وهو منهمك في الدراسة والقراءة
وإعداد المشروعات ، ووسط هذا الانهماك الشديد والجهد
الشاق . . كان يختلس اللحظات ليدنى الطيف النائي الذي بدا
خجلاً لا يجسر على الاقتراب . . كأنما يخشى أن يضيع وقته . .
كان يديه ليتلصص في صدره بعض الراحة . . ويستجلب من
مسة يده بعض الهدوء . . ومن تحسيسة شعره بعض
الطمأنينة والسكينة .

وبين آونة وأخرى كان يدفعه إلى « كريمة » شعور
من رغبة فيها ، وحنين إليها ، واشفاق عليها . . وكانت زيارته
في أول الأمر متقطعة متباعدة حسبما تدفعه الرغبة ، ثم

أخذت تتقارب وتنتظم حتى اتخذت شكلاً روتينياً منتظماً
ثابتاً . . . وخصص لها أحد أيام الأسبوع . . . لا يكاد يمنعه
عنها إلا سبب طارئ أو عذر قاهر .

وكان « حسين » قد نقل خلال هذا العام إلى بوليس
القصر . . . وزادت علاقاته بالطبقات العليا وتقربه منها . .
وحاولت أمه بضع مرات أن تثير موضوع زواجه « بهية »
فصدها برفق بدعوى أنه مضرب عن الزواج وأنه لا يريد
أن يحمل نفسه مسؤولية زوجة وأولاد .

وكان الوفد في ذلك الوقت قد استبد بالحكم ، وبدت
مظاهر الطغيان في كل مظهر من مظاهر تصرفات أقطابه . .
وأولو الأمر فيه . . سواء كان ذلك في التصرفات الشخصية
أو العامة . . دفعهم إلى هذا الاستبداد والطغيان شعورهم
بالسيطرة التامة التي لا تحدّها مقاومة ، وإحساسهم بالثبات
في مقاعد الحكم ثباتاً أبدياً لا تقدر على زحزحتهم منه أى
قوة من القوى بعد أن سندتهم فيه القوة السكبرى . . قوة
الإنجليز بدباباتهم وسيطرتهم . . وبعد أن ضمنت لهم خلوداً
جعلتهم يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبداً .

وهكذا أحست الأداة الحاكمة أنها مهيمنة بلا رادع ،
متصرفة بلا محاسب . . وبات الحكم منهبة لكل من يديه

سبب - ولو ضؤل - من أسبابه ، وأضحى استغلال نفوذ الحاكم وسيلة صريحة لا غبار عليها ولا حرج فيها للنفع الشخصي والسكسب المادى ، وباتت مستباحة مستحقة لكل من يمت إلى الحكم بصفة .

وبمضى الوقت أصبح استثناء ذوى القربى والحواشى والتوابع قاعدة من أبرز قواعد الحكم ، وأضحت تصاريح الاستيراد هبات ومنحاً تخلع من أصحاب السلطان على ذويهم .. وبدأت البلد كلها كأنها صيد قنصاة حاكمه ولم يجد الصف الثانى للحكام من نواب وشيوخ بدأ من أن يدلى بدلوه فى الدلاء .. وكانت دلائهم .. قوت الشعب وثيابه وأكفانه . وفى ذلك الحين اتخذ « الملك » الجانب الخير الطيب الأمين ، وتطلع إليه الشعب المغلوب على أمره ، المسلوب حقوقه .. كقوة منقذة منصفة ، ولم تخيب سماته ومظاهره رجاء الشعب فيه ، بل أبدتها كل أعماله ، منذ جلاسة الرغيف التى حضرها فى مجلس وزراء « حسين سرى » .. حتى طوافه بالصعيد على صرعى الماريا فى الوقت الذى تشاغل فيه أقطاب الوفد بالخطب والاهتافات المدوية فى الإذاعة .

وبدا تعلق الشعب بالملك على أشده فى حادث القصاصيين وفى احتشاده لاستقباله فى عودته بعد أن أبل بما أصابه ..

وبدأت حوادث الاحتكاك بين الحكومة والقصر تزداد
وبدت مظاهرها واضحة في التحدى المتبادل ، وردت
الحكومة على تعطيل المراسيم بالحركات الصديانية المثيرة
من هتافات إلى خطب إلى لافتات ، إلى اتخاذ رئيس
الحكومة في حركاته وفي بيته سمات الملك ومظاهره .

وحدث في الوفد صدع جديد .. فصل عنه ركن قوى
من أركانه ، وخرج «مكرم عبيد» نائراً على الوفد وحكمه ..
يدفع إلى ثورته مزيجاً من الأسباب .. بعضها ظاهر يرجع
إلى فساد الحكم ، والبعض خفي يرجع إلى زلزلة سلطانه
بواسطة القوة الأخرى التي نخته عن مكانته وأمسكت بزمام
الوفد وسيطرت على قيادته وهي قوة «زوجة رئيسه» .

ووقف «الملك» ووراءه المعارضة بما فيها مكرم وكتابه
الأسود .. ووقف وراءهم الشعب يتطلع إليهم آملاً أن
يزيحوا عنه الكابوس الذي أطبق على رزقه وقوته وكسائه ،
وبدا للملك أن يقدم على إقالة الوفد وهياً فعلاً الوزارة التي
ستخلفه وجمع وزرائها في قصره استعداداً لحلف اليمين عندما
أمره الإنجليز بعدم التغيير .

وكان للملك في ذلك الحين منزلة كبرى في قلوب الضباط
وكانوا يتطلعون إليه كما يتطلع بقية الشعب كمنقذ للبلد ورمز

للسيادة ، وكانوا يعلقون عليه آمالا كباراً ، وزاد من
حبه لهم أنه كان يمثل الجانب الطيب المغلوب على أمره ..
الذى تقف في سبيله قوى الشر التي مثلها الوفد والإنجليز .
وعنى الملك - أو المدبرون لسياسته - بكسب قلوب
الضباط بشتى الطرق والوسائل .. وتعود أن يذهب كل عام
إلى نادى الضباط في ٤ فبراير - ذكرى اعتداء الإنجليز على
القصر - ليجلس معهم بلا كلفة ويتحدث معهم حديث
الأصدقاء .

ورآه «على» ، وسليمان ، فى النادى فى إحدى المرات ..
كان يقهقه ويمزح .. ويلقى النكات الخارجة كواحد منهم ..
وعندما غادر الصاحبان النادى قال سليمان فى حماس :
- إني أحب هذا الرجل .. إنه يبدو مصرياً يحس
بأحاسيسنا ويشعر بمشاعرنا .. ليس به من سمات
أرستقراطية الملوك والأمراء شيء .. إني أحس أنه أمل
مصر .. ما رأيك أنت ؟ .. ألا تحس أن خلاصها سيكون
على يديه ؟

وضحك «على» ، وأجاب قائلاً :

- والله أنت أدري بهذا منى .. أدري بمصر وأملها
وخلاصها .. لأنى لا أفهم أبداً فى هذه الأشياء .. لأنى

لا أعرف ممن تريد مصر الخلاص . . ولا ماذا تأمل ؟

— بصفة عامة . . مارأيك فيه ؟

— لا بأس . . مخاوق مثلي ومثلك . . ولو وضعتنا

أمك أو أمي مكانه . . لما بدونا أقل منه .

— أيها المخزور !!

— لست مفروراً . . وإنما الذي أنت تندفع اندفاعاً

شديداً وراء كل ما تتحمس له .

— ألا تعجبك فيه هذه الديمقراطية البسيطة غير المتكلفة ؟

— تعجبني . . ولكن لا تعجبني قهقهته الشبيهة بقهقهة

المجانين . . ولا تعجبني طريقة حديثه . . المفروض أن يكون

أكثر اتزاناً . . وأفضل حديثاً .

— إنه لا يتكلف معنوا .

— والمفروض أن يكون متزاناً فاضلاً . . بلا تكلف .

— على أية حال إنني أحبه .

— لأنك متحمس له . . إنك دائم التحمس .

— وأنت لا تتحمس أبداً ؟

— ليس في حياتنا كلها ما يستحق التحمس . دعها تسير .

— كيف تسير والوفد جاثم على قلبها . . لطلولون . .

— كما يقول رئيسه — لم تعد لي أمنية إلا أن ينتصر الملك

ويلقى بالوفد خارج الحكم .

وانتصر الملك أخيراً ، وأقال الوفد إقالة مسببة بالعجز
والنقصير والفساد ، وفي غمضة عين وجد الوفد نفسه ملقى
على قارعة الطريق . . دون أن يستطيع سنده القوى أن
يثبته في مقاعد الحكم .

وتولت مجموعة الأحزاب المؤتلفة الحكم برئاسة أحمد
ماهر . . وبدأت حكمها بمعركة على مقاعد النواب . . فقد
أدرك رؤساء الأحزاب أن عدد نوابه هم الذين سيضمنون
مستقبله في الحكم . . وانتهت معركة الانتخابات بإيفار
الصدور وضياح الثقة .

واستمر « أحمد ماهر » في الحكم مع مجموعة الأحزاب
المتعاونة حتى اغتياله في البرلمان بعد أن قرر أن تدخل مصر
الحرب مع الحلفاء حتى تكتسب عضوية هيئة الأمم المتحدة .
وتولى « النقراشي » الحكم واستمر فيه حتى خرج مكرم
بجزيه .

ثم تولى صدقي الحكم بحزبي الأحرار والسعديين وفشل
في الوصول إلى اتفاق مع الإنجليز .

وخلفه « النقراشي » مرة ثانية وعرض قضية مصر على
مجلس الأمن مهاجماً الإنجليز دون أن يتوصل إلى شيء . .
واستمر في الحكم بعد ذلك حتى دخول حرب فلسطين . .

وحل جماعة الإخوان بعد تعدد حوادثهم واغتيا لانهم . .
ثم كان مصرعه بيد أحدهم في وزارة الداخلية .
وخلال تلك الفترة . . تطور إحساس الشعب والجيش
للملك تطورا واضحا . . بدأ منذ انتصار «الملك» على الوفد . .
وطرده من الحكم .

لقد خلف هذا الانتصار آثارا عدة . . فلم يعد «الملك»
بعد ذلك يمثل الجانب الطيب الخير المظلوم المغلوب على أمره
والذى يتمتع بحب شعب ذى ميل غريزى إلى المظلوم والمغلوب
على أمره ، بل بدأ يمثل الجانب الأقوى صاحب الأمر
والذى أضحى بيده مصير الحكام ، والذى يستطيع —
دون الشعب — رفعهم إلى مقاعد الحكم . . وخفضهم
عنه . . بعد أن تمكن من طرد قوة الوفد الكبرى التى
كانت تستمد قوتها من الشعب تارة ومن الإنجليز تارة أخرى .
وهكذا أخذ «الملك» يفقد عطف الشعب باتخاذ
الجانب الأقوى صاحب الجبروت والسلطان الذى سلب
الشعب حقه المفروض فى وضع الحكام وعزلهم .
وزاد من غرور «الملك» وجبروته . . إحساس الحكام
أنفسهم بأنه قد بات صاحب اليد العليا عليهم ، وأن مصيرهم
معلق بيده أكثر مما هو معلق بأى شىء آخر .
وفتق الغرور والإحساس بالسيطرة التامة التى بعثتها

الزلفى والخضوع والخنوع من الأحكام ما يباحن الملك من
سوء متأصل ، وشذوذ كانت تعجبه ستر المظاهر ، والرغبة
فى كسب المحبة والعطف والتأييد . . عند ما كان يحس بأنه
مغلوب على أمره . . لا يملك فى قبضته القوة الإيجابية التى
يستطيع بها أن يفعل ما يريد .

وبفقد الملك لما كان يتمتع به من حب طيبسى ، وتأيد
غير متكلف من الشعب والجيش . . بدأ العمل على استعادة
هذا الشعور بطريق التصنع والافتعال ، وحشدت كل قوى
الأحكام والآتباع لى تفرض حب الملك ، على الشعب فرضاً
وتدفعه فى قلوبهم دفعاً . . وبات هدف الدولة الأول بكل ما فيها
من مرافق ووسائل هو تمجيد الملك وتأييده ، وإحاطته بهالة
رائقة من البطولة والقدسية ، وحببه وراء ستر براقة من
الأكاذيب المضللة والدعايات الخداعة . . وأضحى مقياس
نجاح الأعمال يقاس أولاً برضاء الملك عنها وإفادته منها .

وكانت النتيجة الحتمية لهذه السياسة البلاء الساذجة هو
عكس ما توقع أصحابها أن يحنوا منها ، فقد ضاقت النفوس
بهذه النوبة المجنونة من التمجيد غير المعقول . . وبات خلج
الحب ومنح الولاء التى تفيض بها خطب الأحكام ومقالات
الصحف وأناشيد الإذاعة ممجوجة مستثقلة . . وأحس الناس

كأنها فرض على أذنانهم وآذانهم . . لا بد لهم من قبوله والتسليم به .

وأحسن الملك بالكثير من طمأنينة وراء هذه الحجب الزائفة من البطولة والقدسية وأوهم أنه قد ضمن رصيداً ضخماً من الحب والولاء لا يتبدد على الزمن . . وانطلق على سجاياه الخبيثة المنجونة وراء هذه الحجب متحرراً من قيوده كملك . . بل من قيوده كبشر ، ولم يجد ما يدعو له لأن يكاف نفسه مشقة أداء واجبه أو كسب محبة شعبه مادام قد ضمنها له من حوله بطلائهم الزائف ، وتمويههم الخادع . . ولم يجد مبرراً لأن يجهد نفسه في عمل جاد ما داموا قد جعلوه — بلا جهد — العامل الأول والفلاح الأول .

وبدأت حلقة مفرغة من طغيان « الملك » ، واستخذام الحكام . . فأخذ انتفاخ الملك يزيد من انكماش الحكام . . وانكماش الحكام يزيد من انتفاخ الملك . . كأنهما بالورتان تفرغ إحداهما هوامها في الأخرى . . حتى انتهى الأمر بأن أفرغت بالونة الحكم كلها في جوف الملك ، وأضحى القصر هو وحده صاحب النفوذ .

وفي ذلك الوقت ظهرت قوة شعبية جديدة بعد انكماش شعبية الوفد ، وهي جماعة الإخوان ، الذين استمدوا قوتهم من الدين ، وأفرغوها في السياسة .

وعند ما أنبت لهم دعوتهم الدينية . . ريشاً ومخالب
انقضوا بها على فريسة الحكم . . فلم يجد الحكم بدأ من نتف
الريش وتقليم المخالب وواد الطير المستنصر المنقض بعد أن
أشاع في البلد جواً من الإرهاب .

وتطور الشعور في الجيش بمثل ما تطور في الشعب . .
وأخذ الضيق والملل والسخرية والاشمئزاز يزداد في نفوس
الضباط بازدياد سخافات الولاء . . وآلامهم وأسخطهم أن
يجدوا رئاستهم قد شلتهم بأساليبهم وجنودهم في عربة الولاء
وأنهم لم يعد لهم من عمل سوى الانسياق زرافات إلى القصر
لإظهار ولائهم في مناسبة وغير مناسبة ، وأن يقتصر واجبهم
على الاحتفالات والمواكب والاستعراضات ، وأن تستنفذ
جهود صيانتهم وأشغالهم إلى إعداد مواكب الشعلة
وأقواس النصر . وأن يكون النجاح في مثل هذه السخافات
والتفاهات هو مقياس نجاحهم واستحقاقهم للثناء .

لقد كرهوا - كما كره الشعب - أن تستغل عقولهم . .
وأن يكونوا مجرد أداة لإثبات الولاء للذات العلية . . ووسيلة
لتثبيت رئيس أركان حرب في مركزه واكتسابه لرضا القصر
وتثبيت رؤسائهم في رياستهم واكتسابهم لرضا رئيس هيئة
أركان حرب أي وسيلة لسلسلة تثبيتات واكتساب للرضا .

وباتت جهود رئاستهم المفتعلة لإظهار الولاء مشار
تندبرهم وسخرينهم وأضحى تزيير شعار الجيش من « الله
والوطن والملك » إلى « الله والملك والوطن » فكاهة الموسم
واشتتت أول روائح التبرم والسخط عندما اعتقل
بعض الضباط في ميس المشاة وحقق معهم بتهمة الشيوعية . .
ولم يكن هناك بد من كبش فداء يفندى به الملك . . ويظهر
أن السخط والتبرم لم يكن منه وأنه لا يتمتع إلا بالولاء
والحبة . . وكانت الضحية هي أقرب الناس إليه . . وقطعت
اليدين التي طالما اعتصرت جهود الجيش لتقدمها قطرات ولألم
في كأس الملك . . وتنبى « عطا الله » عن رئاسة الجيش .
وتولى « حيدر » وزارة الحربية بدل « عطية » في وزارة
النقراشي وأمسك بزمام الجيش . . ولسكنه لم يكن أكثر فهماً
للمشكلة . . وخيل إليه أن جنائية « عطا الله » كانت التقصير
في جمع صكوك الولاء . . فاندفع في طريق الولاء اندفاعاً
أشد وأقوى . . عله يعوض مافات سلفه . . ويحصل ماقد
يكون قصر في تحصيله . . ووجد أن مجرد سوق الضباط للتعزية
في ذكرى وفاة الملك قواد - كما كان يفعل سلفه - أمر لا يكفي
لإظهار الولاء ، فألبسهم كرافة سوداء في ذلك اليوم مبالغة
في مظاهر الحزن . . في الوقت الذي كان ارتداء الكرافة

السوداء على البذلة السكاكي يعتبر لبساً على وجهه غير لائق
يعرض الضابط للجزاء ، وكان الضابط لا يستطيع ارتدائها
حتى في يوم وفاة أبيه ، ومع ذلك فهو يؤمر بارتدائها حتى
يقنع الملك بأن الضباط حزاني على أبيه الذي مضى على
وفاته ما يربو على العشر سنين .

وأغرق الضباط في الترقيات .. وكان « حيدر » يستمد
نفوذه في الوزارة من القصر .. ولم يكن هناك من يحس
على معارضة مطالبه .. واتخذت ترقية الضباط مظهراً
يشعروهم بالجميل ، فقد كانت تعمل احتفالات يسلم فيها « حيدر »
علامة الرتبة للضابط بيده حتى يشعر بما فيها من منح .

وتسلم « علي » و « سليمان » علامة الصاغ من حيدر في صالة
الجماز في الكلية الحربية .. وكان « علي » قد عين مدرساً
بالكلية الحربية بعد تخرجه من كلية أركان حرب ، أما سليمان
فقد تقلب في بعض مناصب في رئاسات الجيش ثم عاد إلى
السوارى .

ولم تسكن السنون قد غيرت من « علي » .. كان هو
هو بنفس رزائته وهدوئه .. لم يأبه كثيراً .. لما يخرج عن
دائرة عمله .. كان يعتقد أنه ليس هناك ما يستحق منه الجهد
سوى تلاميذه ودروسه .. أما ما يفعله « عطا الله »

و « حيدر » . . وما أدت إليه المفاوضات أو ما فعلت هذه
الوزارة أو تلك ، فلم يكن يعير إلا جهد المعرفة والاطلاع .
لم يكن يضيق بسوق الضباط إلى القصر لإظهار الولاء
لأنه لم يكن يذهب أبداً ، لاعتقاده أنه ليس هناك من يشعر
بغيبابه أو وجوده ، وأنه لن يفيد ولن يستفيد ، وفي المرات
القليلة التي كان يذهب فيها عندما كانت إدارة الجيش تشدد في
أوامرها بالذهاب ، وتأمر القواد بالانصياع على ضباطهم بالإسم .
كان يجد في الذهاب متعة لقاء زملاء القدامى الذين فرقهم
دواعي العمل ، ولم يعودوا يجتمعون إلا في مثل هذه المناسبات .
ولم يكن يضيق بالسكرافة السوداء لأنه كان يلبس في
ذلك اليوم « البوشيرت » أو قميصاً مفتوح الياقة ، ولم يكن
يفعل هذا لأنه لا يريد أن يظهر ولائه ، بل لأنه لا يملك
كرافة سوداء .

ولم يكن يهتم كثيراً بالفائز في سباق شعارهم . . أهو الله
أم الوطن أم الملك . . لأنه لم يكن يفكر كثيراً في الشعار ،
ولا كان يعتقد أن للشعارات أية أهمية . . وكان واثقاً من
أن الله أو الوطن ان يضيرهما كثيراً أن يقدم رئيس
أركان حرب الملك ، عليهما في لافتاته وأقواله .
ولكن سليمان لم يكن كذلك . . كانت حماسته للهلك

قد باتت سخطاً عليه .. وكانت ثورته على الاستعمار وكفره
بالأحزاب قد زاد اشتعالاً وتأجباً .

وحاول سليمان — كما كان يحاول من قبل — أن ينقل
إلى « علي » عدواه وأن يثير اهتمامه بالمسائل العامة ولسكنه
لم يلق منه سوى قلة الاكثرات الطبيعية والبرود العادي .
وأعلنت حرب فلسطين .. وتقابل «سليمان» مع « علي »
في مكتبته بالكلية الحربية ، وبدأ الحماس على « سليمان » ..
وقال وهو يفرك يديه غبطة ورضاء :

— أخيراً .. آن لنا أن نتقدم لإنقاذ فلسطين الجريحة .
ورفع « علي » بصره عن المذكرات التي كان يراجعها ،
وبدت عليه الدهشة .. وأطلق ضحكة قصيرة ساخرة ..
وقال متسائلاً :

— نتقدم لإنقاذها بأي شيء ؟
— بقواتنا المسلحة .

— اسمع يا سليمان .. دع الآخرين يقولون هذا ..
ولكن لا تدعنا نضحك على أنفسنا .. أعتقد أن جيشنا
يستطيع الدخول في حرب بحالته الراهنة ؟ !

— ولم لا ؟ !

— لا تدع الحماس يدفعك إلى إنكار الواقع .. أنت في

السوارى . . وتعلم جيداً مدى قدرة أسلحته وجنوده على القتال . . أنت تعرف أن السوارى أمضى مدة الحرب الأخيرة وقد فرقت جنوده لحراسة المرافق بالادبابات ولا عربات . . كانوا مجرد داوريات مشاة . . وتعلم أن السوارى لم يعد يتدرب إلا على طوابير الاحتفالات ، وتعلم أن نصف دباباته معطل ومدافعها غير صالحة للضرب ، وليس هناك ما يكفي من السائقين والمدفعية . أعتقد بعد ذلك أن لديك قوات مدرعة تستطيع أن تخوض بها معركة ١٩ أعتقد أن كتائب المشاة التي لم يتدرب عساكرها على أكثر من طوابير السير يمكن أن تعتمد عليهم في احتلال موقع أو الدفاع عنه ؟ أعتقد أن أسلحة الجيش المعاونة . . كخدمة الجيش ، والصيانة والمهمات يمكن أن تقوم على تموين الجيش وصيانتها في ميدان قتال ١٩ فـنـكـر في هذا وأجبنى كيف يمكن أن نزع بجيشنا بحالته الراهنة لإنقاذ فلسطين ؟ لقد ذهلت عند ما سمعت خبر دخولنا الحرب .

— كل هذا سينتظم مع الوقت . . وكل جيوش العالم تبدأ معاركها وهي على مثل هذا الحال . . أنسيت حال الإنجليز في بداية معارك الصحراء الغربية ؟ أنسيت حال الأمريكان عند ما نزلوا أول الأمر في شمال إفريقيا ؟

— لم أنس . . لقد كانت حالتهم سيئة في أول الأمر
ولسكنها تحسنت لأن لديهم رصيداً من الإمدادات والمؤن
لا ينفد . . ولسكن قل لي من أين سنأتي بالذخائر ؟ من
أين سنأتي بالأسلحة ؟ أنت تعلم أن كل ما لدينا من ذخائر
في مخازن الجيش . . يمكن استهلاكه في معركة أو معركتين . .
وماذا نفعل بعد ذلك ؟

وفكر سليمان برهة ثم أجاب :

— لا بد أن يكون المسئولون قد دبروا ذلك . . لا بد
أنهم اعتمدوا عند إعلانهم الحرب على مصادر موثوقة
تقدم بكل ما يلزمنا من أسلحة وذخائر . . وأغلب ظني أن
انجلترا قد ضمنت لهم كل ذلك .

— وإذا خلت بنا انجلترا؟ أتثق أنت في انجلترا بعد كل
ما قلته عنها في كل مناسبة . . أتعودت انجلترا أن تنفي بوعودها ؟
وبدا ألق على سليمان ، ولسكنه ما لبث أن طرده من
نفسه وقال في حماس :

— دعها لله . . إنه لا بد ناصرنا . . إن لدينا في قلوبنا
من الإيمان ما يكفي لتحطيم إسرائيل كلها . . ثم أنها ليس
لديها من القوات ما يمكن مقاومتنا . . ويجب علينا أن
نخوض المعركة بأية وسيلة .

وهذه على رأسه ولم يجب ، فقد عرف أن المناقشة غير مجدية . . لم يكن هو يقتنع كثيراً بأن الحماس والإيمان يمكن أن يحل في الهجوم أو الدفاع محل الأسلحة ، ولكنه كره أن يبذل إيمان سليمان . . وأقنع نفسه أنه ربما كانت لدى الجيش فعلاً أسلحة لا يعرفها وأن الحالة ربما تكون أفضل مما يتصور .

وبدأت الحرب . . بداية استعراضية طيبة . وبدأ الجيش في التقدم على الخرائط في كوبرى القبة وقصر النيل ، وكانت القيادة تنقل القوات على الخرائط لكي تحتل مواقع لم تحتلها بعد في الميدان ، وكانت القوات تضطر إلى التقدم مكرهة لكي تطابق مواقعها على الخريطة مواقعها على الأرض . . أو لكي لا تجعل كلام القائد العام في كوبرى القبة ينزل « الأرض » .

وانقضت المرحلة الاستعراضية الأولى . . وتناثرت القوات المصرية بحالتها التي وصفها « على » سليمان في أراضي فلسطين . . بلا تدريب ولا أسلحة ولا ذخائر ، ولم يكن هناك من سبيل إلى مدها بالأسلحة والذخائر بعد الحظر الذي فرض عليها . . وانطلق سمسرة الأسلحة والذخائر يجمعونها

من والبقايا المخلفات المبعثرة في الصحارى ، ومن الأسواق
السوداء في أوروبا ، وكانت الحاجة ملحة عاجلة ، وكان
لا بد من رفع القيود المالية المفروضة على وسائل الشراء .
فقد كانت السرعة والضرورة تطغيان على الممارسة والتخير
في الأسعار والأصناف وتركل كل وسائل الشراء الحكومية
ببطئها المأمون .. وكان الهدف الأول هو إعطاء
القوات التي تكاد تهلك ظمأً إلى الأسلحة والذخائر ما يلزمها
بأى ثمن وأية وسيلة ، وفتح هذا الباب — باب تحطيم القيود
المالية أمام الحاجة الملحة — طريق العبث لأصحاب النفوس
الضعيفة .. واندفعوا يغترفون من مال لا رقيب عليه ولا
حسيب .. وأصبح لمعركة فلسطين وجهان : وجه يقطر دماً
ومرارة وسخطاً ، ووجه يقطر مالا ورضاء ونعماً .
وانتهت المعركة بالهزيمة كنتيجة حتمية لاندفاع طائش
لا يستند على أسس .

وبدأت وزارة عبد الهادي التي خلفت النقراشي أول
أعمالها بالهدنة ، وثنت بقطع دابر جماعة الإخوان وتشيت
شملهم ، واندفع رئيسها إلى القضاء عليهم اندفاعاً شديداً وهو
يعتقد مخلصاً بخطورتهم على البلد وبضرورة تخليصها من
برائتهم الإرهابية وسيطرتهم الرجعية المتعصبة ، يؤيد هذا

الاعتقاد ويقويه إحساسه الشخصى الطبيعى بالضعف لضعفهم
سلفه وصديقه ، وتهديد هم لحياته هو .

وأنتجت سياسة التشكيل بالاخوان والارتباط بالقصر
ومجرد الوجود فى الحكم نتائجها فى إحساس عام بالنفور من
وزارة عبد الهادى .

وأحس « الملك » ومن حوله بالبغضاء تشدد ، والكره
يتفاقم . . ولم تعد حجب الولاء المفتعل التى ينسجها حوله
الحكام والأتباع بقادرة على حجب مساوىء « الملك » عن
الشعب . . أو تذر الشعب من الملك ، ووجد أن استمرار
الارتباط بمجموعة الأحزاب الحاكمة السائرة فى ركابه . .
لا يفيد سوى مزيد من . . بغضاء ، وبدا له أن يقدم بها
كبش فداء للشعب . . وأن يستعوض عنها بقوة أخرى قد
تكون — رغم نفوره منها — أقدر على منحه بعض التأييد
الشعبى بعد أن استعادت شعبيتها بالبعد عن الحكم .

وهكذا ألقى الملك بضحية جديدة فداء له . . وفقد
بتضحيتها آخر نهير كان يشد أزره ، ويمشى فى ركابه .

وأجريت انتخابات . . ففاز الوفد وتقدم إلى الحكم
على أساس جديد . . هو أن الملك خصمه التقليدى السابق . .

أضحى بيده مصير الحكام . . وأن الشعب سنده الأول ،
والانجليز سنده الثاني . . لم يعودا يملكان له ضراً
ولا نفعاً .

وأنه ما دامت الأقليات تستقر في الحكم . . باسترضاء
الملك . . فإن يكونوا هم أعجز منها على إرضائه والاستقرار
بدلها في مقاعد الحكم .



کتابخانه



انتداب « على » من الكلية الحربية ، وعاد إلى
انتمى الخدمة فى السوارى كقائد لإحدى كتائب
العربات المدرعة ، وكان يحب السوارى .. ويحس بين
جدرانها واصطبلاته وجراحاته طمأنينة المستقر ، وسكينة
الموطن .. ويشعر لكل من فيه من ضباط وجنود ، وخيول
وعربات ، بخنين المرء إلى الأهل والخلان .

وقرب « على » — بحكم مركزه الجديد — من سليمان
الذى كان يتولى قيادة إحدى كتائب الدبابات .. وكانت
الآليات المدرعة قد احتلت الشككات الواسعة الكائنة
وراء السوارى والتي أخلاها الجيش الإنجليزى بعد جلائه
عن القاهرة .

وكانت الصلة بين « على » و « كريمة » قد وطدها مر
الأيام .. وبدأ يشعر من وفائها وقناعتها وتفانيها فى حبه ..
وخشيتها عليه بالكثير من الثقة والطمأنينة والإحساس
بالجميل ، ولم يعد يعتبرها مجرد دمية يشبع بها رغبة
ويقضى بها حاجة .. ولا عاد يداخله من هسلته بها شعور
بالخجل أو الحياء .. وبات يجد فيها مخلوقة لا تعدم جوانب
الخير ونواحي الفضيلة بمعانيها الواسعة التي لا تقتصر على

مجرد الاحتفاظ بالجسد نقياً طاهراً . . كان بها برأ بالمحتاج وعطفاً على المساكين . . وكانت بها رقة وحنان ، وميل إلى التضحية . . لم يكن « على » فيما مضى يتوقعه في مثل هذا النوع من النساء .

ولم يكن هناك شك في أن مرّ الأيام الذي وطد صلته بكرامة قد أوهى تفكيره في « أنجي » ، رغم انعدام الشبه بين الصلتين ، ورغم أنه لم يحاول قط أن يقارن بينهما أو يحل إحداهما محل الأخرى .

لقد وهى تفكيره في « أنجي » . . وإن لم ينقطع . . ولم يكن قد بقي بينه وبينها سوى صلة التفكير ومناجاة الطيف وعتابه ، وزاد الطيف من نأيه ، ولكنه لم يرحل ، وظلت المومودة في القلب وإن تراكت عليها أتربة الأيام التي تمرّ ، والبعد الذي يتزايد .

ومع كل هذا كانت باقية . . بقاء عزيز نام تضمحل صورته ، ولا تمحى ذكراه .

ولقيها خلال تلك الفترة مرتين : مرة رآها من بعيد في إحدى حفلات الفروسية وانصرف قبل أن تراه ، وأخرى في إحدى الحفلات في فندق هليوبوليس . . والتقى بصراهما برهة ، ثم غاب كل منهما عن الآخر . . وأحس في المرتين

— رغم الزمن الذي مرّ ، والهجر الذي وقع — أيتها ما زالت
سارية في دمه . . راسية في أعماقه .

وتوفي أبوه بعد أن سرى الشلل إلى أطرافه حتى أقعده
ودبت الشيخوخة ومرض السكر في جسد أمه حتى أنهكها
وما زال حليها في زواج ولديها يداعب رأسها . . وما زالت
« بهية » قابعة بجوارها تحنو عليها حنو الإبنة ، رافضة من تقدم
إليها من « خطّاب » . . مفضلة أن تبقى بجوار خالتها . . وأن
تتظر . . وتفتظر . . علّ الله يحقق أملا ما زال يراود
نفسها منذ الصبا .

وجلس « علي وحسين وسليمان » في ليلة الذكرى الأولى
بعد أن انصرف المعزون . . ودخلت الأم عليهم
متسائلة :

— أجهز لكم العشاء ؟

ونفض سليمان مستاذنا :

— سأعود أنا . . فقد قاربت الساعة الحادية
عشرة .

وجذبه « علي » محاولا إعادته إلى المقعد :

— اجلس يا أخي .

وضمت الثلاثة مائدة صغيرة في الشرفة المطلة على السكة

الحديد .. وكان الوقت أوائل أكتوبر وقد بدأت نسائم
الليل تبرد .. وقال ه على :

— لقد أوحشنا البرد .. وأوحشنا ركوب الخيل ..
ما رأيك ياسليمان في الركوب بعد الظهر ؟

— والطواير ؟

— بعد الطابور .

— لا أظننى أستطيع .. فلدى أعمال تشغلى .

— أية أعمال هذه التى تشغلك ؟ إني لا أكاد أراك
في هذه الأيام ؟ .. ماذا ورامك ؟

— أبدأ .. أشغال مختلفة .

— أما زلت تعمل في تحضير الأرواح ؟

— أجل .

وتساءل حسين :

— أى أرواح تحضرون ؟

— أرواح مختلفة .. بالأمس حضرنا مثلاً روح
سعد زغلول ، ومصطفى كامل .

— يا أخى .. حتى فى الأرواح تشغل نفسك بالسياسة ..
ألا تنوى أن تريح نفسك ؟

وضحك سليمان ضحكة مريرة ساخرة وأجاب :

— ولماذا أريج أنا نفسي .. وليس هناك في البلد كلها
إنسان يحس بالراحة ؟ إنما نسير من سيء إلى أسوأ ..
ويعلم الله إلام يمكن أن ننتهى .

وضحك حسين وقال :

— لن ننتهى .. لقد كنا دائماً هكذا .. وسنظل كما
كنا .. ماذا جدّ علينا ؟ !

— لا يا حسين .. لم نكن أبداً هكذا .. لقد كان
الشعب دائماً يجد في صفه قوة معارضة للطغيان والاستبداد ،
كانت بالبلد ثلاث قوى .. الإنجليز .. والقصر بأحزابه ..
والوفد .. وعندما كان الشعب يواجه طغيان الإنجليز والقصر ..
كان يجد في الوفد سنداً يشد أزره ويجار بشكواه ، وعندما
واجه طغيان الوفد والإنجليز كان يجد في القصر منقذه
وملاذه .. أما الآن فأين يجد الملاذ بعد أن اتلفت عليه
العصاة .. حتى القلة المعارضة قد طردت من مجلس الشيوخ
بعد أن فتقت عن فضائح الأسلحة ومخازى الحاشية وأضحى
البلد الآن صيداً حائراً بين الجشع المملوكي والطمع الوفدي ..
وقد تعلم الوفد ألا يشين نفسه بالسرقات الصغرى .. واستغنى
عنها بمضاربات القطن والمصفقات الدسمة .. وبات آمناً

مطمئناً بعد أن اتفق مع القصر على مياسة « شيلنى
وأشيلك » .

ورد حسين بلهجة الواثق :

— القصر ليس له دخل بشىء .. أنا أعرف جيداً
ماذا يشغل الملك .. إني أصحبه أحياناً فى بعض السهرات
كحرس خاص .. وأعرف ماذا يفعل خلال الليل أى فى
الساعات التى يكون فيها فى حالة يقظة .

— أنت على نياتك يا حسين .. أنت لا تبصر إلا جانب
العبث والقمار واللهو .. ولكنك لا تعرف أن « الملك »
وحاشيته مشتركون فى كل صفقات الأسلحة الفاسدة ؟
وبهت « على » وقال مستنكراً :

— غير معقول .. ان الملك قد يرتكب كل معصية
إلا السرقة .. لأنه متختم بالمال .. غير معقول أن الملك
يسرق .

— بل هذا هو الحادث فعلاً .. إن العنصر الفعال فى
قضية الأسلحة هو الملك ورجاله .. وإذا سرق الملك ورئيس
الوزراء والوزراء .. فقد انهارت المثل .. ولم يصبح من
خرج على أى إنسان فى الدولة أن يرتشى أو يسرق ..
وأضحى البلد كله نهياً للأداة الحاكمة التى جعلت لتكون أمينة

على أمواله . . لا يمكن أن يستمر الحال على هذا أبداً . .
يستحيل أن يبقى زمام البلد في يد هذه الشرذمة الأفاقة . .
ويستحيل أن يستمر بها هذا الحكم الذى ليس به من
الديمقراطية شيء سوى بضع مئات من النواب والشيوخ
ليس لهم من عمل إلا المحافظة على أطيانهم . . وحمايتهم من
الضرائب . . لا بد لهذا الحال من نهاية . . حرام أن يظل
هذا الشعب يتمرغ في الرغام ويتضور من الجوع والعوز . .
لا يرعاه سوى عصابة عابثة لاهية تستحل كل نقطة من دمه .
وضحك حسين وقال وهو يدفع إلى سليمان بطبق الأرز :
كل .. كل .. من يومك وأنت تبكى على الشعب . .
ماذا يزجرك إذا كان الشعب نفسه قانعاً راضياً . . إن هذا
هو ماتعودده وما سيبقى عليه .

ولم يتكلم « على » . . كان يفكر فيما قال سليمان ويشعر
بمدى مافيه من صحة . . لم يتلق الكلام فى أذن ويخرجه من
الأذن الأخرى كما كان يفعل معه دائماً . . إنه رغم نأيه بنفسه
عن السياسة وتباعده عن الأحداث العامة يحس فى باطنه
كثيراً من مرارة لذلك الفساد الشامل الذى عم البلاد وغمر
الأداة الحاكمة ، وأحل لها العبث بمصالح الناس وأقواتهم . .
بل بحياتهم .

ولكنه لم يكن يملك أكثر من هذا الإحساس السلبي
بالمراة والضيق .. كلما قرأ أو سمع شيئاً عن الوقائع المخزية
في قضية الأسلحة أو في مضاربات القطن أو في غيرها من
الفضائح الملكية والوزارية التي أخذت تلوكها الألسن
وتتغامز بها الصحف .

وبعد فترة صمت رفع « علي » كتفيه وقال في بأس
واسمئلاص :

— لا فائدة .. « إذا كان رب البيت بالدف ضارباً » .

وأكمل حسين قوله ضاحكاً :

— فشيمة أهل البيت كلهم .. النهب .

وأردف « علي » متمماً حديثه :

— ماذا يمكن عمله إذا كان « الملك » كما نقول ، هو أس

السرقه والفساد ؟

وأردف سليمان في حماس وتأکید :

— أجل .. إنه السارق الأول .. والفساد الأول ..

والعابث الأول .. والمقامر الأول .

وقال حسين متمماً :

— والحاكم الأول .. والمسيطر الأول .. ليس عليه

إلا أن يرفع أصبعه لكي ينحر أمامه الزعماء سجداً ويسبحوا بحمده .. ويخلعوا عليه أسماء الله الحسنى .

وتتم « على » في أسف :

— تلك هي العلة .. ليس هناك من يستطيع مقاومته .. أو معارضته .

ورد سليمان قائلا :

— بل أضحت هناك بعض المعارضة على صفحات الصحف وأذن العريضة التي قدمت إليه من زعماء المعارضة .. دليلا على وجود الوعي المعارض .
وأجاب حسين :

— أهذه معارضات ؟ .. إنها صرخات في واد .. وليس هناك أسهل من إسكاتهما .. مادام الحكام صاغرين حريصين على إرضائه بما يشاء من قوانين تحميه وتضمن له السلامة .

وأردف سليمان :

— لا .. لا .. لا .. ليس الأمر بمثل هذه السهولة .. إن الشعب كله يغلي بالغضب .

وضحك حسين قائلا في سخرية :

— لا تابه كثيراً للشعب .. فليس أسهل من إسكاته

يبضع عصى أو يبضع طلاقات .. ما دام الجيش في قبضة الملك .. فلا تأبه كثيراً لغضب الشعب .

وأجاب سليمان في ضيق :

— إن الجيش ليس في قبضة الملك .. ولن يكون أبداً سوطاً في يده يلهب به ظهور الشعب .
ورد « على » في أسى :

— ولكنه كذلك يا سليمان .. ولن يغير قولك ولا حماسك من الأمر الواقع شيئاً .

— إذا كان الأمر كذلك .. فيجب ألا يكون كذلك .. إن الشعب كله ينظر إلى الجيش كمنقذه الأوحى بعد أن تكالبت عليه كل عناصر الفساد واتحدت عليه كل قوى الشر .. لا بد أن يكون هناك سند للشعب .. ويجب أن نكون نحن هذا السند .

واعتبر « على » حديث سليمان تمة لأحداث الحماس التي كان يطلقها من صدره ، ولم تكن أكثر من تفریح للشورة المكبوتة بين جوانحه .. ولم يجد هناك مبرراً لمناقشته .. لأنه اعتبره نوعاً من الهذيان الحماسي لا يقصد به معناه الحقيقي .. ولكنه يلتقى على سبيل التمنى المستعصى والرجاء المستحيل .

وانتهت الجلسة وغادر سليمان البيت .. وقبل أن يأوى
الأخوان إلى فراشهما لم تنس الأم أن تفرد عليهما الغطاء
وتحكم غلق النوافذ كأنهما مازالا طفلين .. وتتمتع لهما ببعض
الدعوات ختمتها بقولها التقليدى :

— ربنا يرزقكما بآبنة الحلال ويجعل لأحدكما نصيباً
في بهية .. ليتنى أفرح بزواجكما قبل أن أموت .
وعلقت الجملة الأخيرة في ذهن « على » وهو يسحب
الغطاء على رأسه ويبرز منه أنفه .

ووجد نفسه يفكر في أمنية أمه الدائمة المستعصية .
لماذا لا يحاول الزواج ؟ ! .. أو يحاول مجرد التفكير
فيه ؟ !

وأحس بالطيف النأى يلم به من بعيد في خشية وحذر ،
وأحس بالموودة في قلبه ترتجف وتهتز .

أيمكن أن تكون الموودة .. أو طيفها أو ذكراها ..
هى التى تصده عن مجرد التفكير فى الزواج ؟ ! أيمكن
أن يكون قانعاً بصلتها الروحية التى لا تنفصم .. مستغنياً بها
عن غيرها من الصلات التى جرى بها العرف الواقعى ؟ !
أيمكن أن تكون فى نفسه بارقة من أمل خفى لم تنزل
تراوده وسط هذه الظلمات الجائمة من اليأس ؟ !

من يدري !! .. ربما .

إن الشيء الذى يستطيع أن مجزم به هو أنه لم يحس لحظة بحاجة إلى الزواج أو دافع إلى التفكير فيه .

ولكن أترى السبب هى المودة وحدها ؟

أهى حقاً التى أغنته عن الزواج ؟

وقفزت إلى ذهنه صورة « كريمة » بجسدها اللين الدافئ
ورغبتها الحارة الدائمة المشبعة ، وجهها المريح الطيع
الوفى .

ألا يحتمل أن تكون هى الأخرى سبباً لعزوفه
عن الزواج بعد أن هيات له كل وسائل الإشباع
الجسدى ؟

بل ألا يحتمل .. أن تكون أمه .. وبهية نفسها ..
سبباً آخر معاوناً للأسباب السابقة .. فى قناعته بحالته ..
وعدم إحساسه بالحاجة إلى الزواج بعد أن دبراً له حياته ،
وهياً له ما يحتاج من مسكن ومأكل ، وحياة منزلية مستقرة
مستريحة ؟

وقفزت إلى ذهنه .. صورة « بهية » .

عجبا له !! لماذا لم يحاول مرة واحدة أن يبصر فيها أكثر
من أخت ؟ لماذا يستبعد دائماً من نطاق تفكيره كأنثى ؟

لماذا لم يخطر له على بال قط . . أن يكون هو المعنى بقول
أمه . . « ربنا يجعل لأحدكما نصيباً في بهية » ؟
أليس هو يمثل « أحد » الإثنين اللذين تقصدهما الأم
في أمنيتها ؟

لم يلبصق الدعوة في تفكيره دائماً بحسين ؟
لأنه مشغول الروح والجسد ؟ ولكن أيمن أن
يكون أخوه أقل منه انشغالا ؟
أم لأن بهية نفسها . . قد وقفت نفسها على حسين ؟
أجل . . هذا هو السبب .

إنه يوقن تماماً . . أن « بهية » تحب « حسين » . . وهو
ينظر إليها دائماً كأنها شيء من متعلقات حسين . . بل
وحسين نفسه يحس بذلك ويؤمن به . . ولكنه يعتبرها
متاعاً . . ليس به إليه حاجة . . ويعتقد أنه يشغل حركته ،
ويقيد حريته . . وهو يأبى إلا الانطلاق خفيفاً
متحرراً .

وانتهى به التفكير إلى أن يرفع الغطاء عن رأسه . .
ويقول لحسين ببساطة كأنما كان يشاركه تفكيره ومناقشته
لنفسه :

— حسين . . لماذا لا تتزوج بهية ؟

ودهش حسين من سؤال أخيه المفاجيء ورفع الغطاء
عن رأسه . . وحملق تجاهه في الظلمة . . ومهنت برهة قبل
أن يجيب حسين متسائلا في سخرية :

— ولماذا لا تتزوجها أنت ؟ إنك الأكبر ، والأحق
بالزواج .

— ولكنها تحبك أنت .

— أيتحتم على كل إنسان أن يتزوج من يحبه ؟

— ولم لا ؟

— إن كريمة تحبك . . لم لا تتزوجها إذن ؟

— كريمة شيء . . وبهية شيء آخر . . كريمة لا يهمها أن
تكون زوجة . . إنها لا يرضيها أكثر مما هي فيه . . لا أظنها
تفكر أبداً في الزواج . لأنها لا تستغنى عن حياتها العامة ،
ولا عن عملها على المسرح أو الشاشة .

— من قال لك هذا ؟ أتعلم أنها قد فضت من حولها
كل أصحابها وعشاقها — وضمنهم أنا — وقطعت كل صلة بنا
منذ أن عرفتك ! ! أتعلم أنها تتصرف دائماً كأنها امرأة
متزوجة فاضلة . . وأن هذا أفقدها الكثير من الأرباح
والأفلام ! ! كل هذا من أجلك . . ومن أجل وفائها
للأحق لك .

— لي أنا ؟

— طبعاً لك أنت . . لقد أضحت بغاوتها امرأة فاضلة
والمرأة الفاضلة في الأوساط الفنية تفقد الكثير من
مواهبها .

— ولكنني لم أطلب منها هذا . . إني لم أسأها شيئاً . .
وهي لم تحاول مرّة أن تفرض على أي نوع من الارتباطات
إن أحدها لا يقيد الآخر بأي شيء . . إنها تبدو منتهى
الرضاء عن علاقاتنا بحالتها الراهنة التي لا تزيد عن زيارات
خفية لا يدري بها أحد .

— أنت على نياتك جداً يا علي . . أظن حقاً أن علاقتك
بها خفية لا يعرفها أحد . . إن الناس كلهم يعرفون ما بينكما . .
لقد قويت إشاعة زواجكما حتى كدت أنا أن أصدقها
ويبدو لي أن خير ما تفعل لكي تقضي على تلك الشائعات هو أن
تنصرف عنها وتستبدل بها أخرى . . خذها نصيحة مني . .
لا تطل علاقتك بهذا النوع أبداً . . فهو يجرك برغمك إلى
التزامات وقيود لا قبل لك بها . . لا تلتصق بواحدة . . بل
تنقل بينهم .

وبدأت المسألة تدور في رأس « علي » . . لقد كان دائماً

يأخذها مأخذاً سهلاً.. مجرد علاقة ترضيه دون أن تسكفه
ثمناً.. أو ترهقه عسراً.. وكانت هي كريمة معه بحيث
لم تحاول أن تثقل عليه بطلب أو بقيد.. واستطاعت بذلك
أن تحتفظ بعلاقتها معه طوال هذه المدة دون أن تحمله من
أجلها أقل تفكير أو حساب.

لم يطف بذهنه من قبل هذه اللحظة أن تتطور علاقتهما
معاً إلى ارتباط بزواج.. لقد كانت توفر له في الأوقات التي
يقضيها معها أقصى أسباب الراحة والمتعة.. ولم يذكر قط
أنه ضاق بها أو ملها.. ولكنه رغم ذلك لم يحاول أن يضعها
موضع الزوجة.. فقد كانت الفكرة أبعد وأكثر استحالة
من أن تدخل نطاق تفكيره.. بل لم يكن هناك قط
ما يدعو إلى هذا التفكير من جانبها أو من جانبها.

ومع ذلك.. فيها هو أخوه يحدثه عن شائعات زواجه
بها، وينصحه أن يستبدل بها أخرى ويدفع به إلى التفكير
فيها بطريقة أكثر جدية وأشد عمقاً.

أهو حقاً يستطيع أن يستبدل بها أخرى بنفس السهولة
التي يفعلها أخوه؟ أهو يستطيع التنقل كالنحلة بين
هذه وتلك؟

أيمكن أن يعتبر علاقته بكريمة . . مجرد علاقة شهوة
عابرة . . تستطيع أية امرأة أن تمنحها له ؟
قطعاً لا .

إن « كريمة » تعتبر بالنسبة إليه أكثر من هذا .
قد يكون لا يحبها . . حبه للطيف النائي والمودة الراقدة . .
وقد تكون المقارنة بينهما لا محل لها في قلبه أو في ذهنه .
ولكنه رغم ذلك يحب حبها . . ولا يستطيع أن ينكر
أنها أقدر الناس على منحه الراحة والثقة والطمأنينة . . وإنها
تزيد كثيراً عن مجرد جسد يفرغ فيه رغبته ، وأنه يلبس في
قرارة نفسها عند ما يهدأ كل منهما إلى صاحبه أشياء كثيرة
طيبة راسبة في أعماقها قد لا يدركها عابر سبيل لا يلبس منها
سوى السطح المعربد العابت .

وهو . . لو كان خلى القلب . . مطلق سراح الروح . .
وكانت لديه الجرأة على ركل آراء الناس وقطع ألسنتهم . .
لما وجد أصلح منها بين نساء الأرض لكي تكون له زوجة .
وبهذا التسلسل في المنطق والتطور في التفكير . . بدت له
فكرة الزواج غير مستبعدة ولا مستبشعة . . بل أكثر من
هذا بداله أن هجرها واستبدلها خوفاً من الشائعات هو
الجن المستبعد والخسة المستبشعة .

ولم يجد رداً على أخيه خيراً من أن يغمض عينيه ويحرق
غطاءه على رأسه .

ومنذ تلك الليلة لم يعد « على » يحاول أن يتسكتم علاقته
بكريمة . . ولم يعد يشعر بخرج ولا خجل من زيارته لها ،
بل بات يحس بأن لها حقوقاً عليه والتزامات قبله .

• • •

وفي تلك الفترة بدأ الوفد يحس أن القصر قد أخذ في
التخلي عنه . . وأنه قد بات بلا سند ، كما أحس القصر أن
الوفد بتراميه على أعتابه واندفاعه وراء أسلاب الحكم
ومغائمه . . قد فقد شعبيته التي كان قد استعاد بعضها في فترة
إبعاده عن الحكم والتي كان القصر يأمل في أن يستعين
بها على تغطية مبادئه ومخازيه .

وهكذا وجدت كل من القوتين الحاكتين الناهبتين
السالبتين أنفسهما وحيدة مزعزعة معلقة في الهواء ، وأخذت
كل منهما تبحث عن سند بعد أن تبين لهما أن استناد كل منهما
إلى الأخرى قد أودى بكتنهما إلى أسفل صافلين . . وبعد
أن حق عليهما المثل : « جبتك يا عبد المعين أعنى . . لقيتك
يا عبد المعين تنعان » .

وهكذا وصل تعاون القصر والوفد — على الإثم والمدوران — إلى نهايته . . وأعطى كل منهما ظهره للآخر وبدأ يبحث عن سند يتشبث به . . وقوة تشدد أزره . . وكانت القوتان الباقيتان من القوى الأربعة السكائنة في البلد . . هما : الشعب والإنجليز . . وكان من البديهي أن يتجه كل منهما إلى القوة المضادة للقوة التي اتجه إليها الآخر ، ففي عام ١٩٤٣ عند ما استند الوفد إلى الإنجليز . . اتجه القصر — بالطبيعة — إلى الشعب . . ولكن يبدو أن الاتجاه إلى الشعب في هذا الوقت ، وبعد أن فضحت كل مخازي القصر قد أضحي في حكم المستحيل . . ولم يكن هناك بدّ والأمر كذلك من الاتجاه إلى القوة الأخرى التي لم يكن في استمالتها شيء من التعذر والاستحالة . . وبدأت مظاهر هذا الاتجاه فيما بعد في تعيين ، حافظ عفيفي ، صاحب الآراء الوافعية الصريحة والميول الجدية المستقيمة في الاتفاق مع الإنجليز رئيساً للديوان . . وعبدالفتاح عمرو ، مستشاراً للملك . ولم يجد الوفد . . سوى وجه الشعب . . ملجأ أخيراً ، فأنحرف إليه . . انحرفاً مفاجئاً . . وتغيرت سياسته . . من تقبيل يد الملك . . إلى محاولة تقبيل يد الشعب .

ولم يكن استرضاء الشعب وكسب تأييده بالشىء الهين السريع . . كما استرضاء القوتين الأخرين : الانجليز والملك . وكانت الحاجة إلى الاسترضاء ملحة عاجلة . . لا يمكنها انتظار الثمرة الطبيعية الناضجة لأية مشروعات إصلاحية جديدة قائمة على صدق النية وحسن الاستعداد .

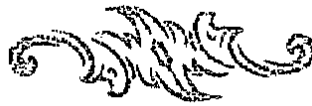
ولذلك لم يكن هناك بد من خبطة سريعة عشواء . . وحركة بهلوانية مثيرة خلافة تبهر الأنظار وتفخر الأفواه . وكان إلغاء معاهدة ١٩٣٦ هو خير الحركات المسرحية الرائعة التي ألقى بها الوفد نفسه بين أحضان الشعب .

وهكذا قفز الوفد . . من أقدام الملك . . إلى رؤوس الشعب . . ووجد نفسه في خضم متلاطم لم يتأهب لخوضه وأحس بصيحاته تتضاءل بجوار صيحات الشعب وخطواته تقصر عن اللحاق به . . ووجد رؤوس الشعب الذي تعود أن يسوقها سوقاً سهلاً هيناً قد أضحي منها على صهوة جواد جامح منطلق في عنف إلى كفاح جدى لم يخطر له يبال ولا أعد العدة له .

ولم يكن هناك شك في أن الوفد نفسه . . كان من أشد الناس حيرة ومفاجأة بنتيجة ما فعل ، وبدا في حيرته وارتياحه

كمطلق سراح مارد من ققم لم تعد له أمنية أكثر من أن
يعود المارد إلى ققمه .

ولكن إعادة المارد كانت أمنية مستحيلة . . ولم يجد
الحكام المرتاعون بدأ من أن يعدوا وراء الشعب ، مهرولين
في أعقابهم . . حائرين في تصرفاتهم بين تدبر الحاكم المسؤول
وحقق الشاثر المندفع . . وبدأوا يصدرون أوامره من
مقاعد الحكم بعقلية قواد المظاهرات . . وتوالت أوامره
البلاء لرجال البوليس شبه العزل بأن يقاتلوا الامبراطورية
البريطانية لآخر طلقة . . ولآخر رجل . . ولآخر دقيقة
في حكم الوفد .



وہ سب!



وقف « على » مع بقية الضباط مصطفىين في ساحة
عابدين داخل أسوار القصر وقد واجهوا
الشرفة الرحبة المطلة على الساحة في انتظار خروج « الملك »
لتقديم فروض الولاء والتهنئة بولادة ولي العهد من الملكة
الجديدة .

ولم يستطع « على » أن يتخلف كعادته فقد كانت الأوامر
مشددة بالتتبع على الضباط لضمان حضورهم بأكثر قوة
كظهور من مظاهر الولاء المطمئن في هذه الظروف الحرجة
القلقة التي علت فيها الهتافات العلنية الصريحة ضد « الملك »
واشتدت فيها حملات الصحف المتطرفة ، وأضحى « الملك » في
حاجة إلى مزيد من الطمأنينة والثقة وإلى أن يتحسس سيفه
المسلط على أعناق الشعب . . لكي يتأكد من وجوده
بجواره ومن سيطرته على قبضته .

ولم يكن أسهل على رئاسة الجيش من أن تصف له
الضباط بسذاجة في ساحة القصر . . موقنة أنها قد ضمنت
بذلك الاصطفاف التأييد التام والولاء المطلق . . ولم يعد
عليها إلا أن تتلقى رضاء الملك وتستريح ناعمة البال في مقرها .
وبدا « الملك » في الشرفة . . بجسده الضخم المنتفخ أو كما قيل

في الصحف وقتذاك . . أشرقت طلعتة وهلت أنواره . .
وصرخ القائد العام في الضباط « انتباه » ورفع يده بالتعظيم
وبعد لحظة صاح « الملك » منادياً :

— حيدر .

وانطلق القائد العام يعدو حتى وصل إلى أسفل الشرفة ،
وأردف « الملك » يصيح بصوته الضخم :

— قل للضباط أنه ليس لدي ما أهديه إليهم في هذه
المناسبة سوى . . إبنى .

ولم يعرف ما إذا كان بأذان القائد العام ثقلاً في السمع ،
أم أن الهدية نفسها لم تكن مفهومة . . فقد وقف الرجل
وقفه الحائر الوجل ، مما اضطر « الملك » أن يكرر نطقه السامى
ويؤكد « الهدية » .

وعاد القائد العام يكرر على الضباط ما قاله « الملك » .
ولم يكن « على » قد فهم معنى الهدية . . ولا أدرك
مظاهرها أو النتائج المبنية عليها . . ويبدو أن بقية الضباط
لم يكونوا يزيدون في ذكائهم عنه أو عن القائد العام . . فقد
أخذوا يتهايمسون متسائلين . . وقال سليمان لعل في سخرية
وهما يسيران إلى موقف العربات :

— مبروك يا على .

— على أية شيء ؟

— على الهدية المملوكة . . ألم يهد الملك ابنه إليك ؟

— إلى أنا ؟

— طبعاً . . ألسن ضابطاً فى الجيش . . إن لك فيه قطعة .

— لم أفهم معنى الإهداء .

— إهداء معنوى . . ككل هداياه . . يعطى معنوياً . .

ويتسلم مادياً . . يهدى رتباً ونياشين ويقبض نقوداً . . ألا تذكر ما جمعه من هدايا الزواج الملكية ؟ لقد أصرّ على أن تكون كلها ذهباً حتى يحولها إلى سبائك .

— لست أدرى ما حاجته إلى كل هذا ؟

— لأنه مريض . . لا يمكن أن يكون رجلاً سليماً . .

لابد أن يكون مجنوناً . . تصور بلداً يحكمها مجنون . . مغرق فى جمع المال والقمار والعبث مع الرافصات ؟ غير معقول أبداً أن يستمر الأمر على هذا الحال ، أوكد لك أنه . . . وقاطعه ، على ، :

— لا داعى لهذا الآن ياسليمان . . ليس هذا وقته . .

الضباط كثيرون من حولنا .

— الضباط كلهم يحسون بما نحس . . إن نفوسهم حائقة

ثائرة . . ألم تقرأ منشورات الضباط الأحرار ؟

— قرأت بعضها .

— ماذا وجدت فيها ؟

— وجدت فيها مايجبر عما بنفوسنا من إحساس
بالسخط .. ولكن ماذا يمكن أن تفعل بضعة منشورات
يصدرها بعض الضباط ؟

— بعض الضباط ١١ .. لقد أضى الجيش كله ضباطاً
أحراراً .. وسترى قدرتهم في السيطرة على انتخابات
نادى الضباط .

— ومن أدراك أن لهم دخلاً في هذا ؟

— لأنى واحد منهم .

و نظر إليه ، على ، وقال فى شىء من الدهشة :

— حقاً ١١ .. كان يجب أن أتوقع هذا .

— لقد فكرت بضع مرات أن أضحك إينا .. ولكنى
ترددت لأنى لم أجد فى تباعدك وانطوائك وعدم مبالاةك
بالحالة التى وصلنا إليها .. ما يشجعنى على ذلك . ولكن ..
وضحك د على ، وأجاب قائلاً :

— وجسناً فعلت .. فأنا أكره التدخل فيما لا يعنينى .

— أيها الغبي .. أتعبر إنقاذ البلد .. أمراً لا يعينيك ؟

— لا أعتقد أن فيما تفعلون إنقاذاً للبلد .. أنت تعلم منذ

أن كنا في ثانوى أنى أكره إضاعة الوقت فى المظاهرات
والتدخل فى كل ما له صلة بالسياسة .. ولا أظننى الآن
أكثر استعداداً للإشتراك فيما لا جدوى منه . ولا ...
وقاطعه سليمان فى يأس :

— انتهىنا .. لا فائدة منك .. لقد كنت دائماً أتوقع
ردك هذا .

ووصلنا إلى العربية البيك آب وقال سليمان متسائلاً :

— إلى أين ستذهب ؟

— إلى الدقى .

— ولله ؟

ولم يجدد على هـ موجباً للإخفاء فقال ببساطة :

— سأزور كريمة .

ولم يبد على سليمان الارتياح وقال ناصحاً :

— ألا تنوى أن تضع حداً لعلاقتك بها ؟

— ولله ؟

— لأنها توشك أن تلوث سمعتك .. إن لم تسكن قد

لوثتها فعلاً .. إن السنة السوء تشيع أنك قد تزوجت بها ؟

— وماذا فى ذلك إذا كان قد حدث ؟ أنا لا أجدهناك

حاجة لألسنة سوء كى تعمل على تزويجى .. لأنى لا أجده

به سوء آ .

— ماذا تقول ؟ أتمزح ؟

— أبدأ .. إني لا أجد في زواجها أي حرج ولا عيب ..
وأؤكد لك أني إن أتواني عنه .. إذا ما أحسست أنها ترغب
في ذلك .

— لا بد أن تكون قد جنت .. أنت تتزوج راقصة ؟
إنك ستهدم مستقبلك وستطيح بسمعك .. وأؤكد لك أني
سأكون أول من يقطع صلته بك .. أتظنني أقبل أن تدخل
بها بيتي وتجلسها مع زوجتي ؟

— يا أخي لا ضرورة لأن أدخلها بيتك أو أجلسها مع
زوجتك .. إني أنا الذي سأتزوجها ولست أنت .. وعلى
آية حال دعنا من هذا فلا موجب لأن نتخاصم على شيء
لم يحدث .. هيا بنا .

واتجهت العربة إلى الدقي ووقفت أمام إحدى العمارات
المطلّة على النيل .. وهبط « علي » مودعاً « سليمان » وحمله
المصعد إلى شقة « كريمة » التي انتقلت إليها أخيراً .

فتحت « كريمة » الباب واجتازة « علي » إلى الداخل ،
وكان الوقت قبيل الغروب .. وصقيع ينائر قد أخذ يلسع
الأطراف وينفذ إلى العظام .

وأحسن « على » من دفء المكان وسكينته بالكثير من الراحة والهدوء ، ولم تسكن الشقة رحبة الأرجاء . . إذ كانت لا تزيد عن ثلاث حجرات : حجرة للنوم يصلها بالحمام عمر صغير ، وحجرتين يفصل بينهما باب زجاجي متسع وضع بهما الصالون والسفرة ، وصالة صغيرة بها مدفأة في الحائط أحاط بها مقعدان « فوتيل » كبيران ، وعلقت فوقها لوحة زيتية مكبرة من صورة « لعل » يمتطي جواده في أحد طواير الخيالة . . ولم تسكن تلك الصورة هي الأثر الوحيد « لعل » في الدار . . إذ لم تخل حجرة من صورة له معلقة أو في برواز على قاعدة ، وكان هناك دولاب مخصص لأمتعته ، ورف رصت عليه بعناية بعض كتب ومجلات جلبها للقراءة في المرات السابقة .

وتناوات « كريمة » الكاب الذي رفعه « على » عن رأسه ووضعتة على مشجب في الممر القصير الكائن بجوار الباب ، ثم مدت ذراعيها مرحبة وقد بدت على وجهها أقصى أمارات الوله والحب ، وضمها « على » إليه في رفق . . ولكن الضمة الرفيعة لم تطفئ غلتها . . فأحاطت صدره العريض بذراعيها وضمته إليها بكل ما لديها من شوق ولطفة . . ورفعت إليه شفقتها في نهم . . فالصق بهما شفقتيه بنفس الطريقة الهادئة

الترفة الجملة ، ثم ما لبث حتى تخلص منها برفق متقدماً
إلى الصلاة ، ثم جلس مسترخياً على أحد المقاعد المريحة
أمام المدفأة .

ووقفت « كريمة » ترقب ملامحه وقد علمتها سمة تجهم
وشروء . . وبدأت في وقفها بمشوقة القد ، ملفوفة الجسد
في بلوزتها الصوف السماوى ذات الياقة المغلقة العالية التى
تموّدت دائماً أن تحيط بها عنقها ، وحزام عريض أسود
لمّ خصرها . . وجيب كاروهات رمادى الأرضية ، أزرق
الخطوط .

واقتربت منه وجلست نصف جلسة على حافة المقعد ،
وأحاطت عنقه ببسراها ، وأخذت تعبت في شعره مترفة
بأنامل يمينها ، وقالت فى حنو :
— تبدو مرهقاً مكثوداً .

وأجابها وهو مستمر فى استرخائه وشروءه محملاً فى
فراغ المدفأة الأسود :

— لم أسترح منذ الصباح .

— ولله ؟

— أعمال وتشريفات . . لقد أضحي نصف وقتنا ضائعاً
فى رفع فروض الولاء للقصر .

— ولكنك لم تتعود أن تذهب إلى هناك ؟

— لم يعد هناك مقر من الذهاب بعد هذا التدقيق والتأكيد والتتبع . . لقد أمضينا ساعتين ونحن وقوف في مساحة القصر . . لاستلام الهدية .

— هدية ؟ . . أية هدية ؟

— الهدية الملكية . . لقد أهدى إلينا ابنه . . لقد قال سليمان إنه يهدى معنويات ليقبض ذهباً .

— لقد خسر بذلك كثيراً . . إن الشعب بات يكرهه .

— طبعاً . . لقد خسر الشعب نقوده . . وفقد هو كل

معنوياته .

— أسمعت عن مظاهرات الجامعة التي حطموها فيها

صورة الملك ؟ أترى تبلغه الهتافات المعادية التي ينادون بها ؟

— لا أظن . . إن السنة المنافقين تحولها إلى هتافات بحياته .

— على أية حال دعنا منه . . ليحيا . . أو ليسقط . .

قم وأبدل ملابسك . . سأعد لك حماماً ساخناً يزيل عنك

متاعب اليوم . . ثم أعد لك الشاي بعد ذلك . . لقد صنعت

لك قالب الكريم كرامل الذي تحبه ، وسأوقد لك المدفئة

وأشوي لك « أبو فروة » . . ما رأيك ؟

وأذابت حرارة حماسها جليد همومه . . وبددت رغبتهما

الأكيدة في الإمتاع والاستمتاع غيوم الضيق وسحب القلق
التي أحاطت به .

وأحس بحاجته إلى كل ما أعدت له .. الحمام ..
والشاي .. والكريمة .. وأبي فروة .. إن خير ما فيها هي
أنها تعرف دائماً ما يحتاج إليه .

وقفزت من حافة المقعد .. وخفت إلى الحمام .
ولم تكن تستبقي في ليلة زيارته أحداً من الخدم .. كانت
تكره أن يشاركها في خلوتها به مخلوق .. وكانت تحب أن
تستأثر بخدمته .. وتجذ في هذا الاستئثار متعة الامتلاك ..
إذ بداخلها إحساس ممتع بأنها زوجته .

وترك « على » مقعده ووقف وراء زجاج الشرفة المطلّة
على النيل ، وانحمرت الستارة الأورجاندى الرقيقة عن
المجرى العريض ينساب في أناة ورفق وبدأت أشباح الدور
في الجانب الآخر من الشاطئ ، وقد علاها شريط داكن
مخرج من جبال المقطم تتوسطه القلعة تعالت فيها المآذن
شاحبة في ظلمة الغسق وظلال السحب الداكنة .

وتوالت عليه بهنغ مرئيات ذهنية .. دفعها إلى ذهنه
منظر القلعة .. الذي جر وراءه ما جاوره من مقابر ..
شيع إليها أباه .. وبداله أبوه في جهاده ومطامحه .. وفي

شمله وفي وفاته . . ثم بدت له أمه . . وجرّت أمه بهيمة . .
وجرّت بهيمة « حسين » . . وتبع حسين نصيحته ثم نصيحته
سليمان وتحذيره .

وأوقف شريط المراثيات المتتالية صوت « كريمة » وهي
تنادى عليه :

— الحمام جاهز .

واستدار « علي » ونفخ بأنفه كأنما يطارد ما خلفته
ذكرى النصائح والتحذيرات من ضيق وقلق ، واتجهت
كريمة إلى حجرة السفرة في نشاط وهي تردف قائلة :

— سيكون الشاي معداً بمجرد دخرك من الحمام .
وعندما انتهى « علي » من الحمام كانت المدفئة قد اشتعلت
ومنضدة الشاي الصغيرة المتحركة قد صفت عليها أدوات
الشاي ووضعت بين المقعدين .

وجلس « علي » مسترخياً في مقعده وتناول فنجان
الشاي يرشفه في هدوء وأحس بأنه قد بات أكثر استعداداً
لاستقبال نعم الحياة والاستمتاع بها .

وكانت « كريمة » تعرف الجوالذي يرتاح إليه « علي » .
كانت تعرف أنه يكره العربة والضييق وقد عودت نفسها
أن تحب ما يحب ، ولم تعد تشعر — كما كانت تشعر فيما مضى —

بالحاجة الملحة إلى كؤوس الخمر لتهيئها لاستقبال المتع . .
بل أضحي الشاي والمدفئة والجلسة الشاعرية الهادئة أقدر على
إرهاقها من كل عناصر الإرهاق المبردة التي تعودتها
فيما مضى . . وباتت توقن أن أدوات الإرهاق كلها سواء ،
وأن قدرتها كائنة فيما يتوهمه المرء فيها وما تعودده منها ، وأن
أصل الإرهاق كامن في النفس وفي الرغبة أكثر مما هو كامن
في العناصر المسببة له ، وقد يتساوى فعل كأس من الخمر مع
فنجان من الشاي مع هبة عطر . . مع لا شيء . . في تهيئة
نفوسنا . . ما دامت بنا رغبة في الاستمتاع ولهفة عليه . .
وكانت « كريمة » مازالت متشاغلة بترتيب ملابس « علي »
وتنشيف الحمام ، وهتف بها « علي » يدعوها إليه :
— ألا تنوين الحضور . . أم ستمتر كيني أتناول الشاي
وحدى ؟

— سأتى حالا .

وقبل أن تتخذ مجلسها بجواره ، قالت وهي تتجه إلى
حجرة الصالون :

— لقد أعددت لك مفاجأة مستطربك .

— ما هي ؟

— انتظر لحظة .

وأخرجت من أحد الأدراج اسطوانة وضعتها على
البيك آب ثم أدارتها .

وسمع « علي » الموسيقى التي تسبق قصيدة « جبل التوباد »
وبدا الفرح على وجهه « علي » وسألها في دهشة :
— متى أحضرتها .. وماذا جعلك تفكرين في إحضارها؟
— أعرف أنك تحب قصائد شوقي وعبد الوهاب ..
وقد سمعتك آخر مرة تترنم بمطلع هذه القصيدة .. فصممت
على أن أفاجئك بها .

وبدأت القصيدة .. ونهضت « كريمة » فأطفأت النور
ثم عادت إلى مكانها ، وتناولت فنجانها ترشفه في صمت .
ولم يكن هناك ما يمكن أن يرهف أحاسيس « علي »
أكثر من هذا الجوالذي أحاطته به كريمة .. الألسنة الحمراء
المتراقصة في جوف المدفئة .. والصوت الشادي العميق
يهتف : « وسقا الله صبا ناورعي » .

وأحس « علي » بالطيف النائي .. يدنو رويداً رويداً ..
وكان بينه وبين اللحن المترنم ، والجو الصامت الخاشع
تقارباً وانسجاماً .. وبدأت ألسنة النيران المتراقصة كأنها
الشعر الذهبي تحركه النسائم وجسد له الحنين المفرط والشوق
العائد ، الطيف الداني المقرب ، حتى لكانه يجلس بجواره .

وكان الأنامل المطبقة على الفنجان أنامله والشفيتين
المرتشتين شفتاه .

وخيل إليه أن الطيف يهمس مع الصوت الشادى :
« وخططنا فى نقا الرمل فلم

تحفظ الريح ولا الرمل وعى »

وظل مغرقاً بكل ما يملك من أحاسيس مرهفة فى
شروده اللذيد ، وحلمه الممتع ، والطيف الجميل الجالس
بجواره يسمع له ويمتف به حتى انتهى الشادى إلى قوله :

« كم يهون العمر إلا ساعة

وتهون الأرض إلا موضعا »

وساد الصمت . . وتطلعت « كريمة » إلى الوجه المطرق
بجوارها . . وقد بدت ملامحه فى ضوء المدفئة الباهت وبه
شروء شديد ، وكان الأناشودة قد حملت صاحبها بعيداً ..
بعيداً .. إلى الساعة التى لم تنس ، والموضع الذى لم يهن ، والطيف
الذى لا ينأى على بعد الشقة وطول الطجر . . وتذكرت
الرسالة المحترقة التى قطعت بها خيوط الأمل ، وأقامت على
رمادها سد القطيعة . . وتملكها الأسى وهى تحس بنفسها
على فرط قربها أشد نأياً من الطيف الثانى . . الذى لا تقف
فى سبيله حوائل ولا سدود .

وانطلقت منها تنهيدة حارة استدعت « على » من جولته
الهائلة . . ورفع إليها عينيه فبدأ له ما بوجهها من حزن وأسى
وتلك إحساس بالعطف والندم . . وهو يجد كل ما ملكته
من حب . . وما بذلته من جهد في إدنائه وإرضائه . . لم
يفلح إلا في إهاجة الذكرى وإيقاظ الحنين .

ومد يده فتعسس يدها في رفق كأنما يحاول الاعتذار
عما في باطنه ، ورفعت هى يده فستها بشفقتها في شبه عبادة
وتبتل ، وهمست قائلة وما زال الأسى يكسو ملاحها ويقطر
من نبراتها :

— أتذكر لقاءنا أول مرة ١٩

— أجل أذكره !

— لقد أحسست ليلتذاك . . أن مصيرى قد بات
معلقاً بك . . ومنحتنى بحديثك الحنون وبتمييزك لى عن بقية
الراقصات أملاً حلواً . . ما لبثت أن أطفأت جذوته حينما
قلت لى إننا أشبه بمسافرين فى قطارين متضادين ان يكون
نصيبهما من اللقاء أكثر من لحظة خاطفة يذهب كل منهما
بعدها إلى مصيره .

— وكانت إجابتك أن أحد الراكبين قد يبدل قطاره
ويلحق بالآخر ؟

— ولقد حاولت فعلاً أن أبدل قطارى وألحق بك ..
فعلت في سبيل ذلك أقصى ما أستطيع .. ولكن يبدو لي
أن اللحاق متعذر .

— ألا يجلس كلانا ، جنباً إلى جنب ؟

— ومع ذلك أشعر أنك بعيد عني بعد السراب ..
لا سبيل إلى اللحاق به .. أو الإطباق عليه .. إن بيننا فاصلاً
لا يمكن قطعه .. بقدر ما أقترّب بقدر ما تبتعد .. لا أنت
تدنيني ولا تنأى عني .. لا يأمل ولا أمل .. لا شيء أكثر
من ظامي ، يعدو وسراب يتباعد .. وقطار يعدو في أعقاب
آخر .. لا هو غائب عنه ولا هو لاحق به .

ولم يعرف ، على ، كيف يجيب .. كان يشعر أنها على حق
في كل ما قالت .. وكان يكره أن يكون هذا هو كل
نصيبتها منه .

إنها لا شك .. تستحق أكثر ، ولكنه لا يملك أن يعطي
هذا الشيء الذي تستحقه .. وإن كان يملك أن يعوّضها عنه
رفقاً وحناناً ورداً للجميل .

وأحست كريمة من مسحة القلق التي كست وجهه ..
ندماً على ما قالت ، وكرهت أن توجه إليه لوماً على ما ليس له
فيه حيلة .. واستحسنت نفسها أن تفسد ليلتها بعد طول

ما انتظرت وبعد كل ما بذلت للاستمتاع بها . . بفلسفة فارغة
لا فائدة منها ولا مبرر لها .

وما لبثت أن نفضت عن نفسها شبح الضيق الجاثم . .
وقالت متضاحكة وكأنما تستدرك ما قالت :

— ومع ذلك ، فأنا أشعر أنى لم أكن فى أية فترة من
فترات حياتى بأسعد مما أنا الآن . . حتى ليبدو لى أحياناً
أنى أستمد سعادتى من مجرد مطاردتك ومحاولة اللحاق بك .
— ليس هناك مطاردة يا كريمة . . إنى أسعى إليك لأنى
أريدك . . ليس هناك من يوفر لى سبيل الراحة والطمانينة
والسكينة سواك . . إنى أوكد لك . . أنى أشعر دائماً
بحاجتى إليك .

— وإن أكثر ما يسعدنى أنى أستطيع أن أقضى لك
حاجتك ، وأهمل لك كل ما تشتهى .

ونفضت « كريمة » متجهة إلى البيك آب وأضامت النور
وقد صممت على أن تبعد ذلك الجو الداكن الذى أحاطت
نفسيهما به وقالت وهى تضحك :

— سأسمعك رقصة السامبا التى وضعها عبدالوهاب . .
إنى لا أتمالك نفسى أبداً من الرقص كلما سمعتها .

ووضعت الاسطوانة ، وعلا صوت الموسيقى الراقصة

وأخذت « كريمة » تتحرك في رشاقة وخفة على دقاتها . .
وأمسكت بذراع « علي » قائلة :

— قم لرقصها سوياً !

— إني أفضّل أن أستمع برؤيتك وأنت ترقصها
وحدك .

ولم يكن « علي » مجاملاً في قوله . . فقد أطر به رقصتها
فعلاً وهي تتحرك حوله في خفة ورشاقة وتدق الأرض
مع الموصيقى وتثني في دلال ممتع .

وانتهت الرقصة ، ووثبت بخفة على ساقيه وضمته إليها قائلة :

— سآقي إليك بأبي فروة . . مارأيك ؟

ثم وثبت بنفس الخفة متجهة إلى المطبخ وما لبثت حتى
أحضرت « أبوفروة » وجلست تتشاغل بشوائه على نيران
المدفئة .

وبدت عليها أقصى مظاهر السعادة ، وهي جالسة أمام
المدفئة ترمقه بين آونة وأخرى . . بنظرات ملؤها الشغف
والحب . وأحست بالكثير من الاستقرار والقناعة الذين
يداخلان زوجة . . قد ضمها كنف زوجها ، وقالت وهي
تعبر عما بها من هناء :

— هذه أسعد أوقات عمري . . إني أحس كأنني أتلقى بها

تموياً عن كل ما لا قيته فى حياتى من جهاد و شقاء و ضحك
و بأس .. إنى أنتظر هذه الليلة كما ينتظر التلميذ أجازة الخميس
والجمعة .. لقد ركزت فيها كل أمانى و آمالى .. ولم أعد
أرجو من دهرى — لآمال .. ولا شهرة .. ولا أى نوع
من أنواع المتع — سوى أن أقبع بجوارك .. أحدثك
و أستمع إلك و أقضى حوائجك .. هذا كل ما أرجوه ..
أترأه كثير أ على ؟

و أحس « على » أن هذه المخلوقة تستحق أن يمنحها كل
ما أرجو .. بل أكثر مما أرجو ، و وجد من السخف أن يقيد
نفسه بأراء الغير بما لا يحس بما يحس ، أو يقتنع بما يقتنع ،
و ملأه من حديثها الحار المخلص شعوراً بالجرأة جعله يقول
ببساطة و بلا مقدمات :

— ليس هناك ما يكتر عليك يا كريمة .. لقد قلت لك
أنى أشعر دائماً بحاجتى إلك .. و أفكر لك أنى على استعداد
لزواجك .. فى أى وقت .. غداً إذا شئت .

و نظرت « كريمة » فى ذهول و أمسكت بيده فمسحت فيها
وجهها كأنها كلب أمين .. و سحب « على » يده و قد أحس
بسيل من الدمع يهطل عليها .

سیدالاحد



أُفهِتْ عربات الضباط تتابع إلى ميدان عابدين قبيل
ظهر يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، وتدفقت
وفودهم إلى الصالة السفلى التى يفضى إليها باب التشريفات
تلبية لدعوة الغداء الملكية إحتفاء بمولد ولي العهد .

وكان سائق « على » يحاول جهده أن يشق طريقه بين
جموع المتظاهرين المحتشدة فى شارع إبراهيم ، والتى أخذت
تتدفق من الطرق الأخرى المفضية إلى ميدان عابدين وقد
تعالى هتافاتها المعادية للاستعمار .

وكان بنفس « على » كثير من انقباض وقلق دفعهما
إحساس عام بالأسى والفجيعة شمل جميع المصريين عقب
إذاعة الأنباء المروعة لمجزرة الاسماعيلية فى الليلة السابقة . .
وإحساس خاص بالخشية من ذلك القرار الذى اتخذ بزواج
« كريمة » واتفق معها على تنفيذه هذا اليوم .

أما فجيعته على شهداء الاسماعيلية فقد شابه خليط من
مشاعر متباينة متعددة .

كان أقوى هذه المشاعر وأولها تسرباً فى نفسه هو
الغضب الشديد والانفعال الثائر المتهور الذى يملؤه رغبة
جامحة فى الثأر من الإنجليز لاعتدائهم الوحشى الغشوم على
ضحايا شبه عزل .

وبلى هذا إحساس بالسخط على حكومة حماة .. زجت
بالبلد في معركة لا عدة لها فيها سوى خطب براءة تلهب
المشاعر دون أن يكون لها سند من استعداد مادي أو
خطط موضوعة .

ويختلط بهذا السخط .. إحساس بالحنجل .. وهو يجد
الشعب الأعزل والبوليس شبه الأعزل .. يخوض الممارك
ضد الإنجليز .. ويقدم أعناقهم رخيصة سهلة لتجزها أسلحتهم
جز النماج .. والجيش المسلح .. الذي يمتن الممارك
ويحترف القتال .. والمفروض عليه أن يدافع عن العزل
وشبه العزل ضد القوات المعتدية .. رابض في سكون ..
يمارس استعراضاته .. ويقدم ولائه إلى قائده الأعلى ..
ويتلقى رضاه السامي .. ويستمتع بولائه الشهية .
ويحيط بكل هذه المشاعر .. حيرة مهنية .. وسؤال
لا جواب له .

ما آخر كل هذا ؟ وما هو الحل لهذه المشكلة ، وكيف
الخروج من هذه الورطة التي جعلت الأمة تدافع عن الجيش ؟
أخوض الجيش المعركة ؟ .. وإذا خاضها .. فكم من
الزمن يستطيع مقاومة قوات الاحتلال ؟ أيام ؟ .. أم
ساعات ؟ .. أم دقائق ؟ .. وما نتيجة هزيمته ؟ .. احتلال

جديد في قلب البلد ؟

أينخوض المهركة .. بضباطه وأفراده وأعماله
كمتطوعين فدائيين ؟ وهل يخدع الاحتمال بهذا .. ثم ماذا
يصبح الجيش بعد ذلك .. أيسرح .. أم يلغى .. مادامت
القوات غير النظامية هي التي تتولى الدفاع عن البلد ؟

وفي وسط هذه الدوامة من المشاعر .. والعربة تشق
طريقها بين قسم عابدين وسينما رويال .. بلغت مسامع
« على » هتافات جماعته ينتفض في مقعده .

لم تكن هتافات معادية للإنجليز .. ولا معادية للملك ..
ولا للوزارة .. بل كانت هتافات معادية للجيش .

لقد بدت لعل كإنها رد عنيف على سلسلة أفكاره .
واستمرت العربة تشق طريقها بين الأجساد المتدفقة
والهتافات تدوى من حولها « إلى القنال يا جيش الحفلات ،
« إلى القنال يا جيش الخمر والقمار » .

وأحس « على » بالدماء تغلي حارة في عروقه .. كأنما قد
تلقي صفقة مفاجئة .. وتحفز في مقعده كأنما ينوى أن يرد
الصفعة .. وأحس ببغضاء شديدة لهذه الحشود الخفقاء التي
توجه الإهانات والنهم الظالمة إلى الجيش .

كان « على » يحب الجيش .. ويؤمن به إيماناً قوياً

راسخاً في دمه . . ومن أجل حبه للجيش . . أحس بكره
شديد للشعب الذي تمثله هذه الجموع الصاخبة ، المهروسة . .
وبكره أشد للحكومة التي ورطت الجيش في هذا الوضع
الذي لم يكن له فيه حيلة . . وأبدته عاجزاً مقهراً وهو
لا يملك صد التهمة ولا الخروج من عزلته . . وأحس بكره
للملك المخرق في لهوه وعبثه وحققه . . والذي شد الجيش
إليه واتخذ منه درعاً يصد به سحق الشعب وكراميته . .
فجلب إليه السخط والكرامية . . وجعله سيفاً يحز به رقاب
الشعب بدلاً من أن يكون حصناً يقيه .

ومن أجل حبه للجيش . . أمسى يكره نفسه وبقية
الضباط الذين لا يملكون — وهم أقوى عناصر الأمة —
إلا أن يكونوا أداة سهلة طيعة في أيدي رؤساء خائعين . .
يتقدمون بها مطأطئين إلى السدة العلية السامية . . وكانها
الكلب الأمين يتمسح في أعتابها . . وينبح على خصومها .
ومن أجل حبه للجيش . . أحس بكره للإنجليز . .
الذين كانوا السبب الأساسي لكل ما حدث . . بإصرارهم
على البقاء ومماطلتهم في الرحيل بلا فائدة مرجوة سوى
المحافظة على هيئة قديمة موهومة تجلب عليهم السخط
والبغضاء .

وبهذا القلب المفعم بالكراهية والنفس المضائقة بالإهانة
هبط « على » من عربته متجهاً إلى باب النشريفات الذي
تكأ كأ في شرفته الضباط . . وما زالت هتافات الجماهير ترن
في أذنه ، وقد احتشدت في منتصف الميدان ، يمنعها من
الاقتراب صف طويل من جنود الحرس .

والتقى بسليمان . . وقد وقف وحيداً في أحد الأركان
وبدا عليه تجهم وشروء ، وحياء متسائلاً وهو يرى الضباط
محتشدين حول دفتر النشريفات :

— أهنأك ضرورة لأن أقيد اسمي ؟

— لا ضرورة لذلك فقد كتب الأركان حرب أسماءنا

جميعاً

وساد بينهما صمت قلق وانحرف ذهن « على » من تفكيره
العام في الشعب والجيش والملك والإنجليز ، وما يوشك أن
يحل بالبلد من أحداث . . إلى تفكيره الخاص في نفسه وكريمة
وما يوشك أن يقع بينهما من روابط تشدهما إلى الأبد . .
وأحس بالخشية تملسه وهو يرقب وجه سليمان المتجهم
ويذكر تحذيره له وإصراره على أن يقطع كل ما بينهما إذا
هو أقدم على ارتكاب هذه الخماقة أو المعصية . . وتدافعت
في ذهنه صور منذرة أخرى . . صورة أبيه ، وأمه ،

وأخيه ، وبهية . . ثم . . الطيف النائي الحبيب . . العاتب في
أنين . . الهامس في إشفاق وجزع .

وقطع عليه سليمان حبل تفكيره وهو يقول متسائلا
في صوت خفيض :

— رأيت ما هو حادث في البلد ؟

وأجاب « على » في مرارة وضيق :

— أجل . . رأيت المظاهرات التي تهتف ضد الجيش .

— أهذا كل ما رأيت ؟ . إن البلد كلها في حالة هياج

شديد . . لقد خرج جنود بلوكات النظام يطالبون بالسلاح

للأشار لزملائهم شهداء القتال . . وقد اتجهوا إلى الجامعة

وانطلقوا مع الطلبة في سيول متدفقة نائرة . . وقد خطب

فيهم أحد الوزراء بما زاد النار اشتعالا . . إنها أشبه بشوكة

والبوليس يقف موقف المشاهد المشجع .

وبدت الدهشة على وجه « على » وقال وهو غير مصدق :

— عجيب ما تقول . . إنى لم أبصر سوى مظاهرات

سلبية . . أثارنى منها هتافات العدائية ضد الجيش .

— هتافات فقط !! لقد اعتدوا على عربة أحد اللوامات

وكادوا يحطمونها .

— هذه مسألة خطيرة . . إذ يجب أن تبقى للجيش هيئته

فهو صمام الأمان في هذا البلد . . وهو الأداة الوحيدة التي
يمكن أن تسيطر على الأمن .

— كيف يسيطر عليه ؟ أيمكن في هذا الوقت
أن توجه قوة الجيش ضد الشعب . . وهي أحق أن توجه
ضد الانجليز . . إن مكاننا كان يجب أن يكون في القتال .

— كيف يتوجه الجيش ضد الانجليز؟ في معركة رسمية؟
أم في حرب عصابات؟ وماذا تكون نتيجتها على البلد؟
إنها مشكلة معقدة لا يمكن حلها بمجرد إرسال الجيش للقتال .
إن كل ما حدث الآن وما يمكن أن يحدث مستقبلا . . ناتج
عن الارتجال في دخول المعارك . . بلا أدنى استعداد .

— أجل إنها مشكلة معقدة فعلا ونحن مشرفون على
أحداث خطيرة قد تودي بالبلد كلها . . ومع ذلك فيجب
أن يكون لنا دور إيجابي فيها . . دور غير تقديم فروض
الولاء ، والامتثال بالولائم . . غير معقول أبداً . . أن
يشغل الجيش بالجلوس إلى الموائد الملكية في الوقت الذي
يغلي فيه الشعب ، ويرزح فيه البلد تحت وطأة البلايا
والمصائب .

— أجل إنها مفارقة عجيبة . . كان يجب أن تلغى الولاية ،
بمجرد إذاعة نبأ أحداث الاسماعيلية . . فليس أقل من أن

نشارك البسلد حدادها .

وبدأت أفواج الضباط المحتشدة في الهالة السفلى المشرفة على باب التشريفة تتحرك إلى الدور العلوى .

وكف الصاحبان عن مناقشتهما بعد أن اندججا وسط الضباط ، وأخذ « على » يرقب روعة البناء . . ونخامة النقوش ، وهو يسير ببطء في الموكب المتحرك . . ودلف يميناً إلى الدرج الرخامى الفخم ذى الدرابزين المعدنى المؤكسد الذى يبدو بنقوشه تحفة رائعة ، وكانت تواجهه ثلاث مرايا كبيرة تشغل جدار البسطة العريضة التى يتفرع منها السلم إلى شعبتين : يميناً ويساراً .

واستمر « على » فى سيره البطيء وسط الركب حتى وصل إلى الهالة العليا ، ثم انحرف يميناً ماراً بالسوبة الزجاجية الرحبة . . التى صفت فى وسطها . . وعلى أجنابها نباتات الظل المختلفة التى تعالت فى وسطها أشجار اللتانيا . وألقى « على » فى سيره نظرات خاطفة على نقوش الجدران ، وعلى مختلف اللوحات الزيتية الرائعة . . وأحس كأنما قد علق من بصره إلى الجدران والسقف . . حتى وصل إلى حجرة المائدة الرحبة واتخذ مكانه بجوار سليمان على أحد المقاعد .

وكانت المناضد قد صفت متلاصقة بطول الصالة ، وكان
« على » يواجه الشرفة المطلة على الحديقة وبدأت له نوافذها
ذات الزجاج الملون المنمق بالنقوش ، وأخذت تطلع مبهوراً
إلى الثريات الضخمة . . وتشاغل بقراءة الحكم والآيات
المنقوشة على أعلا الجدران قرب السقف . . وعلق بعصره
بحكمة مواجهة له « الملك العادل محفوظ بعون الله محروس
بعنايته » . . وتساءل عن مدى ما تنطبق هذه الحكمة على
صاحب القصر .

إن مجرد كتابتها . . هي وغيرها من الحكم . . المزرقة
المنمقة . . وما يحيطها من نقوش وزخارف . . وإفراط في
الفخامة والآبهة . . يجعل الحكمة تبدو وكأنها سخرية من
صاحب القصر .

فالحكمة لم تكسب لتعظ . . ولا قصد منها الاستفادة
بمدلولها . . ولما كان مجرد قطعة زخرف تشترك هي وسواها
في منح القصر مزبداً من فخامة وآبهة . . ولتثبت في الواقع
نقيض مدلولها . . ولتجزم بأن صاحب القصر ملك غير عادل
ولا هو محفوظ بعناية الله ولا محروس بعنايته .

هذا الإفراط المروع في الفخامة والآبهة . . معقول أن
يحاط به ملك لشعب يعيش في بسطة ورخاء . . أو على الأقل

يجد كفايته من العيش .. أما أن يحاط ملك مصر بهذا البذخ الجنوني .. في الوقت الذي لا يجد خمسة وسبعون في المائة من شعب مصر لقمة عيش ، ولا خرقة كساء .. فهو أمر عجيب .. لا يمكن أن يدل على شيء من العدل .. أو حتى الحق .

إن هناك فوارق بين الطبقات في كل الشعوب .. ولله الملك جلاله وأبهته .. ولعامّة الشعب مستوى أدنى تقنع به وتستريح إليه .. والشعوب لا تخلو من بعض مظاهر الفقر والفساد والحاجة والمسغبة .. كل هذا شيء مسلم به .. ولكن الشيء الذي لا يقبله العقل .. هو ذلك الإفراط الزائد في أبهة الملك الذي لا يتناسب قط مع الانحطاط الزائد في مستوى الشعب .. هو تلك الهوة السحيقة البشعة بين فرد ، أو قلة تعلى القمة .. وأغلبية تتمرغ في السفح .

ودفع به التفكير في الهوة والقمة والسفح .. إلى ذكر هوة قديمة بين أميرة صغيرة تعلى القمة ، وابن بستانى يقف على السفح .. وتذكر جهوده في تخطي الهوة .. وتذكر كيف أضحي ابن البستانى ضابطاً عظيماً يجلس إلى المائدة الملكية ومع ذلك لم تهق الهوة .. فما زالت الأميرة تجلس في أعلى القمة .. وما زال هو قابلاً في أسفل السفح .

وانطلقت من أنفه ضحكة مريرة خافتة .. هذه الدنيا

مليئة بالسخریات .. إنه مازال يحبها .. ليس يدري لم ؟
قد يكون مجرد حرمانه منها .. أو يكون .. لأنها بمنزلة
فعلا بكيانه .. ومع ذلك يجد العمر يتسرب كما يتسرب الماء
من بين أصابعه .. دون أن يبلغ منه ما يبيل به ظمأه أو
يسد به رمقه .. وهو يهب نفسه طائعا مختارا لأخرى ..
رفقا بها .. وعظفاً عليها ، ومكافأة لها على حبها .
أقد هانت نفسه إلى هذا الحد .. حتى يجعلها مجرد هبة ..
ومكافأة ؟

ولكن ماذا يمكن أن يصنع بها أكثر من هذا .. إذا
كان توأمها .. قد نأت به التقاليد .. وقامت دونه السدود
والعراقيل .. ماذا يفعل بها إذا كان مالكم قد زهد فيها ..
وأعرض عنها ؟

ولكن أيدعوه هذا إلى التفريط فيها .. مكافأة على
حب .. ورداً لجميل ؟

والصلوات الروحية .. التي تتخطى التقاليد وتعبير
السدود !! والحب الدائم .. إلى الموت وما بعد الموت !
لماذا لا يذكر مواعيقه وعهوده ، على الأقل أمام نفسه ؟
إنها .. مع كل ما فعلت من هجر وقطيعة .. لم تتزوج
بعد .. أفيتزوج هو ؟

ولكن ماذا منعها من الزواج ؟ .. غير معقول أن تكون عمودها ومواريثها .. غير معقول أن تكون بعد ما لفظته .. قد صدت خطابها من أجله .

ولكن ماذا يدفعه إلى مثل هذا التفكير الأبله ؟
أين هو ؟ وأين هي ؟ .

لماذا يحاول أن يدفع إلى ذهنه بمثل هذه الأوهام الخادعة في هذا الوقت .. ألكي يتخذ منها ذريعة .. يفلت بها من المغامرة التي يوشك أن يقدم عليها ؟ .. ألكي يجد منها مبررات لجبنه .. وتهربه ؟

لا .. لا .. يجب أن يكون أشجع من هذا .. يجب أن يفي بوعده لكريمة .. دون أن يآبه لأحد .. لا روح أبيه ، ولا أمه ، ولا أخيه ولا سليمان .. ولا هذا الطيف الذي لا يفتأ يلح عليه ويحوم حوله .. ويشعل في ذهنه وقد الذكريات وجمرات الحنين .

وقطع تفكير « علي » همهمة عرف منها أن الملك قد « شرف » .. ودفعه تشريف « الملك » إلى أن يخفض بصره الذي لم يزل محملاً في الحكمة التي دفعت إلى ذهنه كل هذه السلسلة من الأفكار التي بدأت بالملك العادل .. وانتهت إلى « كريمة » المظلومة .

وأعقبت همهمة وصول «الملك» جلبة الأكل .. وغطت
طرقات الشوك والملاعق في الأطباق على كل ضجة أخرى
وبدا «على» يلقي على الصحاف المرصوفة أمامه نظرة فاحصة
بعد أن شملها في أول الجلسة بنظرة عابرة .. وفرد الفوطة
الأنيقة على حجره ثم مد ملعقة إلى طبق المايونيز الأنيق
المزركش فغرف في طبقه كفايته .. والتقط بضغ محشيات
من طبق «الضلة» وشريحتين من طبق الديك الرومي ..
وانهمك في التهامها .

ومضى ما يقرب من ربع الساعة والجميع منهمكون في
تناول الطعام الفاخر .. وبدأت الأيادي تمتد إلى صحاف
التورته وأطباق الفاكهة .. ثم أخذت المقاعد تنزحزح إلى
الخلف قليلا .. والأيادي تلمق في استرخاء على المناضد ،
وبدأت الهمهمة تعلو في الجو مع دخان السجائر وتشاغل
الذين لا يهتممون بتسليك أسنانهم ، ثم بدأ الخدم بملا بسهم
المزركشة يتسربون بين المناضد حاملين القهوة .

وأحس «على» في ركن الصالة البعيد حركة غير طبيعية
ثم أخذ الضباط في الوقوف وسرت الهمهمة التي تأمر
بالصمت والكف عن الهمهمة .. ووقف «على» مع بقية
الضباط واستدار إلى ناحية الحركة فأبصر «الملك» وقد

أحاط به كبار الضباط وقد بدا وجهه الضخم ورأسه الأصلم
ومنظاره على عينييه ، وارتدى الحلة العسكرية السكاكية التي
حشر فيها جسده السمين . . ولم يستطع « على » أن يمنع
نفسه من المقارنة بين هذه الجئة الضخمة وبين الجسد الرشيق
الذى مزال يذكره عتطياً حصانه فى حفلة التتويج ، ولم يستطع
أيضاً أن يمنع نفسه من المقارنة بين خلقه الآن وخلقته
فى ذاك الحين ، ولا بين ما كان يتمتع به من حب الشعب
وما أضفى يلاقيه من سخطه وبغضائه .

وألقى « الملك » حديثاً لا يخلو من الملق ولا من مظاهر
الإحساس بأن الضباط درعه الواقى وملجؤه الأمين . .
فأمعن فى الترحيب بهم وأنبأهم بأنه فكر فى إلغاء الحفل من
أجل الحوادث المؤسفة ، ولكن معزتهم عنده جعلته يعدل
عن إلغائها . . ونصحهم بالضبط والربط . . وذكرهم بالصلة
القديمة بين أجداده والجيش .

ويبدو أن أحد كبار الضباط قد رقق استجدام الملك
قلبه . . وأثار حميته . . فاندفع يصيح فى حماس . . وكأنه
يجيب مطلب الملك . . ويمنحه بغيته : « الجيش سيف الملك »
وانطلقت الصيحة وحيدة محتقة . . دون أن يرن لها
صدى . . أو يرددها مجيب . . وأحس لها « على » فى أذنه

وقع اللحن النشاز .. وبدأت نواجه سليمان وهي تضغط في
غيبظ وهمس بعلى :

— أهذا وقته ؟ !

ورد « على » في حلق :

— إلى متى سنظل وقوفاً هكذا ؟ !

ونظر في ساعته فوجدها الثالثة إلا ربعاً .. وكان
المفروض أن يلقي « كريمة » في الساعة الثالثة لمشاهدة أول
عرض لفيلما الأخير الذي ستختتم به حياتها الفنية .. ثم يذهبا
إلى الدار بعد ذلك لإتمام إجراءات الزواج .

وأخيراً غادر « الملك » الصالة إلى جناحه .. وبدأ سيل
الضباط يتدفق إلى أسفل في طريقهم إلى الانصراف ، و فرق
الزحام بين « على » و « سليمان » .. واختفى « سليمان » برهة
عن عين « على » ، ووقف « على » في الصالة السفلى ينتظره حتى
أقبل وسط زرافات الضباط وقد بدا عليه تجهم شديد .
وتسامل في لهفة :

— أنتتظرك عربتك في الخارج ؟

— أجل .

— إذاً هيا بنا لتحملني معك إلى القشلاق .

— ولكنني لن أذهب إلى القشلاق .

— كيف ؟ لقد صدرت الأوامر الآن بأن نعود
جميعاً إلى الشكنات . . لأن حالة الطوارئ قد أعلنت .
وبدت على وجه « على » علامات القلق والحيرة وقال في
ضيق وتردد :

— ولكنى على موعد هام . . ولا بد أن أذهب إليه .
— أى موعد فى هذه الساعة ؟

وصمت « على » برهة ثم قال فى شىء من الاستحياء :

— موعد مع كريمة للذهاب إلى سينما راديو .
ورفع سليمان حاجبيه فى دهشة وقال ساخراً :

— سينما راديو ؟ . . لقد احترقت سينما راديو . .
وا احترقت كل دور السينما . . إن القاهرة تتأجج وسط اللهب .
— غير معقول .

— ما هو هذا غير المعقول ؟ لقد كنت أتوقع هذا وأنا
فى طريقى إلى هنا . . ولقد بلغت أنباء الحريق الآن للقصر .
هيا بنا .

وبدا الانزعاج على وجه « على » ورد قائلاً :

— إذاً لابد أن نمر على السينما لأرى د كريمة ، وأعتذر
إليها .

— تراها وتعذر إليها؟ أظنها ما زالت تنتظر ك هناك؟
أعتقد أنها جنت حتى ترك بيتهما وتخوض في هذه
المظاهرات وتنتظر أمام السينما وهي تحترق؟ ثم كيف
تذهب والطرق مغلقة في قلب البلد؟ أتعسر على
السير وسط المظاهرات بعربة الجيش . . لقد صدرت
الأوامر ألا تسير العربات إلا ومعها جندي مسلح . .
وسنعود من شارع فاروق لأن شارع إبراهيم كله
يحترق .

وركب الاثنان العربة ، و « علي » لم يقتنع بعد بما قاله
سليمان . . وما زالت بنفسه رغبة في أن يذهب ليرى كريمة
حتى لا يتركها تنتظره أمام السينما ، ولكن العربة لم تسك
تغادر عابدين حتى بدت آثار الحرائق والتدمير ، واضطر
السائق إلى أن ينحرف إلى شارع حسن الأكبر متخذاً طريق
باب الخلق إلى شارع فاروق إلى العباسية حتى وصلا إلى
الشكنات .

ووجد « علي » أن التعليمات قد صدرت إلى الآلى
بالاستعداد للتحرك بمجرد صدور الأمر فاتجه إلى مكتبته
وجمع ضباطه وأشرف معهم على شدة السكينة وإعداد

الهربات المدرعة والجنود . . وأجرى تجربة للجمع والاستعداد للتحرك .

وعندما اطمأن إلى إعداد كتيبته اتجه إلى مكتبه ليطلب كريمة في التليفون كي يطمئن عليها ويعتذر لها ويتفق معها على موعد آخر عندما يهدأ الموقف وتزول حالة الطوارئ .

وأدار القرص ، وتوالت دقات الجرس دون مجيب ، وأعاد طلب النمرة ثانية وثالثة دون أن يرد عليه أحد .

وأصابه القلق . . وخشى أن يكون قد أصابها مكروه من غوغاء الشوارع . وزادت لهفته على الاطمئنان عليها .

وحاول السؤال عنها في الاستوديو فلم يجدها ، وخطر له أن تكون قد تناولت الغداء عند صديقتها « بثينة » التي تعودت أن تصاحبها في كل غدوة وروحة والتي كانت كثيراً ما تتناول غداها عندها .

وأجابته بثينة بأنها فعلاً تناولت الغداء عندها ثم غادرتها في الساعة الثانية لتبديل ملابسها ولتذهب للقاءه في السينما . . وطلب منها « على » أن تحاول البحث عنها ، وأن تخبرها بأنه اضطر للذهاب إلى الشككنات لإعلان حالة الطوارئ ،

وأنها يمكن أن تتصل به في تليفون السوارى حيث سيظل هناك حتى تصدر لهم الأوامر بالتحرك .

وغادر المكتب متجهاً إلى كتيبة سليمان وقد تملكه — رغم قلقه على كريمة — إحساس خفى بالراحة تسرى في أعماقه كأن اليد التي توشك أن تدفع به إلى الهاوية قد خففت عنه قبضتها إلى حين .. أو كأن الجرف الذي وضع عليه حافة قدمه قد تباعد قليلاً .

وخطر له أن يصارح سليمان بالأمركله ، وأن يعترف له باعتزامه زواج كريمة عليه يخفف باعترافه بعض ما يشغل نفسه .. أو عليه يجد منه موافقة تهون عليه أمره .. أو عليه إن لم يفز بهذا أو ذاك .. أن يجد في ثورته عليه ما يصدده ويردده .

وقبل أن يبلغ مكتب سليمان أبصر به يخرج مندفعاً وقد بدت على سيمائه الثورة ، ولم يكذب يراه حتى صاح قائلاً :

— هذا عبث .. إنهم سيضيعون البلد في شربة ماء .

— ماذا حدث ؟

— البلد كلها تحترق .. والأمور قد أصبحت بأيدي

الدهماء .. لقد حدثني أخى من البيت .. وقال : إنه قادم
فى التو من قلب البلد .. وأنه لم يعد هناك من يأمن على
روحه أو أهله أو ماله .. لقد انقلبت المظاهرات المطالبة
بالكفاح ضد الغاصب .. إلى عصابات للحرق والتدمير .

— تدمير دور اللهو ؟

— أبدأ .. تدمير كل شىء .. لقد بدأت بتدمير دور
اللهو .. ومحلات الأجانب .. ولـكنها انتهت إلى عاصفة
من الاعتداء الأحق المجنون .. واندفع الغوغاء والسوقة
يحطمون وينهبون ويسلبون .

— وأين البوليس ؟

— النصف مشترك فى المظاهرات .. والنصف الآخر
عاجز بلا حول ولا قوة أمام ثورة الدهماء .

— والحكومة ؟ .. والمسؤولون ؟ .. أين هم ؟ ..
لماذا لا يخرجوننا ؟ .. ماذا ينتظرون ؟ ..

— ينتظرون خراب ماطة .. إني أكاد أجن حتى
ليبدولى أن أخرج بكيتيقي بدون أوامر .. فأنى أخشى أن
نتنظر حتى يأتى الانجليز لاحتلال القاهرة وضمن الأمن
بأنفسهم مادمنّا عاجزين عنه .

وقبل أن يجيب « على » أقبل أركان حرب الآلى مسرعاً
وقال فى عجلة :

— لقد صدرت الأوامر بأن يتحرك كلاهما بكتيبته
حالا لىبقى فى حديقة الأزبكية تحت أوامر قائد قوات
الأمن .

ولم تكد الساعة تقترب من الخامسة حتى كانت القوات
المسلحة قد تحركت فى طريقها إلى شوارع المدينة لتمسك
بزماء البلد الضائع فى أيدي الدهماء .



مذنبه تشنگر



مجموعة من مركبات الشر والخير ، والسمو
الإنسان والفضة ؛ والأحداث التي يمر بها الإنسان

هي التي تدفع هذه المركبات المتناقضة إلى الظهور ، وإلى أن
يغلب أحدهما الآخر فيبدو في أجلى مظهره وأوضح صورته ..
والشعوب - وهي مجموعة آدميين - تمر بها موجات من
الأحداث والظروف ترجحها بين أعلى أمجادها وأسفل
حطاتها وتظهر أجمل عناصرها أو تسكشف أسوأ سوااتها .
ولا شك أن التاريخ قد سجل للشعب المصري الأحداث
التي دفعته إلى أن يظهر أكرم عناصره وأفضل مركباته ..
وقفزت به إلى قمم المجد وذرى الانسانية .

ولا شك أيضاً .. أن التاريخ سيسجل أن حريق القاهرة
هو أحد الأحداث .. التي دفعت الشعب المصري إلى التهاوى
في أحط مدارك الشر وأبرزت فيه أرداد عناصر السوء ،
ومركبات الفضة والسفالة .

كان د على ، يسير بعربته المدرعة وسط المدينة المختنقة
المحتضرة ، وقد بدت له كأنها تلفظ آخر أنفاسها في صورة
هبات من اللهب الأحمر أو الدخان الأسود .. وبدت
الحوانيت مبقورة الأبواب .. منهوشة الأحشاء . واختلطت

صيححات الاستغاثة بأهات المصابين . . واندفع الناس في
الطرقات مشدوهين مأخوذين .

وكانت طلائع التخريب والنهب قد أخذت تمتد إلى
الضواحي . . وهى لا تجد ما يوقفها . . بعد أن انكسرت
أمامها قوات البوليس العاجزة أو المتعاجزة . . وبلغت
ثورة الحقد والضغينة التى تغلى بها نفوس الدهماء أقصى حدتها
وهم يقفون حائلا بين رجال المطافىء والدور المحترقة
ويمنعونهم من مد يد العون إلى الأنفس الملهوفة التى
أحاطتها النيران وتناولت إليها السنة اللهب .

ولم يكن من العسير على القوات المسلحة أن تسيطر على
زمام الأمن ، فقد كان مجرد خروجها من ثكناتها واندفاعها
في الطرقات بدباباتها الهادرة ووجوهها المتجهمة المغطاة
بالخوذ وأسلحتها المصوبة كافياً لأن تحسم موجة التدمير
والهياج وأن تدفع فيران الدهماء إلى جحورها .

وعبر د على ، ميدان المحطة وهو يبصر السنة اللهب
الأحمر تتعالى صوب السماء . . وقد أخذت الجموع تتفرق في
الميدان مذعورة ، وبدت هنا وهناك عربات محطمة محترقة .
وانحدرت العربات المدرعة في شارع ابراهيم . . وبدا
فندق شبرد كتلة من اللهب والدخان ، يتعالى منها خليط من

الفرقة وأصوات الاستغاثة والولولة .

واجتاز « على » شارع فؤاد مخترقاً إحدى كتل الدهماء
التي أوسعت الطريق للعربات مصفقة هاتفة للجيش .

وتملك « على » دهشة من التصفيق والهتاف . . وتذكر
مالقيه من إهانة منذ بضع ساعات وهو في طريقه إلى القصر
وأحس أن القوة وحدها . . هي أشد الوسائل إقناعاً وأبعثها
على التقدير والإعجاب .

وتلفت حوله مروعاً مما أصاب المتاجر من تخريب
وتدمير وما أوسعه فيها الدهماء من نهب وسلب وحرق . .
وأحس أن كل ما حدث لا بد وأن يسكون له بواعث في
نفوس الدهماء أعمق من مجرد ثورة مفاجئة . . أو اندفاع
طارىء .

ومرة أخرى . . وجد « على » ذهنه يذكر تلك الهوة
السحيقة البشعة الكائنة في هذا البلد بين طبقتين . . أقلية
متخومة تعلى القمة . . وأغلبية محرومة تتمرغ في السفح . .
إن هذه الهوة غير معقولة . . وبقاء الأمور في هذا البلد
بهذا الوضع . . شيء غير طبيعي ، واستمرار الهوة يكاد يكون
أمراً مستحيلاً . . إلا بجهد دائم وضغط مستمر . . يسند
الأقلية ليبقيها فوق القمة ويمنعها من الانحدار أو يضغط

الأغلبية ليبقيها في السفح ويمنعها من الصعود .
إن بقاء هذه الهوة .. ورضاء الأغلبية القابضة في السفح
بوضعها .. أمر مفروض بالقوة .. فإذا وهنت هذه
القوة .. وأحست الأغلبية بشغرة ضعف .. اندفعت في
سخطها ومرارتها لتقضم ما تستطيع اقتضاه من الأقلية
المستوية على القمة .

وأحس « علي » أنه كفرد في الجيش يمثل أحد مركبات
تلك القوة .. التي تفرض على الأغلبية الرضاء بالإكراه والتي
تسخر للمحافظة على استمرار الهوة السحيقة البشعة .. بين
أقلية في القمة وأغلبية في السفح .

ولم يجادل « علي » نفسه .. في أن واجبه أن يحافظ على
كيان هذا البلد .. وأن يمنح أهلها الأمن والسكينة والطمأنينة .
ولكنه سأل نفسه : ألا يمكن أن تمنح هذه السكينة والأمن ..
بطريقة أجدى وأعمق من هذه الطريقة المهددة الباطشة ؟ !
ألا يمكن أن يكون الجيش أداة لبتز العلة بدلا من أن
يكون وسيلة لفرضها والرضاء بها والصبر عليها ؟ ! ألا يمكن
أن تتحول قوته من المحافظة على الهوة .. إلى تهنيئها ..
أو إزالتها ؟

وتذكر سليمان .. وإيمانه بالجيش كقوة إيجابية فعالة

فى إصلاح الأوضاع الخاطئة .. واقتناعه بضرورة أن تؤدى
أقوى عناصر الأمة عملاً إيجابياً فعالاً لصالح هذه الأمة ..
وأحسن لأول مرة .. أنه يشارك سليمان بعض تفكيره ..
ويؤيد بعض مبادئه .

وانتهى « على » من جولاته بين أطلال المدينة الخربة ..
التي بدت بعد أن تفرقت منها الدهماء ونحلت طرقاتها لإلا من
داوريات الجنود .. بنحو ذاتهم وبنادقهم كأن جيشاً من
المهول والتتار قد أغار عليها .. وفتك بكل ما فيها .. ثم رحل
عنها بعد أن أحرق أخضرها وذرى يابسها .

وعاد قبيل الثامنة إلى مقر الرئاسة فى حديقة الأزبكية ..
ولم يكدهم يط من عربته حتى أقبل عليه أحد الضباط وأنبأه
أن إبراهيم تليفونجى السوارى قد تحدث من القشلاق قائلاً :
أن إحدى السيدات قد طلبته بالحاح فلما أخبرها أنه لا يعرف
مقره سأله إذا ما لقيه أن يطلب منه الاتصال بهذا الرقم فى
أقرب وقت .

وأمسك « على » بالورقة التى بهارقم التليفون .. ولم يشك
فى أن كريمة هى التى طلبته .. بعد أن اتصلت بها « بثينة »
وأنبأتها بمحادثته .. واسكنه لم يكدهم يقرأ الرقم المكتوب
حتى بدت عليه الدهشة .

وأُسرع إلى كشك التليفون وقد ملأته الوسوس .. ولم
يكذ يدير الرقم ، وقبل أن يسأل عن المتحدث ، أجابه
صوت في لهجة سريعة :

— مستشفي الجمعية الخيرية .

وأحس برجفة تسرى في بدنه ، وتردد برهة حتى
يلتقط أنفاسه اللاهثة . ثم قال وهو يتمالك :

— من فضلك إعطني الحجرة رقم ١٢ .

— معاك يا فندم .

وبعد لحظة سمع صوت « بثينة » تجيب :

— آلو ..

— أنا « علي » يا بثينة .. ماذا حدث ١٩

وأجابته « بثينة » في صوت يخنقه البكاء :

— إن كريمة هنا .. وهي تريدك .

وأحس « علي » بدوار في رأسه وغيام على عينيه وتساءل

في جزع :

— ماذا بها ١٩

— لقد احترقت .

ولم تستطع « بثينة » أن تتم حديثها فقد خنقها البكاء ..

وما لبثت حتى تماثلت وأردفت قائلة :

— أرجوك . . تعال بسرعة . . إنها لا تكاد تفيق حتى
تطلبك .

ووضع « على » الساعة واندفع في غير وعى إلى إحدى
العربات اليك آب وهتف بالضابط الذي سلمه الورقة قائلاً:
— قل للقائد إذا سأل على « أنى سأعود بعد ساعة .

— وإذا سأل إلى أين ذهبت ؟

— مسألة خاصة .

— ألا أقول له غير ذلك ؟

— قل له إن إحدى قريباتي قد أصيبت وأنى ذهبت
لأراها في مستشفى الجمعية .

واندفعت العربية تخترق الشوارع المظلمة الخالية . .
تعرضها بين آوثة وأخرى صيحات الجنود وهم يعترضونها
ببنادقهم « قف . . من أنت ؟ » فلا يكادون يميزون فيها ضابطاً
حتى يفسحوا لها الطريق .

ووصل « على » المستشفى وهو يحس بعجز تام عن
التفكير . . واندفع يصعد الدرجات حتى وقف أمام الحجرة
رقم (١٢) ثم تردد برهة يلتقط أنفاسه ، ودفع الباب في بطم .
وانفرجت فتحة الباب رويداً رويداً . . لتبدو له
« كرمة » مسجاة على فراشها وقد غطت الأربطة البيضاء وجهها

وجسدها ولم يبد منها غير جفون مسجلة وفم مطبق .
وأقبلت « بثينة » على أطراف أصابعها وهي تنشج بالبكاء
وتسأل « علي » في لهفة :

— ماذا حدث ؟

— لقد غادرتني بعد الغداء لكي تلقاك في السينما .
ولم أعرف ماذا حدث . . حتى دق لي التليفون زكي محمود
المصور بعد أن حادثنى أنت وأنبأني أنها كانت في حجرة
مدير السينما عندما هاجم المتظاهرون السينما وأحرقوها ،
وأن الاسعاف قد حملتها إلى القصر العيني فأسرعت إليها
وأحضرتها إلى هنا .

ونظر « علي » إلى الجسد المسجى مشدوهاً جزعاً
وتسأل هامساً :

— وكيف حالها ؟

— كما ترى . . لقد احترق كل جسدها . . وبذل
الدكتور سليمان أقصى ما يستطيع . . ربنا ينجيها .

وارتجف جفنا « كريمة » . . وانفرجا في بطء وتثاقل ،
ومضت برهة وعيناها تحملقان بلاوعي . . واقترب « علي »
منها في سكون . . ووقف ينظر في عينيها الخابيتين . . وأحس
بحزن يثقل عليه ويرسب في أعماقه . . وهمس بها في رفق :

— كريمة ،

وكأنما بعث النداء فيها الحياة .. وردّ الروح .. فاهتز
جفناها وتحركت مقلتاها في محجريهما .. وبدت فيهما النظرة
الراجية المتوسلة التي طالما تطلعت بها إليه وانفرجت
شففتها هامسة :

— على ..

ثم صمتت لحظة وأردفت في لهجتها الخفيفة المهيضة :
— خشيت ألا تحضر .. وألا أراك قبل أن أذهب .
— لا تقولى هذا .. إنك بخير .

— أنا لست بخير .. وأنا أستحق كل ما حدث .. كان
يجب أن أكتفى .. بما وهبتنى من نفسك .. وأن أحمد الله
على رفقتك .. ولسكنى كنت طماعة .. فأردت أن أستولى
عليك بأكملك .. وتقت إلى ما ليس لى فيه حق .. إلى أن
أكون زوجتك .. وظللت بك حتى دفعتك إلى ما أتوق .
— أنت لم تدفعينى إلى شيء .. لقد عرضت أنا عليك
الزواج .

— بل أنا التي دفعتك إليه .. بلهفتى عليه .. ورغبتى
فيه .. إنك لم تسألنى الزواج إلا لترضى لهفتى وترد جميلي ..
وأنت مخلوق مرهف رقيق .. تكره أن تخيب أمل إنسان

أو تردد رجاءه .. لقد أذنبت في حقك .

— إنك لم تذنب أبداً .. ثم ليس هذا وقت إثارة نفسك بهذه الأحاديث .. يجب أن تهدئي وتستريحى .

— بل يجب أن أتكلم .. إن راحتي في الكلام .. لقد أذنبت في حقك كثيراً .. وكل عذري في ذنبي أنني أحببتك .. أحببتك بحنون .. منذ أن لقيتك أول مرة وأنت طالب في المدرسة .. ولكن الحب ليس عذراً لكي نذنب في حق من أحببنا .. إن حبنا شيء لا يبرر خطأيانا في سبيل الحصول عليه .. وليس من حقنا أن نصرفه على الحصول على الشيء مجرد أننا أحببناه .. كان يجب أن أحتمل الحرمان .. كما احتملته أنت من قبل .. لقد أحبت أنت .. ولكنك روضت نفسك على الحرمان .. وسلمت به .. أما أنا فقد أصررت على أخذك .. وعاونتني الظروف على ذلك .. فقدفت إلى الرسالة التي كنت تضع أملك فيها .. فأحرقتها . — الرسالة .. أية رسالة ؟

— رسالتها إليك .. التي منحتك بها مزيداً من أمل .. لقد أحرقتها .. فقطعت خيط رجائك .. وبددت أملك .. وألقيت بنفسك إلى تلمس العزاء .. فصصمت على الاحتفاظ بك .. ويبدو لي أن الله قد أرسل إلى جزاء من جنس العمل ..

لقد حرمني منك كما حرمتك منها ، وأحرقني كما أحرقت الرسالة .
— أنت أحرقت الرسالة ؟ كيف أحرقتها ؟ .

— لم أحرقها عن قصد .. وإنما تركتها تحترق .. كنت
أستطيع إنقاذها .. ولكن شيطان حبك المستقر في باطنى
شل يدي .. فلم تمتد إليها حتى أتت عليهما النيران .. لقد
كرهت أن تصل إليك كلماتها الملتهبة .. فجعلت لحيها رماداً .
— ولكن كيف وصلت إليك ؟ ! لقد قال لى حسين
إنها لم ترد .

— بل لقد ردّت بأحر وأخلص ما يرد إنسان . ردّت
عليك بما ألهب الغيرة في جوانحي .. وأطار قلبي شعاعاً ..
لقد وجدت الرسالة في جيب أخيك وأنا أخرج علبة سجائره ..
كان يقضى الليلة عندي ، وفي نيته أن يذهب إليك ليسلمك
الرسالة في الصباح .. وكنا مخمورين .. وفهضت الرسالة ..
وأنا لا أعلم ما بها .. ولم أكد أنتهى من قراءتها حتى ملأتني
المرارة واليأس وألقيت الرسالة جانباً .. وبعد لحظة رأيت
نيران السجارة ترعى في ثناياها ووجدت سطورها تنقرض
وكلماتها تتآكل .. ولم أحاول أن أمد يدي لإنقاذها .. فقد
أحسست من لحيها راحة كبرى .. وكأن النار التي صيرتها
رماداً .. قد صهرت أغلالاً ثقيلة تشدني إلى هوة اليأس ..

وبدا لي وقتذاك أنني قد قطعت الحيط الذي يجذبك بعيداً
عني .. ولم يكذب ظني .. ولم يطل انتظاري .. فقد عدت
إلى ذات ليلة وأنت مغرق في اليأس .. وأحسست وأنا
أضملك بين ذراعي أن روحي قد ردت .. وعزمت على أن
أحرص عليها فلا أدعها تفلك مني أبداً .. كانت رغبتى فيك
وحي لك أقوى من كل شيء ، أقوى من إحساسى بالذنب ..
وكنيت على استعداد لأضحى بكل ما أملك في سبيل الاحتفاظ
بك .. وكان يخيل إلى أنى أستطيع أن أهيم لك من السعادة
ما يعوضك عن السعادة المفقدة .. وأن أشدك إلى وأبدد
يأسك .. ولكنى كنت لا أكاد أجذبك إلى حتى أجده قد
ازددت نأياً وتباعداً .. وأنى لأحس الآن .. رغم الليالى
الطويلة التى قضيتها بين ذراعى .. أنى لم أملكك أبداً ..
وأحس أن نعمة الحرمان خير من شقاء الامتلاك الكاذب ..
لقد كنت أنانية .. حينما تركت الرسالة تحترق .. وكنيت أكثر
أنانية حينما دفعتك إلى أن تطلب زواجى .. وأحس بأنى تلقيت
جزائى .. وأشعر من هذا الجزاء .. براحة التكفير .. وكل
ما أرجوه منك هو أن تمنحني غفرانك .. وألا تشيعنى وأنا
أفارقك بشعور السخط .. وأن تعتذر لى عن كل ما فعلت ..
بشيء واحد هو أنى أحبك .. ولست أشك في أن الحب هو

أخف أسباب الذنب . . وأكثرها تبريراً لطلب الغفران .
وصمت « كريمة » . . وكانت تلقى حديثها بنبرات
متقطعة متهدجة وصوت منك مجهد . . وقد تعلقت عينها
بعلى في نظراتها الراجية المتوسلة المستغفرة .

وكان « على » يلتقط كلماتها مأخوذاً مشدوهاً . . وقد
تلاطمت أمواج الأحاسيس في نفسه حتى بدا كأنه يتخبط
وسط أعاصير عاصفة لا يكاد يتبين منها مشاعره ولا يدرك
أفكاره .

لقد ارتجفت الموءودة رجفة الحياة . . ونفضت عنها
تلول الثرى وأكوام الانقراض والأطلال . . ودنا الطيف
النائي المبعد المظلوم يعاتب في رفق ويشكو في حنان .
وأحس « على » بالمرارة تفيض في نفسه وهو يبصر الفراغ
الطويل العريض الذي خلفته فيه السنون الطويلة من الهجر
والفراق والقطيعة .

وبدأ له كأنما يسير وحده في صحراء مقفرة قد ضل
طريقه فيها وأمعن في الضلال حتى لم يعد له إلى النجاة سبيل
وتلفت حوله فلم يجد سوى الجسد المسجى أمامه وقد رقد
يطلب الغوث في تلك الفلاة الموحشة .

ونظر إلى العينين المتوسلتين الراجيتين . . ولم يحس لهما
شيئاً من البغضاء أو الضغينة . . بل أحس لهما كثيراً من حنان

و شفقة . . لقد صدقت صاحبتهما . . إن الحب هو أخف
أسباب الذنب وأدعاهما إلى الغفران . . إذا كانت قد أذنبت
لأنها أحبه . . فذنبه هو أشد لأنه لم يحبها . . لأن الذي
يحب خير من الذي لا يحب .

ومهما حدث من أمر . . فهي إذا كانت قد أذنبت فإنها
تعترف بذنبها . . وتطلب قطرات عفو ومغفرة . . أيخل
بها عليها . . وهي مشرفة على الهلاك ؟

أشيحها باليغضاء . . بعد أن أضاعت عمرها في حبه ؟
واقترب منها حتى لاصق فراشها وأعيتة الألفاظ . . ولم
يعرف كيف يسوق إليها مغفرته وعفوه . . ولبت برهة مغرقة
في الصمت وهي تتطلع إليه بعينها الراجيتين المستغفرتين .
وفي بطنها انحنى عليها حتى لامست شفاتها شفتيه وهمس
قائلا :

— ثقي أنى لا أحمل لك في قلبي سوى أطيب المشاعر
وأجمل الذكريات .

ورفع عنها وجهه وأبصر بدمعتين صافيتين تنسابان على
الأربطة البيضاء وكأنها تعبر عن أصدق آيات الشكر .
ووقف بجوار الفراش وقال :

— تشددى . . وكونى قوية كما عهدتك دائماً . . إني
مضطر إلى العودة إلى مقر الرئاسة في الأزبكية . . وسأعود

إليك في الصباح المبكر . . إن البلد قد أضحت خرائب
وأطلالا . . وكان يجب ألا تغامري بالخروج وسط هذه
الثورة العاصفة .

وكانت « بثينة » قد عادت بعد أن تركتهما برهة فقالت
معلقة على قوله :

— لقد نصحتنا بألا تنزل إلى البلد فقد كانت لدينا أنباء
عن المظاهرات . . ولكنهما أصرت على ألا تخلف الموعد
وآلا تدعك تنتظر .

وأجاب على :

— هذه مشيئة الله . . فليرعها الله ويكملها بعنايته .

— ستشفى بإذن الله . . إن الله لن ينساها . . فهي لم تؤذ
في حياتها أحداً . . ولم تفعل إلا كل خير .
ونظر « على » إلى كريمة وقال في رفق :

— تصبحين على خير يا كريمة . . شدي حيلك . .
سينتهي كل شيء . . سليمة بإذن الله .

وكررت « بثينة » قوله وهي ترفع يدها إلى السماء :

— سليمة يارب . . ارحمها يارب .

وغادر « على » الحجرة ، وكريمة ترمقه بنظراتها الصامتة
التي بدت أكثر رضا وسكينة .

وهبط « على » من المستشفى ، وسارت به العربية تخرق
الشوارع الصامتة لإلّا من صيحات الجنود .. وقرقة النيران
المتصاعدة من الأبنية المحترقة .. وكأنها أفران محمية يتأجج
باطنها .. وكانت ألسنة اللهب مازالت تتطاير ورائحة الحريق
الخانقة تملأ الجو .

وأحس « على » بالأسى يملأ جوانحه .. وبميل شديد
إلى البكاء .. وبدأت له حياته قطعة من الأطلال المحترقة ..
سوداء قائمة .. مازال يباطنها وهج يستعر ليأتى على البقية
الباقية منها .. وبدأ يستعيد ما قالته « كريمة » عن رسالة « أنجي »
المحترقة .. فزاد به الأسى وتضاعفت الوجيعه .

لشد ما أنكرها وظلمها .. في تفكيره .. وأبعد عن
ذهنه طيفها .. كان يقاوم ذكرها .. كما يقاوم الداء الفتاك .
والآن .. وبعد هذه السنين الطوال من البعد والقطيعة
يخس ببارقة أمل تلوح في الصحراء المجدبة والظلمات
الحالكة .. ولكن ما الفائدة ؟ ما فائدة هذا التفكير ؟ !
لقد أعانه الزمن على السلوان .. فلماذا يحاول أن ينكأ
الجرح ويديم القرح ؟

وأخيراً وصل إلى مقر الرئاسة .. وآوى إلى مضجعه
في إحدى الخيام .. وأغمض عينيه والصور تتزاحم متكاثرة

فى مخيلته . . صورة « أنجى » تهتف به عاتبة . . وصورة
« كريمة » مسجاة فى أربطتها البيضاء ترنو راجية مستغفرة . .
وتختلط الصورتان بصور الجموع الثائرة والدور المحترقة
والأصوات المستغيثة .

وقبيل الفجر أغفى برهة . . ثم استيقظ فجأة على صوت
ينادى على باب الخيمة :

— حضرة الصاغ . . حضرة الصاغ .

وهب من نومه متسائلاً فى لطفة :

— من ؟

— أنا محمود عامل التحويلة .

— ماذا هناك يا محمود ؟

— التليفون عايز حضرتك .

— من . . . ؟

— سيدة أخت فى أن أوقظك .

وأحس « على » بيد قاسية تعصر شيئاً فى باطنه

وأصابه ما يشبه الغثيان . . لقد خشى المكالمة . . بما وراها

وأسرع يرتدى البنطلون والكبود . . ووصل إلى

التليفون ورفع السماعة فأجابه صوت « بثينة » مختنقاً بالبكاء :

— كريمة . . خلاص . . يا على .

ولاء الخسوام



انتهى حريق القاهرة بعدة انتقالات . . بدأت
بانتقال الكفاح من القنال إلى القاهرة . . ثم

انتقال بضائع المتاجر من قلب القاهرة إلى بيوت الدهماء في
بولاق والقلي وما جاورهما عقب غارة النهب الكبرى التي
صاحبت الحريق . . وأعقب ذلك انتقال الجيش المصرى
بدباباته وأسلحته وأسلأكه الشائكة من ثكناته بالمناطة
وكوبرى القبة إلى عرض شوارع القاهرة . . ثم انتقال
القاهرة نفسها من عاصمة متمدنة إلى أطلال منقضة
وخرائب محترقة . . وأخيراً انتقال الوفد المصرى . . من
مقاعد الحكم إلى أفاريز الطرقات .

ولم ينس الوفد قبل أن يتناول الركلة التى أطاحت به من
مقاعد الحكم . . أن يقدم يده كمخلب قط ليلتقط هراوة
الأحكام العرفية ويقدمها لقمة سائغة لخلفائه فى الحكم .

لقد شمر الوفد عن ساعده ورفع يده بالهراوة . .
لا ليهوى بها على خصومه . . ولكن ليسلها لهم . . لى
يهووا بها على رأسه .

وناول القصر هراوة الأحكام العرفية لعل ماهر . .
ومعها المسببات البليغة التى برر بها الوفد إعلانها . . ولكن

على ماهر .. وضع الهراوة تحت إبطه ومرسوم حل مجلس النواب الوفدى فى جيبه .. وذهب يربت فى مياعة على ظهر هذا .. وكشف ذاك .. معلناً ببلاهة وسط البرلمان الوفدى — لىكى يكتسب ثقته — إنه سيسير على سياسة سلفه العظيم .

ولم يوضح على ماهر للناس أى نوع من أنواع سياسة سلفه العظيم سيتخذ .. أهى السياسة الاقتصادية فى السلب والنهب ومضاربات القطن ؟ أم السياسة الإدارية فى الفساد والرشوة والمحسوبية والاستثناءات ؟ أم السياسة الخارجية فى الارتجال والتهرىج والحيرة والعجز والتضليل والتويع ؟

ولا وضح .. لنفسه .. إذا كان سيتبع سياسة سلفه العظيم .. فلماذا .. لم يبق سلفه العظيم .. لىكى يسيرها بنفسه .. والأقربون أولى بالمعروف ؟

لم يوضح شيئاً من هذا .. ولكن الذى وضح له بعد ذاك .. هو أنه اتبع سياسة سلفه العظيم .. فى تناول الركلة التى ألقى به خارج الحكم .. بنفس العظمة التى تناولها بها السلف العظيم .

ولم تكن سياسة القصر فى حل الأزمات واتقاء السخط

قد تغيرت عما كانت منذ عشرات السنين . . وهي سياسة
الفداء التي بدأها أول مرة بإلقاء « إبراهيم عطا الله » في فم
الجيش فداء له عندما أحس ببداية سحق الضباط . . ثم بإلقاء
« إبراهيم عبد الهادي » في فم الشعب عند ما أحس بسحق
الشعب ولا سيما جماعة الإخوان .

وفي هذه المرة . . لم يجد القصر فداء له خيراً من الوفد
يتقى به سحق الجميع . . ولم يكن هناك شك في أن الوفد
قد تسبب في خلق حالة بشعة من فساد الحكم والرشوة
والانحلال . . وأن تطهير الأداة الحاكمة قد بات أولى
ورغبات الشعب وشغله الشاغل .

وهكذا دفع القصر الوفد عنه وألقاه في فم التطهير طالباً
القصاص في غضبة الطاهر المتعفف الذي لم يشارك في فساد
ولا عاون على إثم .

وشمر « الهلالي » عن ساعده وبدأ ينفذ بإخلاص عملية
التطهير . . راسماً علامة استفهام كبيرة في وجه التاريخ . .
تاركاً نفسه في أسطوره كسؤال بلا جواب .

أكان « الهلالي » حقاً يعتقد أنه يستطيع أن يقوم بعملية
التطهير هذه وهو يستمد سلطانه من أس الفساد ومنبع الشر ؟
أكان يعتقد أنه يمكنه حقاً تطهير الحكم . . مع استمرار

سيطرة الملك وحاشيته بكل ما فيه من انحطاط وفساد ؟
أكان يصدق نفسه . . وهو يعدد إلى جانب مساوي
الوفد . . مناقب الملك ؟

أكان يخدع الشعب . . أم يخدع الملك . . أم يخدع نفسه ؟
أكان ماكر أكبر . . أم أحق أكبر ؟

أكان يرى أن بعض التطهير أجدي من عدمه وأن بعض
الفساد خير من كله . . وأنه يمكن أن يصد مفسد القصر
بالاين والمكر . . أم أن تأثير الملك عليه . . وخضوعه
لسلطانه قد جعله . . يستمرى الفساد الماسكى . . ويراه فوق
مستوى التطهير ؟

أيا كان الذي يراه . . لقد بدا في حكمه وكأنه يتعلق في
الفساد بيد ويضربه باليد الأخرى . . أو كقاطع غصن
يجلس على طرفه كلما زادت ضرباته كلما تزعزع موقعه . .
حتى يقطعه فيموى معه .

وهكذا هوى الهلالى . . بعد بضعة أشهر . . وبعد أن
ضائق به الحاشية . . وضائق به الفساد . . وكان سقوطه
مفاجأة له . . وإن لم يكن مفاجأة للمنطق . . فليس من
المعقول أن يتشبث الفساد بمن يعن في محاربتة . . ولا أن

يظل الجالس على طرف الغصن معلقاً في الهواء وهو يمعن
في ضرب الغصن .

وقيل إن الملك وحاشيته قد ارتشوا بمليون من الجنهات
من أحد رجال الأعمال في سبيل إسقاطه .. وإحلال أحد
موظفي رجل الأعمال محله .

وتولى حسين سرى الوزارة بواسطة رجال الحاشية ..
وضم أحدهم في وزارته . . ليتقى تدخلهم فيما بعد ، وكأنه
يقول : « وداوني بالتى كانت هى الداء » .

وهزل الحكام وضاعت هيبة الحكم .. وبدأت مصائر
الشعب والحكومات كأنها دمية يلهو بها الملك ، في فترات
اليقظة القصيرة التى يحس بها بين ساعات نومه وساعات
جلوسه إلى مائدة القمار .

وكان الاستبداد الملكى محتملاً عند ما كان الملك يستبد
بالأمة وأمورها وهو فى وعيه بواسطة وزراء مسئولين
وموظفين رسميين .. أما أن تهون البلد .. ويهون الشعب ..
ويهون الوزراء والموظفون إلى هذا الحد الذى يستبد الملك
بهم أجمعين وهو مغرق فى ملذاته وشهواته بواسطة قلة
لا تزيد فى مجموعتها على خادم فراش أو سمير مائدة قمار أو

زوج عشيقة أو قواد أو سائق عربة أو كهربائي أو ما أشبه
هذا .. فذلك ما لم يستطع احتمال له .. وما جعل أمور
البلد تنحط إلى أسفل مهاوى الفساد والسوء وما عجل بانتهيار
كل مثل أعلى أو عمل طيب .

ولم ينج الجيش رغم سيطرة الملك على رؤوسه وطائفتها
له من أن يدس فيه بأصابعه غير المستولة .. واستطاع أحد
هذه الأصابع وهو حسين سري عامر، أن يحوز على أكبر
قسط من بغض الضباط وكرهيتهم .. وبدأ الملك كأنما
يعشق البغضاء ويبعث عن الكراهية .. فزاد من تقريبه ..
وتحدى الضباط به .

وزاد التحدى من تسكتل الضباط .. وبدأت أول
مظاهر التحدى في انتخابات مجلس إدارة نادي الضباط
عند ما جمع الضباط الأحرار نفوذهم وأسقطوا مرشحي
القصر وأنجحوا مرشحيهم ورفضوا بالإجماع أن يكون
للحدود الذي يرأسه حسين سري عامر مندوب في مجلس
الإدارة .

ولم يكن لمجلس إدارة النادي في حد ذاته أهمية ، ولكن
أهميته وقتذاك كانت تنحصر في كونها أولى المعارك
المكشوفة بين الضباط الأحرار والقصر ، وبدأ منها لأول

مرة في تاريخ الجيش عجز القصر عن فرض إرادته على الضباط .

واستشاط الملك غضباً وأمر باستقالة أعضاء المجلس المنتخبين بواسطة الضباط فرفضوا ، وزادت ثورته وأمر بغلق النادى .

وكان «على» خلال هذه الفترة .. يرقب الأحداث العامة في سكون وانطواء واستسلام عاجز يائس .. يحاول جهده أن يجعل نفسه بمعزل عنها .

كان يشعر في أعماقه بمرارة خلفتها حادثة موت «كريمة» .. وكان لا يستطيع أن يمحو من ذهنه صورتها وهى مسجاة على فراشها وقد أخففتها الأربطة البيضاء عدا عين تدمع وشفة ترتجف .

كان لا يستطيع أن يمحو من أذنيه .. صوتها الخافت المتهدج وهى تقر بذنبها وتطلب مغفرته .

لقد كان واثقاً أنه لم يحبها في يوم ما .. وأن كل ما أحسه لها لم يزد عن رغبة أو شفقة .

وكان واثقاً أيضاً .. أنها أذنبت في حقه .. وأنها بددت هبة الأمل الحلو التى كان يتعطش إليها .. وقطعت خيط الرجاء الذى كان يعلق به روحه .. وألقت به في هوة سحيقة

من اليأس الخانق . . ودفعت به إلى بيداء عريضة موحشة
لا يؤنس وحدته فيها سوى ذكريات الهجر والقطيعة .

كان واثقاً بعد أن شيعها من كل هذا . . ومع ذلك
لم يستشعر حقداً عليها ولا ضغينة . . بل أحس من موتها
بحزن ممض وأسى مرير . . وود لو استطاع أن يضمّد
جراحها وأن يمنحها قبل الرحيل مزيداً من العطف والرقّة
والغفران .

كان موقناً أن ذنبها — كما قالت — هو حبلها له ، وكان
يشعر أنها بذلت كل ما تستطيع لكي تؤنس وحدته وتزيل
وحشته . . وتملأ فراغه .

ولا يستطيع أن ينكر أنها نجحت إلى حد ما . . بدليل
ازدياد إحساسه بالوحشة والفراغ بعد رحيلها عنه .

أجل . . لقد زاد شعوره بالوحدة والفراغ زيادة
مروعة . . ولم يكن هناك شك في أن رحيل « كريمة » كان بعض
علته . . أما أصل العلة فهو عودة الحنين المطوى . . وتدفق
الشوق المكبوت إلى الحبيبة الموقودة والطيف الناق .

كان اعتراف كريمة بحرق الرسالة . . بمثابة شرر أشعل
هشيم المشاعر التي جففها طول الهجر . . وفرط اليأس . .

وأضاء الظلمة المعتمة التي لفته . . فبداله الفراغ الأجوف
البارد الذي يعيش فيه !

لقد هدم الاعتراف في لحظة . . سد القطيعة الذي شيده
في سنين .

كان يجلس الساعات الطوال في شرفة الدار أو في حديقة
الميس شارد الذهن يجتر في شروود ذكراها . . يدني طيفها . .
وينهت إلى همساتها .

ودفعه الحنين إلى أن يخرج آثارها وهداياها التي أمعن
في إخفائها كي يساعد نفسه على اليأس والنسيان . . وأعاد
إلى معصمه ساعتها التي كانت تذكره بها في كل دقة . . وفي
كل ثانية .

لم يعد يخشى ذكراها . . أو يخاف طيفها .
ولم يكن الشوق العائد ، والذكرى المتدفقة ، والحنين
الجارف . . مظهرًا من مظاهر الأمل . . أو بشيرًا من
بشائر الرجاء . . فقد كان يعرف . . أن السنين قد أضاعت
الأمل . . وأن طول القطيعة قد أطاحت بالرجاء . . ويعرف
أن شوقه لا يتعدى الشوق إلى ذكرى بائدة والحنين لا يعدو
أن يكون حنيناً إلى طيف أوهام وأضغاث أحلام .
ولسكنه لم يملك أن يكبح جماح نفسه المتعطشة للهوى . .

المحرومة حتى من الأوهام والأحلام .

لقد انتهى حبه كما بدأ . . حب يشيد قصوره على هام
السحب . . وتنسج خيوطه من الذهن والعين مغمضة . .
والروح هائمة . . والقلب مرهف خفاق .

كان يهيء اللقاء ويتخطى السدود ويحطم القيود كما سبق
أن حطمها في صباه . . عند ما كان يرقد في فراشه في بيتهم
المجاور لأسوار القصر . . ويشم عبقها . . في نسيم الليل المحمل
بزهر البرتقال .

كان يحدد العهد . . ويعيد الود . . ويردد العتاب
والمناجاة . . ويدبر الصلح . . وينظم الحياة المشتركة والمستقبل
المأمول .

فإذا ما صحا من أحلام يقظته وأفاق من غفوة أوهامه . .
أحس بالفراغ للعريض المظلم الذي كانت تملؤ كريمة بعض
عرضه . . والوحدة المضنية التي كانت تخفف بودها وحنانها
بعض وحشتها .

وكان «على» يسائل نفسه . . لو لم تحرق الرسالة . . كيف
كانت تصبح حياته . . أتضحى حقاً كما يرسمها في أوهامه . .
ويشيد قصورها في أحلام يقظته ؟ ! أم تراها إن تزيد عما
قال أخوه حسين عند ما عاتبه . . ذات مرة . . على إخفائه

أمر الرسالة وتستتره على حرق « كريمة » إياها .
لقد رفع حسين رأسه وتساءل في دهشة :
— من أنباك بأمرها ؟

— كريمة

— متى ؟

— ليلة وفاتها .

— لترى ضميرها ؟

وأطلق ضحكة قصيرة ساخرة ثم أردف قائلاً :
— حمارة كبيرة .. أظنها قالتها وهي مسجلة العينين مرتجفة
الصوت كأنها مذنبة تدلى باعتراقاتها أمام قسيس ليغفر
الله لها ؟

— بل لأغفر أنا لها .

— وغفرت بالطبع ؟ .. فأنت كعهدى بك غفور رحيم .

— أتسخر يا حسين !

— طبعاً أسخر .. ما هذا الذي غفرت له .. أغفرت

لها أكبر حسنة فعلتها في حياتها ؟

— حسنة ؟ !

— أجل .. حسنة غير مقصودة .. لقد منحتك الراحة

من أوهامك الكاذبة وأمانيك الحقاء .. ولو لم تحرق هي

الرسالة لمزقتها وأنا في طريق إليك . . كان يجب أن يقطع ما بينكما بطريقة ما . . فأنت تعرف ماذا أصابك عندما حاولت اللقاء الأخير . . لقد ندمت على إعطائها الرسالة . . وتمنيت ألا ترد . . وعند ما رددت هممت بتمزيق الرسالة لولا إحساسي بالضعف . . وبقية من أمل كاذب . . وقد أسرعت بالعودة إليك في نفس الليلة . . خشية أن يذهب عني الضعف فأمزقتها . . فلما أحرقتها كريمة أدركت أن الله يحبك — أهذا تبرير لإرضاء ضميرك ؟

— ضميري . . أيها الأبله . . أنت تعرف أن ضميري لا يغضب . . وإذا غضب فلا يهمني إرضاءه . . إنني لا أسمع له أبداً بأن يدس أنفه فيما أعمل . . حتى لا يفسد حياتي . . إنما أقول لك ما أحس أنه حق . . أنت تعرف أنك شرّدت بإيحاء من أيها . . وتعرف أنه لو استمرت العلاقات بينكما لتطور الأمر إلى أسوأ من هذا .

— إنني لم أكن أطمع في علاقة مادية . . كل ما كنت أرجوه . . وأقنع به . . هو إحساس كل منا بشعور الآخر . . هو استمرار الصلة الروحية .

— صلة روحية ١١٩ .

— أجل . . إنها الصلة التي لا تستطيع أن تقف في سبيلها
فوارق ولا تقاليد .

— يا أخى لا تكن أحق . . ولا تتحدث كالصبية
المراهقين . ليست المشكلة فى الفوارق والتقاليد . . بل
فى الطريقة التى تحاول بها تخطيها . . إن هذه الفوارق التى
أعجزتك إلا عن الصلة الروحية . . لم تمنعنى من أن أعقد عبرها
صلوات لا تمت إلى الروح بصلة . . ولم تحل بينى وبين الرقاد
مع الكثيرات من صاحبات السمو . . والاستمتاع بكل
ما فيه من تهتك وفجور لم أجده فى أكثر العاهرات حنكة
وتجربة . . ثم أين هى الفوارق والتقاليد . . إذا كانت صفة الملك
الحاكمة المسيطرة لم تعد تزيد على خادم أو سائق أو حلاق
إنك بمفردك تعادل الأسرة المالكة بحالها . . ولكنك مع
ذلك تأبى إلا أن ترقد وراء سدود التقاليد والفوارق
الموهومة . . تتطلع من ورائها إلى أميرتك الساحرة . . تطالع
ابن الجنائى من كوخه إلى أسوار القصر العالية . . إنك تفكر
بعقلية القرون الوسطى . . وكذلك هى . . إنها ما زالت
تنتظرك حبيسة فى أبراج القصر . . حتى تتخطى الأسوار
وتحملها فوق جوادك . . وتصرع أباهاً وأخاه . . اللذين
يقفان بنباها ليحرساها من ابن الجنائى . . أنت تقبع غريباً

فى وحدتك وأوهامك .. وهى تنطوى فى سجنها ..
وعزاتها .. بالازواج .. ولا ظهور فى مجتمع ولا حفلات ..
كأنها راهبة فى دير .. ولو تهتك هى وفجرت أنت لأضحي
كل منكما فى أحضان الآخر بين يوم وليلة .

— فجور وتهتك ومبيت فى الأحضان ؟ .. أهذا كل
ما تعرفه عن الحياة يا أخى .. ألا تستطيع أن تدرك أن بها
أشياء أعمق مما يمنحه هذا تسيطر على نفوسنا .. وتمنحنا من
المتع أكثر كثيراً من الفجور والتهتك والمبيت فى الأحضان .
— لا .. لا أعرف .. أو أعرف أن هذه الأشياء

العميقة التى تتحدث عنها ستنتهى بناحتنا إلى رقدة فى فراش . إلى
الفجور والتهتك والمبيت فى الأحضان .. إن هذا هو نهاية
كل إحساس بين رجل وامرأة مهما عمق .. اللهم إلا إذا
ظل إحساساً معلقاً لا يصل إلى نهاية .. كما يحدث فى قصص
العشق الكبرى التى تسمع عنها .. أو كما سيحدث فى قصتك
أنت .. وأميرتك الساحرة التى تنتظرك فى أبراج قصرها .
وأطرق د على ، برأسه وبدا واجماً شارداً .. ومضت
فترة صمت قطعها حسين بقوله وهو يهز رأسه فى عجب :

— كنت أظن أن د كريمة ، قد علمتك الواقعية ..
وأخرجتك من أبراج أوهامك .. ومحت آثار أنجى ..

ولكن يبدو لي أن آثارها كانت أعمق من أن تمحي ..
وأنها كما تقول راسبة في أعماقك .. مختلطة بدمك .. ويخيل
إليّ أنك ستقضى عمرك قابلاً وراء الأسوار تتمتع
بالحرمان .. حتى يهن العظم منك ومنها .

ثم صمت برهة وأردف ضاحكاً :

— أو تقفز إليها بجوادك .. وتنقذها من وراء القضبان
وتفر بها بين نبال أخيها وأبيها .

ولم يجب «على» .. وشرد ذهنه يتخيل الصورة الساخرة
التي رسمها له أخيه .. هو على جواده يقفز الأسوار وأمامه
« أنجي » وقد تطاير شعرها الذهبي .. ومن ورائه تتهاوى
النبال التي يطلقها الأمير وابنه .

ولم يشعر بسخرية من الصورة .. بل تمنى حدوثها ..
وكره ألا يمنحه زمنه فرصتها .. وأن يتركه — كما قال أخوه —
يقضى عمره قابلاً وراء الأسوار يتمتع بالحرمان .

واقترح «على» بأن حرق الرسالة أو وعضوها لم يكن ليغير
في الأمر الواقع شيئاً .. وأن الحرمان واقع واقع .. وأن
المشكلة — كما قال أخوه — ليست في الفوارق والسدود
ولكنها في طريقة تخطيطنا لها .. وأحس أنه يفضل أن يبقى

حيث هو يتمتع بالأوهام ويقبع وراء الأسوار . . من أن
يتخطاها بطريقة حسين .

وهكذا قنع «علي» بعزله وأحلامه . . وروّض نفسه
على الحرمان ، وكبت في نفسه كل شوق إلى رؤيتها ، وقتل
كل محاولة للقاءها . . حتى دفع بها القدر إليه على غير انتظار .
كان اللقاء في نادي الجزيرة وقد صحب «علي» سليمان تلبية
لدعوة أحد زملائهما لتناول الشاي .

وكان «علي» يركب في عربة سليمان وقد سارت العربة في
الطريق المجاور للنيل وتجاوزت مبنى الزهيرة واندفعت في
طريقها ثم انحرفت يسرة في الطريق المتسع الذي يخترق
النادي . . وسمع «علي» صوت كلاكس يعلو وراءهما طالباً
صاحبه الإفراح لمروور عربته ، وحاولت العربة المرور
فكادت تصطدم بعربتهما ، وأصر سليمان على ألا يفسح
الطريق واستمر سائقاً عربته حتى وصل إلى مكان الوقوف
والعربة الأخرى تلاحقه وتقف بجواره في عنف ، ونظر
صاحبها إليه وصاح في حنق :

— تعلموا السواقة قبل أن تسوقوا .

والتفت «علي» إلى صاحب الصوت فإذا به «علاء» وإذا
بجواره سهيلة وقد بدت على شيء من السمنة عقب زواجهما .

وصاح سليمان في غيظ وقد ميز علام :
— تعلم أنت السواقة .

وأجاب علام في لهجته الوقحة :

— إني أعرف السواقة قبل أن يلبسوك هذه البدلة ..
ليس الخطأ خطأكم إنه خطأ الذي عملكم ضباطاً وأعطاكم
عربات .

وهبط سليمان من عربته في حنق لتأديبه .. وهبط «على»
لم يمنع المعركة .. ولم يكذب يتقدم تجاه العربية حتى أبصره أنجى،
في المقعد الخلفي .. وقد بدا عليها الضيق بما فعله علام .

وتسمر «على» برهة في مكانه وكأن قوة القاهرة تمنعه من
الحركة .. وبداله أن يندفع إليها ليضمها بين ذراعيه
ويتحسس شعرها الذهبي المعقود على قمة رأسها ويتلصص
أنفها الدقيق وشففتها الفاغرتين في دهشة .

ولكن صيحة علام الساخرة أعادته إلى وعيه .. فقد
صاح به علام عندما أبصره يهبط من العربية :
— أهو أنت .. أما زلت ضابطاً؟

وتوقف سليمان عن الاندفاع عند ما أبصر «أنجى» ..
وأبصر «على» ينظر إليها مشدوهاً .
وأجاب «على» في هدوء :

— أجل . . مازلت ضابطاً .

— أما زلتم تحرسون الكبارى والمحلات التجارية . .
وتسيرون فى الموالد والزفف ! ! لماذا لا تحاربون بدل
التسكع فى الطرقات ؟ ! إن المفروض فى جيوش الأمم أن
تحرص حدودها . . لا أن تزاخم أهلها فى شوارعهم . . اذهبوا
وحاربوا الأعداء . . أمامكم اليهود والإنجليز . . اعملوا عملاً
مفيداً .

وأحس « على » بالدماء تتصاعد إلى وجهه ، وبداله أن
مهركة توشك أن تحدث . . وتخيل حرج « أنجى » وضيقها . .
ولم يجد بداً من أن يكبت غضبه . . ويكبح جماح ثورته .
وضحك سليمان ضحكة قصيرة مريرة وسحب « على » من
ذراعه وهو يقول فى سخرية :

— أعداؤنا كثيرون . . غير الإنجليز واليهود . .
وسنحاربهم جميعاً إن شاء الله . . ونعمل للبلد عملاً مفيداً .
وهبطت « أنجى » ، وقد تعلق بصرها بعلى ثم سارت هى
وأخوها وسهيلة إلى مبنى النادى وصعدوا بضعة الدرجات
المؤدية إلى الشرفة القائمة على مدخله . . واتجهوا إلى التراس
القائم أمام حمام السباحة وجلسوا على منضدة قريبة من
الحوض .

ووقف سليمان يتلفت حوله باحثاً عن صديقه اليوزباشى
خيرى صاحب الدعوة . . فوجده يجلس على منضدة نائية
فى أحد الأركان فاتجه إليه يتبعه « على » .

وجلس « على » وهو يحس بفورة فى رأسه . . وقد تملكه
خليط من مشاعر الحنين والشوق التى أثارها « أنجى » . .
ومشاعر الغضب التى أثارها علام بسخريته وإهانته . .
وأحاسيس الحيرة التى أثارها جملة سليمان الساخرة وضحكته
المريرة .

وتنمى « على » فى قرارة نفسه . . لو صدق قول سليمان . .
وعمل الجيش فعلاً . . شيئاً مفيداً نافعاً . . فقد أحس أن
الجيش صار سخرية البلد التى تجلس على فوهة بركان من
الفساد والانحلال وتنتظر خلاصها على يديه وهو صامت
لا يفعل شيئاً . . وكان كل من يلقاه يسأله : إلى متى سيظل الجيش
ساكناً لا يتحرك . . والبلد تحتضر ؟ ! حتى آمن فى قرارة
نفسه . . بأن الجيش هو القوة الفعالة التى يجب أن تفعل
شيئاً . . والتى يجب أن تتحول من سيف يحمى الفساد إلى
سيف يبره . . ولكنه لم يكن يدرى كيف يمكن أن يحدث
هذا . . ولا كيف ينتقل السيف من يد الملك إلى عنقه .

لم يكن هو يدرى كيف يمكن أن يحدث هذا . . ولكنه

خيل إليه أن سليمان يعرف . . وإن لم يحاول أن يحدّثه عنه
منذ أن خذله وضاق به .

وأحضر الجرسون الشاي . وأخذ الثلاثة يتناولونه .
و « على » يسترق النظر إلى « أنجي » . . وقد بدا له جانب
وجهها وهي تنظر شاردة إلى مياه الحمام الزرقاء .
وحملته المياه الزرقاء . . إلى مياه المعمورة . . وتذكر
لطمة الموج .

وقبل أن يسترسل في شروده الممتع أقبل أحد أصدقاء
خيرى وحياتهم واتخذ مقعداً على مائدتهم وعرفهما به خيرى
على أنه « محمد عثمان » الصحفي .

وبدأ عثمان حديثه متسائلاً فى لهجة تم عن الخطورة :
— أعرّفتم أن حسين سرى استقال ؟

وبدت الدهشة على وجوههم وقال سليمان :

— غير معقول . . إنها قد أضحت مهزلة .

وتسائل على :

— ولماذا استقال ؟

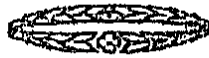
— لأنه طلب تعيين محمد نجيب وزيراً للحربية فرفض

المملك ، وأمر بتعيين حسين سرى عامر .

وصاح الثلاثة فى نفس واحد مذهولين :

— حسين سرى عامر . . وزيراً للحرية .
ومضت برهة صمت ، وهز «على» رأسه وقال فى أسف
وسخط :

— إن هذا منتهى الحق . . إنها إهانة موصوبة لشاعر
الضباط . . وتحد أباه لهم . . غير معقول أن يسكتوا على
هذا . . لا بد أن يفعلوا شيئاً !



فہرست



سليمان و «علي» نادي الجزيرة، وسارت بهما العربية
غادر متجهة إلى الشكنات حيث كان «علي» ضابطاً عظيماً
للطوارىء، واستغرق سليمان في شروء شديد، وتفكير
عميق .. وسادت بينهما فترة صمت لم يلبث سليمان أن قطعها
بجأة متسائلاً :

— ماذا دفعك إلى القول بأن الضباط لن يسكتوا على
ما حدث وأنهم لا بد أن يفعلوا شيئاً ؟
ودهش «علي» من سؤال سليمان المفاجئ، ومضت فترة
قبل أن يجيب في لهجة حائرة مترددة :

— لأنى . . . لأنى أحسست أن دمى يغلى فى عروقى ،
وأنا أسمع عن هذا التحدى السافر لنا . . . والامتخفاف
الصريح لمشاعرنا ، والاستهتار العاثر برغباتنا .
— عجباً !

— ما هو هذا العجب ؟
— أن يغلى دمك فى عروقتك لمثل هذه الأشياء . . لم
أتخيل أبداً أنك يمكن أن تشاركنا مشاعر الثورة وإحساسات
الغليان .

— ولماذا ؟

— لأنك تأبى دائماً الاشتراك فى المشاعر العامة . . .
أنسيت أنك كنت تقول دائماً . . . أنه يكفي أن تفعل
واجبك كضابط .. لى تقرر نفسك ، ويهدأ ضميرك ، وأنه
يجب على كل إنسان أن يعمل فى حدود واجبه . . . وأن
التشاغل بالسياسة العامة مظاهرات صيدانية ؟

— أجل .. لقد قلت هذا .. ولكن إذا كانت الأمور
قد اضطربت من حولنا ، واختلفت المقاييس ، واستشرى
الفساد ، ولم يعد هناك من يعرف حدود واجباته ، وأشرفنا
كلنا على الهلاك .. فأظن أن الخروج عن حدود الواجبات
لإنقاذ البلد ، لا يعتبر مظهرة صيدانية .
— أتقول هذا من قلبك ؟

— أقد عودتك الثروة والسفوسة ؟
— أليس مابك فورة غضب ؟
— وهبه كذلك . . . ماذا يحركنا فى حياتنا غير
الانفعالات ، والفورات .

— أفهم من ذلك أنك على استعداد لأن تشارك فى
فعل هذا الشيء الذى لابد أن يفعل .
وصمت ، على ، برهة ، ونظر إلى سليمان نظرة فاحصة
وتسائل فى شيء من العتاب :

— أتستدرجنى يا سليمان .. لماذا لا تصرح لى بما فى ذهنك مباشرة بدل هذا اللف ؟

— أجبنى أولا .. أنت على استعداد للاشتراك فى هذا الشئ الذى تحس أنه يجب عمله ؟
و أجب « على » ، لا تردد :

— طبعاً على استعداد .. ما دمت أفهمه .. وأعرف إمكانياته وحدوده .. ووسائله وأهدافه .

— ستعرف كل هذا بالطبع .

— أهو شئ مدبر جيداً ؟

— تمام التدبير .. لقد أعددنا لكل شئ عدته .. ووضعنا الخطة مضبوطة .. وقد أصبحت كل قوات الجيش فى أيدي ضباطنا ، تستطيع أن تحركها وقتما تشاء .. وكان التصميم على أن نقوم بحركتنا فى نوفمبر ، ولكن يبدو أن الأمور تتعجلنا .. فقد بات من الخطورة أن ننتظر أكثر من هذا .. لو تولى « حسين سري عامر » الوزارة فسيفتك بنا .. يجب أن نأخذهم قبل أن يأخذونا .

— وما هو المفروض على أن أعمله ؟

— أن تكون بكتيتك جاهزاً لتأدية ما يطلب منك

فى حينه .

— ألا يجب الاستعانة ببعض ضباط البلوكات .
— سنستعين بهم جميعاً . . . فكل ضباط كتيتك من
الأحرار ، وهم يعرفون واجباتهم جيداً .
— ضباط كتيتي أنا من الأحرار ؟ ! وكان المفروض
أن تخرج السكتية بدوني . . ألا تخجل من هذا يا سليمان ؟
— أنا الذى أخجل . . أم أنت ؟ طالما حاولت أن
أضرك إلينا ، فسخرت منى . واتهمتنى بالعبث .
— لم أكن أظن أعمالكم تتعدى بضعة المنشورات التى
تهاجمون فيها الفساد .

— والآن ؟

— يبدو لى أنكم مقدمون فعلا على عمل جدى . . .
ولكنى أخشى ألا تكونوا قد حشدتم له الإمكانيات اللازمة .
— لا تخش شيئاً . . دعها لله .

وكانت العربة قد عبرت باب السوارى ، وسارت فى
طريقها إلى الآلاى الخامس . . وسأل « على » سليمان وهو
يغادر العربة :

— إلى أين ؟

— لدينا اجتماع فى بيت جمال . . لا بد أن نتخذ فيه
قراراً حاسماً . . سأنبئهم بأنك انضمت إلينا وسأمر عليك

بعد الاجتماع .

وفي تلك الساعة كان حشد من العربات قد تكأ كأ على بيت «الهلالى» على شاطئ البحر فى الإسكندرية قرب المنذرة وكان الصحفيون يذبون حول البيت كأنهم يتنصرون .
الأخبار بعد أن شاع خبر تكليف الهلالى بتشكيل الوزارة .
وكان «الهلالى» قد قبل الوزارة كرد اعتبار لاستقالته السابقة . . وبعد أن اشترط على القصر عدة شروط وعد بتنفيذها ، وكان أهمها إقالة حسين سرى عامر ، وتعيين نجيب قائدأ عاماً للقوات المسلحة (وهو ما كان قد طالب به قبل استقالته) وإجراء الانتخابات وإلغاء الأحكام العرفية فى الوقت الذى يراه مناسباً وحسب إرادة الوزارة لا حسب إرادة القصر .

وتم تشكيل وزارة الهلالى الثانية فى اليوم التالى دون تدخل من القصر فى أول الأمر ، وتناول الوزراء غداءهم فى بيت الهلالى ، وجلسوا ينتظرون عودته من القصر بالمراسيم حتى يذهبوا لحلف اليمين ، وقبل الثانية ظهراً عاد الهلالى ، وقد بدت عليه مظاهر القلق ، وقال لهم إن المراغى كان قد أنباه أنه مرهق بوزارتى الداخلية والحربية وأنه قد سأله أن يعفيه من إحداهما ، ولذلك كانت النية متجهة إلى تعيين وزير للحربية

في المستقبل القريب ، ولكن « الملك » رأى أن تنتهي من
المسألة الآن وأن يعهد بوزارة الحرية إلى إسماعيل شيرين .
وبدا الوجوم على الوزراء . . وأحسوا بالمأزق الذي
تورطت فيه الوزارة وهي وشيكة التشكيل . ووجدوا
أن أول الشروط التي قبل على أساسها تشكيل الوزارة
— وهو عدم تدخل القصر في شئون الوزارة — قد ضرب
به عرض الحائط بل بات مجرد ذكره محل سخريه . . بعد أن
فرض « الملك » زوج شقيقته وزيراً للحرية .

وطلب وزير المواصلات « طراف على » أن يكون تعيين
إسماعيل شيرين مصحوباً في نفس الوقت بإقالة حسين سرى
عامر حتى يحدث بعض التوازن ، ويحمل شيئاً من الترضية
للراى العام في الجيش .

واعترض « الهلالى » بأن إخراج حسين سرى عامر في
نفس الوقت الذى يعلن فيه تشكيل الوزارة غير مستطاع ،
وأكد أنه سيخرجه في أول اجتماع لمجلس الوزراء .
وأقسم الوزراء اليمين . . وفي المساء أذيعت مراسيم
التشكيل .

وفي الوقت الذى تمخضت فيه أضواء الإسكندرية عن
آخر وليد ظهر في سلسلة الوزارات المتتالية التى أنجبها تهمك الملك

السياسى وعيشه بالحكم كانت ظلمات القاهرة تتمخض عن
وليد طالما هفت إليه قلوب المصريين ، وتنسمت من مولده
نسائم الخلاص وبشائر التحرر من رق الفساد والانحلال .
كان « على » قد التقى بجمال (الرأس المدبر للثورة) مع
حسين وخالد وثروت وبقية الضباط الذين سيقودون حركة
الفرسان فى منزل أحدهم الكائن فى ثكنات العباسية .
وكان ذهن « على » مشوشاً مضطرباً ، وكانت المسألة كلها
فى نظره لاتزيد على مغامرة حتماء ستنتهى بهم إلى السجون
أو المشاق ، وإن كان الإقدام عليها أمر لا بد منه وفداء
لا مناص من تقديمه .

ولكنه لم يكدي يجلس إلى الفتى الأسمر العريض المنكبين
المجعد الشعر ، ويستمع إليه ، ويحس بحرارة إيمانه ، وشدة
ثقلته ، حتى أحس أن النصر مضمون والفوز أكيد .

كان يعرف « جمال » من قبل .. يعرفه كرجل رزين متشد ،
ولم يكن يتصور فيه كل هذه القوة من العزيمة والإيمان
والاندفاع .

وكان يرقبه صامتاً مشدوهاً .. وكأنه بطارية تستمد
شحنها من مولد قوى ، حتى انتهى « جمال » من حديثه .
وكان آخر ما سمعه منه ما قاله لزميلهم ثروت وهو يضغط

في عزم على نواجذه : « اضرب بشدة .. نحن نعمل لمصر
فلا مجال للعواطف » .

وغادرهم الدينامو المتحرك ، العريض المنسكين ، الفارع
القامة ، بقميصه وبنطلونه ، ورأسه المجدد العاري ، لينقل
تعليماته إلى السكتية الثالثة عشرة التي كانت ستقوم بالدور
الأساسي للمشاة .

كانت السكتية قادمة من العريش في طريقها إلى السودان
وقد استقرت برهة في القاهرة لتتأهب للسفر وتمنح أفرادها
الأجازات اللازمة .. وكانت أبعد الكتائب عن الشبهات
لافتقارها إلى الذخائر والعربات وتطرف موقفيها في أقصى
شككات العباسية ، وكان ملخص خطتها أن تقوم إحدى
مراياها بتطويق قشلاق العباسية من ناحية بوابة المؤسسة ،
وتحتل سرية أخرى محطة الاذاعة ، وتحتل الثالثة رئاسة
الجيش والرابعة رئاسة الحدود .

ووزعت الأوامر التفصيلية على الضباط وعرف كل
ضابط في كل سلاح واجبه .

وجلس «على» زملاؤه ينتظرون في بيت صاحبهم الكائن
في الشككات ، وأخذ الوقت يمر بعلينا متساقلا .. وكل منهم
يحاول أن يحتدب زملائه من شرودهم ويقطع هذا الصمت

البغيض بكلمة أو بضحكة تنطلق عالية جوفاء ، ولا تلبث أن
تخفت كالشرر المنطفى ، ويعود كل منهم إلى أفكاره البعيدة .
وبرغم على .. انطلق ذهنه .. يفتش عن الطيف النائي ..
ويرقظ الراقدة — لا الموءودة — في القلب ، وتذكر آخر
لقاء لها .. وأخذ يستعيد نفسه جلستها ونظرتها .. كيف
وجدته ، وكيف أحست له .

أتراها تذكره في رقدتها ، كما يذكرها في يقظته ؟
أتذكره في أمنها ، كما يذكرها في مخاطرتها ؟
أيخطر ببالها ما هو مقدم عليه ؟
لو نجحت هذه الثورة التي يوشك أن يخوض غمارها
ماذا تراها قائلة ؟
أتراها ستضيق بها من أجل أسرتها ، أم ستسعد بها من
أجله .. ومن أجل مصر ؟
إنه يعرف تفكيرها ، ويعرف عقليتها .. إنها لاشك
سترحب بها .

سترحب بها على الأقل لأنها ستضيق هذه الهوة الواسعة
الكانت بينهما ، أو ستطيح بها .. فلن تكون هناك أماره ، أو
نبالة ، أو سمو أو عظمة .

أحقاً سيحدث هذا ؟! أيمن أن يطأ قدم أبوها رأسه ،
ويجدع أخوها أنفه ؟

ولكن ما هذه المخاوف التي يفكر فيها؟ .. أمن أجل
هذا اشترك في الثورة؟! أمن أجل هذا يريق هو وإخوانه
دماءهم ويقدمون أعناقهم؟

أم من أجل الملايين المستعبدة الذليلة؟
أجل .. من أجل هذا تقدم الأعناق .

وتذكر أمه .. ماذا تراها قائلة .. لو عرفت بما هو
مقدم عليه؟

أما كان خير له لو رآها الليلة .. وودعها ، وتلقى إحدى
دعواتها !

لا .. لا .. ليس هناك ما يدعو لكل هذا .

وأطلق أحدهم نكتة لم يسمعها «على» .. ولكنه لم يملك
إلا المساهمة في الضحك عليها .

ونظر آخر في ساعته وقال :

— الساعة الحادية عشرة إلا خمسة .. هيا بنا .

وتحركت العربات في سكون الليل وظلمته الجاثمة .. التي
لا تبددها إلا مصابيح متناثرة في طرق الشكبات تلوح هنا
وهناك حمراء مرتجفة . وأخذت تقترب من السور الشائك
القائم على الحدود الخلفية لشكبات الفرسان ، ومن إحدى
الفتحات نفذت العربات ، وكل من بها واجم شارد ، واحتمال
الفشل يستبد بأذهانهم كلما قربت الساعة الحاسمة .

وكان كل ما حولهم يبعث الشك ، ويشير الريبة . . هذه
عربة تطاردهم . . وهذه أصوات تمترب منهم . . وهذه
آذان تنصت إليهم .

وعندما وصلت العربة إلى الشكنات انقطع النور ،
وسادت المكان ظلمة بغیضة موحشة ، ملأت نفوس الشوار
قلقاً وتشاؤماً . . ولكن ضخامة العمل وفرط الإيمان كان
أقوى من التشاؤم ، وسرعان ما أوقدت الشموع وألقت
الأوامر وسرت بين الكتائب حركة دائبة ، جعلت الشكنات
المظلمة كنخلة النحل .

وفي ذلك الوقت كانت أول أنباء الحركة قد أخذت
تسرب إلى رئاسة الجيش ، فقد كان أحد ضباط المدفعية
يغادر بيته متجهاً إلى الشكنات قبيل العاشرة للقيام بما عهد
إليه . . فسأله والدته عن سر خروجه في هذه الساعة . . فلم
يستطع حماسه أن يمنعه من أن ينبئها أنها ستسمع غداً عما
فعله ، وستعرف الدور الذي لعبه في تاريخ مصر ، وتوجست
السيدة خيفة من قوله ، ولم تشك في أنه قادم على مغامرة
قد تودي به . . فأنبأت أخاه الأكبر وهو أحد ضباط
الطيران القدامى ، فحجزه في البيت وأسرع بإبلاغ الضابط
النوبتجي في قصر القبة ، وانتقلت أنباء الحركة إلى رئيس

هيئة أركان حرب .

ويبدو أن إذاعة أنباء الحركة قد انطبق عليها المثل
« رب ضارة نافعة » . . أو أن الله كان يشد أزر الرجال
الأوفياء . . الذين قدموا أعناقهم في سهولة ويسر ، فحول
كل عناصر الشر لتكون خيراً في جانبهم . . فقد نتج عن
هذه الإذاعة أن تجمع كل رؤساء الجيش ليقدّموا أنفسهم
صيداً سهلاً ، وغنيمة باردة لأيدي الثوار .

كان رئيس هيئة أركان حرب الجيش يعتقد أن حركة
الضباط ستوجه ضد قصر عابدين ، فاتجه بعربته هو ومدير
مكتبه ورئيس الإمداد والتأمين إلى مقر البوليس الحربي
في المحطة ، حيث كان يمكنه الحصول على قوة عاجلة دون
إثارة الشكوك . . وسأل الضابط النوبتجي عن عدد القوة
التي يستطيع تجهيزها في التو ، فأجابه الضابط بأنه يمكنه أن
يحرك أربعين جندياً . . فأمره بأن يتبعه بهم إلى قصر عابدين
وأن يعد بقية القوة للحاق بهم .

ووصلت القوة إلى ميدان عابدين محملة في عرباتها . .
يتقدمها راكبو الموتوسيكلات فأمر بإطفاء أنوار الميدان
والكف عن إحداث أى ضجة لعدم إثارة الشكوك . .
وأخفيت القوة في مبنى الحرس المشاة الكائن على يمين القصر

وأرسلت داوريات لحراسة المداخل المؤدية إلى الميدان . .
وتحركات الموتوسيكلات في داوريات سيارة إلى ميدان
العتبة والأزهار .

وكان رئيس هيئة أركان حرب يبدو مرحاً متمالكا
لأعصابه وفي اعتقاده أن المسألة لا تعدو مجرد « تهويشة »
وأن كل شيء على مايرام . وأن أقصى ما يمكن توقعه هو
تجمهر بعض الضباط حول عابدين تجمهراً لا يتعذر فضه .
واستقر رئيس هيئة أركان حرب في مكتب ضابط نوبتجى
البوليس الكائن على يمين مدخل النشريفات . . وانهمك في
الحديث بالتليفون . . وانصل به « أحمد كامل » قائد بوليس
القصور للاستفسار عن حقيقة الموقف ، فطمأنه بأنه لا يوجد
أى اضطراب وأن الحالة هادئة ، وأنه واثق من عدم
حدوث أى شيء نتيجة اتصاله بالقواد ، وأمره إياهم
بالذهاب إلى أماكن قيادتهم .

وغادر « حسين فريد » بعد ذلك قصر عابدين المروور
على أسلحة الجيش حتى يطمئن على هدوء الحالة بنفسه .
ووصل إلى سلاح الفرسان قبيل منتصف الليل . . وفي
صحبة قائد القوات المدرعة .

وفي ذلك الوقت كان القلق قد بدأ يسرى في نفوس

«على» وزملائه عندما اتصلت بهم رئاسة قسم القاهرة وسألت
عن قوة الطوارىء وعن المدة التى يمكن أن تكون جاهزة
خلالها للتحرك .

وبدا السؤال من رئاسة القسم فى هذا الوقت مشيراً للقلق
والمخاوف .. ولكن البكباشى حسين الذى كان يتولى رئاسة
قوات الفرسان أجاب فى ثبات وبساطة أن الوقت اللازم
لتحريك القوة هو ساعة .. ثم أمر «تروب» من الدبابات
بالتحرك إلى بوابة الشكبات القائمة عند تقاطع كوبرى القبة
لكى يكون مستعداً للحركة فى أية لحظة .

وفى هذا الوقت وصل رئيس هيئة أركان حرب وقائد
القوات المدرعة إلى بوابة السوارى .. وأدهشهم وقوف
الدبابات على أتم استعداد للحركة .. وأحسوا بخطورة
الموقف وسأل حسين فريد ضابط «التروب» عن سبب
وقوفه فى مكانه .. فأجابه بأنه من قوة الطوارىء .. وأنه
فى حالة استعداد .. فسأله عمن أمره بذلك .. فأجابه
بأنه قائد الكتيبة .

وطالب حسين فريد من الضابط النزول فرفض الضابط
وبدأ له بوضوح أن الموقف يوشك أن يفلت فأسرع إلى
مكتبه لإحضار القواد لإخماد الحركة .. واتجه حشمت قائد

القوات المدرعة إلى داخل الثكنات للسيطرة على الموقف
واسكنه لم يكبد يقترب من ثكنات الخيالة حتى أحاطت به
ثلة من الجنود وأسرع أحدهم لإنهاء قيادة الحركة .

وأذهل الضباط نبأ وصول الأمير الالى حشمت .. ولم
يعد لديهم شك في أن حركتهم قد كشفت وأن مصير البلد
ومصائرهم قد باتت معقدة في خيوط اللحظات الدقيقة الحاسمة
التي تمر بهم .. وفي قدرتهم على التصرف والتألك والحزم
والإقدام خلال هذه المنبهات العصبية .

وأحس «على» بدقة الموقف وهو يرى وصول قائد القوات
المدرعة في هذه اللحظة الحرجة التي يتأهب فيها للتحرك بين
آونة وأخرى .. وأحس برجفة وهو يتخيل ما يمكن أن
يحدث لو استطاع القسائد أن ينتزع منهم زمام الموقف ..
ويسيطر على القوات ويخضعها تحت أوامره .

لم يكن ذلك بالأمر المستبعد .. وهو القائد الفعلي
لل قوات ، المفروض أن تتلقى منه أوامرها .. لا سيما وأن
أغلب الجنود لم تكن لديهم في أول الأمر فكرة عن أسباب
تحركهم .. كل ما كانوا يعرفونه ، هو أن القوات في حالة
طوارئ ، وأنها تستعد للتحرك للمحافظة على الأمن .

وزاد من إحساس «على» برهبة الموقف وحرجه ما طبع

عليه من خلق عسكري .. غرس في نفسه طاعة الرؤساء واحترامهم .. مما جعله يسأل نفسه .. كيف يمكن أن يواجه قائده — الذي تعود طاعته واحترامه — مواجهة خصم خارج على الطاعة نائر على النظام .

وكان « حسين » أول من تمالك نفسه وقال للضباط في حزم إن مجيء حشمت إلى الشكبات في صالحهم .. فقد كان مفروضاً أي يقبض عليه في بيته .. أما وقد جاء بقدميه فقد ألقى بنفسه في الفخ .. ولا شك أنه سيتمنحهم باعتقاله طمأنينة كبرى .

وقفز حسين وثروت إلى إحدى عربات الجيب .. ولم يكاد يصلان إلى حشمت ، حتى صاح بحسين آمراً إياه بصرف الجنود .

وأجابه حسين في هدوء .. بأن لا داعي للمقاومة وأنه قد أتى لتأمينه من الجنود وطلب منه العودة معهم في هدوء . ووجد القائد نفسه وقد وقف بين ضباطه الأصغر وقد صوبوا إليه أحد مدافع الأمتن وبدأ أنه لم يستطع أن يثني نفسه بجدية العمل الذي هم مقدمون عليه وأراد أن يستعمل تأثيره الطبيعي عليهم فأخذ يحذرهم من عواقب هذه الأعمال الصيانية ، وقال لهم إنهم يلعبون بالنار ، ولا يقدرون

مسئولية مثل هذا العمل الذى هم مقدمون عليه .
وأجاب حسين فى هدوء وثقة بأنهم يعرفون بالضبط
ما يعملون ، وأنهم يعرضون أنفسهم للخطر . . . ولكنهم
يشعرون أن أرواحهم تهون كثيراً إذا ما قيست بالهدف
الذى تبذل من أجله ، وهو إنقاذ البلد من حالة الانحطاط
والفساد والضعف التى وصلت إليها .

وعاد حشمت يضرب على وتر العاطفة الحساس . .
فأنبأهم أنه قائدهم الذى عليهم ، وهم أحداث صغار . . وأنه
ينصحهم كوالدهم .

وبنفس الهدوء والاحترام أجابه حسين بأنه لو كان أبوه
مكانه لما تصرف معه بغير هذا .

ولم يجد القائد بداً من التسليم ، وحاول أن يركب عربته
فأمره حسين بأن يركب معهم العربات الجيب . . ولكن العربات
عطلت . . فاضطر إلى السير إلى ثكنات القوات المدرعة
سيراً على الأقدام .

وكان القبض على قائد القوات المدرعة أول خطوات
الحركة الإيجابية ، وأحس «على» بعده أنهم قد دفعوا بأيديهم
إلى النار وزجوا بأنفسهم إلى أتون المعركة . . وطغى حماسه
للمعركة على كل إحساس بالقلق أو الرهبة . . وأخذت

« تروبات » كتيبته تتحرك لاحتلال أماكنها المعينة لها . .
الواحدة تلو الأخرى . . وعندما انتهى من تحريك كتيبته
كان عليه أن يرافق سليمان إلى ثكنات العباسية . . للعمل
مع الكتيبة الثالثة عشرة .

وكان ضباط الكتيبة قد تجمعوا في الميس الكائن في
ثكنات العباسية ، ولم تكن تبدو عليهم سمات المقدمين على
أمر جلال . . كان البعض منهم كما في لعب الطاولة ، والبعض
يتناولون الساندوتش والكوكاكولا ، والبعض الآخر قد
التفوا حول الراديو . . يسمعون إذاعة مراسيم تشكيل
الوزارة .

وأقبل على وسليمان على ضباط الكتيبة فأنبأوهم بالقبض
على قائد المدرعات ، وبخروج القوات المدرعة لاحتلال
أماكنها فملأهم طمأنينة وثقة ، وأزالا الوسوس التي دفعها
إلى نفوسهم نبأ اكتشاف الحركة .

وبدأ الضباط يغادرون الميس لإعداد جنودهم للتحرك
وفي هذا الوقت وصلت بعض عربات محملة بالذخيرة من
مركز تدريب اللواء السابع . . وصرف البنزين للحمالات
المدرعة ، ونبه على سائقها بعدم إدارتها حتى لا تحدث ضجيجاً
يشير الشكوك .

وبعد فترة وصل «قول» من عربات خدمة الجيش لنقل الجنود ، وبذلك أضحى المكتيبة جاهزة للتحرك بذخيرتها وعرباتها .

وتحركات السرية الأولى ، ومعها جماعة حمالات مدرعة وتحرك معها سليمان ليقودها إلى «تروب» العربات المدرعة (الهمبرا) الذى كان ينتظرها عند مدخل الشكنات فى شارع الخليفة المأمون .. وتحركت بعد ذلك السرية التى كان عليها ضرب نطاق غربى الشكنات عند باب المؤسسة .. وكان على السريتين الثانية أن يتحركا مع الدبابات للإذاعة والحدود فى الساعة الرابعة والخامسة صباحاً .

وتحرك قائد المكتيبة لمعرفة تطور الموقف فى إحدى عربات الجيب ، وبجواره زكريا .. وفى الخلف جلس حماد ود على ، وقد أمسك كل منهما بمدفع استن .

وأخذت العرببة تقطع الطريق الرئيسى للشكنات وقد خيمت من حولها الظلمة وساد السكون إلا من صوت ما كينة العرببة وصوت كاوتش العجل يطوى الأسفلت .

وبدت من حولهم أشباح أشجار الكافور .. سوداء داكنة تطبق على أبنية الشكنات المنخفضة ، كأنها عبء يحتم عليها .. وأرخت دعلى ، قبضته على مقبض المدفع الذى لم يفارق

يده لحظة واحدة . . وترك أصابعه تسترخي عليه . . وإن لم تتركه .

كان يحس منه قوة وثقة . . وكان يذكر كلها شد عليه يده كلمات جمال وهو يضغط على نواجره ، ويقول في حزم : « اضرب بشدة . . نحن نعمل لمصر . . فلا مجال للعواطف » . كان يعرف أن هذا المقبض . . هو الذي سيضع حداً للعواطف الرقيقة غير المطلوبة في هذا الوقت العصيب . . وكان يؤكد أن هذه التسلية العسلة الباردة من الحديد ، إن توقف طلقاتها الحارة شفقة ، أو عطف . . فقد كان مصير الحركة . . أو مصير مصر . . فوق كل شفقة . . وفوق كل عطف .

وكان يشعر بتوقد في الذهن ، وتوتر في الأعصاب . . ولم تكن أذناه لتكف عن سماع حركة جنازير الدبابات . وهبت عليه ريح الليل الرطبة والعربة تنهب بهم الأرض فلمحمت ، وجهه ، واندفعت إلى خياشيمه . . وأحس بالحنطة استرخاء ترك خلالها قبضته تستريح على مقبض المدفع .

وفجأة طرقت أذنيه صوت طلقات سريعة ، فشدد قبضته على مدفعه وأطفأ « شوقي » قائد السكتية الذي كان يقود العربة نورها .

وبلغت مسامعهم في نفس الوقت نفخسات البورى
تنبعث في جوف الليلة بنوبة «كبسة» ، فاتجهوا بعربتهم إلى
مركز تدريب اللواء السابع . . فلقبهم زميلهم «عبيد» حيث
أنباهم بخطورة الموقف ، لأن قائد اللواء السابع قد وصل
إلى مركز قيادته ومعه بعض ضباط اللواء ، وأنه يقوم بتجهيز
اللواء للقضاء على الحركة .

ولم يجدوا بداً من العودة إلى البوابة الرئيسية الكائنة
في ميدان العباسية ، حيث كان مفروضاً أن تحتلها إحدى
قواتهم . . ولسكنهم ما كادوا يقتربون منها حتى وجدوا أن
قوات البوليس الحربى قد احتلتها .

وأسقط في أيديهم بعد أن سد الطريق أمامهم ، ولم تكن
هناك فرصة الرجوع ، بعد أن باتوا على قيد خطوات من
القوة . . . وأضحت العودة تعرضهم للشكوك ولإطلاق
النيران على ظهورهم .

وأحس «على» بضرورة القتال تتصاعد إلى رأسه ، وزاد
من تشديد يده على المقبض ورفع سبابته فوضعه على التتاك .
واستمرت العربى تتقدم حتى وصلت إلى حافة البوابة ،
فإذا بقائد البوليس الحربى يقف بجوار داورية البوليس
ويقرب منهم .

وزاد وجود قائد البوليس الحربى من قلقهم ، وملا
صدورهم بالوساوس ، وصاح به زكريا متسائلا :
— ما الذى أتى بك إلى هنا يا حسن ؟

وكانت دهشة قائد البوليس أشد من دهشتهم فقد رفع
كتفيه وقال مشدوهاً :

— أنا لا أدري شيئاً .. إنى فى حالة ذهول .. إن
إدارة الجيش محاصرة ويضرب عليها نار .. وقد طلبوا منى
تخليصها بأية وسيلة .

وأرخى «على» قبضته ، ورفع أصبعه عن زناد المدفع ..
لم تكن فى لهجة قائد البوليس الحربى ما ينم عن العدا ..
وكان مفروضاً عليه بحكم منصبه أن يقاوم كل خروج على
النظام أو اعتداء على السلطات ، وأن يقضى على أية محاولة
لإثارة القلاقل .. وبدا عليه أنه لم يكن يعرف طبيعة الحركة
ولا الدافع إليها ، ولا الغرض منها .. كل ما يعرفه أن رئاسة
الجيش محاصرة وتضرب عليها نيران .. وأن رؤسائه
المحاصرين يطلبون منه تخليصها .

ووجد «على» نفسه يتمتم فى مودة وإخلاص :

— إذا كان المطلوب منك أن تخلص إدارة الجيش ..
فالمطلوب منا أن نخلص مصر .. وأظن خلاص مصر خير
وأجدى .

ومضت فترة صمت قصيرة . . . بدا خلالها كأن قائد
البوليس يقارن بين واجبه في خلاص إدارة الجيش وواجبه
في خلاص مصر .

ووجد قائد المكتيبة أن الوقت يمر ، فقال يستعجله :
— اركب معنا .

وأحس « على » بالراحة وهو يرى صاحبهم قد آمن
بواجبه في خلاص مصر ، وقفز على سلم العربة .
واندفعت العربة بسرعة البرق دون أن يحاول أحد من
البوليس الحربى اعتراضها ، وهم يرون قائدهم يتسلق سلمها .
ووصلت العربة إلى باب الفرسان ، وكان « ثروت » يقف
أمامه ، ولم يسكد يرى قائد البوليس حتى ضمه إليه في حماس
هاتفأ :

— براءو حسن . . هكذا الرجال .

وتذكر « حسن » في هذه اللحظة أن في أعقابها القوة التي
استنجد بها لتخليص إدارة الجيش . . وكانت تبلغ الثلاثمائة
جندي مسلحين بالمدافع المماكية والبركات . . وخشى من
وصولهم حدوث مجزرة باشتباكهم مع الجنود التي تحاصر
إدارة الجيش ، فأنبأ بأمرهم زكريا .

فسأله زكريا :

— ما هي الأوامر الأولى التي صدرت إليك ؟

— الانتظار في عابدين .

— إذا خير ما تفعل هو أن تأخذهم وتذهب بهم إلى

عابدين .. نحن لن نقرب هناك .. إن مسألة عابدين لا تعدو
أن تكون خدعة .

وعاد قائد البوليس ليحول قواته إلى عابدين وليجد
« كمال » قد احتل مدخل العباسية بمدافع ١٧ رطل ، وليخبر
« عاكف » عندما اتصل به من الإسكندرية ليطمئن على
المدافع ١٧ رطل بأنها موالية للحركة .

وكانت مسألة اللواء السابع .. ومحاولة قائده إعداد
لمقاومة لم تحل بعد .. وكانت رغم انضمام قائد البوليس
الحربي وعدم تدخل قواته مازالت تشغل الأذهان .

وتحرك « تروب » من العربات المدرعة لمحاصرة اللواء ..
ولكنه لم يكده يصل إلى مقره حتى وجد أن قائده قد غادر
مقره ليستطلع الحالة فوق في الأسر ، ولم يكده ضباط
اللواء يرون « التروب » المدرع ، حتى خرجوا إليه بجنودهم
لمعاونة الحركة .

وبدا لعل أن قوة فوق قوتهم تدبر أمرهم .. وأن مسة

من يد الله تذلل لهم الوعر ، وتسهل الصعب .. وتحركت بهم
العربة متجهة إلى رئاسة الجيش . . حيث وجدها «على» قد
أحييت بالعربات المدرعة والجنود المشاة .

كان قواد الجيش قد تجمعوا هناك لوضع خطة إحباط
الحركة . . وكان قائد كتيبة المدافع الماكينة قد اقتحم الرئاسة
بإحدى سراياه للقبض عليهم . . وإخماد حركة المقاومة
في منبتها .

وعبرت العربة شريط الترام ، ونفذت من الباب
الحديدي القصير الذي أحاط به الجنود ، وكانت أصوات
الطلقات تدوى حادة تشق سكون الليل ، وإحدى عربات
المستشفى تغادر المبنى حاملة جنديين جريحين .

وأعقب الطلقات صمت مخيم . . وبدأ الليل في أواخره
وكأنه يجر آخر أذياله ويلفظ آخر أنفاسه . . أمام هجمات
فجر جديد . . لم تبد بشائره بعد من وراء الأفق .

وضاق «على» بلحظات الصمت الثقيلة التي خيمت عليهم ،
وشدّد قبضته على المدفع في يمينه ، وبدأ له أن يهدى توتره
بضغطه على الزناد يفرغ بها بضعة طلقات تزيل ذلك السكون
البغيض .

وجأة ظهر في مدخل البناء موكب عجيب ، وبدأ رئيس

هيئة أركان حرب بقامته المشدودة ، وملاحه الصارمة . .
وقد أحاط به الجنود بأسلحتهم وعلى رأسهم قائدهم «صديق»
الأسمر العملاق .

وهبط «حسين فريد» السلم الرخامى العريض ، وأخذ «على»
يرقبه فى إعجاب وقد سار بخطواته العسكرية الشديدة الثابتة
وكأنه يسير فى طابور استعراض . . وعند ما بلغ الباب
الخارجى وقف له الثوار صفّاً واحداً . . ورفعوا أيديهم
بالتحية العسكرية ، ورفع هو يده يرد لهم التحية فى قوة . .
وتفرس فى وجوههم واحداً بعد واحد . . جمال . .
عبد الحكيم . . كمال . . حسن إبراهيم . . زكريا . . شوقي . .
وحمد . . ثم على .

وهبط يده بعد التحية إلى جانبه . . وقال فى نبراته
الصارمة :

— طيب . . من شكر أوى .

واستمر الموكب فى سيره إلى معقل الكلية الحربية .
وكما تتلاحق أضواء الفجر ، تلاحقت أضواء الحركة .
وكما تتساقط قلاع الظلام . . أمام سهام الأنوار . . تساقطت
قلاع الظلم والفساد والاستبداد . . أمام أسلحة الأحرار .
وتوالت الأحداث فى سرعة البرق . واستقر «نجيب»

القائد العام الجديد في مقر قيادته . . . وتدفقت قوات
الجيش تسيطر على مرافق البلد . . وتمسك بزمامه . . دون
أن تزهق روح أو يراق دم .

وهب المصريون من ثباتهم صباح ٢٣ يولييه ، مشدوهين
مبهوتين ، وقد أحسوا أن كابوساً انزاح عن كواهلهم . .
وأن أنفاسهم تخرج سهلة من صدورهم . . لتستنشق نسيمات
أنظف وأصفى .

وفي الساعة السابعة . . حمل إليهم الراديو صوت البشير
مؤذناً بفجر جديد . . هاتفاً بأول بيانات الثورة إلى الشعب
المصري :

« اجتازت مصر فترة عصبية في تاريخها الأخير من
الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم . . الخ . »



بہترین



اتصل

الهلالي من بيته في الاسكندرية بنجيب في

مقر القيادة بالقاهرة قبيل إذاعة البيان الأول

للثورة ، وحاول إقناعه بالعدول عن إلقاء البيان ، فطلب

نجيب مهلة للتشاور مع زملائه والرد عليه بعد خمس دقائق ،

ولم يتلق الهلالي من نجيب رداً سوى إذاعة البيان . . ففقد

مجلس الوزراء في الساعة الثامنة وعرض الأمر عليه فتقرر

إيفاد المراسي للتفاوض مع الثوار ، ولكنه فشل في مجرد

لقاتهم ، وأبدى الهلالي للوزراء استعداده لأن يطير إلى

الضباط لتلبية مطالبهم ، وطلب من شيرين ، الاتصال بالملك

ليأخذ منه تفويضاً بقبول مطالب الجيش .

واتصل شيرين بالملك وعرض عليه مطلب الهلالي

فرفض الملك فهدده شيرين بأن الحالة سيئة جداً وأن العرش

في خطر وأخيراً قبل الملك أن يتكلم الهلالي عن مجلس

الوزراء ويعد بمحاولة إقناع الملك بالمطالب .

واتصل زعلوك بنجيب ، فأنبأه بنجيب أنه مع احترامه

الشديد لشخص الهلالي إلا أنه يريد وزارة دستورية ، فسأل

زعلوك عما يقصده بوزارة دستورية فأنبأه أن وزارة

الهلالي بها وزيران غير مرغوب فيهما فسأله زعلوك :

— الذى عندك واحد منهم (يقصد المراغى) ؟

— نعم . . والثانى عندكم (يقصد شيرين) .

وانصل الهلالى بالمراغى عقب هذه المحادثة وأنباه بعدم
جدوى مقابله لانجيب لأن الوزارة كلها غير مطلوبة . .
وذهب إلى السراى وقدم مستقالته ، ثم كلف على ماهر
بتشكيل الوزارة .

وفى اليوم التالى وافق «الملك» على مطالب الجيش وأعلن
نحيب أن الجيش سيظل مشرفاً على المرافق العامة حتى تحقق
الحركة ما تهدف إليه .

ولم يكن «على» قد غادر الثكنات خلال هذين اليومين
سوى بضع دقائق ذهب خلالها إلى أمه ليطمئنها على نفسه .
وفى اليوم الثالث للحركة وهو يوم ٢٥ يولييه وصل
«على» بعرباته المدرعة إلى الاسكندرية عبر الطريق
الصحراوى ، ووصل سليمان بدباباته التى نقات بواسطة
عربات السكة الحديد بعد أن تقرر خلع «الملك» .

وقبيل الظهر استقل القائد العام طائرة حربية من مطار
مصر الجديدة الحربى إلى الاسكندرية وقام بتفقد القوات
التي بدأت فى الوصول إليها منذ الصباح ثم قابل رئيس الوزراء
محددأ موعداً آخر للقائه فى نفس اليوم وفى نيته أن يفاجئه

في ذلك اللقاء بالإذار الذي يطلب فيه الثوار خلع «الملك» .
وكان الرأى قد استقر على خلع «الملك» في ذلك اليوم ،
ولكن الاستعداد لم يكن قد تم .. كان الجنود في حاجة إلى
الراحة والمدركات في حاجة إلى التموين .. وكانت كثرة
مخابىء فاروق في قصر التين والمنتهزه وأركانه الأخرى
واحتمال مقاومته تحتم أن تكون خطة الحصار بحكمة
والاستعداد تاماً .

وتقرر تأجيل الخلع إلى صباح اليوم التالى السبت ٢٦
يوليو وخشى ضباط القيادة أن يشير اعتذار القائد العام عن
لقاء رئيس الوزراء فى الموعد الذى كان مفروضاً أن يتم فيه
تقديم الإذار شكوك الرئيس . ولم يكن هناك بد من إرسال
أحدهم وهو أنور ليزبل شكوكه ويبدد مخاوفه ويقنعه أن
الجيش لا يضم شراً بعد أن أجيبت مطالبه .

وفى تلك الليلة نشأت مشكلة البت فى مصير فاروق بعد
عزله .. أنطلق سراجه ١٩ أم نحكم عليه بالنفى .. أو الإعدام ؟
وانقسمت الآراء .. وطار جمال سالم إلى القاهرة فى تلك
الليلة ليعرف رأى بقية أعضاء القيادة الباقين هناك لإمساك
زمام الأمور فى القاهرة .. وأخيراً استقر الرأى على نفيه ،
فقد كرهوا أن تلوث دماء فاروق بياض الثورة التى نجحت

دون أن تريق نقطة واحدة .

واستيقظ أهل الاسكندرية في صبيحة ٢٦ يوليو
وضجيج جنازير الدبابات يقرع مسامعهم وأزيز الطائرات
يطن في آذانهم ، ونسائم البحر تحمل في خلالها رائحة رهبة
وخطر ، ونفوسهم يداخلها إحساس يحدث جلل يوشك
على الوقوع .

وأغلقت الدبابات المتحركة لحصار المنبته طريق
الكورنيش . . . وبدأت المدفعية والدبابات والعربات
المدرعة في نطاق متسع حول الساحة الخارجية لرأس التين ،
والمشاة في نطاق أضيق داخل الحديقة .

وفي إحدى العربات المدرعة المحيطة بالقصر وقف « على » ،
يرقب البناء الشاخص . . الذي بدا في صمته موحشاً خرباً . .
ومن حوله وقفت زرافات الشعب تهمهم مأخوذة مشدوهة
حائرة كأنها لا تصدق ما ترى .. ولا تلبث الحيرة أن تتمخض
عن هتافات تحية للجنود وصيحات سحق على أصحاب القصر .
وكان « على » يقف خارج القصر متحفزاً للهجوم . .
وفي داخل القصر .. وعلى أتم استعداد للدفاع .. كان يقف
أخوه حسين .

لقد أوقف القدر كل منهما في جانب من المعركة .

ولم يكن كل منهما واثقاً من وجود أخيه في مواجهة . .
ولكنه كان يحس بوجوده .

كان « حسين » أحد ضباط الحرس الخاص للملك . .
وكان قبيل حدوث الحركة يتوقع السفر مع الملك إلى رأس
الحكمة ، وفي ليلة الحركة كان يقوم بدوره في النوبة و كان
يجلس منذ الساعة السابعة مساءً في مقر الحرس المخصوص
في سراي المنزه في انتظار خروج الملك لتضاء سهرته المعتادة
حول مائدة القمار في نادي السيارات أو في الاسكاراويه .

ومرت الساعة تلو الساعة . . و « حسين » يتشاءب في ملل
حتى بلغت الثانية عشرة دون أن يخرج الملك . . وأخيراً
نهض هو وزملاؤه لخلع ملابسهم استعداداً للنوم .

وفي الثانية عشرة والنصف دق التليفون وتحدث قائد
البوليس الملكي وسألهم عما إذا كانت لديهم ملابس رسمية
ثم طلب منهم الخروج إلى البوابة والانتظار فيها دون أن
يوضح لهم السبب .

وانتظر « حسين » على باب القصر هو وزملاؤه حتى
الفجر عندما بدأت تتواتر لديهم الأنباء بخروج الجيش
واستيلائه على مقاليد الحكم .

وفي الصباح وصلت إلى القصر عربات محملة بالجنود
والضباط لتعزيز الحراسة في السراي .

ومر اليوم التالى دون أن تبدو بوادر خطورة وأحس الملك بعد تغيير الوزارة أن أهداف الضباط لا تتعدى مطالبهم التى وافق عليها .

وسرت فى نفسه طمأنينة نسبية حتى هبت ريح الخطر مرة أخرى ليلة الجمعة عندما أبلغ نبأ تحرك القوات المسلحة إلى الاسكندرية .

ولم يكن قصر المنتزه بجذائقه الشاسعة ومداخله المكشوفة بالملجأ الأمين . . ولم يكن هناك بد من الرحيل إلى رأس التين . . وفى الهزيع الأخير من الليل والاسكندرية مفرقة فى سباتها والشوارع خالية ساكنة انطلقت إحدى العربات فى سرعة جنونية تنقل الأسيرة الملكية من المنتزه إلى رأس التين وكأنها فأر يفر من جحر إلى جحر .

وعندما وصل ضباط القيادة إلى الاسكندرية يوم الجمعة زادت وساوس الملك وقال لعلى ماهر :

— الجماعة دول لما جهم اسكندريه مش كان حقهم ييجوا ولو يعضوا بس فى الدفتـر .

فأجابه على ماهر :

— هم حايقابلوني بكره الساعة تسعه .

وأوجس ، الملك ، خيفة وبدا له أن الضباط ما زالت لهم ،

مطالب أخرى وسأل على ماهر :

— علشان إيه . . أنا نفدت لهم كل حاجة عايزينها . .

هم لسه لهم مطالب تانية ؟

وكان آخر ما يخطر على بال الملك . . أن تكون هذه

المطالب الثانية . . هى عزله هو .

واستيقظ « حسين » فى صبيحة اليوم التالى على صوت

الدبابات تحاصر القصر . . والمدافع تصوب فوهاتنا إلى

أسواره وجدرانه . . والجنود المشاة يحوسون خلال

حدائقه .

وسرت فى القصر موجة دهشة وذعر . . ولم يستطع

أحد أن يدرك الغرض من هذا الحصار . . وخمن بعض

الضباط أن يكون مجيء الجيش للقبض على « حلى حسين »

و« بوللى » اللذين كانا يختبئان فى ثكنات الحرس . . ولكن

« مقلد » أحد ضباط الياوران هز رأسه وقال فى ثقة : « مش

معقول . . دى مش حكاية حلى حسين و« بوللى » . . دول

جايين له هو بالذات » .

وأيقن ضباط الحرس أن المسألة فعلا لا يمكن أن

تقتصر على حلى حسين و« بوللى » ، وأن الحاشية كلها لا تستحق

كل هذا الضجيج . . وأن الهدف لا بد وأن يكون أكبر ،

وأن ربح الثورة تو شك أن تقتلع الرأس الكبيرى .

وأحس الضباط أن من واجبه أن يكونوا ملاصقين
« الملك » في محنته الكبرى فاتجه « حسين » وزملاؤه إلى
الحرملك حيث كان « الملك » يقف في الصالة المستديرة وقد
ارتدى بدلة البحرية وبدأ الضيق في ملاحه والاضطراب
في خطواته السريعة القلقة .

وكان جنود المشاة المحاصرين للقصر قد تسربوا إلى طريق
الحرملك وبدأ الاشتباك بينهم وبين جنود الحرس الهجانة
ودوت الطلقات سريعة حادة ، فبدأ الجزع على « الملك »
وأمر بإيقاف الضرب طالباً من الضباط عدم المقاومة حتى
لا تحدث إصابات .

وأسرع أحد الضباط لإبلاغ أوامر « الملك » إلى قائد
حرس المشاة . . وما لبث الهدوء أن استتب مرة أخرى .
وهز « الملك » رأسه في أسف وهو يزفر في ضيق :
— أظن أن هذا درس يجب أن نستفيد منه . . ليست
هناك حراسة كافية بدليل أنهم وصلوا إلى الحرملك . . وإن
شاء الله لا يتكرر هذا مستقبلاً .

ووصل « علي ماهر » الذي أرسل « الملك » في استدعائه
لكي يستوضح منه جلية الأمر ، وأقبل يستحث الخطأ حائراً
مشدوهاً فصاح به الملك :

— إليه الحكاية ١٩ إليه اللي جاب الجيش ؟
— أنا كان مش عارف .. لأنى لغاية امبارح بالليل كنت
مع نجيب وأخذت منه وعد إنه ما يقربش على السراية .
— طيب روح شوف الحكاية إليه ؟

وغادر « على ماهر » القصر .. ليرى « الحكاية إليه » ..
وعند ما عاد فى المرة التالية .. كان قد عرف الحكاية ..
وتسلم الإنذار الذى وجهه الجيش إلى الملك يطلب منه التنازل
عن العرش .

وسمع « الملك » لأول مرة .. ما كان يجول فى خناطر كل
مصرى .. ولا يجسر أن يرتفع به صوت .. سمع « الملك » ..
الحق الذى وضعه حيث يجب أن يكون : عايب ماجن ..
أخرق أحق .. بدل الباطل الذى كان يرتفع به إلى مستوى
الرسول والأنبياء .. سمع « الملك » بوضوح .. صوت الشعب
يصيح به فى قوة وعنف :

« إنه نظرأ لما لاقتة البلاد فى العهد الأخير من فوضى
شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعيشكم
بالدستور وامتها انكم لإرادة الشعب حتى أصبح كل فرد من
أفراده لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته .. ولقد ساءت
سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم فى هذا المسلك حتى

أصبح الخونة والمرتشون يجدون في ظلكم الحماية والأمن
والثراء الفاحش والإسراف المبالغ على حساب الشعب
الجماع الفقير .

سمع الملك أوصافه وأعماله بوضوح وصدق .. وعرف
أن هذه الأوصاف والأعمال تحتم عليه التنازل عن العرش
في موعد أقصاه الثانية عشرة ظهراً .. ومغادرة البلاد في
موعد أقصاه السادسة مساء .

وصمت صوت الإنذار .. ليخاف سكوناً مطبقاً ..
ووجوماً شديداً .. وغادر « على ماهر » المسكان ومعه قائد
البوليس .. ولم يكن الضباط قد عرفوا جليلة الأمر بعد ..
كانوا يعرفون من ملاح رئيس الوزراء المتجهمه وسيمائه
الواجم أن شيئاً خطيراً قد حدث ، ولكنهم لم يدركوا
تفاصيله بعد .

ووقف « كامل » قائد البوليس ينبههم في شroud أن
الأمر قد انتهى .. وأن الملك لم يعد بعد ماسكا .
ولم يستطع حسين أن يصدق أذنيه ..

لم يصدق .. أن كل هذا السلطان يمكن أن يزول في
غمضة عين .. وأن هذا الجاه العريض والآهة التي لا حدود
لها .. والملك الذي كان دوامه فوق مستوى الشك والريب

قد حلت نهايته بمثل هذه السرعة .

ووقف حسين يدور ببصره في أنحاء الصالة الرحبة المستديرة التي أقيمت التابلوهات الرائعة على حوائطها وإلى المنضدة الرخامية السوداء والمقاعد المصفوفة . . ثم شردت عيناه إلى ما وراء النوافذ المواجهة حيث بدا الفراخ العريض الأزرق خليطاً من الماء والسما . . وتملكه إحساس شديد بضالة الإنسان وتفاهته . . وغروره وعجزه .

واسترعى « حسين » من شروده وقع أقدام مقبلة من الطريقة العريضة المفضية إلى الصالة وبدا الملك في حلته البيضاء عارى الرأس وقد وضع منظاره الأسود على عينيه وأمسك منديلاً في إحدى يديه يحفف به عنقه ، ثم توقف في مدخل الطريقة واتسكأ بذراعه على الباب .

وكان يبدو في وقفته كطير ذبيح سرقة السكين ، يحاول التماسك كأنما لم يصبه شيء .

وأحس الضباط من هيكله المنهار المتماusk بالمرارة تفعم نفوسهم ، ولم يستطع قائد الحرس أن يوقف دمه الهاطل .

واقترب الضباط من « الملك » الواقف الجاثي وهمس قائد الحرس وهو يكبح جماح دموعه :

— كل هذا فعلته بك القلة المخادعة المجرمة التي كانت
تحيط بك .. والتي كنت تبعدنا لتقربها .. أنا قائد حرسك .
كنت أشعر بعيد الهوة بيني وبينك .. كنت أبعد الناس
عنك .. لم تحدثني مرة واحدة .. أنا الذي كان يملأ نفسي
الإخلاص لك .. كنت أشعر أني غريب عن قصرك
دخيل عليه .

ورفع « الملك » المندبل يحفف جبينه ، وأطرق برأسه
مسلماً بما سمع ولما لقيه ما لبث حتى هزه في يأس وأجاب :
— لا فائدة الآن .. لقد انتهى الأمر .. إنني أحس الآن
مدى وفائكم لي .. ولكم وددت أن آخذكم معي جميعاً ..
ولكنني لن أستطيع أن آخذ سوى ستة منكم .
ثم التفت إلى قائد الحرس وأردف قائلاً :
— يا أحمد .. شوفهم لي .

وعاد « الملك » إلى الطريقة وما لبث أن اختفى بجسده
الضخم وقد بدا في سيره كأنه يحاول أن يرفع عن نفسه
أثقالاً تشده إلى الأرض .

ووقف قائد البوليس يسأل عن الضباط غير المتزوجين
الذين يمكنهم أن يصبحوا الملك قائلاً إن رئيس الوزراء على
علم برحيل هؤلاء الضباط وأنهم سيعتبرون في مهمة رسمية .

ولم يتردد « حسين » ، في أن يكون ضمن الستة المصاحبين
للملك . . دفعته إلى ذلك طبيعته المغامرة المندفعة وإحساس
بالوفاء للملك المهيب والعطف عليه .

وفي تلك اللحظة استدعى قائد البوليس إلى خارج القصر
وما لبث أن عاد ومعه « سليمان حافظ » ، وكيل مجلس الدولة
وقد حمل في يده مظروفاً وضع به الوثيقة التي أعدها لتنازل
الملك عن عرشه .

وجلس الرجل في كثير من الوجل وقد تملكته رهبة
الموقف على أحد المقاعد الكبيرة الملاصقة للحائط . .
وغاب قائد البوليس داخل الطرقة التي اختفى فيها الملك منذ
برهة . . وبعد لحظات أقبل في خطاه السريعة قائلاً :
— سيأتي الملك لمقابلتك .

وبعد لحظة أردف يقول في لهجة رجاء :
— إن للملك أمنية يود لو استطعتم تحقيقها . . فقد
اعتقل الجيش بوللى وحلى حسين عند محاولتهما الخروج
من القصر هذا الصباح . . ولبوللى معزة خاصة عند الملك
فهو يلزمه منذ طفولته ويسره في هذه الظروف لو أمكن
لحكم التوسط للسماح له بمصاحبته اليوم والرحيل إلى
غير رجعة .

— إني أعدد أن أبذل كل جهدي في هذا الشأن .
— ولا شك أن جميلكم سيكون مضاعفاً إذا أمكن
أيضاً السماح لخلي حسين بمرافقته . . أما إذا لم يكن ذلك
ممكناً فيكفي الإفراج عن بوللى فقط .
— سأحاول أن أفعل كل ما أستطيع .

وساد السكون . . وأخذت الدقائق تمر بطيئة ثقيلة . .
وحسين ينظر إلى الكهل الأشيب ذى الوجه المجعد والعينين
التي أحاطت بهما هالة من السواد وقد انكمش على مقعده
في خشية وتواضع وكأنه لم يأت لإطاحة الملك عن عرشه
وكان الورقة يمينه لم تكن السيف البتار الذى سيستأصل
فساداً تشعبت جذوره وتوطدت دعائمه .

ومرة أخرى سمعت خطوات الملك تقترب في الطريقة . .
وكانت هذه المرة خطوات سريعة متوترة ولم يلبث حتى بدا
بهيكله الضخم وقد جمدت ملامحه . . وبدا من خلالها الجهد
الذى يبذله للسيطرة على أعصابه وتمالك قواه . . وإن نمت
سعالته القصيرة المتتالية على فرط توتره وانفعاله .

واتجه الملك إلى المنضدة الرخامية المستديرة التى توسطت
الصالة ، ومد يده مصافحاً العجوز الذى هرول إليه والذى
أخرج وثيقة التنازل من غلافها وقدمها إليه فى إجلال

واحترام .

وتسأل الملك وهو يتسلم بيده حكم الإعدام على عرشه :

— أهى محكمة الوضع من الناحية القانونية ؟

— أجل .

وألقى عليها نظرة خاطفة ثم عاد يتسأل :

— ما هى أسباب النزول عن العرش ؟

— لقد استلمتها من مقدمة الدستور .

ورفع الملك الوثيقة وأخذ فى قراءتها ثم أخرج من جيبه

قلماً وعاود قراءتها متمهلاً وكأنه يفحص كل كلمة .

« نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نتطلب الخير دائماً لا متناً ونبتهنى سعادتها ورقياً

ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب

التي تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة . . ونزولاً على إرادة

الشعب . .

وهنا توقف برهة ورفع بصره عن الوثيقة وسأل

الرجل المائل أمامه كالجلاد :

— ألا يمكن إضافة كلمة « وإرادتنا ، بعد عبارة

« ونزولاً على إرادة الشعب » ؟

— لقد صغنا نزولكم عن العرش فى صورة أمر ملكى .

— أتقصد أن الأمر المملوكى ينطوى على هذا المعنى ؟
— أجل .

— إذا فليس هناك ما يمنع من إضافة هذه الكلمة ؟
— إنما لم نصل يامولاى إلى هذه الصيغة المعروضة على
جلالتكم إلا بشق الأنفس .

ورفع الملك حاجبيه وتسامل فى دهشة واهتمام :
— إذا فقد كانوا يريدون منى أن أوقع على ورقة
أخرى ؟

ومضت فترة وجوم لم يلبث أن قطعها قائلاً :
— أيمكن أن تحدثنى عما كان بها ؟
— إنى لم أطلع عليها يا مولاى .
— أتمسك عن ذكر ما بها حتى لا تجرح شعورى ؟ إنى
أعدك ألا أتأثر بما أسمع !
— أقسم بشرفى أنى لم أطلع عليها .

ووضع الملك طرف القلم على أسفل الوثيقة وبدأ يده
ترتجف وتهتز وأوثق قبضته على القلم حتى لا يخونه أعصابه .
كان قلبه هذه المرة يعبث بمصيره هو . . لا بمصائر
الغير . . كان يعرف أنه بهذه الدوائر المتتالية التى يخطها . .
فى أسفل الوثيقة . . قد طأطأ هامته وأخفض جناحه وكسر

شوكته وأذل عزّه وأضاع سلطانه .. وأنه قد أضحي كغيره
من عباد الله .. لا يمشى في الأرض مرحاً .. ولا يخرق
الأرض .. ولا يبلغ الجبال طولا .

ورغم قبضته الموثقة على القلم .. لم يستطع أن يمنع عنه
رجفة كرجفة الموت .. وبدأت الإمضاء التي كانت مستهترة
مستخفة في تقرير مصائر الغير .. ذليلة مرتجفة في تقرير
مهير نفسه .

ونظر إلى الإمضاء وأحس أنها فضحت انهياره وتحطيمه
ورفع رأسه يبطء في مذلة واستحياء ليجد وجه الجلال
العجوز جامداً صامتاً وكأنه النسر ينتظر الفريسة على قمة
الشجرة حتى تلفظ آخر أنفاسها .

وازدرد الملك ريقه وتمتم في خجل :

— لعلك تلتمس لي العذر في أن التوقيع لم يكن كما أود
ولذا سأوقع مرة أخرى .

وارتفع سن القلم إلى أعلى الوثيقة فأعاد الإمضاء .
وتناول العجوز سلاحه .. وبدأ له أن الذي أجهز عليه
يستحق منه بضع كلمات رثاء يشيعه بها إلى لحده فأخذ يردد
حديثاً عن قضاء الله وحكمته ووجوب الرضاء به .

وهز الملك رأسه في استسلام .. لم يكن يملك سواه .

واقترب قائد البوليس فسكرر على مسامع الملك ما سبق
أن تحدث به عن پوللى وحلى حسين فأيد الملك أقواله وألح
فى طلبه ، فسكرر الرجل وعده فى أن يبذل كل جهده . .
وسأله قبل أن ينصرف عن أية رغبة أخرى فتحديث عن
رغبته فى أن تبقى أمواله فى مصر حتى تؤول إلى أولاده أو
توزع عليهم من الآن .

وانصرف الرجل فى هدوء وخشية ورهبة . . بعد أن
سحب العرش من أسفل الملك وقذف بالتاج من فوق رأسه .
ووقف الملك حائراً مشدوهاً . . بلا عرش . . ولا ملك
ولا تاج . . وسار بخطوات متثاقلة حتى استقر على مقعد
بحوار منضدة صغيرة عليها تليفون . . وأخذ يضرب يده
بجبينه كأنه غير مصدق لكل ما حدث .

ولم يكن هو وحده الذى لا يصدق حقيقة ما حدث . .
كان الضباط الذين التفوا حوله . . زائغى الأبصار فاغرى
الآفواه . . يضربون كفاً بكف . . وكان حسين يستبعد أن
تم المسألة بمثل هذه السرعة . . كان يتخيل أن انهيار هذا
الملك الشاى والسلطان الجبار . . يحتاج إلى أكثر من ورقة
فى يد عجوز هباب وجل منكش . . يحتاج إلى ضجيج وعنف
وصخب وأحداث خطيرة جليلة .

ومع ذلك . . فهو يجد المسألة قد تمت . . والنهاية قد
حلت لا ريب فيها ولا شك . . وأن الرجل المنهار أمامه على
المقعد يضرب يده بجبينه في ذهول . . والذي كان منذ برهة
تطأطئه له الرؤوس . . وتذل النفوس . . قد طأطأ رأسه . .
وذل نفسه . . وأن « الملك » الذي كان منذ لحظات طاغية
جباراً . . لم يعد بعد ملكاً ، ولا طاغية ، ولا جباراً .



غروب



حسين، إلى ساعته فإذا بالعقارب تسير، والوقت

نظر

يمر .. وفي تلك اللحظة أحس أن سير العقارب
يغير أوضاعاً ويبدل أموراً .. وأن الوقت الذي يمر .. لم
يعد يمر في تراخ وهدوء وسكينة كما كان يمر من قبل، وأن
الدقائق التي يقطعها الوقت، باتت تحتسب من حياة هذا البلد
ومن حياته في هذا البلد .. وأنه عند ما يدور العقرب بضع
دورات لم يكن يحس بها فيما مضى .. ستصبح مصر شيئاً آخر
غير ما كانته مصر ... وسيضحى هو خارج مصر ... إلى
غير رجعة .

أجل ! هذه حقيقة .. لا لبس فيها، ولا غموض ..
حقيقة مرّة .. لم يحاول أن يفكر فيها من قبل، عند ما ساقه
الاندفاع وحب المغامرة والإحساس بالوفاء إلى أن يقبل
الرحيل مع الملك لحراسته .

وتوالت على ذهنه صور سريعة خاطفة لحياته ...
بدأت بماضيه القريب .. الحافل المزدحم .. المليء بحياة
الاستهتار المسكشوف، واللهو المفضوح ... في مستوى
أرستقراطي وطبقة رفيعة .. وتذكر صحبته للملك في نوبات
حراسته حيث كان يصل الليل بالنهار، والملك لا يتزعزع

عن مائدة اللعب وصحاف الساندوتش تتوالى عليه ليلتهما
في نهم واحد بعد واحد ، وتذكر جوامع المآثر والدسائس
والفتن والفساد والانحلال ، وبدأ له كأنما كان يحيا في ضباب
أو يدور في دوامة وسط مستنقع قذر .

وتتابعت الصور في ذهنه . . فحلمته من ماضيه إلى جو
أهدأ وأنقى .. وأحس — بعد طول الجهد والمهث — بحنين
إلى البيت الهادئ ، والصدر الحنون ، والنفس الصافية ،
والقلب الوفي .. وتذكر أمه وبهية ، وبدأ له كالمليح الدافئ
في يوم قر .. دفعته أمواج المطامح والمتع بعيداً عنه .. ولم
يحس بحاجة إليه إلا بعد أن أضناه الجهد وأضر به الضلال .
وألحت على ذهنه صورة « بهية » .. في حبها الصامت له
الحب العميق القوى المثابر ، الذي لا يحد من تدفقه ، إنكاراً
أو إهمالاً ، أو هجراً أو بعداً ، وأحس لأول مرة بلهفة عليها
وهو الذي لم يطف ذكرها برأسه مرة واحدة .. وبدأ له
في تلك اللحظة .. كأنها جزء منه .. لم يفكر فيه ولم يشعر
بوجوده إلا وهو يوشك أن يفقده .

وتذكر وفاءها العجيب .. ورفضها كل من تقدم
لزواجها .. رفضاً باتاً بلا بحث ولا تفكير ولا مناقشة ..
وحياتها في الدار كراهية وهبت نفسها لخدمتهم جميعاً .

وتذكر رغبة «أمه» في زواجه بها ، واستنكاره هو لهذه
الرغبة ، وتطلع «بهيّة» إليه كرجاء دائم لا يأس منه .. وأمل
مشرق لا مغرب له .. رغم قطعه لكل الرجاء .. وإطفائه
لكل أمل .

وتذكر تكالبها على خدمته وفهمها لكل مطالبه وقضائها
لكل حوائجه ، وإحساسها الواثق بأنها شيء تابع له .. أرادت
الأقدار أم لم ترد ، وشاءت الظروف أم لم تشأ .

واستمرت الصور في تتابعها على ذهنه ، فدفعت إليه
أخاه «علي» .. أو نصفه الآخر .. النصف المثالي القويم .
وكان قد عرف في اليوم التالي للثورة .. أنه قد اشترك
بسكيتيته المدرعة ضمن قوات الفرسان .. وبهت في أول
الأمر .. فقد كان يعرف عن أخيه كرهه للمغامرة .. وميله
الشديد إلى التزام حدود واجبه ، وتقديسه للنظم المفروضة
عليه كرجل عسكري .

ولسكن دهشته لم تلبث أن زادت عندما علم أن الجيش
كله قد اشترك في الثورة .. وأن «علي» بلا شك يعتبر في
قرارة نفسه أنه بات يعمل في حدود واجبه الحقيقي .. وأنه
باشترأكه في عمليات الثورة .. إنما ينفذ الأوامر المضبوطة
الحقة .. التي تهدف إلى صالح البلد .. وأن الأداة المسيطرة

الآن على الجيش .. والتي تصدر إليه الأوامر .. أحق
بالطاعة من حاشية السوء .. والجهل .. والفساد .. التي كانت
تسيطر على الجيش .

وعلم « حسين » قبيل الظهر من أحد زملائه أن « علي »
يشارك مع القوات المحاصرة للقصور .. وأنه لا تفصله
عنه سوى بضع دقائق .

وأحس بالشوق إلى أخيه .. والرغبة في أن يتزود منه
بلقاء أخير قبل الرحيل .. وبدأ له اللقاء سهلاً ميسوراً ..
فهو لابد أن يجهز نفسه للسفر .. وما زال أمامهم بضع
ساعات يستطيع خلالها أن يخرج ليعد حاجياته ويلقى « علي » .
وكان « الملك » مازال مطرقاً على مقعده بجوار التليفون ،
وكان ينادى أحمد كامل قائد البوليس بين آونة وأخرى .
واقترب حسين من كامل .. وقال في صوت خفيض
متسائلاً :

— ما هي الملابس خلال السفر ... أسنرتدى
البوشيرت ؟

وأجابه كامل في ضيق .. فقد كان في ذهنه من المشاغل
ما يغنيه عن التفكير في ملابس ضباط الحرس :
— تفاهم مع أبي النصر .

واتجه حسين إلى أبي النصر قائد الحرس قائلا :

— إني أريد الخروج لإحضار ملابس .

وأحس الملك بصوت حسين يقطع الصمت الجاثم . .
والسكون الخيم قسما ل قائلا :

— ماذا تريد ؟

وارتبك حسين وأجاب :

— إني أتساءل هل أستطيع الخروج لإحضار ملابسى ؟

وأجاب الملك فى دهشة :

— أية ملابس هذه التى ستخرج لإحضارها ؟ .. إلبس

أى شئ .. إلبس قفطان .. إلبس جلباب .. إلبس ما تريد .

ألن نستطيع أن نحضر لك بدلة .. يكفى التوضيحات التى

بذلتموها .

وأحس الملك ، بجفاف فى حلقه فصاح :

— ماء .

ثم أخذ يرتشف الكوب رشفة رشفة وعيناه زائغتان

وما لبث أن صاح فى عصبية ظاهرة :

— هات لهم ماء .

والتف الضباط حوله فى شبه دائرة وقد عقدت الدهشة

ألسننتهم وبدأ عليهم ذهول شديد .

ووقف بينهم «حسين» .. شارد الذهن .. وقد اختلط
تفكيره واضطرب ذهنه .. وهو يحس بتعذر الخروج أو
باستحالة لقاء أخيه .. ويجد الخيط الأخير بينه وبين أحب
الناس إليه قد قطع .. ويحس بأن وطنه يوشك أن يلفظه
إلى مصير غامض ومقر مجهول .

وحل موعد الغداء .. وجلس حسين مع بقية الضباط
يلوكون لقبات من الفاصوليا الجافة وبضع شرائح من اللحم
المحمر .. وقد سادهم الوجوم وأطبق عليهم الصمت إلا من
بضع كلمات دهشة وعجب .

ودنت ساعة الرحيل ، وانهمك الخدم في حمل الحقائب
إلى اللنش الواقف بجوار الشمنندورة .. وأقبلت الأميرة
فوزيه وزوجها لوداع الملك .. وقد شحب وجهاهما ، وبدا
الذعر في ملامحهما .

وجلس حسين في ركن بعيد يرقب عقارب الساعة في
صمت ، ومن حوله زملاؤه الخمسة يكتبون لذويهم رسائل
وداع .. دون أن يحاول هو أن يخط حرفاً .. فقد أحس
بذهنه يتبدل .. وانتابته حالة من اليأس ، جعلته لا يأبه لكل
ما حوله .

والتفت إليه أحد الزملاء متسائلاً :

— لماذا لا تكتب ؟

— وماذا أكتب ؟

— ألا تريد أن تكتب كلمة وداع لأخيك ؟

— وما فائدة كلمات الوداع ؟

— إذن أكتب كلمة لطمأنينة والدتك .

وأمسك حسين القلم وأخذ يكتب :

« أخى على

لست أدري ماذا أكتب إليك .. فالكلمات تعتبر تفاهة
وعبثاً إذا ما قيسَت بضخامة الأحداث التى تمر من حولي ..
والمشاعر التى تصطبغ فى باطنى .. والأفكار التى تحتشد
فى ذهنى .

إنك تقف الآن فى عربتك المدرعة ومن حولك جنودك
وزملاؤك ومن حولكم الشعب كله .. وقفة المنتصرين على
الاستبداد .. المحطمين للطغيان .

وفى داخل القصر الذى تحيطون به ، ووراء الجدران
العالية التى تصوبون إليها مدافعكم .. يقبع الطغيان .
وكم أود لو وقعت الجدر بين القوتين .. قوتكم وقوة
الطغيان .. حتى يتضح الفارق العجيب بين القوتين .

إنى لأتساءل فى حيرة .. كيف تسنى لهذا الفرد العاجز

وثلته الهزيمة . . أن تسيطر على كل هذه القوى الهائلة من الشعب والجيش التي تزار في الخارج ؟ كيف تسنى لها أن تجثم عليها . . وتطبق على أنفاسها .. وتسوقها سوق غرائب الإبل .

إن الاستبداد وهم تخلقه القوى المنساقاة بلا تفكير .
وليس في هذا العالم قوة فرد مستبد . . تعادل مجموعة القوى المستبد بها أبداً . . إنما الطغيان خدعة يفرضها الفرد على المجموع . . ويلبسها المجموع للفرد . . بعد الاقتناع بها والخوف منها .

إن قوى الطغيان والاستبداد . . مستمدة من وهم الحكم وهو لا يزيد في حقيقته على صيحة راعي الإبل . . أو هشة صاحب الغنم . . كل قدرتها كائنة في خوف الإبل منها . . وانقياد الغنم لها .

لست أدري لمَ أكتب إليك هذا في هذه اللحظات الخرجة والوقت الضيق . . قد يكون الدافع إلى ذلك إحساسى العميق بمدى ضلالة الفرد في حد ذاته وفي محيط نفسه . . لقد رأيت المستبد . . يفقد استبداده في لحظات . . وهو . . هو . . لم يتغير في تكوينه شيء . . لم ينقص من قوى جسده ولا خفت قوى عقله . . لم يبتز منه عضو . . ولا نزع منه

ظفر .. فى دقيقة كان مرهوباً .. مروّعاً .. وفى الدقيقة
التالية كان ذليلاً .. مرتجفاً .. لماذا ؟

لأن القوى المنساقّة .. قد كشفت الخدعة .. وبذبت
الوهم .. ووجدت أن قوى المستقبل من قوتها .. فاستردتها ،
وتركتها عاجزاً ضعيفاً بلا حول ولا قوة .

إن العقارب تسير .. لست أدري سر هذه السرعة التى
تسير بها .. وأن لحظاتي على أرضنا هذه قد باتت معدودة .
إني حائر فيما أقول لك .. فالكلمات كما حدثتك فى أول
الرسالة تعتبر عبثاً إذا ما قيست بحشد مشاعري .

أتسخر منى كثيراً .. إذا ما قلت لك أنى أحس بحنين
شديد .. إلى بيتنا .. البيت الذى ولدنا فيه .. إلى جلسة
الطبلية .. والحصير .. والفراش المشترك .. إلى الطين
الأسود .. والحلبة الخضراء .. والماء العكر ؟

أتسخر منى كثيراً .. إذا ما قلت لك .. أنى .. أنى ..
أحب « بهية » ؟

أجل يا على .. ما أحسست بها فى حياتى كما أحس الآن
وأنا أوشك أن أرحل إلى غير رجعة .

إنها كانت تنتظرنى دائماً .. بلا أمل فى شىء .. وأغلب
ظنى أنها ستظل تنتظرنى .. كما تعودت أن تنتظر .. قل لها

أن انتظارها هذه المرة .. لن يكون بلا أمل .. لأنى إذا
عدت فسأعود لها .

أرهارسالتى .. وقبّل لى أمى .
إنى أحبكم جميعاً .

المخلص

حسين

وأطبق حسين الرسالة .. ثم وضعها فى الظرف وسلمها
لزميله .. ليضعها ضمن الرسائل التى كتبها الضباط الستة
إلى ذويهم .

وكانت الساعة قد اقتربت من الخامسة والنصف فأمر
قائد الحرس بإعداد قره قول شرف يصطف من القصر إلى
الميناء لتوديع الملك .

وكان رئيس الوزراء قد خيره بين السفر بالطائرة أو
البحر ، فاختار البحر وتقرر السفر بالمحروسة .. واستدعى
قائدها « جلال علوبه » إلى القصر

وأخذت الحوادث تترى ، والكل يتحركون فى صمت
كأنهم أشباح .. وفى الساعة السادسة إلا عشر دقائق هبطت
الملكة والملك الصغير والأميرات الثلاث ، وعزفت موسيقى
الحرس بالسلام الملكى .

واتخذ الجميع أماكنهم في اللنش ، ووقف الضباط وبقية
الموظفين بجواره ، وبعد خمس دقائق هبط الملك ، وتحرك
وسط الحاشية المودعة والحرس المصطف ، كأنه راحل في
إحدى رحلاته الملكية .. وما زالت تحف به مظاهر الأبهة
والملك .. وفي خطواته الثبات الأخير للطير الذبيح ..
وعزفت الموسيقى بالسلام فرد التحية وتسلم العلم من ضابط
العلم .. ثم اتجه إلى اللنش .. وقبل أن يأخذ مكانه فيه ودع
رئيس الوزراء والسفير الأمريكي وحيا الضباط والمواطنين .
وتحرك اللنش يشق طريقه في المياه الزرقاء الهادئة ..
وبدت جموع الشعب محتشدة على الميناء ورفع الملك ، الكاب
محيياً البحارة وطلبة البحرية .

وفجأة بدت إحدى المراكب الصغيرة وبها مصور ممسك
بآلته فصاح الملك في انفعال :
— خذوها منه .

وأمسك بالمصور وألقى بآلته إلى البحر ، وأعدم بذلك
كل أثر لرحيل الملك .

ووصل الركب إلى المحروسة .. وصعد الملك وأسرته
وتبعه «حسين» وبقية الضباط .. ودوت طلقة تحية من إحدى
المراكب فأصاب الملك رجفة كشفت عن انهياره الداخلي

كأنما كان لا يصدق أن ينجو بجلده ، أو كأنه يتوقع ضربة قاضية تنزل به في أية لحظة .

وبعد برهة اقتربت إحدى المراكب من السفينة وقد حملت ضباط الثورة الذين أتوا الوداع الملك ودارت حول المركب دورة وحياء ركابها ، فلم يرد التحية لأنه لم يرههم حتى لفتت الملكة نظره ، وكانت تبدو رابطة الجأش .

وصعد نجيب وجمال وحسين إلى المركب وحيوا الملك ووقف الخصمان يواجه أحدهما الآخر . . . وكانت قوة الأحداث وسرعة تطورها أشد من أن تترك لكل منهم فرصة التفكير في روعة اللحظة الحاسمة التي يقفون فيها . . . كان كل منهم يرى الآخر من خلال ضباب الأحداث الكبرى . . . التي أدت إلى هذا الموقف . . . والأحداث الكبرى التي ستترتب عليه .

كان الملك ، ينظر إلى هؤلاء الذين ركوه عن العرش في لمح البصر . . . من هم ؟ كيف تبدو سماتهم ؟ . . . وأين كانوا من رعيته الخاضعة ؟ . . . وشعبه المطيع ؟ . . . لماذا لم يبطش بهم قبل أن يبطشوا به ؟ ! وبدأ أنه يحاول جهده أن يكون ملوكا في ساعاته الأخيرة ، وأن يحتفظ بوقفة الذبيحة على أقدامها حتى آخر لحظة . . . وألا ينخر أمام قصاييه .

ونظر إليه الضباط نظرتهم إلى ثور يترشح ، وهو مازال
يقف على أربع . . ولم تبد عليهم رغبة في إطالة اللقاء . .
وانتهى الوداع الشكلي في لحظات ، بعد أن حاول الملك أن
يلقى خلاله بآخر أواسره الملكية ، فأمر جمال بنزع عصاه
وأجابه جمال بنظرة أفهمته أنه لم يعد ملكا ، وذكر الذبيحة
بالسكين الذي سرقها .

وغادر الضباط المركب ، بعد أن ودعهم الملك بأطيب
تمنياته التي لم يكن لها في قلبه ما يبررها والتي بدت كآخر مظهر
يخلع به على رحيله سمات الروعة الملكية ويكسب به وداعه
إمارات السمو .

وفي السابعة إلا ربعا تحركت المركب بعد أن تم تموينها
وأخذت تنساب في بطم على الموج الأزرق الرجراج . .
وكانت الشمس قد أخذت تتهاوى في الأفق الغربي ، وبدت
السفينة في انزلاقها نحو الأفق كأنها شمس أخرى آفلة إلى غير
عودة . . غاربة إلى غير شروق .

ووقف ركاب السفينة يرقبون المدينة تتباعد ، والذبول
الحمر التي خلفتها الشمس الغاربة تقرضها أنياب الليل السود
فتنحسر عن المدينة . . لتخلف دورها الشاهقة أشباحاً باهتة
مضمحلة . . ورويدا رويدا . . أطبقت الظلمات على الأشباح

الرمادية القائمة في الأفق كأنها شواهد القبور التي ثوت فيها
قوى الطغيان ومظاهر السلطان والجبروت .

ووقف الملك متسكماً بذراعاه على حافة السور . . وقد
تعلق بصره بالظلمة المطبقة . . التي بدت من خلالها أضواء
مرتجفة تتراقص في الأفق الحسالك . . ملوحة بآخر آثار
ملكه . . وما لبثت الأضواء المرتجفة أن ابتلعتهما الظلمات . .
كأنما قد عصفت بها الهبة الأخيرة من العاصفة التي اقتلعت
عرشه وأطاحت بتاجه .

وخيمت على عينه سحابة دمع لم يقو تجلده على تبديدها
ومد يده يتحسس رأس الملكة الواقفة بجواره كأنما يحاول
أن يجد شيئاً تبقى له من ملكه الزائل . . وبعد برهة التفت
إلى الضباط قائلاً :

— استريحوا فإنى لا أحتاج في المركب إلى حراسة .
واندفعت السفينة تشق طريقها بين الظلمات . . وأوى
الركاب إلى حجراتهم بعد أن غربت عن أبصارهم آخر بارقة
في أرض الوطن . وجلس حسين ، على حافة الفراش الصغير
يريح جسده المسكدود واضعاً مرفقيه على ركبتيه . . مسنداً
رأسه على كفيه ضاغطاً جبينه بأصابعه كأنما يحاول أن يسكن
ذلك الصداع . . الذي يكاد يحطم رأسه .

وأحس وقد خلا إلى نفسه لأول مرة .. في هذا اليوم
الصاحب الحافل برغبة في البكاء .. وكانت عبراته كقطرات
المطر التي تقلب عليها الأرض لتغسل شوائبها بعد هبوب
عاصف وإعصار مترب .. ولم يحاول أن يكبح جماح دموعه ،
وتركه ينساب في صمت بين أصابعه .. ليغسل همومه ..
ويفك ضيقه .

وفعلت نوبة البكاء فعلها .. وأحس بعد ذلك بشيء من
السكينة والراحة .. وما لبث أن نفّس عنه دموعه كما نفّس
همومه .. وتحامل على نفسه مستدعياً طبيعته المخامرة ..
وروحه المستهتر .. وكان أول ما فعل أن نهض إلى المرأة
وأخذ في حلاقة ذقنه .. واغتسل ، ونسق ملابسه قدر
الاستطاعة ثم خرج إلى ظهر السفينة .

وفي الساعة التاسعة غادر «الملك» حبرته .. وقد ارتدى
ما يشبه العباءة البيضاء كست كل جسده .. واتجه إلى الضباط
ووقف بينهم متكئاً على السور .. وشرّد ببصره في ظلمات
الآفاق التي اختلط فيها سواد البحر بسواد السماء .. وما لبث
أن أطلق زفرة حارة وقال كأنما يحدث نفسه :

— بعد كل اللي حصل ده ... أنا حاسس أني أخطأت
في حاجة واحدة ، وهو أني لم أتوقع أن اللي حصل النهارده

بالذات حايحصل .. لأنى امبارح قلت لعلى ماهر إن الجماعة
دول مادام جم اسكندريه حقهم ييجوا ولو يمضوا فى الدفتر
فقال لى إنهم جاين بكره الساعة ٩ فجيت فى مخى إن لهم مطالب
تانيه .. والواحد نفذ لهم كل حاجه عايزينها .. لكن بجاش
فى مخى أبدأ أن اللى حصل حايحصل .

وسادت فترة صمت ، ولم يعرف أحد من الضباط بماذا
يعلق على قوله .. وما ليث الملك أن عاود حديثه قائلاً :
— الراجل كافرى ده .. راجل كويس جداً .. أنا
مديت له مدته مع الحكومة الأمريكية .. ومن سنتين كنت
شاعر إن اليوم ده مسيره ييجى .. وقلت له كده فقال لى
إن دى حاجه مش معقول تحصل .. فقلت له دا شعبي وأنا
عارفه كويس .. فرد علىّ بأنه مهما حصل فهو مستعد لآى
خدمة فى أى وقت .. فقلت له إن أنا مدخرك للوقت
المناسب .. ولما جالى النهارده قلت له .. إن ده هو الوقت
المناسب .

وهبت نسمة ملأ بها صدره العريض .. ورفع يده فضم
صباوته وأردف قائلاً :

— اللى يعمل خير ما بيروحشى .. إحنا أكر منا عائلة
سافوى .. وأعتقد إن احنا لما حانوصل لإيطاليا حايستقبلونا

كويس . . أنا مش عارف دلوقت إحنا حائيش فين . .
لكن أما نوصل يجلها ربنا . . وإذا احتجت لأى حاجة
حابقى أبعت أى حد فيكم .

وتلفت إليهم وألقى عليهم نظرة فاحصة . . وقال فى شبه
رجاء :

— أنا محتاج لكم كلكم . . وحنعمل نظام للحراسة
نتكلم عنه بعدين . . لكن أهم حاجه عايز أقولها لكم دلوقت
إن فيه جماعه « جانجستر » ما عندهمش مانع إنهم يخطفوا ابنى . .
دول أهم حاجه لازم ناخدا بالنا منهم . . وعلى العموم حنتكلم
فى الموضوع ده بعدين .

وقال أحد الضباط :

— إحنا مستعدين لكل حاجه . . . مولانا ما يحملش
هم أبداً .

وأجاب « الملك » فى هصوت خافت :

— أنا عارف .

ثم استدار مرة أخرى ليواجه ظلمات البحر وليشرد
ببصره قائلاً فى استسلام :

— أنا بقالى أربعتاشر سنه تعبنا من الملك . . وعاوز

أستريح . . مش عايز أرجع دلوقت .

وبدا من قوله أن السكين مازالت تسرقه .. وأن
الذبيحة مازالت تقف مترنحة على أقدامها ، وأن كل ما يشعر
به هو أنه ملك في أجازة .. أو في حالة استجمام من أعباء
الملك .. وأنه سيعود بعد أن يستجم ويستريح .

وأخيراً عاد الملك إلى جناحه .. وتفرق الضباط في
مضاجعهم .. ومضت فترة طويلة وحسين راقد في فراشه
مغمض العينين دون أن يقرب النوم جفنيه .. وصور الماضي
ما زالت تتوالى في إلحاح على ذهنه .. وكانت أشدها إلحاحاً
صورة « بهية » .

وأشرقت شمس يوم جديد والسفينة تمخر عباب اليم
والساعات تمر ثقيلة بطيئة ، وجلس الضباط يقطعون الوقت
بلعب الطاولة .. والأميرات الصغيرات يتسلين بمشاهدتهم
ضاحكات فرحات لا يبدو عليهن أى إحساس بالوقت ..
وكانهن في رحلة قصيرة للنزهة .

وكان الملك يروح ويغدو ينظرونه الرمادي ، وصدره
العارى .. وقد ذهبت عنه علام القلق وسياء الشرود ..
وعاد مرة أخرى ملكاً في سفينته الخاصة .. وبين حراسه
المخلصين .. وبدأ له كل ما حوله لم يتغير قيد أنملة عن أيام
الملك والسلطان .. كل شخص يراه .. وكل كلمة يسمعا ..

تؤكد له أنه لم يزل مولانا .. جلالة الملك المعظم .
حتى أخذت السفينة تقترب من الساحل الإيطالى ..
ووصلت إشارة مفاجئة من القاهرة .. تأمر بأن لا يهبط من
السفينة سوى الملك وأسرتة ، وأن يعود معها كل المصريين
الذين بها .

وهنا خرت الذبيحة .. وأدرك الملك أنه لم يعد ملكا
بعد أن أحس أن كل صلة له بملكه قد قطعت .. وأنه قد
لفظ منها لفظ النواة .. وأنه سيهبط من السفينة طريداً
وحيداً .

ووصلت السفينة إلى كبرى في فجر يوم الثلاثاء وسط
زوبعة عاصفة ومطر منهمر .. ووقفت بها حتى الضحى ..
حيث كان يرسو يخت الملك الخاص فيض البحار مع قائده
حمدي .. ثم تحركت إلى نابولي فوصلتها في الظهر ، وقادتها
إلى الميناء المراكب الصغيرة .. حيث شوهد نطاق من
البوليس الإيطالى يربط في الميناء .

وبعد فترة قصيرة وصل القنصل وتلاه السفير المصرى
«عبد العزيز بدر» وزوجته .. ومندوب من وزارة الخارجية
الإيطالية .. وبدأ الاستقبال فاتراً .. لم يحقق آمال الملك
الأخيرة ومطامحه في أن يرد الإيطاليون جميله على آل سافوى

وأحس الملك بخذلان شديد .. وهو يجد نفسه لأول مرة
مجرداً من الحاشية ، أعزل من الأنباع ، خلواً من كل أهبة
وسلطان ، لا تحيط به غير وجوه شاحبة واجمة .

ووقف عارى الرأس مرتدياً بدلته البنية ونظارته
السوداء .. وأخذ الخدم ينقلون الأمتعة .. وبينها صناديق
الويسكى الأربعين التى أشيع أنها صناديق ذهب .
وهبطت «الملكة» و «الأميرات» بينهن «بترو» الحلاق
و «كافاتشى» سائس الكلاب .. و «جارو» التوفكشى ..
وأربعة خدم من الأرواوط ، وخمس كلفاوات .. ولم يهبط
من المركب مصرى واحد .

وهبط «الملك» بخطى ثقيلة متباطئة .. كأن هناك ما أنقض
ظهره .. وأحس وهو ينزع قدميه من سلم المحروسة .. أنه
ينتزعها عن آخر قطعة من مصر .. مملكته التى مشى فى
أرضها مرحاً .. والتى خرق فيها الأرض .. وبلغ الجبال
طولا .. وكان يحاول جهده أن يتمالك ويتماسك .. وأن
يستر دموعه الصامته وراء منظاره الأسود .. ولكن لم
تكبد أقدامه تبلغ آخر الدرج ، حتى انهارت مقاومته ..
وانطلق نسيجه لأول مرة عالياً مسموعاً .. وأخذ جسده
الضخم يهتز من البكاء .

وأحس الجميع أن الذبيحة قد تهاوت . . وأنها تلفظ
آخر أنفاسها . . فاغرورقت الأعين . . واهتزت الصدور . .
وبكت الملكة . . وبكت الأميرات . . وبكى الضباط . .
وبكى الخدم . . ولم يعد هناك من لم يهتز بالبكاء . . حتى
الحراس الإيطاليين .



رسمتیں



غادرت المحروسة نابولي في اليوم التالي ، بعد أن أخذت حاجتها من الوقود ، ووصلت إلى الإسكندرية

ظهر يوم السبت .

وعاد « حسين » إلى بيته بعد غيبة لم تطل سوى أسبوع ظنّها في رحيله غيبة أبدية .. وبنفسه إحساس غريق أو شك على الهلاك ، وطال به عصف الموج ، وأفعم قلبه اليأس .. ثم وجد نفسه فجأة وقد قذفت به موجة إلى شاطئ النجاة ومرفأ السكينة والأمان .

عاد مرهقاً مكثوداً .. ليجد الراحة والطمأنينة التي افتقدها في الدوامة التي كان يعيش فيها خلال السنوات الأخيرة وسط غيوم الفساد والانحلال .

وأحس وهو يضم « بهية » إلى صدره ، ويسمح عبراتها الطامية بشفتيه .. بسكينة المستقر بعد طول لهُث وضلالة وهيام .. وهتف بها وهو يقبل عينيها ضاحكاً :

— لم أعرف قيمتك إلا وأنا أمام الحوض في المركب وقد كومت ملابسي .. وانهمكت في الدهك ، والقرض ، والشطف ، والعصر .. حتى بقبت أصابعي .

— أكنت تغسل ملابسك بيديك ؟

— طبعاً .. لم يكن لدينا سوى خيار واحد .. وكان علينا إما أن نحتمل القذارة والعرق .. أو نغسل خيارنا بأيدينا .. على أية حال .. لقد ذكرتك في كل شطفة ، وفي كل عصرة .

— وأنا ذكرتك في كل حركة وهمسة ونومة وبقطة .. لم يداخلى اليأس من عودتك قط .. كنت أنتخلك ورام كل طريقة بالباب .. لقد ملأتني رسالتك بالأمل الجميل ووجدت في قولك أنك تحبني .. عزاء عن كل شيء ..

وحقق « حسين » أمنية أمه الخالدة .. وأضحى الماजन العايب رب بيت مثالى .. وزوج نموذجى .. بعد أن أتحم بجوناً وأنهك عبثاً .. واستقر فى البيت بنعم بمتعة الاستقرار ونعمة السكنى .. وانتقلت الأسرة إلى أحد بيوت مصر الجديدة .. وجرت الحياة بأفرادها الأربعة هادئة ناعمة .. دون أن يطرأ على مجراها تغيير يذكر .

واستقر « على » فى إحدى حجرات الدار وحيداً .. تشيعه فى كل غدوة وروحة دعوات أمه بأن يرزقه الله بآبنة الحلال .. وهو يتلقى الدعوة بلا تفكير فى معناها .. كما يتلقى التحية والسلام .

وفى عمله تسلم قيادة أحد الآليات المدرعة .. وعاد

الانهماك في حياته العسكرية بروح الإخلاص ، والأمانة
والتركيز التي تعود أن يباشر بها عمله . . . وأضحت قيادة
الآلاى المدرع هي جل مطامعه وأفضل أمانيه .

واندفع « سليمان » إلى خضم السياسة . . . وكان لا يفتأ
يزور « على » بين آونة وأخرى يتبادلان الآراء ، ويسر كل
منهما إلى صاحبه بما في نفسه .

وسارت الثورة في طريقها . . . وبدأت تحقق أول
أهدافها وهو إزالة الهوة الكبرى . . بين القلة المتربعة على
أعلى القمة والكثرة الملقاة في أسفل القاع .

وصدر قانون « تحديد الملكية » ليقلم الرؤوس المتعالية . .
المتطاولة إلى السماء . . ويقرب بينها وبين عبيد الله . . الذين
يشقون على الأرض . . وليفتت كتل الإقطاعيات ، ويقرب
بين أدنى الممتلكات وأقصاها . . ويقضى على الملوك الصغار
بعد أن طوح بعرش كبيرهم .

وأحس قواد الثورة بثقل العبء الملقى على عاتقهم . .
وأن عملية الثورة نفسها بما فيها من خلع الملك . . لم تكن في
حد ذاتها هدفاً . . بل كانت وسيلة لأهداف أضخم . . وأنها
لم تكن خاتمة الشوط . . بل بدايته .

وبدت لهم . . وهم يقفون على حافة المسؤولية . . ضخامة

الطوفان الذى يشرفون عليه .. وأحسوا له فى أول الأمر
رهبة .. وأوجسوا منه خيفة .. إذ لم يخطر ببالهم أن دورهم
ستعدى دور الطليعة الفدائية الى تقتحم الأسوار ، وتمهد
الطريق .

وبدت لهم قيادة السفينة فى خضمه شيئاً لا قبل لهم به
وودوا لو سلموها للربانة القدامى .. يوجهونها توجيهاً
سديداً بأسلوب جديد مستقيم لا يلويه فساد ولا انحلال ..
إلى الهدف الأكبر .. إلى بناء وطن حر قوى ينعم أبناؤه
بحياة كريمة نظيفة لا ظلم فيها ولا عوز ولا مرض ولا جهل .
وصدره قانون تنظيم الأحزاب ، .. ولكن القانون لم
يستطع تغيير العقلية أو الأسلوب .. فلم يكن هناك بد من
إلغائها بعد أن تبين أن سوس الفساد نخر عظامها وجراثيم
الشهوات والمطامع والأنانية والصراع على مغانم الحكم قد
تأصلت فى كيائها .

وأصاب الثوار خذلان شديد .. وهم يجدون الطريق
الذى اقتحموا السور إليه وأزالوا منه العقبة الكبرى ما زال
مليئاً بالأشواك والألغام .. وأن الجموع التى تخيلوها ستسلم
المقود وتندفع إلى الهدف المنشود .. قد تراجعت فى ذل
مسعورة ناجحة ناهشة .

وبدأت عملية رفع الألغام ونزع الأشواك .. وإزالة

العقبات والصخور ، ومألت الثقة نفوس الثوار للقيام بدورهم الجديد في قيادة السفينة وسط الطوفان ، وأحسوا - بعد أن تضامل الربانة من حولهم . . وتساقطوا كأوراق الخريف - أنهم أقدر الناس على السير بالمركب . . وأن الذي اقتحم السور وأزال الطاغية . . لا يملك إلا الاندفاع أمام الصفوف وقيادتها حتى يبلغ هدفه ويحقق أمله . واستمرت الثورة في سيرها بالركب . . تزيل الأشواك والألغام وتضع أسس البناء .

وأوشك عام أن يمر من عمر الثورة و«سليمان» منطلق في ميدان السياسة غريق في خضمها . . و«علي» منطو في وحدته . وبنفسه إحساس عابر صحراء مجذبة . . بلا هدف يلوح أو حتى سراب يغري ، وقد أغلق جوائحه على مشاعره وبات صدره والموءودة في داخله وكأنه صندوق الموتى . وبين آونة وأخرى تصيبه رجفة حنين . . أشبه برجفة المقرور . . ولا يلبث أن يتحامل على نفسه . . ويطرد عنه الطيف الداني المقرب وهو يحس منه مرارة ولوعة .

وكلما أصابته رجفة الحنين وهزه الشوق . . عاد يسائل نفسه . . ترى لو بلغت الرسالة التي أحرقتها «كريمة» ، أكان قد انتهى بحبه إلى مثل هذا المصير اليائس ؟ ولاكن

ماذا كان يمكن أن تحتويه الرسالة ١؟ لقد سألتها مزيداً من أمل . . أتراها قد وهبته فيها هذا الأمل الذى يطلبه ١؟ أم تراها لم تحملها سوى عزاء عن القطيعة واليأس؟ وهبها وهبته هذا المزيد من الأمل . . ماذا تراه كان صانداً به . . أزام سدود الفوارق وقيود التقاليد .

ولا يلبث أن يذكر قول أخيه . . ليست المشكلة فى الفوارق والتقاليد . . بل فى الطريقة التى نحاول بها أن نتخطاها . إنك تأبى إلا أن ترقد وراء سدود التقاليد والفوارق الموهومة . . تتطلع من ورائها إلى أميرتك الساحرة . . تتطلع ابن الجنائى من كوخه إلى أسوار القصور العالية . . إنك تفكر بعقلية القرون الوسطى وكذلك هى . . إنها ما زالت تنتظرك حبيسة فى أبراج القصر . . حتى تتخطى الأسوار وتحملها فوق جوادك . . وتصرع أباهاً وأخاه . . اللذين يقفان بنباها ليجرسانها من ابن الجنائى . .

أجل . . إن المشكلة كما قال أخوه . . هى مشكلة الطريقة التى نحاول بها تخطى الفوارق ، وليست مشكلة الفوارق نفسها . وأين هى الفوارق . . وقد أخذت تتهاوى وتنهار أمام معول الثورة ١؟ لقد حطمت الثورة الرأس الكبيرى . . فانخفضت بعدها الرؤوس المتعالية ، وذلت النفوس المتجبرة

المتكبرة .. ومع ذلك فما زال هو حيث كان .. وما زالت
هى حيث كانت .

لقد أطاح قانون تحديد الملكية بمعظم أملاك أبيها ..
ولم يبق له إلا العزبة المحيطة بالقصر .. وفجعت الثورة الرجل
فى أراضيه التى كان يطبق عليها بأسنانه .. والتى كان يخشى
عليها من نهب الفلاحين .. وأطاحت بسلطانه الذى كان
يفرضه على من حوله من العبيد .

وأحس الأمير بأمارته توشك على الزوال .. وأبصر
بشمسها تميل نحو الغروب .. وأصابه حزنه على فقد أملاكه
وفجيئته على زوال سلطانه بذبحه صدرية .. كادت تودى
به .. وتركته طريق الفراش لا يستطيع حراكا .

ومع ذلك .. ومع كل ما حدث من تحطيم للفوارق ..
فما زال د على ، يحس بوجود الهوة .. وقيام السدود ..
وما زال يقبع كما قال أخوه .. وراء الأسوار .. يتطلع فى
يأس إلى الأميرة الساحرة .. الحبيسة فى برجها .

إنه يشعر بأن يأسه منها .. باق .. بقاء حبه لها .. كل
منهما دائم أبدى .. لقد رسبت فى أعماقه .. ومعها هذا
اليأس .. ولم يعد أمامه إلا أن يسلم باستحالتيه : استحالة
انتزاعها من نفسه .. كإحساس .. واستحالة الحصول عليها ..

ككائن حي .

وفي ليلة من ليالى يوليو جلس « على » فى شرفة داره
وبجواره « سليمان » .. وأحس « على » بنفس صاحبه ضيقاً
وقلقاً وتبرماً .. وأدعشه أن يستمر « سليمان » فى إحساسه
بالتبرم بعد أن تغيرت كل الأوضاع التى كان يتبرم بها فيما
مضى .. وبعد أن هبات الثورة له أن يفعل مع زملائه كل
ما كان يرنو إليه .

وهزّ « سليمان » رأسه هزّات خفيفة وبدأ كأنما يود أن
يقول شيئاً ، ولكنه لم يخرج عن صمته .. وتساءل « على »
قائلاً :

— ماذا بك ؟

— قرف .

— مم ؟

— من كل شىء .

— لم يخطر لى ببال أن يصيبك القرف .. وقد تحققت
جل آمالك .. والباقي فى طريقه إلى التحقيق .. بعد أن
وضعت الأسس لتحقيقه .

— ومع كل ذلك .. يبدو لى أننا قد فرنا من أجل ما فعلناه
بأكبر قسط من السخط والغضب .. لقد فعلنا ما لم يقو

أجد على فعله خلال كل القرون الماضية . . لقد خلاصنا
مصر من كابوس كان يجثم على أنفاسها ويمنعها من الحراك . .
ثم أمسكنا بيدها واتجهنا بها إلى الاتجاه القويم ، الذي تلميه
علينا ضمائرنا . . إن أهدافنا صريحة واضحة لا يختلف عليها
اثنان . . ونحن نسير في سبيلها بكل ما نملك من قوة وعزم
وإخلاص . . ومع ذلك أحس أننا استشرنا عداوة الناس . .
وأن الأمور باتت يحتاج إلى جهد خاص . . لاكتساب محبتهم
وتأييدهم . . كأن الغرض الذي حققناه غير كاف لذلك .

ومد «على» ساقيه في استرخاء وأسندهما على حافة الشرفة
ثم مال بجسده إلى الخلف في جلسة مريحة وأجاب في هدوء :
— إنك يا سليمان قليل الصبر ، سريع التأثر ، إن إثارتكم
لستخط البعض وغضب البعض أمر غير مستغرب ، فليس
هناك عمل أيا كان نوعه . . يمكن أن يسبب الرضاء المطلق
لجميع الناس . . لأن الناس بطبيعتهم مختلفو الطباع والأهواء
والمشارب ، متباينو المطالب والأغراض . . فأعمال الخير لن
تلقى من الأشرار رضاء ، وأعمال الشر لن تلقى من الأخيار
رضاء . . وأنتم قد أتيتم في أعقاب فساد مطبق ، وانحلال
متأصل . . وقد ضاعت المثل العليا . . والمقاييس الطيبة . .
وأضحى العبث والاستهتار والرشوة والأنانية . . وكل أنواع

السيئات .. عملاً طبيعياً لا يبعث على احتقار أو استنكار ..
وإعادة المثل العليا والمقاييس الطيبة .. وتطهير البلد من خلق
السوء الذى تأصل بها وإعادتها من انحرافها إلى الطريق
السوى يحتاج إلى شدة وضغط وعنف .. والشدة بطبيعتها
مكروهة ، والضغط والعنف بغيض إلى النفس .. ولا سيما
النفس التى تعودت الانحلال .. ولذلك ليس هناك وجه
لضيقك بذلك السخط والغضب فهو سخط طبيعى وغضب
متوقع .

— أكنت تتوقعه أنت ؟

— بالطبع .. ماذا كنت تتوقع أنت ؟ أكنت تتوقع أن
يحب كبار الملاك الثورة وقد نزعنا أراضيتهم .. ومزقت
أوصالهم ؟ إن من الطبيعى جداً أن يكرهوها .. بل من
الطبيعى ألا تحصل من حب الفلاحين - وهم الجهة المضادة -
على قدر يوازى كره كبار الملاك .. بل وأكثر من هذا .. من
الطبيعى أن يكرهها الفلاحون الذين لن يحصلوا على شئ من
الأراضى المنتزعة .. لأنها لن تسكني إلا النزر اليسير منهم ..
ومع ذلك فلم يكن هناك بد من فرض هذا القانون لإزالة
الهوة البغيضة الشاسعة بين فرد يملك عشرات الألوف من
الأفدنة ، وآخر لا يملك شيئاً ، ولتحقيق نوع نسبي من المساواة .

وكان من الطبيعي أيضاً أن يسكره رجال الأحزاب
الثورة بعد أن سلبتهم مقاعد الحكم التي كانوا يتبادلونها
كأنها حكر عليهم . . ومن الطبيعي أيضاً أن تنال من السكره
أكثر من هذا وذاك .

وصمت « سليمان » وبدأ عليه الشرود . . ثم قال كأنما
يحدث نفسه :

— عجباً !! كنت أظن بعدما قمنا به أننا سنوضع موضع
الأبطال المعبودين .

وضحك « علي » وأجاب :

— كان يمكن أن يحدث هذا لو انتهى دوركم عند عملية
الثورة ذاتها . . إن دوركم فيها قد وضعكم فعلاً في مصاف
الأبطال المعبودين . . ولكن الدور الذي تلا هذا ، والذي
حملتم فيه المسؤولية على عاتقكم ، وواصلتم السير بالركب . .
وداومتهم على الكفاح . . في سبيل تحقيق أهدافكم . . هذا
الدور الجديد . . لا يمكن أن يضعكم في الإطار البراق . .
إطار البطولة والفداية الذي يستحوذ على الحب السريع . .
والتقدير الخاطف . . ولا يجب أن يكون هذا مطعمكم أو
أمنيتكم . . ولا يجب أيضاً أن تغيروا من أهدافكم في سبيل
الحصول عليه . . لا يجب أن تتطلعوا إلى تقدير سريع لأن

طبيعة عملكم لا تهيم لكم هذا التقدير .. إنكم تحطمون
أطلا لا خبرة .. لتشيّدوا بناء ضخماً .. لا بد له من
أسس متينة .. والباقي لا يمكن أن يستحوذ على التقدير
بالأسس المخففة في باطن الأرض .. ولا يمكن أن يتعجل
الجدران قبل الأساس لمجرد إحساسه بالحاجة إلى التقدير ..
إن كل ما هو مطلوب منكم .. هو العمل الصالح .. والصبر
على التقدير .. إنه لا بد آت .. وعند ما يأتي سيكون أرسخ
وأثبت على الزمن والتاريخ .

— قد تكون على حق ، ولكن لا بد من عمل حساب
للرأى العام .. لا بد من إرضائه إرضاء مؤقتاً .

— لا داعى لهذا مطلقاً .. إنكم تملكون القوة لفرض
الرضاء عليه .. وإذا أَرْضِيتُموه اليوم بالقوة ، فسترضونه
غداً .. بنتائج أعمالكم الصالحة .. ولكن إياكم أن تدعوا
إرضاءه يحولكم أو يشغلكم عن العمل الصالح نفسه .. إن
البلد تمر بفترة من النشوء والارتقاء .. فيجب أن تبتعدوا
بها عن التدايل المفسد ، والإرضاء المفتعل .

— ولكن هذا سيكون استبداداً منا ، ونحن قد أقمنا
ثورتنا على المطالبة بالحرّيات والحياة الدستورية .

— لقد أخذتم على عاتقكم المسؤولية كاملة .. فقوموا

بها بالطريقة التي تضمن لكم أفضل النتائج . . لا تترجعوا
بين هذه الطريقة أو تلك . . ولا يهتمكم مدى ما تروق لأعين
الناس . . بقدر ما يهتمكم ضمانها لنتائج أعمالكم ، فنتيجة العمل
هي التي يجب أن تفرض طريقة أدائه . . وعند ما كانت
الطريقة فيما مضى طيبة في ظاهرها والعمل فاسد انتهت بهدم
النظام كله . . وإذا كانت الطريقة الطيبة قد هدمها عملها
الفاسد فلن يستعصى هدم الطريقة الأخرى إذا فسد عملها . .
المهم يا سليمان هو العمل فقط .

وتتم سليمان ، قائلا :

— أجل ! معك حق . . إن المهم هو العمل . . وغداً
سنقوم بعمل أعتقد أنه خطوة كبرى نحو أهدافنا الطيبة .
— وما هو ؟

وصمت سليمان برهة ثم أجاب :

— إعلان الجمهورية . . وإنهاء حكم أسرة محمد علي وإلغاء
القاب الأمارة .

ورفع د علي ، حاجبيه في دهشة وتساؤل قائلا :

— أقدر تقرر هذا فعلاً ؟

— أجل ! سنحمل المسؤولية صريحة كاملة على أكتافنا
وسنسمى الأشياء بأسمائها . . ولن يكون في مصر بعد الآن

ملوك .. ولا أمراء .

وساد الصمت .. وعالقت بذهن « علي » الفقرة الأخيرة
من قول سليمان ، وأحس بها تمس شيئاً كامناً في أعماقه .
« لن يكون في مصر بعد الآن ملوك ولا أمراء ؟ » .
وبدا له كأن سداً آخر من سدود الفوارق قد انهار ..
وأن البقية الباقية من الترفع والتعالى .. الذي ما زال لقب
الأمارة الوهمي ينفخها في أصحاب السمو .. قد تهاوت .
ولكن ماله هو .. ولزوال الفوارق أو بقائها ؟ إن
السدود قد أقامها يأسه ، وشييدها عجزه .. وسواء أزيلت
الفوارق أم بقيت .. وسواء أضحي صاحب القصر أميراً ..
أم حقيراً .. فهو لن يجسر على اقتحامه .. ولن يقوى على
تخطي أسواره .. بل سيظل قابلاً يتطلع — كما قال أخوه —
إلى أميرته الساحرة الحبيسة في أبراج القصر .. التي تنتظره
حتى يتخطى الأسوار ويصرع أباه وأخاه ويحطم قضبان
السجن ويفر بها فوق جواده .

وتطلع إليه « سليمان » ، تطلع الذي ينتظر رداً أو تعليقاً ..
وطال شروده « علي » ، حتى اضطر « سليمان » أن يقطع صمته
متسائلاً :

— ما رأيك ؟

واضطرب « على » وهو يرى ذهنه قد تعلق بأفقه ما في
الموضوع ، وأنه لم يعنه من كل الأحداث الخطيرة التي توشك
أن تقع والتي سستبدل نظام الحكم في مصر . . . إلا الغناء
ألقاب الأماره . . وزوال هالة السمو التي كانت تحيط
بالأمراء — أو على وجه التحديد — بالأمير إسماعيل . .
السد الأكبر . . والحائل الأعظم . . بينه وبين . . أمنية
العمر .

وأجاب « على » كأنما قد أيقظه سؤال « سليمان » من
سنة نوم :

— رأيي !! رأيي . . أنها عمل حاسم . . وخطوة موفقة ،
كان يجب أن تتخذ من قبل .

— كل شيء مرهون بوقته . . الحمد لله الذي وفقنا إليها
وهياً لنا أن نقضى على آخر أسرة أجنبية تحكم مصر .

— أجل ! لقد أضخى مصيرنا بأيدينا . . وسيحكم مصر
أبناءؤها . . إن مجرد التفكير في هذا يملؤ النفس أملاً .

وافترق الصاحبان . . واستلقى « على » في مضجعه تلك
الليلة . . وقد تسكأ كأ على ذهنه حشد من الذكريات . .
أثارت كامن الحنين ، وأيقظت هاجع الشوق . . وعند ما
استغرق في النوم لم تخل أحلامه لحظة من أميرة ساحرة ،

وأسموار وقضبان ، وصراع ، ونهسال ، وجواد منطلق ،
وشعر أصفر متطاير ، وفم حلو ، وأسنان منضدة . .
وضمة لذيذة .

ومنحته الأحلام الكريمة في ضججته ما استعصى على
القدر البخیل فی یقضته .

وفی الیوم التالی أعلنت الجمهورية . . واستمرت الثورة
فی نضالها من أجل هدم الانقراض الخربة ووضع الاسس
لوطن جدید وطید الأركان متین البنیان .

واستمر « علی » فی طریقته المحدود . . وحیاته الجامدة
المنطویة . . وحنینه المتقطع وبأسه المستمر .

ومضى الصيف الثانی للثورة وحل الخریف ، وأخذت
زهور الکرزانتیم فی التفتح . . حاملة فی تفتحها ذکریات
بعیده شاحبة . . للسوبة وحديقة القصر ، والفراشة الطائرة
والترولی المندفع .

وذهب « علی » لزيارة معرض الکرزانتیم ، الذی أقيم
فی سراى الزراعة بالمرض . . ساقته قدماه فی سكون کما
ساقته من قبل للطواف حول أسوار القصر ، والتسلل إلى
السوبة ، واستراق الخطی إلى شجرة الفیکس الضخمة .

ومرّ بالمعرض مروراً عابراً . . یختطف النظر إلى

بمجموعات القراولة الضخمة المختلفة ألوانها . . حتى وصل إلى
ركن ضم مجموعة كبيرة علقت عليها لافتة كتب بها في الجهة
العارضة « حدائق السيد إسماعيل » .

وتوقف « على » أمام مجموعة الزهور . . وأحس لها بألفة
وحنين . . وبداله أنها تتطلع إليه بعين المعرفة والود . .
وأنها تكاد تهمس به أنه أوحشها وأن غيبته قد طالت .
هذه الزهور ليست غريبة عنه . . إنها بقايا أبيه . . لقد
كان أبوه يقول عنها أنها ذريته الأخرى ، وأن حبها يجرى
في دمه كحب أبنائه . . وأن لها عليه حق الأبناء في الرعاية
والتربية .

إنه يكاد يبصره يحنو عليها بالرشاشة حنو المرضع على
الرضيع ، وهو يذكره في نفس هذا المكان منذ عشرات
السنين . . يطوف بينها بجلبابه الفضفاض وعمامته الصفراء . .
يتحسسها بفخر وإعجاب كما يتحسس رأسه ورأس أخيه .
وخيل إليه وهو يرمقها في شروذ أن طيفاً يقف
بجواره . . يكاد يسمع حفيف أنفاسه . . ويحس بعينييه
تشاركانه التطلع إلى الزهور . . وذهنه يشاركه اجترار
الذكرى .

ورسم الطيف بعين الوهم ، رقيق الملامح ، دقيق التقاطيع

حزين السمات ، شارد النظرات .. كما أبصره آخر مرة ، ولم
يحاول التطلع إليه ، خشية أن يجفل أو يتطاير .. واستمر
في نظراته الشاردة وفي إحساسه الممتع .. حتى أيقظه من
حلمه صوت خشن يهتف به :
— سيدى « على » بك .

وتطلع إلى صاحب الصوت فإذا به محمود الجنائنى أحد
صبيان أبيه .. وقد مد يده يصاحفه في شوق وحرارة .
ورد « على » تحيته متسائلا :

— كيف حالك يا محمود ؟ وكيف حال الجميع ؟
— بخير ياسيدى .. لماذا لا تحضر لزيارتنا ؟ إننا نذكركم
في كل لحظة .

— ونحن أيضا نذكركم دائما .. لقد أتيت إلى هنا ..
لأرى زهوركم .

— وما رأيك فيها ؟

— مذهشة .

— إنها خير ما فى المعرض كله .. ومع ذلك لم تصل
إلى حالها أيام والدكم رحمة الله عليه .. لقد كان معلنا كلنا .. إن
أفندينا ما زال يذكره كلما ضاق بنا .. ويقول لنا إنه رجل
لا يعوض .

— وكيف حال أفندينا ؟

— كما هو . . . أظنك سمعت عن الذبحة التي أصابته . .
إنه الآن أفضل كثيراً . . إنه يتجول في الحديقة . . وقد
ارتفع صوته كما كان قبل مرضه وعاد إلى أمارته وصياحه .
وأخفى الرجل صوته وتلفت حوله في حذر ثم أردف
قائلاً :

— لقد كنا نظن أن الثورة ستكسر أنوفهم . . وتعلمهم
التواضع . . واسكنهم ما زالوا كما هم . . ولا سيما أفندينا
الصغير . . لم يعد يحتمل أحداً . . إنه مجنون . . لقد تركته
زوجته . . لأنها لم تستطع احتمال جنونه . . ولم يعد له عمل
سوى الإمارة والعجرفة والتسلي بضر بنا . . لقد كاد يقتل
عبد الحميد السائس ضرباً لأن حصانه قد جرح .
— وما ذنب عبد الحميد ؟

— لأنه لم يربطه جيداً فأفلت من الأسطبل واصطدم في
حافة الباب . . لقد ضربه حتى كسر عظمة كتفه . . إنهم
ما زالوا يحتاجون إلى تربية . . لابد أن تؤدبوعم أكثر من
هذا . . ليس فيهم طيب عدا السيدة الصغيرة . . لا يكاد يحس
بها مخلوق .

— وكيف حالها ؟

— كانت هنا بالأمس تشاهد المعرض .. ليتك حضرت بالأمس حتى تراها .

ومس قول الرجل العابر شغاف قلب « على » .. « ليتته
حضر بالأمس ؟ » .. أجل ليتته .. لو كان يعرف لما غادر
المعرض منذ افتتاحه .

ولكن لماذا كل هذا الإحساس بالخيبة .. ماذا تراه
يجنى من نظرة عابرة .. ولقاء خاطف ؟
لا داعى لهذا التمنى .. فراحة اليأس خير وأبقى .

ومد « على » يده فصافح الرجل ، وغادر المعرض ، وهو
يحاول أن ينفذ عن نفسه إحساساً بالخيبة والخذلان .
وفي صباح اليوم التالى وهو فى طريقه إلى الشككنات لمح
فى صحف الصباح عنواناً بالخط العريض « مصادرة أموال
وتملكات أسرة محمد على » .

وأمسك بإحدى الصحف ليقرأ فى التفاصيل أن مجلس
قيادة الثورة أصدر قراراً بمصادرة أموال ومتلكات أسرة
محمد على .. ورد أموال أحمد عرابى لورثته .. وأن
المصادرة قامت لرد أموال الشعب .. التى سلبتها الأسرة
المالكة إليه .. بعد أن حاول أفراد الأسرة تهريبها إلى
الخارج .

وبدا «على» كأن قرار المصادرة كان رداً على رجاء
«محمود الجنائني» الذي همس به بالأمس :
«إنهم مازالوا يحتاجون إلى تربية . لا بد أن تؤدبهم
أكثر من هذا» .

ووصل «على» إلى مكتبه وقد أمسك بالصحيفة مطوية
في يده .. وقد راود نفسه إحساس بالأسى .. وبدأ عليه
التجهم والشرود .

لقد قوّض قرار المصادرة آخر سدود الفوارق ..
وهدم آخر حجارته .. لم يعد هناك فارق قط بينه وبين
أفراد الأسرة المالكة .. لا لقب ولا مال ولا أمانة ولا جاه
ولا سلطان .. ولا شيء أبداً .. لقد أضحي ابن الجنائني القابع
وراء الأسوار .. تماماً كصاحب القصر المحلق فوق الأبراج .
لقد زالت الأسوار ، ودكت الأبراج .. وأضحوا جميعاً
سواسية على ظاهر الأرض .. لقد انبسط الجبل .. فلم تعد به
قمة ولا سفح .

ومع ذلك فهو يحس بأسى ممض .
ما ذنب «أنجي» في كل هذا ؟ ! إنها لم تختل بأمانة .. ولم
تعز بجاه .. ولن يضيرها أن تسحب منها الأمانة أو يضيع
الجاه .. فلماذا يحكم عليها بكل هذا الإذلال .

ولكن أتراها تجد في هذا إذلالاً .. أم تسلم به كحق من
حقوق الثورة والشعب ؟ ليتهم يستطيع أن يراها ويتحدث
إليها ! ليتهم يستطيع أن يحمل عنها آلامها ؟ ليتهم يستطيع
أن يضمها إليه . . ويصد عنها كل ضيق وأسى .

لماذا لا يقدم على هذا . . وقد زالت السدود وطأطأت
الرؤوس المتعالية .. لماذا لا يتقدم إليها . . وقد أضحي هو
الأعلى يداً ؟

ولكن أيمكن أن يسلم أبوها وأخوها بهذا ؟ أتراهم
يروونه حقاً قد ساواهم أو علا عليهم . . أم ما زالوا لا يرون
فيه سوى ابن الجنائفي . . الذي اتهموه بالجنون لأنه تقدم
لخطبتها ؟

ودق جرس التليفون ورفع على الساعاة فسمع صوت
التليفونجي يقول له :

— أركان حرب الفرسان مع سيادتك .

ثم سمع صوت أركان حرب الفرسان يقول له :

— صباح الخير يا علي . . لقد تعينت عضواً في لجان

مصادرة أموال وممتلكات أسرة محمد علي . . والمطلوب أن

تقدم نفسك غداً في قصر عابدين لرئيس اللجان .

وبهت علي . . وتسامل في دهشة :

— أنا ؟ .. عضو فى لجنة جرد ؟ .. لماذا ؟ .. إلى
لا أستطيع أن أترك الآلاى لحظة واحدة .. وأنتم تعرفون
هذا .. لماذا تعينوننى .. وأنا .. .

وقاطعه الأركان حرب فى هدوء :

— اسمع يا «على» ، لاداعى لهذا المضجيج .. نحن لم نعينك
لقد جاء تعيينك بأوامر القيادة .. فإذا كنت لا تريد الذهاب
فانصل بهم .. حتى يعينوا غيرك .. السلام عليكم .
وأجاب «على» وهو يضع السماعة مشدوهاً :
— عليكم السلام .

ومضت لحظة وهو حائر فى هذا التعيين .. حتى برق
فى ذهنه خاطر مالبث أن رفع السماعة على أثره وقال لعامل
التليفون :

— اعطنى الصاخ سليمان فى القيادة .

وبعد برهة أجابه صوت سليمان :

— آلو .. مين ؟

— أنا «على» .

— صباح الخير يا «على» .. كيف حالك .. لقد كنت

أود أن أزورك منذ يومين .. ولكن حدث ...

وقاطعه «على» فى ضيق :

— اسمع يا «سليمان» دعنا الآن مما حدث . . وأخبرني
من الذى عينني عضواً فى لجنة مصادرة أموال وممتلكات
أسرة محمد على ؟

وأجاب «سليمان» ببساطة :
— أنا .

— أنت ؟ ولماذا ؟

— لأنه قد خطر لى أن هذا يسرك .

— يسرنى ؟ ولماذا خطر لك هذا ؟

— حتى تتولى أنت مصادرة أموال وممتلكات أسرة
مخصوصة .

وزادت حدّة «على» وهو يتسامل فى غضب :

— ومن الذى أفبأك أنى أريد أن أتولى مصادرة أموال
هذه الأسرة المخصوصة ؟ .. أعهدت فى من قبل . . الرغبة
فى الشهامة والإذلال ؟

— هدّىء من حدتك ولا تكن غيبياً .. ليست المسألة
رغبة فى الشهامة أو الإذلال .. إنها على النقيض من هذا . .
إنها رغبة فى تجنب الإذلال والشهامة .. إنى أريد أن أقيهم
إياها . . والمسألة تحتاج إلى كياسة وذوق وحكمة وتصرف ،
وقد بدا لى أنك أقدر الناس على ذلك وأشدّهم حرصاً على

تجنب الإذلال .. على الأقل بالنسبة لصاحبك .. أم ترى
أن أمرها لم يعد يعنيك ، وأنت تريد أن تتخلي عنها في أول
فرصة سنحت لك لمساعدتها ؟

وصمت ، علي ، صمت الواجم الحائر .

وعاد سليمان ، يسأل :

— لماذا لا تجيب ؟

ولم يجد ، علي ، القدرة على الإجابة .. أترى حقاً أن
أمرها لم يعد يعنيك . وأنه يريد التخلي عنها ؟ أليس هو أحق
الناس وأقدرهم على تخفيف الصدمة عنها ؟

وأردف سليمان ، يتمم تساؤله :

— أترى أن أغريك ؟

وأجاب ، علي ، في قول مقتضب :

— لا .. إني سأذهب .

ووضع الساعة ببطء ، وهو يشعر أن عبثاً جديداً قد
وضع على كاهله .



رمان



في

صباح يوم من أيام نوفمبر ذات الشتاء المبكر ..
لم تقو شمس الهزيمة على مطاردة أفواج الضباب
المتناقلة على المزارع .. الجاثمة في الطرقات .. كان « على »
يجلس في عربة حبيب تنهب الطريق إلى قصر الأمير إسماعيل
تتبعها إحدى عربات المحطة تحمل بقية أعضاء لجنة المصادرة
وبصحبتهم رجال البوليس المشرفين على تنفيذ عملية المصادرة .
وكسا التجهم سيما « على » وهو يحدق من زجاج العربة
محاو لا اختراق حجب الضباب .. وأخذت تتواتر عليه
أشجار الطريق قد لفتها الأبحرة البيضاء فبدت كالأشباح ..
وتصاعد إليه صوت احتكاك العجل بأرض الطريق كالضحج
وبين آونة وأخرى يقرع السائق « الكلاكس » لينذر بعض
المارة بدوابهم أو ليتجاوز إحدى عربات الخضر .

كان « على » يشعر بثقل المهمة الملقاة على عاتقه .. وكان
لا يفتأ يسائل نفسه .. ماذا حدا به إلى الرضوخ للأوامر
وقبول القيام بها ؟

من بين كل مخلوقات الأرض .. لماذا يدفعه القدر ..
هو دون غيره .. ليجرد الأمير العاقى أمواله وينزع عنه
أراضيه وقصوره وعرباته وخيوله ويتركه صفر اليدين من

كل مال وأبهة وسلطان ؟ ...

أهي سخرية من سخریات القدر .. أن يذيقه مرارة
الحرمان والطرْد .. بعد أن أذاقهم إياها عند ما حاول
أبوه خطبة « أنجي » ؟

ولكن ما شأنه هو .. بسخرية القدر وعيْته .. لماذا
يكون مخاب قط في يد القدر الساخرة العابثة ؟
ألکی تكون السخرية على أتمها والعيب على أشده ؟ ..
ألکی يكون المطرود طارداً .. والمحروم حارماً .. وتبدو
المسألة كأنها مسرحية مبهوكة رائعة ؟

كيف يمكن أن يلقي الأمير .. وكيف يقول للجبار المثاله
أنه قد أتى ليأخذ كل ماله ويتركه كواحد من عبيده .. عليه
أن يكدح في سبيل حياته ويشقى في سبيل لقمته ؟
كيف يمكن أن يجرؤ على ذلك وهو الذي كان يخشى
مجرد رؤيته ؟

وهي .. كيف ستلقاه ؟ ! وماذا ستظن به ؟ .. وكيف
يلقاها هو وماذا يقول لها ؟ .. أيقول إنه .. بعد طول
غيبة .. وفرط حنين .. قد أتى ليجردها من أموالها ..
وينزع عنها مجوهراتها ؟

أيمكن أن يحدث هذا ؟ ! أيجسر عليه ؟ .

أكان يخطر بباله وهو يستدعى طيفها الذي لم يفارقه
طوال السنين الماضية .. أن يقف منها مثل هذا الموقف
البغيض ؟

لماذا زج بنفسه في هذا المأزق الكريه ؟
لماذا .. لماذا .. لماذا ؟

وبدا له أن يوقف العربى ثم يعود من حيث أتى ..
ويطلب تغييره من لجنة المصادرة .

أجل .. إن هذا هو ما يجب أن يفعله .
ومع ذلك لم يأمر بإيقاف العربى .. ولا عاد من حيث
أتى .. بل استمرت العربى تنطلق فى الطريق بين موجات
الضباب .. واستمر ذهنه مغمناً فى شروده .

لو أنه عاد من حيث أتى .. وطلب تغييره من اللجنة ..
فلن يغير ذلك من الأمر الواقع شيئاً .. لن يمنع من حدوث
المصادرة بكل مظاهرها المزعجة .. وإذا لم يقم هو بإجرائها
فسيقوم بها غيره .. مما لا تعنى «أنجى» لديه شيئاً .. ولا تدفعه
عاطفة خاصة إلى الحرص على مشاعرها والرفق
بأحاسيسها .

أيمكن أن يحرص عليها إنسان كما يحرص عليها هو ؟
ألا يعتبر انسحابه أنانية منه ؟ ألا يعتبر تسليماً بما قال

سليمان : « إن أمرها لم يعد يعنيه وأنه قد تخطى عنها في أول —
بل وآخر — فرصة تسنح لأن يقدم لها شيئاً ؟ » . لا . .
لا . . لا بد أن يذهب . . ويواجه الموقف بكل ما فيه من
متاعب .

ومرة أخرى رجحت كفة استمراره في مهمته .
وظل ذهنه يترجح بين الذهاب والانسحاب . . والعربة
مستمرة في طريقها . . لا تتوقف . . ولا تنكص على عقبيها . .
فقد كان الترجح لا يخرج عن نطاق التفكير . . ولا يتعداه إلى
حيز التنفيذ . . إذ كان ذهابه في الواقع مؤكداً . . ولم تكن
عوامل النكوص — مهما بلغت من الشدة — تستطيع أن
تمنعه ، لسبب واحد . . هو رغبته الجارفة في رؤية « أنجي » .
كان إحساسه بأنه سيراها هو القوة الخفية التي تدفعه
إلى الذهاب . . والتي تتضامل أمامها كل خشية ورهبة وقلق
وضيق .

ألا تستحق مجرد رؤيتها . . حتى ولو لم يستطع أن يفعل
من أجلها شيئاً . . وأن يتحمل من أجلها المتاعب والمشاق ؟
وأخذت العربة تقترب من العزبة ، وبدأ لعينيه من
خلال الضباب شبح الجامع القائم بجوار دارهم القديمة . .
وملأه إحساس بحنين يخالطه الحزن . . وتذكر أحلامه في

مضجعه ورام النافذة والنسمة تحمل إليه عبير أزهار البرتقال
كأنها هبة من أنفاس الحبيبة .

وبلغت العربية القصر .. وتطلع «على» من وراء الزجاج
إلى أسواره العالية .. فبدت له في ضخامتها وعلوها كأنها
سد حائل منيع ولم يدر أى دافع دفعه إلى تذكر قول أخيه :
«إنك تأبى إلا أن تقف وراء سدود التقاليد والفوارق
الموهومة .. تتطلع من ورائها إلى أميرتك الساحرة ..
تطلع ابن الجنائى من كوخه إلى أسوار القصر العالية ..
إنك تفكر بمقالية القرون الوسطى .. وكذلك هي .. إنها
ما زالت تنتظرك حبيسة في أبراج القصر .. حتى تتخطى
الأسوار وتحملها فوق جوادك .. وتصرع أباه وأخاه ..
الذين يقفان بذبالها ليحرسانها من ابن الجنائى » .
وانطلقت من شفثيه ضحكة خافتة ملؤها المرارة
والسخرية .

إلى أى حد قد تحقق قول أخيه ؟ .. وإلى أى مدى
تبدو مقارنته الساخرة قريبة من الواقع ؟
إنه يقف وراء أسوار القصر فعلا .. يتطلع إليها تطلعه
إلى سد منيع وهو — مهما كانت مهمته ومهما كانت الظروف
التي تحيط به — لا يستطيع أن ينزع من نفسه إحساس

الطفولة .. إحساس ابن الجنائى يتطلع من كوخه إلى أسوار
القصر العالية حيث تقبع أميرة أحلامه الساحرة .

ولكن أين الأميرة الآن ؟ وكيف أضحت ؟

أتراها مازالت تنتظره — كما توهم أخوه — حبيسة في
أبراج القصر .. حتى يتخطى الأسوار ويحملها فوق جواده
ويصرع أباه وأخاهما ؟

أما انتظارها إياه .. فهو مالا يجسر على أن يطمع فيه ..
ولئن استطاع أن يرجوه منها فيما مضى .. فأغلب الظن أن
اليأس وطول الانتظار قد أضاعا منها إحساس المنتظر ..
وأن الزمن قد بدل لطفة الانتظار إلى استسلام العجز
وسكينة اليأس .

أما تخطيه الأسوار .. فلم يعد بالأمر العسير .. ولا بات
يحتاج إلى مشقة .. فهو بحكم مركزه والمهمة التى أتى من
أجلها والسلطة المخولة له .. يستطيع بسهولة أن يتخطى
الأسوار مهما ضخمت أو تعالت .

أما صرع أبيها وأخيها فلم يعد يتطلب جهداً .. فأغلب
الظن أن أحداث الثورة قد هدت كيانهما وأن قرار
المصادرة قد أجهز على البقية الباقية منهما .

بقيت عملية الإنقاذ فوق الجواد .

تلك هي السخرية الكبرى . . إن الأميرة الساحرة . .
الحبيسة بين أبراج القصر . . ستري فارسها قد أقبل عليها
أخيراً . . لا لينقذها فوق جواد . . ولكن لينزع عنها
أموالها في عربة جيب .

أهناك أشد من هذا سخرية ؟
أيمكن أن تتحقق أحلامه التي كان يتمنى وقوعها . .
بمثل هذه الطريقة الماجنة الساخرة ؟
أكان يخطر ببال أخيه أن يتحول خياله الساخر إلى هذا
الواقع الأشد سخرية والأكثر مرارة ؟

ومع ذلك فهو لا يملك إلا أن يسير فيه . . ويتخمل
كل ما به من سخرية ومرارة . . من أجلها . . ومن أجل
أن يخفف عنها وقع الصدمة . . ويجنبها ما استطاع من الضيق
والآلم . . ومن أجل . . قلبه الراجي المتوسل . . المتلهف
على لقاء . . الظالم إلى نظرة .

ووقفت العربة أمام الباب الرئيسى للقصر . . وبدأ الباب
الضخم مغلقاً لا يقف به حراس . . ولا يسمع به صوت
ولا حركة . . والسكون المطبق حوله . . يوحى بالوحشة
ويبعث على الرهبة .

وتلفت « على » حوله . . عله يجد أحد الحراس . . أو

العمال . . أو الفلاحين . . وتطلع إلى الناحية الأخرى من الطريق حيث التربة والحقول . . فلم يبد له مخلوق . . وكشف الضباب عن حافة المزارع الملاصقة للتربة . . فوجدها مغرقة بالمياه . . كأنها مستنقع لا يبدو به عود أخضر .

واتجه « على » بعربته إلى مكاتب الدائرة . . ولم تكن تبعد كثيراً عن الباب الرئيسى وتوقف أمام بابها الخشبي . . وهبط من العربة . . وهبط ورائه بقية أعضاء اللجنة ورجال البوليس .

وتقدم ضابط البوليس ومعه أحد رجاله ليدفع الباب ويمهد الطريق ل« على » ، ولكن « على » سبقه قائلاً فى أدب :
— أرجوك . . دعنى أتقدم . . إني أعرف الطريق منذ طفولتى وأعرف موظفى الدائرة جيداً . . وأظن ذلك سيسهل المهمة .

ولم يكذب « على » ، يعبر الباب حتى راعته المياه التى أغرقت الفناء وتدفت داخل المكاتب نفسها ووقع بصره على جثة كلب تراكم عليه الطين وغمرته المياه ثم أبصر بأحد الخفراء يجر حماراً نافقاً محاولاً إبعاده عن المكاتب .

وتقدم « على » مشدوهاً وأخذ يخوض وسط الوحل

وقد ملأت نفسه الوحشة ونفذت إلى أعماقه ريح خراب
كأنه يسير وسط أحداث أو خرائب وأطلال .

ولم يكد الخفير يراه حتى أقبل عليه مهرولا ، وقد بدا
عليه الفزع وهو يراه في حلته الرسمية ووراءه ثلة
الرجال .

وتسامل وهو يتقدم نحو حجرة وضعت بيابها لافتة
زرقاء باهتة كتب عليها « الناظر » .

— أين حضرة الناظر ؟

— ابراهيم أفندي ١١٩ . . إنه يجلس في السلامك مع
خليل أفندي وعبد القوى أفندي . . بعد أن أغرقت المياه
مكتبه . . تفضلوا . . نقول له من ؟

وقبل أن يجيب « على » بدا ابراهيم أفندي بجسده المهدم
وكتفيه المهديلين وظهره المحنى في شرفة السلامك العالية
السكائنة على اليسار أمام المسكاتب . . وألقى على ثلة الرجال
الواقفين وسط الفناء الخرب ، المخرقين في الوحل نظرة
جامدة لا تتم عن دهشة كأنما كان يتوقع حضورهم بين
آونة وأخرى .

وتقدم « على » ووراءه أعضاء اللجنة ورجال البوليس

متجهين إلى سلم الشرفة ووقف أمام ابراهيم أفندى وقد بدا
وراءه الرجلين الآخرين هياكل متداعية تؤيد بمخائل التهدم
البادية عليهم كل مظاهر الفناء والوحشة والخراب المحيطة
الخيمة على المسكان .

ومد « على » يده يصفح الرجل في حرارة .. وهو يبصر
في تجاعيد وجهه .. وجه أبيه .. ويحس في راحته .. خطاب
التوصية الذي حمله إلى باشكاتب المدرسة الحربية .. فكان له
الفضل الأول في القبول .

ذكر كفاح أبيه .. وماء وجهه المراق .. وذكر سعيه
بخطاب التوصية كأنه يحمل توصية بالدخول إلى الجنة ..
وذكر أمانيه الحاملة وآماله السرابية الموهومة .. وهو يشد
على يد الرجل في ترحاب وشوق .

ولم يميزه ابراهيم أفندى .. ولم يبادل له حرارة التحية
ومظاهر الشوق .. فقد كان من العسير عليه - وعلى الهيكلين
المتساندين خلفه - أن يبصروا فيه ذلك الصبي الصامت
المطرق الذي كان يسعى وراء أبيه .. ملؤ نفسه الخشية من
أن يرى الناس رقعة بنطلونه .

ولم يجد « على » بداً من أن يعرف الرجل بنفسه ..

وهو يحس ببرود التجاهل .. ووجوم الإنكار .. فقال
بقدر ما استطاع من بشاشة وبقدر ما تركت في نفسه وحشة
المكان وثقل المهمة من قدرة على اللين والترفق :

— كيف حالك يا إبراهيم أفندى .. أنا على عبد الواحد
ألا تذكرني ؟

ولم يبد على ملاح الرجل الجامدة وعينيه الخابيتين ما دل
على أنه يذكر شيئاً .

وأردف «على» يزيد من تذكيره الرجل به قائلاً ببساطة :
— أنا على عبد الواحد .. ابن الرئيس عبد الواحد .
وانفرجت شففتا الرجل وارتفع حاجباه الأسيبان
واهتزت ملاح وجهه ومضت برهة قبل أن يهتف في صوت
خافت مشدوه :

— ابن الرئيس عبد الواحد .. أنت ؟ .. أنت ؟
وهتف خليل أفندى من ورائه في صوت يقطعه
السعال :

— ما شاء الله .. ابن الرئيس عبد الواحد .. إنى أذكرك
وأنت طفل تصحب أباك .. ما أسرع مامر الزمن .
وكان إبراهيم أفندى مازال يتمتم مشدوهاً :

— أنت ؟ ا ابن الرئيس عبد الواحد ؟
ثم انطلقت من فمه ضحكة قصيرة ساخرة خافتة
وأردف قائلاً :

— سبحان الله .

ثم رفع رأسه إلى السماء وتمتم في قول لا يكاد يسمع :
— سبحانك يا ربى . . كم لك من حكم . . يدك فوق كل
يد . . لقد طرد أفندينا الرجل . . وعاد ابنه ليطردهم جميعاً . .
من كان يصدق هذا ؟

وكره « على » تعليق الرجل . . وكره الموقف الذى
يوشك أن يزج به فيه . . مظهر الشماتة والانتقام . . ولم يجد
بدأ من مقاطعة الرجل واستدعائه من مناجاته مع السماء . .
فقال فى لهجة مترفقة :

— أظن قد بلغكم يا ابراهيم أفندى قرار مصادرة
أموال أسرة محمد على ؟
— أجل بلغنا .

— لقد كلفت من قبل الحكومة بتولى عملية المصادرة . .
وإنى أحس أن المهمة دقيقة . . شاقة . . وكل ما أرجوه
أن أتمها بأدنى مضايقة . . وأقل إزعاج . . وأظنك و خليل
أفندى تستطيعان معاؤنتنا على ذلك .

وازدد إبراهيم أفندي ريقه وهز رأسه في حيرة ثم
رفع كتفيه في استسلام ومضت فترة صمت قبل أن يجيب
في تردد :

— يبدو أن المسألة لن تكون فيها أى مضايقة أو
ازعاج وإن تحتاج إلى معاونة أحد لأنك لن تجد
ما تصادره .

وبدت الدهشة على « على » وتساءل :
— كيف ؟ . وأين الأراضى والمحاصيل ؟ . والخيول
والعربات ؟ . والمجوهرات ؟
— الأراضى قد أغرقت بمحاصيلها .. والدواب كلها قد
سممت .. . والعربات قد أحرقت .

— ومن فعل كل هذا ؟
— أفندينا الصغير .. البرنس علام .
— وأين البرنس اسماعيل ؟
— لقد سافر مساء أمس .. طار إلى استامبول .

وأحس « على » بتوالى المفاجآت .. وخشى أن تفقده
كثيرتها قدرته على الثبات والتصرف .. وبات يتوقع المفاجأة
التالية وأحس من وشك وقوعها بخيبة أمل مريرة .
أترى القدر قد خذله .. وحرمه من نظرة معزية ولقاء

أخيراً ؟ أتراه قد دفع به إلى هنا . . ليريق حنينه على قصر
مهجور . . وأرض غرقى . . ودواب ميتة . . وأمير مجنون ؟
أهذا كل ماتبقى له وراء الأسوار العالية بعد أن تخطاها ؟
أقد رحلت أميرته الساحرة . . وبخل عليه القدر حتى
بالواقع الساخر الأليم الذى رضى به ؟

وتعلقت عيناه على ، بالشفيتين المغضنتين اللتين تنساب
منهما الحقايق المفاجئة المريرة وتوقع أن تنطقا بخاتمة
مرارتها . . وتعلنا عن رحيل « أنجى » .
ولكن الرجل لم ينطق بكلمة . . وبدأ من صمته أنه قد
انتهى بما عنده ، وأن على « على » أن يقول شيئاً . . ينهى به
المسألة .

وكان ذهن « على » قد خلا إلا من « أنجى » . . لم يكن
يفكر فى لجنة المصادرة . . ولا الأرض المخرقة والدواب
المسمومة والعربات المحترقة . . كان كل ما يفكر فيه . . هو
مصير « أنجى » . . أقد رحلت مع أبيها . . أم بقيت فى
القصر مع أخيها المدمر المجنون ؟

وانطلق السؤال الذى يطن فى رأسه . . وفتح « على »
شفتيه لا ليوضح كيف بنوى أن يتصرف فى المصادرة . .
بل ليسأل إبراهيم أفندى فى قلق ودهشة :

— والأميرة « أنجي » .. أقدم سافرت معه ؟
— لا .. لقد رفضت السفر .. وأصرت على البقاء
في القصر .

وأحس « على » بهزة في كيانه .. وغمرته موجة فرح
عاتية .. جعلته حائراً مشدوهاً .. لا يعرف كيف يتصرف
ولا ماذا يفعل .. وبداله أن يقفز إلى العربة ويندفع إليها
ليضمها بين ذراعيه ويفر بها .

كانت تلك هي أقصى أمانيه ، ولكن الوجوه المحيطة به
والأعين المترقبة التي تتطلع إليه .. جذبته من علياء أمانيه
إلى أرض واقعه .. وذكره الدوسيه الذي يحمله عبد القادر
أفندي مندوب الجمارك والحقيبة التي يحملها حسان أفندي
مندوب الدمغة والموازين بأن هناك لجنة مصادرة وأن هناك
عمالاً يجب أن يؤدي غير اختطاف « أنجي » ، والفرار بها .

وكان عليه أن يتمالك زمام نفسه ويبت في الأمر الذي
أتى من أجله .. ونظر إلى إبراهيم أفندي وقد وقف في عجز
واسئلام . وسأله قائلاً :

— أواثق أنت من كل ما قلت من حرق وإغراق وتسميم ؟

— بل واثق من أن كل شيء قد دمر .. وأنه لم يبق
هناك ما يستحق المصادرة .

— والمجوهرات والأموال ؟

— لابد أن تكون قد هربت .. فلا أظن الذى يقتل
الحيوانات حتى لا تنتفعوا بها .. يمكن أن يبقى مجوهراته
وأمواله لتسليمها إليكم لقمة سائغة .. وعلى أية حال .. القصر
أمامكم .. ادخلوا وأدوا واجبك .. إن الأمير وعلاء
والأميرة ، أنجى ، فى الداخل تستطيعون أن تسألوهما عن
كل شىء .. أما أنا فلم يعد لى فى الطور ولا فى الطحين .

وتقدم ضابط البوليس وقال لعل فى صوت خفيض :
— يجب أن نقتحم القصر .. إن المسألة كما يبدو لى
مستحتاج إلى عنف .. فالبرنس علاء إنسان مجنون ..
ولا يستبعد عليه شىء .. وإنى أفضل أن أطلب من النقطة
قوة لى نستعين بها إذا احتاج الأمر .

ونظر د على ، إليه فى دهشة وأجاب :

— لم كل هذا ؟ إن المسألة لا تستحق .. وأنا لا أحب
العنف .. لقد فعل البرنس علاء كل ما يريد .. وأتلف كل
ما يملك .. فليس هناك ما يبرر استعماله للعنف .. ثم أنه فرد ..
ولا أظنه يحتاج إلى قوة مسلحة لرده إلى عقله .

ونظر د على ، إلى إبراهيم أفندى وبقية أعضاء اللجنة ..
وبدا عليه التردد ثم أردف قائلاً :

— على أية حال .. إنى أفضّل أن أسبقكم وحدى .. لأمهد
للمسألة .. ولأرى ما يمكن عمله دون إثارة شعور ..
أو جرح إحساس .. إنى أعتقد أنى أستطيع أن أنهى
الامر بمنتهى البساطة .



٥٠



على، في العربة الجيب أمام عجلة القيادة بعد أن
جاء أنزل السائق . . واندفع بها وحده يفوص بين
الأوحال والمياه التي أغرقت الأراضي وغمرت الأحواض
والطرق .

ولم يتبين حقيقة الشعور الذي دفعه إلى التسلسل من بين
أعضاء اللجنة والتخلص من السائق ، والاندفاع وحده إلى
القصر . . إلا وهو منطلق بالعربة مخلفاً وراءه كل إحساس
بالمسؤوليات والعمل .

كان يملؤه شعور خليط من الرهبة والفضة يدفعه إلى
الإقدام على مغامرة طالما راودت أحلامه . . منذ رقدة صباه
وراء النافذة . . وكان يتمسكه وهو يندفع بالعربة إحساس
الفارس على جواده يعدو لينقذ أميرته الساحرة من وراء
الأسوار . . وكان يحس بمتعة عجيبة من الشعور العجيب
الطارئ الذي سيطر عليه .

ومرّ بالشجرة الضخمة ثم انحرف إلى مدخل القصر . .
وقبل أن يبلغه أوقف العربة تحت إحدى الأشجار المجاورة له
ثم هبط منها متجهاً إلى السلم الرخامي العريض .
وصعد بضع الدرجات ثم توقف أمام الباب الحديدي

الضخم . . ولم يكن الباب مغلقاً . . وتلفت حوله فلم يجد مخلوقاً . . ووجد الصمت يطبق على القصر والوحشة تجثم حوله .

ومد يده فدق الجرس ، وبعد برهة خرج إليه خادم نوبى ألقى عليه نظرة فاحصة ثم سأله عن يريد . وأجاب على :

— أريد أحداً من أصحاب القصر .

— لقد سافر أفندينا الكبير . . ولا يوجد غير أفندينا الصغير .

— أريد أن أقابله .

— أقول له من ؟

— رئيس لجنة المصادرة .

واستعاد الخادم الجملة عدة مرات حتى حفظها ثم أفسح له الطريق وقاده إلى مقعد فى مدخل الصالون قائلاً :

— تفضل بانتظاره حتى أبلغه .

وصعد الخادم ، وبعد برهة سمع « على » صوت « علاء » يصرخ فى حدة :

— لا أريد أن أقابل أحداً .. إن كل شئ أمامهم . . إذا وجدوا ما يستحق الأخذ فليأخذوه .

ومضت لحظة قبل أن يعلو صوت آخر جعل قلب «على»
يكاد يثب من بين جوانحه ، وسمع صوت «أنجي» يتسائل
مستفسراً :

— ما الأمر يا محمود ؟

وأجاب الخادم :

— بالصالون ضابط يقول إنه رئيس لجنة المصادرة
يريد أن يلقي أحداً من القصر .

ومضت لحظة أخرى ثم سمع «على» صوت «أنجي» يقول :

— قدم له القهوة . . وسأهبط إليه أنا .

وأحس «على» بأن مشاعره قد أرهفت حتى باتت أحد
من الشعرة ، وبأن قلبه قد توالى دقاته في عنف وأن أنفاسه
قد تلاحقت في شدة . . وخيل إليه أن اللحظة الحاسمة التي
يتوقف عليها مصيره توشك أن تحل .

وأرشف سمعه . . وصوب بصره إلى الانحناء السلم التي
ستبدو منها عند نزولها ، وأطبق يده على حافة المقعد وقد
توترت أعصابه .

وسمع دقات أقدامها على الدرج . . درجة . . درجة . .
حتى وصلت إلى الانحناء . . ثم بدت له . . حدود جسدها
ورأسها في الضوء الباهت الذي ألقته من ورائها النافذة

الزجاجية المزخرفة السكائنة في بسطة السلم .

واستمرت في الهبوط . . وأخذت ملاحظها تتضح شيئاً
فشيئاً . . شعرها الذهبي المعقوص وراء رأسها . . وملاحظها
الدقيقة . . وجسدها المتناسق . . ولم يكن يبدو عليها أنها قد
ميزته بعد . . كانت لا ترى فيه سوى شبح الضابط الذي أتى
لمصادرة أموالهم يقبع في المقعد . . وكان في نيتها أن تعتذر
إليه وتنتهي مهمته في يسر وتجنبه حمق أخيها .

وعند ما وصلت إلى الدرجتين الأخيرتين نهض « على »
للقائها . . وفي تلك اللحظة فقط استطاعت أن تميز من يكون .
وصاحت وهي مشدوهة مأخوذة :

— على ؟

وكان أول ما فعلته هي أن شدت قبضتها على ترابزين
السلم خشية أن تتهاوى . . وتوقفت لحظة . . معقودة اللسان
زائغة البصر تحس أن الأرض تسكاد تميد بها . . وتمايل
تحت أقدامها .

وبدا عليها إعياء شديد وأحست بأطرافها تبرد
وبإحساس الغثيان الذي يصيبها عند الأفعال . . يشتد بها . .
وتمنت لو استطاعت أن تتهاوى على أقرب مقعد .

وأحس « على » بما أصابها . . . واندفع يقدم إليها يده
حتى تستند إليها .

وهتفت « أنجى » فى مرارة وهى تعاود هبوطها محاولة
جهدها أن تتمالك وتتماسك دون أن تستند إلى يده :
— أقـد جئت أخيراً . . لتصادر أموالنا ؟

وأحس « على » كأنما قد وجهت إليه طعنة أدمت قلبه . .
وملاً لآسى نفسه وهو يلبس ما فى قول « أنجى » من مرارة . .
وأحس بأن ما خشيه قد وقع . . وأن صدمة « أنجى » بـلقائه
فى هذا الموقف المرير . . قد غلبت كل إحساس آخر . .
وأنها لم تجد ما يبرر حضوره سوى رغبته فى التشفى والشماتة .
وأحس « على » بـيأس شديد . . وعجز عن تفسير موقفه
وإيضاح حسن نواياه .

إنه يستطيع أن يقنعها بما فى قلبه ولكن . . ليس بكلمات
خاطفة فى لحظات قصار ولكن بإحساسه الصادق فى لقاء
طويل . . وفى غير هذا الموقف العصيب . . الذى يقفانه . .
وقد بدا كل منهما كأنه خصم للآخر .

ولم يسعفه ذهنه الصاخب إلا بأن يقول :

— أنا آسف يا أنجى . . .

وقاطعته « أنجى » فى لهجة عصبية مقتضبة :

— لا داعى للأسف .. إنك تؤدى واجبك .. إن
القصر أمامك .. إفعل كل ماتريد .. ليس هناك شيء مخبأ ..
وسأحضر لك علبة مجوهراتى .. وهى كل ما فى القصر من
أموال .. غير الأثاث .. عن إذاك .

واستدارت صاعدة الدرج .. دون أن تترك له فرصة
الرد أو الشرح .

وأحس « على » بندم شديد .. إن الخطأ خطؤه ..
إن أنانيته هى التى دفعته إلى محاولة اقتناص فرصة لقاء .

لأجل أن يتمتع نفسه برؤيتها ولقاؤها .. زج بنفسه فى
هذا المأزق الحرج ، وأوقف نفسه موقف الشامت المتشفي .
ماذا كان يمكن أن يتوقع خيراً من هذا ؟ ! لماذا يأتى
هو دون غيره .. لنزع أملاكهم ومصادرة أموالهم ؟

إن القدر .. يأبى أن يرفع عنه النحس .
كان يجب ألا يخدع عن يأسه الدائم المقيم بهذه البارقة
السراية الطارئة .. كان يجب أن يقنع بأوهامه وأحلامه ..
بدل أن يقدم على هذه المغامرة التى لم تورثه سوى الندم
والحسرة .

وبعد لحظة هبطت « أنجى » ، ومعها صندوق مجوهراتها

وقد حاولت أن تخفي أعياءها وانهميارها وخذلانها بمظاهر
التجلد والثبات .

ومدت يدها بالصندوق ، ولم يعرف هو ماذا يصنع به
لقد كان عليه أن يستدعي بقية أعضاء اللجنة لمباشرة مهمتهم
في حصر الممتلكات وفحصها وإثباتها في محاضرها وأخذ
الإقرارات اللازمة عن الممتلكات المستعملة والتخفظ في
أحراز على الأشياء المصادرة .

كان عليه - لكي يؤدي واجبه كرئيس للجنة المصادرة -
أن يفعل كل هذا . . ولكنه كان يفزع من أن ينتهي الأمر
إلى مثل هذا الواقع البغيض ، وأن يكرههما القدر على وداع
قد خلا إلا من مظاهر الخصومة والبغضاء . . وأن يحرمه من
متعة آخر لقاء وأن يفرض عليه ما حاول أن يتجنبه ويتقيه . .
وأن يؤخذ ظلماً بآخر ما يمكن أن يقدم عليه .

وأحس أنه يجب أن يمنح الفرصة والوقت لكي يوضح
الأمر فأعاد إليها الصندوق قائلاً في رفق :

— أرجوك يا أنجي . إنني لم أقصد قط . . .

ولكنها قاطعته قائلة في مرارة دون أن تمد يدها لأخذ

الصندوق :

— أرجوك يا علي . لا ضرورة للتوضيح .

وحاول «على» أن يكتب ألمه وقال في هدوء وهو يمد يده بالصندوق :

— ولكنك تستطيعين الاحتفاظ بما تريد من المجوهرات التي . . .

وعادت «أنجي» تقاطعه في لهجتها الجافة :

— لا داعي للعواطف .. أدِّ واجبك .

وأحس «على» بالدم يتصاعد إلى وجهه ، ويوادر الغضب تغلي في صدره . وقال في حنق :

— إن هذا هو واجبي .. إن الأوامر لدينا أن نترك لكم الحلى التي تحتاجون إليها لاستعمالكم الشخصي .. ولكن ما دمت تأبين أن تحتفظى بشيء منها .. فأنت وشأنك .

وصمت برهة وهو يحاول أن يسكت نوبة الغضب التي أثارتها «أنجي» بظلمها له وإصرارها على عدم الاستماع إليه . وأخيراً قال في لهجة يائسة :

— لقد حاولت أن أفهمك ، ولكنك لا تودين أن تسمعى .. ولا تريدن حتى أن تمنحيني فرصة الكلام .

وأحست «أنجي» بما يعتمل في نفسه من ألم وضيق وبأس ، وهو يستدير متجهاً إلى الباب قائلاً :

— عن إذنك .. سأدعو بقية أعضاء اللجنة من مكاتب

الدائرة حتى يباشروا أعمالهم .
وقبل أن يبلغ الباب هتفت « أنجي » فجأة كأنما قد
تذكرت شيئاً هاماً :

— على .

وأدار « على » وجهه ناظراً إليها في دهشة . فأردفت
قائلة في لهجة حزينة متوسلة :

— من فضلك .. لقد كدت أنسى .. هناك شيء في
الصندوق أريد أن ترده لي .

ومد « على » يده بالصندوق قائلاً :

— لقد قلت لك أنك تستطيعين الاحتفاظ بما تشائين ..
وليس هذا تفضلاً مني ، لأن هذه هي التعليمات التي تلقيناها .
وأمسكت « أنجي » بالصندوق وفتحته بيد مرتجفة وهي
تقول في اعتذار ذليل :

— إنه شيء بسيط .. لن ينفعهم كثيراً .. ولكنه
عزيز لدى .

وأخذت تبعد بين قطع الحلوى وهي تتمتم :

— إنى لا أستطيع الاستغناء عنه .. ويمكننى أن
أعوضهم عن ثمنه إذا أصرّوا على أخذه .

ولم يطل بها البحث حتى أخرجت بأناملها سلسلة دقيقة

قد تدلى منها قلب ومفتاح .

ونظر «على» إلى «أنجي» مشدوهاً وهي تضم القلب إلى صدرها في حرص شديد وتهمس قائلة :

— الحمد لله . . لقد رد إليّ . . كدت أن أفقده .

وسرت رجفة في جسد «على» . . وأحس بجلا مبد اليأس والحزن والأسى والألم تنفخت وتذوب . . كأنما قد صهرتها أشعة سرت إليها من القلب المردود . . ونظر إلى وجه «أنجي» وقد بدت عليه سيما اللوعة وهي تهمس به قائلة :

— أشكرك . . يمكنك أن تذهب لمواصلة عملك وتأدية واجبك .

وهمس «على» في صوت ذائب وقد نسي كل ما مرّ به :

— أنت واجبي الأول . إني لم آت إلى هنا إلا لأجلك . لأجل أن أراك . . وأقبح كل سوء . . وأدفع عنك كل شر . . كانت فرصتي الأخيرة لكي أراك . . فغامرت بانتهازها . . رغم ما خشيته من تعريض نفسي للمظان والشبهات . . كان لي أمل في أن تغلب ثقّتك فيّ . . سوء ظنك بموقفي . . وكنت أرجو أن أفسر لك سبب قبولي المجيء ، ولستكنك خيبت أملى ورفضت حتى أن تستمعني إلىّ .

وأجابت «أنجي» ، وهي ترفع إليه عيني ملؤهما الأسف :

— كانت مفاجئة رؤيتك أشد من أن تحتمل . . لقد
هزت كياني هزاً . . كدت أن أسقط مغشياً عليّ . . كنت
آخر من أتوقع . . فلما أبصرتك أتيت بعد طول فرقة . .
ونحن على هذه الحالة من الركوع . . ظننت بك سوءاً . .
وخلتكم قد أتيت للتشفي .

— أتشفي فيك أنت ؟ 1 أتشفي في نفسي ؟
— أما زلت نفسك . . بعد كل هذا الزمن الذي مضى ؟
— إن الزمن الذي يغير كل شيء ، لم يغيرك في نفسي .
لقد كنت أثبت على الزمن . . من الزمن نفسه . . لم يستطع شيء
قط أن ينزعك من أعماقي . . حتى أنا . . كنت كائنة في
برغمي . . كم حاولت وأدك في قلبي . . ولكن كانت توقظك
في قلبي أول هزة حنين ورجفة شوق . . إني على فرط يأسى
منك . . كنت أعتبرك أملئ الدائم وأمنيتي الخالدة . . أبعد
هذا كله تسيئين بي الظن ؟

وقبل أن تجيب « أنجي » ارتفع صوت علاء يصيح في حدة :
— محمود .

وسمع صوت الخادم يجيب عليه :
— أفندم .

— ألم ينته بعد هؤلاء الغجر من مهمتهم ؟

— لا .

— عجباً ! ماذا يهيمهم ؟ ! إنهم لن يجدوا ما يأخذونه . .
لقد أقسمت على هذا .

وساد الصمت فهيمت أنجي لعلی :

— أظن يجب عليك أن تذهب لمواصلة عملك .

— وماذا تبقى لنا من عمل بعد أن دمر علام كل شيء ..
إن كل ما منقوم به لن يعدو إجراءات شكلية . . سنأخذ
منكم إقرارات عن القصر الذي ترغبون في الإقامة فيه
والعربة التي تودون استعمالها .

وصمت برهة ثم أردف متسائلاً :

— أين ستقيمين أنت ؟

— أنا ؟ لست أدري .. كل شيء يتساوى في نظري ..
إنني أحس إحساس الضالة الهائمة .. التي حكم عليها بأن تظل في
هيامها حتى تموت .

وصمت « على » برهة ، وأطرق برأسه وبدأ على سيمائه
التفكير العميق .. ومد يده يعبت بالقلب الذي تدلى من
السلسلة التي أمسكت بها « أنجي » وقال وهو ما زال مطرقاً :
— وددت لو أسألك سؤالاً .. أخشى أن تسيئي

الظن به ؟ .

— ان أسى الظن بك أبدأ .

— لقد اتهم أبوك .. أبى بالجنون .. عند ما حاول أن
يخطبك لى منه .. ترى لو حاولت أن أكرر السؤال فى هذه
الظروف .. أنظنين بى جنوناً ؟

وفاجأ السؤال «أنجى» .. مفاجأة لا تقل عن مفاجأتها
عند رؤيته .. وأحسست برغبة جارفة فى البكاء ، وضغطت
بأسنانيها على شفتيها السفلى حتى توقف نوبة البكاء ..
ولم تستطع من فرط المفاجئة أن تبين حقيقة مشاعرها ..
كان ماها خليطاً من دهشة ونشوة وحزن ويأس ..
ومشاعر أخرى لا تستطيع تسميتها ولا تحديدها .
ولم تجب .. ورفع «على» بصره إلى عينيها المغرورقتين
وهمس فى شبه اعتذار :

— أرجو ألا أكون قد آلمتك .. إني لا أنتهز فرصة
ركوعكم كما سميتها .. لأنى لا أراك أبدأ إلا على هام السحب ..
ولا أراى إلا راكعاً أمامك أبد الدهر .. مهما كنت أنت
ومهما كنت أنا .. إني أحبك .. أحبك منذ أن كنت صبياً
أرتدى البنطلون ذا الرقعة .. منذ ذلك الحين حتى الآن ..
وأملى فيك لم ينقطع لحظة واحدة .. ولكن كانت تمنعنى
عنك .. سدود هائلة من اليأس .. أحس فى هذه اللحظة

أنها قد زالت وأنى أستطيع أن أتخطاها إليك . . ذلك هو
ما دفعنى إلى سؤالى هذا . . فإذا كنت قد أسأت إليك . .
فاغفرى لى إساءتى .

وترقرقت فى عين « أنجى » دمعتان مالبثتا حتى انزلقتا
على خديها وأجابت فى صوت يخنقه البكاء :

— كيف تسمى إلى ؟ . . أتسمى إلى بأحب ما سمعت . .
لقد رددت إلى قلبى مرتين . . مرة حين رددت إلى الحلية . .
ومرة حين همست إلى بسؤالك . . لقد أحسست من مجرد
سماعه بأنى لم أعد ضالة ولا هائمة . . وبأن هناك مرفأ
يلوح لى . . يمكن أن أقصده وأستقر عليه . . لقد سألتنى
الآن « أين ستقيمين ؟ » ولو كانت لدى الشجاعة لتهفت بما
جال فى نفسى وقلت لك « حيث تقيم أنت » .

وخيل إلى « على » وهو يسمع حديثها أنه واغم . . وأن كل
ما مر به لا يعدو أن يكون أضغاث أحلام . ووجد نفسه
يهتف فى نشوة :

— أتقولين حقاً ؟

— أجل .

— إذاً هيا بنا .

— إلى أين ؟

- إلى حيث نقيم سويآ .
- الآن ؟
- ولم لا ؟
- وعملك ؟
- يمكن تأجيله .
- وعلاء ؟
- دعيه في خرائبه ومذابحه .
- وأبي ؟
- لا تأبهى لخلق .. كفى ما أضعنا من عمرنا ..
- لنهدم اليوم كل ما حال بيننا من سدود .
- إذا انتظر حتى أحضر
- لا تحضري شيئاً .. هيا بنا الآن .. يجب ألا نضيع لحظة واحدة .. إني أخشى الزمن .. وأخشى أن يراجع نفسه فيسألنا ما أعطى .. هيا بنا .
- وأمسك بيدها وشدها إليه في فرحة جنونية واندفع إلى الباب .. وقد أغمض عينيه عن كل ما حوله من واقع ، ولم يعد يبصر سوى أمنية العمر وقد بانت ملوئ يده .
- وتجاوز الشرفة هابطاً الدرج متجهاً إلى العربة الجيب وملؤ نفسه إحساس الفارس الهارب بأمرته الساحرة .

ولم يكبد يقترب من العربة حتى فوجيء بدوى رصاصة
استقرت في زجاج العربة فهشمته .

وفزع « على » وصرخت « أنجى » . وتلفت ليرى مصدر
الطلقة فإذا بقمقهة « علام » تعلو من الشرفة العليا وقد وقف
ممسكا بمسدسه وصاح ساخراً وهو يشير إلى « أنجى » :
— أهذه ضمن الممتلكات المصادرة يا حضرة الضابط ؟
وعقدت الدهشة لسان « على » فلم يحرج جواباً .
وعاد علام يصيح :

— لو كنت أعلم بما تنوى أن تفعله لسممتها كبقية
الدواب .. ولكنى كنت أظن أن لها عقلاً يميزها عن
الدواب .. دعها تعود .. فلقد أقسمت ألا تأخذوا مناقشة
واحدة .

وحاول « على » جهده أن يتمالك نفسه ويستعيد رباطة
جأشه وصاح به في عزم وإصرار :

— بل سنأخذ كل شيء .. سنأخذ الأرض الطيبة
الباقية .. التي لم يستطع أجدادك ولا استطعت أنت أن
تغير منها شيئاً .. وسنأخذ الروح الجميلة الخالدة التي لم ينل
من جمالها وطهارتها .. كل ما أخاطبها من سوء وحققد
وشر .. سنأخذ أجمل وأبقى ما لديكم .

وصاح علام في غيظ وحققد وتهديد :

— دعها تعود .

ورد « على » فى عناد :

— لن تعود .

ودوت رصاصة ثانية .. استعاض بها « علام » عن إجابته
واستقرت الرصاصة فى قدم « أنجى » فندت عنها صرخة حادة
وسقطت فى الوحل بمسكة قدمها التى أخذت تنزف منها الدماء
وجن « على » وانحنى على « أنجى » يفحص قدمها .
وأتت صيحة علام مرة أخرى حادة منذرة :
— دعها واذهب .

وهم « على » بحمل « أنجى » ليضعها داخل السيارة ويبتعد بها
عن مرمى الرصاص .. واسكن لم يكديمد إليها يديه حتى دوت
رصاصة ثالثة استقرت فى عجزه ، وقد انحنى على « أنجى »
فصرخ فى ألم وخر فى الوحل .

وأعقبت الرصاصة صيحة علام ساخرة شامته :

— قلت لك دعها .. وإلا قضيت عليكما .

وأحس « على » بعجزه عن حماية « أنجى » وخشى على
حياتها أن يضيعها ذلك الأحمق المجنون ، الذى يلهو
بالطلفات ، وهمس بها فى يأس أليم :

— عودى إليه يا « أنجى » .

وأجابت « أنجى » هامسة فى إيمان عميق :

— بل سأبقى إلى جوارك .. إني أحبك .. وأحب هذه
الأرض .. وأحب مصر كلها .. وخير لي أن أموت معك
على هذه الأرض .. من أن أحيأ معه في أبراج القصر .
واستمد « على » من قولها المخلص شجاعة وقوة وإيمان
وسألهما أن تزحفا في دروة العربة .. وأخذ يجرجسده
ويزحفا ببطء حتى استتر في جانب العربة بجوارها ثم
أطبق يده على مسدسه الذي وضعه في قايش البنطالون
أسفل الصخرة .

ومضت لحظة سكون كان علام يرقب خلالها ماذا
ينويان فعله .. ولم يكذب بصر يد « على »، تسحب مسدسه حتى
أطلق عليه الرصاصة الرابعة ، ومست الرصاصة كتف « على »
ومر بأذنه فخيخها .. ثم سمعها تطرق سطح المياه التي غمرت
الأرض ، وتطائر الرشاش ، واستدارت الدوائر ، ثم غاصت
الرصاصة في باطن الوحل ، وبدأت الأرض وقد أغرقها
المياه واختلطت خيوط الدم الأحمر بمياهها السوداء .

وعلا صوت علام يقهقه ساخراً .. وصاح بعلى :

— ما رأيك في رهان يا حضرة الضابط .. رهان على
أرواحنا .. الفائز منا يأخذ روح الآخر ؟

وأحس « على » ، وهو يخوض المعركة مع المجنون كأنه

فى كابوس مزعج أو دوامة مخيفة . . . وكانت الحوادث
تترى مفاجئة بسرعة البرق ، دون أن تترك له لحظة تفكير .
ولم يكن أمامه إلا أن يطلق طلقة بطلقة .. فإما أن يردى
المجنون أو يرديه المجنون صريعاً .

واستتر « علام » وراء حافة الشرفة ، وأطلق رصاصة
أخرى ، وكانت « أنجي » قد التصقت بهلى . . وأحسّت بقلبها
ينزع وراء كل طلقة .

واستقرت رصاصة « علام » فى إطار العربة .

وأسند « على » مسدسه على حافة العربة وهو يحس بيده
ترتجف وجسده يتداعى ، وأطلق رصاصته الأولى فأصابت
حجر الشرفة . . وعالت قهقهة علام وقال ساخراً :

— غشيم .. يجب أن يعيدوك إلى المدرسة لتتعلّم الرماية
لو قدر لك أن تنجو من هذه الطلقة . . أنظر . . وتعلم
أصول التنشين . هذه الطلقة ستستقر فى . . .

ولم يتم جملة . . فقد انطلقت رصاصة « على » ، الثانية
لتنستقر فى رأسه . . ولتمت الكلمة على لسانه .

وأحس « على » بعد ذاك بقواه تخور .. وجسده يتهاوى ،
وبالمرئيات تختلط أمام عينيه . . ومضت فترة دون أن
يسمع فيها طلقات علام وأحس بالأسى والمرارة وهو يشعر

أنه قد اضطر لإصابته .

وسقط المسدس من يد «علي» .. وسقطت يده إلى جانبه
ثم تهاوى جسده إلى الأرض المغرقة بجوار العربية .
وانحنى عليه «أنجي» وقد أحست بقلبها يتمزق وهتفت
به في صوت يخنقه البكاء :

— علي .. هيا يا علي .. سأساعدك على ركوب العربية
وسأسوق أنا ونخرج من هنا . سنفر وحدنا لنعيش سوياً .
هيا يا «علي» .

وأمسكت بكتفيه تحاول مساعدته على النهوض .. وقد
أغرقهما الوحل وغمرتهما المياه .
وهمس بها علي :

— لا أستطيع النهوض .

وأغمض عينيه .. وبدأ علي وجهه الألم .. وانحدرت
الدموع من عيني «أنجي» فسقطت على وجهه وهتفت به :
— لماذا يا علي ؟ .. ماذا بك يا حبيبي ؟
وأجاب «علي» وهو يحاول أن يتنسم :

— لا شيء يا «أنجي» .. لا شيء يا حبيبتي .. مجرد ثقب
في البنطلون .. أتذكرين يا أنجي جلستى أمام الترولى ..
إنى خجل من النهوض به أمامك .. وأخشى أن تضعى لى به

رقعة .. عديني أن تهديني بنطلوناً جديداً .. وأؤكد لك
أني لن أرفضه .. إني أحبك يا أنجي .. لقد حلت بك
طول حياتي .. وسأحلم بك الآن عند ما أغمض عيني ..
لم تستطع سدود الفوارق أن تنزعك من نفسي فيما مضى ..
ولن تستطيع سدود الموت أن تنزعك مني الآن ..
لقد كنت ملكي .. وستظلين ملكي دائماً .

— إني ملكك يا حبيبي .. لن تقوم بيننا سدود بعد
الآن .. ولا حتى سدود الموت .. أحبني يا د علي ، ..
لا تغمض عينيك ، ولا تطبق شفتيك .. ألا أستطيع أن
أحدثك ولو بضع لحظات .. أبعد طول حرمان منك
وبعد عنك .. تغمض على عينيك ولا تجبني بغير الصمت ؟
أحبني يا د علي ، .. قل إنك تحبني .

ونخيم السكون وساد الصمت .. إلا من أنات موجعة
وصرخات حبيسة .. وبدا المكان موحشاً خراباً .. زادته
الأنات وحشة فوق وحشة ، وخراباً على خراب .



الغائبات



رجال البوليس على صوت الطلقات ، مندفعين

في ذهول من مكاتب الدائرة إلى مدخل القصر ،

فوجدوا « علياً » فاقد الوعي ، راقدآ في الأوحال بجوار

العربة ، وقد انحنت عليه « أنجي » تن أنيناً موحهاً . . وقد

روّعها الفزع وأخذ الدم ينزف من قدمها .

وأنبأتهم « أنجي » في زبرات متقطعة وصوت مرتجف

بما حدث . . فطلب الضابط عربة الإسعاف . . وصعد

إلى الشرفة العليا ليجد « علام » قد فارق الحياة .

وحضرت عربة الإسعاف فحملت « علي » و « أنجي »

إلى المستشفى .

ورقد « علي » فاقد الوعي وقد ألح عليه الداء وصرعته

الحصى . . . وأحس بنفسه يخوض وسط أكداً ثقيلاً من

الضباب الممّ . . محاولاً أن يتخطى أسواراً عالية . . لا حدود

لها ولا نهاية . . وقد تلاحقت أنفاسه وتداعت قواه .

ولم يكده يصل إلى نهاية السور حتى تدفقت عليه موجة

طاغية هوت به إلى أسفل القاع .

واستمر يترجح في هذيان الحصى بين القمة والقاع ، كلما

وصل إلى القمة لطمته الموجة فأعادته إلى القاع ، ولا يكاد

يصبه اليأس في نضاله المرير حتى يحس بيد قد امتدت إليه
وسط الظلمات المعتمة لتدفعه إلى أعلى ، ولتعيد إليه قواه
وتشد أزره .

ووسط الضباب والأمواج .. يتطلع إليه بين آونة
وأخرى وجه « كريمة » وقد أحاطت به الأربطة البيضاء .. فلم
يبعد منه سوى عين تستعطف وشقة ترجو .

ويختفي وجه « كريمة » ليحل محله وجه « أنجي » يرمقه
في حنين ويهتف به « ماذا بك يا على ؟ ! ماذا بك يا حبيبي ؟ »
وأبلى « أنجي » من جرح قدمها ، وتولت تمريضه والسهر
عليه .. ومرت بها الليالي الطويلة وهي ترنو إليه في صراعه
بين الحياة والموت ... وقد أحست بروحها تخوض معه
المعركة .. وتناضل الموت من أجله .

وكلما هتفت باسمه أحس باليد التي تعينه في الظلمات قد
أشتدت ، وبقدرته على المقاومة قد زادت .

وفي ذات ليلة أحس بالضباب قد أخذ ينقشع رويداً
رويداً .. وبالأمواج الهادرة تنحسر .. وبدأ له كأن حبلاً
دقيقاً قد امتد ليرفعه إلى أعلى السفح .. ولم يصعب عليه
التسلق .. فقد وجد الحبل يجذبه بخفة حتى وصل إلى أعلى
السفح .. وأشرف فيه على ربوة خضراء أحس منها سكوناً

جميلة .. وأمسك بالحبيل الدقيق فإذا بنهايته قلب ومفتاح .
وفتح عينيه ليجد وجه « أنجى » يطل عليه في وله
ولهفة ، وقد بدا له من عينها شعاعاً هادياً من الحب والحنان .
وتطلع إلى وجهها في سكون واستسلام كما كان يتطلع
إلى الربوة الخضراء الساكنة الآمنة . . وأبصر في عنقها
السلسلة الدقيقة ، وقد تدلى منها القلب والمفتاح .
وعلت شفثيه ابتسامة رقيقة وهتف بها :

— أنجى .

— نعم يا « على » .

— أكنت بجوارى دائماً ؟

— أجل .

— وستظلين بجوارى ؟

— دائماً .. دائماً .

وغاضت الابتسامة من شفثيه . . . وبدأ شارد الفكر
تائه النظرات .

وتحسست « أنجى » رأسه وتساملت باسمه :

— فيم تفكر ؟

— في صخور آمالنا التي تتحطم عليها أمراكب أعمارنا ..

في الحياة التي لا تحقق أحلامنا إلا بعد أن تعصر دماءنا ..

عند ما أفكر في رقدتي ورام النافذة في صباى . . ورقدتي
الآن . . أحس براحة ممتعة ، وسكينة لذيدة ، وأنا أجده
بحوارى أستطيع أن أمس يدك ، وأسمع حديثك . . لقد
فعلت من أجل هذا الكثير . . ولكنى أجد أنه يستحق
كل ما فعلت من أجله .

وانحنى ، أنجى ، فمس شفتيه في رفق . . وعند ما
رفعت شفتيها ظل القلب المدلى من السلسلة مستقراً على
صدره . . ومدّ « على » يده فأمسك بالقلب في رفق ووضع
على شفتيه وهمس قائلاً :

— هذا القلب له على فضل الحياة . . وفضل البعث . .
لقد رددته إليك . . فردك إلى .



فهرست الجزء الثانى

٨٨٧ وعيساء — ٤٩	٥٣٥ ... ضابط مستجد — ٣٢
٩٠٧ منى ! .. — ٥٠	٥٥٧ من يدريك .. — ٣٣
٩٢٥ ... فى الأعماق — ٥١	٥٧٩ ... جلسة المختلس — ٣٤
٩٤٥ هزيمة ! .. — ٥٢	٥٩٩ دعوة — ٣٥
٩٦٧ شائعات — ٥٣	٦٢١ مغامرة ! .. — ٣٦
٩٨٩ ... وراء سراب — ٥٤	٦٤١ ... لظمة موجهة — ٣٧
١٠٠٨ ... سيف المالك — ٥٥	٦٦٣ ... قلبان فى قلب — ٣٨
١٠٣١ مذنبه تستغفر — ٥٦	٦٨٣ قطيعة — ٣٩
١٠٤٩ ... وراء الأسوار — ٥٧	٧٠٣ أكثر ! .. — ٤٠
١٠٧١ فجر جديد — ٥٨	٧٢١ رحيل وعودة — ٤١
١٠٩٩ يد مرتجفة — ٥٩	٧٤١ ... مجرد هذيان — ٤٢
١١١٩ غروب ! .. — ٦٠	٧٦١ مجنون خطر — ٤٣
١١٤١ لا شماتة !! — ٦١	٧٧٩ أكثر من عصف .. — ٤٤
١١٦٧ دمار !! .. — ٦٢	٨٠٣ يأس متبادل — ٤٥
١١٨٥ معركة — ٦٣	٨٢٥ مزيد من أمل — ٤٦
١٢٠٧ الخاتمة — ٦٤	٨٤٩ رماد — ٤٧
	٨٦٧ انطلاق — ٤٨

شركة فن الطبايعنة

صندوق بوسنة ٤ شبرا مصر ٥٨١٤٩